تاريخ الأستاذ الإمام

الشيخ محمد عبده

(١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ = ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م)

الجزء الثالث

يحتوي على تأبين الجرائد وبعض الكبراء والفضلاء ونموذج
من تعازي أهل الأقطار والأمصار، ومراثي الشعراء

جامعه

السيد محمد رشيد رضا

منشئ مجلة المنار

(١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ = ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م)

الطبعة الثانية لدار الفضيلة

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

قلْ إنَّ صلاتي ونُسُكي ومحيايَ ومماتي لله ربِّ العالمينَ (الانعام ٦ – ١٦٢)

أمْ حسبَ الَّذينَ اجترحُوا السَّيِّئاتِ أنْ نجعلَهمْ كالذين آمنُوا وعَملُوا الصَّالحاتِ سواءً محياهُمْ ومماتُهمْ ساءَ مايحكمُونَ (الجاثية ٤٥ – ٢١)

كانت حياة الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في جميع اطوارها وأدوارها خالصة لله تعالى من شوائب الرياء، وزعزعة الاهواء، ومات كذلك خالصاً مخلصاً لله، لا يرجو غيره ولا يخشى سواه، لذلك كان في محياه ومماته آية في العلم والعمل لله وللناس، وحجة على أهل الجهل والجمود والجحود من جميع الأجناس،

رأينا في عصرنا كثيراً من أهل الشهرة والظهور في أمتنا، من المرشدين والعلماء، والملوك والامراء، والشرفاء والاغنياء، قد حيوا مكرمين، وماتوا مبكيين، وما كانت حياة أحد منهم كحياته، ولا مماته كمماته، – ما رأينا أحداً منهم في حداثته فطرياً زكياً، وفي شبابه متعلما صوفياً، وفي كهولته فيلسوفاً اجتماعياً، وفي شيخوخته حكيما ربانياً،

ما رأينا أحداً منهم يعمل لترقية الناس فى الدين والدنيا، من حيث لا يطلب لنفسه الا الحياة الاخرى،

ما رأينا أحداً منهم كان يرجوه الفقير لنيل نواله ، ويسترشد به الغني ليفيد ويستفيد بماله ، ويرجوه المتعلم ليقتبس من حكمته وفهمه ، ويستهديه العالم الذي يريد ان ينفع بعلمه ، ويرجوه المحكومون لما يريدون عند الحاكمين ، ويستفيد منه الحكام كيف يعدلون في المحكومين ،

ما رأينا أحداً منهم كان قبلة آمال المصلحين ، في السياسة والعلم والدين قد أتلعت الاعناق وامتدت الابصار من جميع الامصار والاقطار ، ترقب آثار اصلاحه ، وتنوط فلاحها بفوزه ونجاحه ، فالمصري في وطنه يرجوه لمصر ، والمسلم في كل وطن يرجوه للاسلام ، والشرقي غير المسلم يرجوه للشرق ، —

هكذا كان مرجوا في حياته للعالمين . اذ كان محياه خالصاً لله رب العالمين وهكذا كان مرثياً من الناس أجمعين ، اذ كان حتى مماته محباً لخير الناس أجمعين ،

ثم ما رأينا منهم أحداً مات فبكاه السني السلفي وغير السلفي ، وحزن عليه الشيعي والاباضي ، ورثاه اليهودي والنصراني ، وابنه الشرقي والغربي ، واستوى في التعزية عنه القريب بالأجنبي ،

ما رأينا أحداً منهم مات فنعته الجرائد كنعيه ، وأبنته بمثل ما أبنته به . على اختلافها في العقائد والمذاهب ، وتباينها في المنازع والمشارب ، وعلى ما كان له في عالم الاجتماع من الزعامة ، وفى عالم الدين من مرتبة الامامة ، وهما المرتبتان اللتان يتحاسد عليهما الكبراء ، وينبري لمباراة صاحبهما العظماء ، بل يسلطون الالسنة والاقلام على من يخطب واحدة منهما ، فما بالك بمن تمكن من الجمع بينهما ، وما كانوا عن الاستاذ الامام

بغافلين ، ولا عن النيل منه بساكتين ،

ما رأينا أحداً منهم مات فعدّ موته موتاً للفقراء ، موتاً للعلم والعلماء ، موتاً للبلاغة والبلغاء ، موتاً للصدق والوفاء ، موتاً للاخلاص والصفاء ، ورزؤه رزءاً للمصريين ، بل رزءاً للمسلمين ، بل رزءاً للانسانية ومصابا على أهلها أجمعين ،

ما رأينا أحداً منهم مات فتجاوبت الاقطار بالتعزية عنه ، وتناوحت الأمصار بالرثاء فيه ، وشهد له القريب والبعيد ، والغوي والرشيد ، والذكي والبليد ، بأنه امام الزمان ، وسدرة منتهى العرفان ،

هكذا كان وقع موته في العالمين ، لانه مات كما عاش خالصاً مخلصاً لله رب العالمين ،

ليس هذا الذي أقول من خيالات الشعر ، ولا من باب الاطراء في المدح ، ولا هو من قبيل شهادة القريب للقريب ، ولا من اعجاب الصديق والوديد ، ولا من اجلال التلميذ أو المريد ، وانما هو الحق اليقين ، الذي دونته أقلام الكاتبين ، املاء عن ألسنة الناطقين ، وهذا السفر بعض ما دونوا ، وما دونوا الا بعض ما علموا ،

ترى في هذا السفر اثباتاً لاعتقاد قوم من المؤبنين والمعزين والراثين ، وتصويراً لشعور طوائف من العلماء والفضلاء والشعراء والكاتبين ، قد تقاربوا بل اتحدوا على تباعد الاقطار ، واتفقوا على اختلاف اللغات والمذاهب والديار ، في اثبات المعاني التي أثبتنا ، مع تفصيل لما أجملنا ، وذلك هو التواتر الحقيقي ، المفيد للعلم اليقيني ،

تواتر لم يعهد له عندنا مثال ، دونته الطبقة الاولى في الكتاب ، عن تواتر

سار مسير الامثال ، به عرفه البعيدون من الشعراء والكتاب، لا بتوارد الخواطر ، كما يقع الحافر على الحافر ، ولا بوحي من آحاد متواطئين، الى جماعات غير متعارفين ، اذ لا سبيل إلى التواطؤ ، ولا ذلك الاعتقاد والشعور مما يكون بالتوارد ،

يدور الكلام في تلك التآبين والتعازي والمراثي على أربعة أقطاب — (١) بيان الاعتقاد الذى تتبعه الآمال ، و (٢) تمثيل الشعور و (٣) ذكر الاعمال ، و (٤) تخيلات الشعر ، وإن هي تخللت النثر، وانما يأتي توارد الخواطر، في هذا القسم الآخر، كقولهم لو كان يفدى لفديناه بكذا ، وان الحياة بعده أسى وأذى ، وانه كان بحرا في الجود والعلم ، وطودا في الثبات والحلم ، فأما ماهو من قبيل الاعمال ، أو من إثبات الاخلاق والخصال ، فهو مما لا يكاد يتفق فيه خاطران ، فكيف تتفق فيه خواطر الزرافات والوحدان ،

ترى في هذا السفر أقوالا للافريقي والاسيوي، والامريكي (المقيم في أمريكا) والاوربي، ولك أن تقول للعربي والتركي، والفارسي والملاوي، والافرنجي والبربري، وان شئت قلت للمسلم السني والشيعي، وللنصراني واليهودي، تتفق هذه الاقوال في معانٍ يجزم كل من رآها انها ناشئة عن اعتقاد ،سببه انتشار فضل الرجل في جميع الاقطار والبلاد ، حتى كان جديرا بقول الشاعر

وسار مسير الشمس في كل بلدة   وهب هبوب الريح في البر والبحر

هذا مايؤخذ مما نشر في هذا الكتاب ، واليك كلمات مما قاله بعض المشهورين في هذا الباب ، منها ماقيل في حياته ، ومنها ما قيل بعد مماته ،

وقال ابراهيم باشا نجيب وكيل نظارة الداخلية ان الناس لا يعرفون قدر الشيخ محمد عبده الا بعد ثمانين سنة (يعني ان كل ماظهر من اجلال الامة له حياً وميتاً دون قدره) .

وقال لي المشير احمد مختار باشا الغازي : اني أعتقد أن دماغ هذا الرجل هو أعظم دماغ عرف وانه لو وزن لرجح بكل دماغ من أدمغة الرجال العظام الذين عرف الافرنج وزن أدمغتهم . وقال لما قرأت في الجرائد خبر موته (وكان في أوربا) ضاق علي المكان الذي كنت فيه لان الخسارة بفقده لا عوض عنها

وقال رياض باشا وزير مصر الاكبر للشيخ عبد الرحيم الدمرداش وكان ملازماً لفراش الفقيد في مرض موته : انا كلنا شاكرون لك فانك لا تخدم رجلا وانما أنت تخدم الامة في هذا الرجل – وقال في موته : خسارة لا تعوض : وقال اللورد كرومر ان هذا الرجل لا ذنب له الا انه أنور أهل بلاده . وقد قال له بعض وجهاء المصريين مرة ان كل أعمال جنابكم محصورة في إصلاح الحكومة فنرغب اليكم ان تعملوا عملا لترقية المسلمين في مصر فانهم لم يتعودوا الأعمال الاجتماعية . فقال اللورد اعملوا أنتم وعلي أن أساعدكم فمن لا يرقي نفسه لا يرقيه غيره . قال المصري انه ليس عندنا رجال يهمهم أمر الامة ويقدرون على العمل النافع لها . فقال اللورد بل عندكم رجلان غيوران مقتدران وهما الشيخ محمد عبده ورياض باشا فساعدوهما بالمال وهما يعملان للبلاد ما تحتاج اليه من الترقي : أو ما هذا معناه وبلغنا انه قال في جواب من قال ان الشيخ محمد عبده متهاون بالدين : انه بالعكس متعصب للدين ولكن بعقل

وقال الشيخ محمد توفيق البكري على مسمع مني ان الفراغ الذي تركه الشيخ محمد عبده لا يملأه شيء فقد كان كما قال المتنبي (ملء السهل والجبل) وقال عجبت للموت كيف تجرأ على الشيخ محمد عبده . وقال لو ترك الشيخ محمد عبده منصبه واشتغل بنفسه للأمة لأحدث انقلاباً عظيماً . وكان هذا رأي كثير من الناس

وسمعت الدكتور يعقوب أفندي صروف يقول بعد ان سمع المؤبنين عند القبر يكررون كلمة فقيد مصر وفقيد الاسلام : اننا لا نرضى ان يكون فقيدكم وحدكم بل نقول إنه أكبر من ذلك انه فقيد الشرق كله

هذا بعض ما سمعنا وما روينا، على أن الامة لما تعرف كنه من فقدنا ، كما يقول العقلاء المنصفون ، وسيثبت الزمان حقيقة مايقولون،

فاتونا بعالم نحرير ، أوملك أو أمير ، اعترفت له الامم بهذا الفضل الكبير،

ينقسم هذا الجزء الى أقسام (الاول) أقوال الجرائد العربية وفيه فصول (١) للجرائد اليومية المصرية و (٢) للجرائد الاسبوعية و (٣) للمجلات و (٤) للجرائد التونسية و (٥) للجرائد السورية فى أمريكا الشمالية والجنوبية . أما جرائد سورية في سورية فقد منعت من تأبين الامام بل من ذكر خبر موته بأمر من السلطان (وهو من ص٩ الى١٥٠)

﴿ القسم الثاني ﴾ أقوال الجرائد الافرنجية وفيه فصلان (١) للجرائد التي تصدر في القطر المصري وقد ترجمنا أكثرها و(٢) للجرائد التي تصدر في أوربا ولم يصل الينا الا قليل منها(وهو من ص ١٥١ –١٨٤)

﴿ القسم الثالث ﴾ أقوال الجرائد التركية والفارسية ولا تركية الا مايصدر في مصر لانها هي الحرية بما الهامن الحرية باظهار شعور فضلاء الترك واعتقادهم بفضل هذا الامام العظيم دون التي في بلادها(من ص١٨٥–١٩٨)

وقد فاتنا ما كتبت الجرائد الهندية اذ لم يتيسر لنا جمعها وترجمتها في مصر وكنا رغبنا الى عظيم من عظماء مسلمي الهند وأعلمهم بقيمة الامام وأشدهم له حباً بأن يترجم لنا أهم ما كتبته جرائدهم فحالت الموانع –من مرض وسفر– دون اتحافنا بما كان يحب من ذلك

﴿ القسم الرابع ﴾ نموذج من تأبين بعض العلماء والفضلاء كان نشر بعضه في الجرائد (من ص ١٩٩ –٢٣٥) بعد الوعد به

﴿ القسم الخامس ﴾ ماقيل في حفلة التأبين والرثاء عند القبر (٢٣٦–٢٧٤)

﴿ القسم السادس ﴾ التعازي وهي نموذج مما كتب بعض المصريين الذين كانوا خارج مصر ونموذج مما كتب المسلمون من

سائر الاقطار (من ص ٢٧٥ — ٣٠٠)

﴿ القسم السابع ﴾ مراثي الشعراء مرتبة على حروف المعجم وقد اختصرنا أكثرها (من ص ٣٠١ — ٤٢٢)

﴿ القسم الثامن ﴾ ملحقان في الاول منهما استدراك شئ تابع لقسم التعازي وهو تعزية مجلس شورى القوانين لاسرة الامام وما كتبه حموده بك في جوابه وجواب تعزيتي محكمة الاستئناف والمستر براون . وفي الثاني استدراك آخر تابع لتأبين العلماء والفضلا. وهو تأبين اللورد كرومر في تقريره الرسمي عن حال مصر الادارية والمالية وتأبين المستشار القضائي في تقريره الرسمي عن القضاء في مصر (ص ٤٢٣ — ٤٢٨)

رتبنا تأبين الجرائد في كل فصل على ترتيب أسمائها بحروف المعجم وكذلك رتبنا تأبين المؤبنين على حسب أسمائهم الا ما شذ . وأما المراثي فرتبناها على حسب حروف قوافيها قصائد كل قافية على حروف ناظميها ، وماشـذ عن الترتيب فالسبب فيه تأخر ورود ما حقه التقديم ، أو الخطأ من المرتبين ، وقد وردت الينا تآبين ومراث أخرى بعد الفراغ من الفصول الذي قضى الترتيب بوضعها فيها فأهملناها ، ورأينا بعضها غفلا من التوقيع المعرف لصاحبها فأغفلناها ، وقد حذفنا كثيرا من الاطراء والزهديات في القصائد التي اختصرناها ،

وانا نقدم الى الامة هذا السفر بالنيابة عن مؤلفيه ، من ساسة العصر ومؤرخيه ، وعلمائه وفضلائه ، وكتابه وشعرائه ، احياء لذكرى نابغتها الاستاذ الامام ، عليه من الله الرحمة والرضوان ﴿ محمد رشيد رضا ﴾

منشيء المنار

أقوال الجرائد العربية

(١)

(أقوال جرائد القطر المصري اليومية مرتبة على حروف الهجاء)

قالت جريدة الاهرام الغراء في عددها ٨٣٠٣ الصادر في يوم الاربعاء ٩ جمادي الاولى سنة ١٣٢٣ و١٣ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٥

موت المفتي
الشيخ محمد عبده
البقاء لله وحده

مصباح أضاء في عالم الادب والفضل والعلم ٢٧ سنة ثم انتابته الاسقام منذ اربعة شهور حتى اطفأت منه في الساعة السادسة من مساء امس نورا ساطعاً كان يضأل يوماً فيوماً بضؤل جسمه والناس تروع في كل صباح ومساء بقرب انطفائه وساعة اظلامه ولقد كان تسقط الاخبار عن صحة الشيخ محمد عبده في هذا الاسبوع وما قبله الشطر الاكبر من مشاغل الامة المصرية. لان الشيخ محمد عبده رجل «والرجال قليل» فتم انطفاؤه امس في منزل صديقه محمد بك راسم في رمل الاسكندرية بعد آلام تحملها بالصبر والجلد فلم تهدم عزيمته قبل انهدام بنيته، ولم تضع رشده وارشاده قبل ان تضع نسمة الحياة منه

فمات الشيخ الكبير، والاستاذ النحرير، والعالم الشهير، مفتي الديار المصرية و «كل ابن انثى وان طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول»

فطار نعيه بعد آخر نفس لفظه الى جميع انحاء البلاد فعرفت مصر انها خسرت رجلا عظيما مقداماً عالماً عاملا وتردد عليه الاسف من كل لسان. ووقف الجميع

مكلومي الافئدة وانظارهم موجهة الى تلك الجثة الخامدة . ولقد كانوا يختلفون فيه وهو حي فهم مجمعون الآن وهو ميت على أن المصاب به مصاب اليم والخسارة بموته خسارة قد لا تعوض – والمرء مذكور بحسناته – بل كيف لا تكون الخسارة كبيرة وقد كان في الشوري صاحب الفكر النقاد والرأي الصائب المقدم على كل رأي وفي اللجنة التشريعية صاحب المقام الاول ، وفي المجلس الاعلى للاوقاف الهادي المرشد ، وفي الجمعية الخيرية الاسلامية الرئيس المحيي ، وفي مجلس ادارة الازهر المصلح الهادي، وفي عالم الادب العلم الذي يشار اليه بالبنان، وفي اصلاح المحاكم الشرعية الاهلية العامل المجد العاقل، وفي كل امر كبير الرجل المقدم المفضل، فلا يتم في مصر عمل كبير الا ويده فيه قبل كل يد،وسعيه فيه قبل كل سعي . فاذا كان اختلاف في سياسته بدءا او نهاية فلا خلاف في فضله وعلمه وجده وقد عرك السياسة دهرا طويلا حتى سمعناه في الايام الاخيرة يردد عبارة مأثورة عنه : « مادخلت السياسة عملا من الاعمال الا افسدته »

ثم ذكرت الاهرام مجملا من تاريخ حياته نذكر منه هذه الكلمة عن شأنه في الثورة العرابية قالت

وفي سنة ٨١ بدأت الحوادث العرابية فتولى الفقيد رئاسة المطبوعات وعلت منزلته حتى قيل ان العرابيين كانوا لا يبرمون امراً دون استشارته وكان الفقيد ينكر كثيراً من اعمالهم وهو الذي حمى سراي رياض باشا وقتئذ

ثم قالت: للفقيد آثار ادبية كثيرة تتداولها الايدي وترددها الالسن والاقلام ويضيق عن ذكرها المقام وجل آثاره العلمية الدينية تفسير القرآن وتطبيق العلم على الدين وهو مطلب صعب نسج فيه على منوال علماء الدين في اوروبا ردا على الدهر بين الذين يتهجمون على الدين بالعلم ولقد نقل الينا احد مريديه أنه نظم على فراش الاسقام في الاسكندرية قصيدة منها قوله

ولست ابالي ان يقال محمد أبلَّ او اكتظت اليه المآتم
ولكن ديناً قد اردت صلاحه احاذر ان تقضي عليه العمائم

وللناس آمال يرجون نيلها وان مت ماتت واضمحلت عزائم
فيارب ان قدرت رجعى قريبة الى عالم الارواح وانفض خاتم
فبارك على الاسلام وارزقه مرشدا رشيدا يضيء النهج والليل قاتم

ثم ذكرت ما تلقته بالتلفون من الاسكندرية عن كيفية الاحتفال بالجنازة فيها وفي اليوم التالي نشرت لمكاتبها في الاسكندرية في ذلك ما نصه

(مشهد الامام)

ابتلى الله مصر بل الانسانية والضمائر الحرة والعلم والدين الصحيح بداهية تصفر منها الانامل . فقدت مصر بعد ظهر امس كبير أئمتها ورئيس الافتاء فيها وواحد علمائها الاستاذ الكبير الشيخ (محمد عبده) فلما وقع القضاء واسترد الله وديعته فطارت في نحو الساعة الخامسة بعد الظهر تلك النفس الكبيرة الى بارئها انتشر الخبر في الرمل والاسكندرية انتشار البرق ووقع فيهما وقوع الصاعقة لان الناس على توقعهم لهذه الفاجعة كانوا يحسبون ان بنية الاستاذ رحمه الله تسمح للرجاء ان يبقى وطيدا بأن يكون يوم نعيه بعيداً . فخاب الرجاء وما هي بأول مرة يخيب الدهر فيها الرجاء

ولما كانت الساعة العاشرة من صباح اليوم ماجت محطة الرمل في الاسكندرية بالمئات والالوف من الجنود والعساكر البوليس والبحارة وتلامذة المدارس والمشيعين من موظفي الحكومة وكبار العلماء والذوات والاعيان من كل عارف بفضل هذا الفقيد العظيم معترف به ثم جيء بالجثة من الرمل يحفها الوقار والهيبة والاحترام فحمل النعش على اكتاف الرجال وتألف موكب الجنازة فسار في المقدمة العساكر والجنود والبحارة وتلامذة المدارس وكان يتقدم النعش ويحيط به عدد من خيالة البوليس والسيوف مشهورة في ايديهم ويتلوه رجال الحكومة وموظفوها وفي جملتهم عطوفتلو فخري باشا وعباني باشا وبينهما صاحب الدولة رياض باشا ثم مظلوم باشا وأرتين باشا وغيرهم من كبار الموظفين واصحاب المناصب السامية وكل ذي مقام ورتبة في المدينة ودلائل الاسف والحزن الشديد بادية على كل وجه.

وسار الموكب على هذا النظام من محطة الرمل الى شارع النبي دانيال الى محطة الباب الجديد فأودع النعش في المركبة المخصصة لنقله الى القاهرة حيث يقام المشهد الكبير الرسمي رحم الله هذا الفقيد العظيم وألهم حضرات ذويه ومحبيه وعارفي فضله الصبر الجميل على فقده اه

ثم قالت في الاخبار المحلية من هذا العدد مانصه

جنازة المفتي الشيخ محمد عبده

في الساعة الرابعة تماماً سارت الجنازة من محطة مصر على النظام الذي كان يشور به الفقيد استنادا على قوله « اكرام الميت بدفنه » فسار في مقدمة الموكب فرسان البوليس بقيادة اثنين من ضباطهم ويلي الفرسان فرقة من مشاة البوليس بقيادة ٤ من ضباطهم ويليهم نعش الفقيد محمولا على الاكتاف وهو مغطى بشال من الكشمير والى جانبه الايسر شقيق الفقيد حموده بك عبده مع بعض الاصدقاء ووراءه شقيقاه الآخران وبينهما صديقه الحميم ورفيقه وزميله فى كل ادوار حياته العلمية والسياسية الشيخ عبد الكريم سلمان . فالجنازة الحقيقية كانت مؤلفة من النعش وحامليه والمحيطين به . اما الجنازة الرسمية فكانت مؤلفة من البوليس الماشي امام النعش فرسانًا ومشاة ومن الذين يسيرون وراء النعش فضيلة قاضي القضاة يحي افندي ووراءه قضاة المحاكم الشرعية وفضيلة الاستاذ الشيخ محمد الشربيني شيخ الاسلام(١) ووراءه شيوخ ادارة الازهر والاروقة ثم جمهور كبير من العلماء الاعلام من شيوخ احني الدهر صعدتهم وكهول تجل الامة قدرهم وعلمهم وشبان غذيت عقولهم بعلوم الفقيد ودروسه وكان عدد العلماء وطلاب العلم الذين يسيرون وراء النعش نحو ثلاثة آلاف شخص على اقل تقدير ويليهم مستشار الداخلية المستر متشل ووراءه رؤساء اقلام الداخلية والمالية وجناب اللورد سسل وكيل حكومة السودان ووكيل نظارة الحربية ووراءه الضباط الكبار ورؤساء اقلام الحربية والسودان ووكيل محافظة

---

(١) الشيخ الشربيني اسمه عبد الرحمن ولم يشيع الجنازة لانه كان مريضا كما سيأتي في المؤيد . وقد عبرت هذه الجريدة وغيرها عن أخوته بالاشقاء وهم اخوته لأبيه

مصر وحكمدارها ورئيس الضبط وكبار العمال والكولونل كولفيل قائد جيش الاحتلال وقنصل جنرال دولة ايران ومدير مصلحة الصحة وسعادة حسن باشا عاصم وكيل الجمعية الخيريه الاسلاميه التي كان الفقيد رئيسها . وكبار عمال ديوان الاوقاف واعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية الخ الخ

ويليهم سعادة ناظر الحقانية ابراهيم باشا فؤاد وسعادة وكيل الحقانية اسماعيل باشا صبري والمستر برونيت نائب مستشار الحقانية وصفوت بك الافوكاتو العمومي ووراءهم حضرات قضاة المحاكم الاهلية ومستشاري محكمة الاستئناف الاهلية بازيائهم الرسمية التي يرتدونها في ابان عقد الجلسات ورجال النيابة وحجاب المحاكم ويليهم طائفة المحامين امام المحاكم الاهلية وهم يتشحون ارديتهم السوداء الضافية . ويليهم جمهور لا يدرك الطرف آخره من كبار الامة واعيانها وادبائها وافاضلها وكان البوليس واقفاً على ممر الموكب من محطة مصر حتى الازهر بقيادة ضباطه لحفظ النظام فكان كلما تقدم الموكب زاد عدد المشيعين حتى اذاما دخلت الجنازة الموسكي اقفلت المخازن الكبيرة ابوابها ووقف التجار امام مخازنهم للاشتراك في المأتم ووقفت قطورات الترمواي نحو ساعة حتى لا تقلق الموكب في سيره

فلما وصلت الجنازة الى الازهر اذن المؤذنون من كل المساجد دفعة واحدة فزاد الخشوع وزادت العبرة في جنازة كبيرة لم تر مصر أكبر منها لاشتراك الشعب كله بجميع طوائفه بها ولم تسمع فيها ضجة الفقهاء والعميان ولكن ذلك السكوت الذي كان سائدا كان أدعى الى العبرة واظهر لهيبة الموت واوعظ للنفس

وبعد الصلاة على الجثة في الازهر انتظم المشهد ثانيه وسار الى قرافه المجاورين حيث ألحدوا الفقيد ولم يسمع بعد اضراحه ودفنه الا صوت واحد لاحد الشعراء اذ قال وهو ينظر مودعاً ذلك القبر

قد خططنا للمعالي مضجعا ودفنا الدين والدنيا معا

ولم تقم ليالي المآتم عملا بوصيه الفقيد وآرائه فنسأل الله ان يجزل ثوابه وان يلهم آله وذويه واصدقاءه وامته بل كل مصر عزاء عنه وان يرزقها من ابنائها خلفاً له

وذكرت في مكان آخر من هذا العدد ما نصه

عن موت المفتي — مات الشيخ محمد عبده مفتي مصر اول امس وورد تلغراف روتر بان السير وليم موير مات اول امس ايضاً والسير وليم موير رجل من كتاب الانكليز كان في كتاباته واقواله اعدى عدو للاسلام كما كان يعد الشيخ محمد عبده اكبر مدافع عن الاسلام . وورد من بلجكا خبر وفاة الدكتور سيدناي سميث المثري الاميركي اصدق صديق للاسلام ومن اكبر اصدقاء الشيخ محمد عبده

وحدثنا احد افاضل الايرانيين بان فلكياً مصرياً تنبأ عن وفاة المفتي في هذا العام في نتيجه فلكيه تعرف بنتيجه الزرقاوي وقد طبعت منذ ثمانيه شهور فاخذنا تلك النتيجه الصغيرة فاذا فيها اقوال على شكل القصيد فيها هذان البيتان

الا يارحمة الرحمن صبي　　على قبر حوى روح الامام
ويا ذا الازهر اندب ليث غاب　　فمن يقتي اذا الاستاذ نام

والمتعارف بين الكتاب الوطنيين ان المفتي كان يعرف بينهم بلفظة الامام وبالاستاذ الحكيم فما اغرب الصدف

وقالت جريدة البصير الغراء في عددها ٢٣٧٣ الصادر ذلك اليوم

رزء عظيم

تحزن للبلاد المصرية في هذا اليوم بل العالم العربي بأسره حزناً شديداً لوفاة العلامة المفضال الشيخ محمد عبده مفتي القطر الذي عرفت روحه الطيبة بقدر عزتها ووجوب بقائها فأقامت مدة تتردد منه بين السحر والنحر حتى غلبها قضاء باريها، واستردها منه معطيها، فراح تندبه الصحائف والاقلام، وتنوح عليه صحة المدارك والافهام، وتأسى على عمره بواقي الايام،

ألمت بهذا الفقيد الحميد علة ما كان أحد يتوقع انها تفضي الى هذه النتيجة المحزنة وقد جاء من أجلها الى هذا الثغر فعالجه فيه نطس الاطباء فما أغنى علاجهم شيئاً ولا دفع طبهم مقدوراً فمات منتزعاً من بين آمال ألوف كانوا يرجون له

طول البقاء، وامتداد الاجل ليستفيدوا من اصلاحه ويستنيروا بارشاده لانه رحمه الله كان في مقدمة العاملين على أصلاح شؤون المسلمين بالخصوص وسائر بني الشرق بالعموم ولهذا يعد فقده خسارةً حقيقيةً لو يدري الغافلون

ومصيبةً حمل الخليفة شطرها ۞ والمسلمون وشطرها الاسلام

أما الشيخ محمد عبده من جهة اصلاحه الديني والدنيوي فمشهور جداً حتى يمنع اشتهار أمره عن ذكره ثم هو مشهور أيضاً بالبلاغة والفصاحة وحسن الانشاء والترسل وصحة الادراك وسلامة الذوق وله من قلمه على ذلك أدلة كثيرة وشواهد عديدة حتى انه لو لم يكن يشغل منصب الافتاء لكان يشغل اسمى مركز بين أولي الآداب وحملة الاقلام ولهذا يندبه المستهدون والمسترشدون، ويتطلعون فيرون قد بكى بكاءهم الكاتبون والمتأدبون، وناح نواحهم الشعراء المجيدون، ذلك هو الشيخ محمد عبده الذي فيه يمترون، نسأل الله تعالى ان يتلقى روحه الطيبة باحسانه وكرمه فلقد كان محسناً كريماً، وان يتغمده بفضله ورحمته فلقد كان فاضلا رحيما، ولا نسأل لقومه الكرام وحدهم الصبر والعزاء، فاننا قد غدونا جميعاً في المصيبة شركاء، وقد تقاسمتها الاقطار العربية بالسواء، وتألمت لها جميع المذاهب والاديان اذ ليس للفضل الصحيح مذهب ولا انتماء

اما مشهد دفنه فقد كان نادر المثال فقد حمل من رمل الاسكندرية على الكهرباء يصحبه المئات من ذوي الوجاهة ولم يبلغ محطة الاسكندرية حتى تكوف السكان جميعاً في محطتها وفي مقدمتهم عطوفتلو فخري باشا القائمقام الخديوي ونائب رئيس النظار مع حضرات النظار ودولتلو رياض باشا ونجله محمود باشا ورئيس محكمة الاستئناف الاهلية وقضاة محكمة الثغر الاهلية بشارة المحكمة الرسمية اذ كانت قد أوقفت الجلسة حدادا عليه ثم سعادة ناظر الاوقاف ووكيل نظارة المعارف ووكيل حضرة اللورد كرومر و بعض مستشاري محكمة الاستئناف المختلطة وغيرهم من كبار رجال الحكومة وفضيلة شيخ علماء الاسكندرية وقاضيها وجميع علمائها الافاضل وكل ذي مقام محترم في الاسكندرية عدا كبار القوم الذين حضروا من العاصمة وسائر جهات القطر لوداع الفقيد الوداع الاخير فحمل نعشه المجال

بالكشمير الثمين على اكتاف القوم يتقدمه بعض رجال البوليس بين خيالة ومشاة ومن
ورائه شقيقاه الاسيفان وسائر هذا الجمع الذى يعد بالالوف بين صفين من العساكر
ورجال البوليس واولاد المدارس من شارع الرمل فشارع النبي دانيال فشارع محطة
مصر حيث اودع نعشه عربة خصوصية واخذ المشيعون يذرفون الدموع ويعزون
بعضهم بعضا على هذا المصاب الاليم ثم تفرقوا آسفين وقد شيع الفقيد الى العاصمة
وفد مؤلف من ٦٠ وجيهاً من وجهاء الاسكندرية يتقدمهم شيخ علماء الثغر والقاضي
و بعض العلماء الكرام الخ

وقالت جريدة الشرق الغراء في عدد ٥٥٠ الصادر يوم الاربعاء ٨
جمادى الاولى سنة ١٣٢٣ و ١٢ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٥

الامام الحكيم

ودعناه

ودعناه وقد نال منــه المرض وأطبق عليه الموت وأذابت كبده الأوجاع
والآلام فلا والله ماوجدنا مثل وجهه اشراقاً

ودعناه والذي أصابه لو نزل بالدنيا لكانت كلها دمعاً ودماً . فما سمعنا للامام
الحكيم توجعاً ولا أنيناً وما وجدناه الا شجاعاً بطلا

أخذ سقراط كأس السم فشربه مبتسماً . فقالوا مات سقراط كريماً، وانما أخذ
سقراط السم مكرهاً قضي عليه به قضاء محتوماً ،

وأخذ الامام الحكيم كأس الهم من الأزهر لم يحكم عليه بها من شعب ولا
من حكومة ولم تقدم له الا من أيدٍ أثيمة ذميمة فكان وهو يجود بنفسه الكريمة
يستغفر للذين قتلوه، و يشفع لهم عند الذين أحبوه وأكرموه، فالامام مات كما عاش
كريماً حكيماً

نعم مات الامام

مات العلم والعمل والهمة والاقدام . مات الاستاذ الأعظم والمصلح الأكبر

الشيخ محمد عبده فانطفأت بموته أشعة العلم والذكاء، وباتت من بعده سوداء ظلماء،
نبكي الامام الحكيم ماذكرناه ، ونبكي مصر ما بكيناه ، ان حزننا عليك يا امام المسلمين، وكبير المفكرين، لتهون في جنبه جميع الاحزان، وتخف بازائه كل مصائب الانسان،

نشفق على مصر لانها فقدت بموت هذا الامام، أغلى درة فى تاج الاسلام، نشفق عليها لأنها فقدت الرجل الذي قال عنه وكيل فرنسا السياسي في الجزائر سابقاً انه لو كان فى المسلمين عشرون شيخاً مثل الشيخ محمد عبده لاعتز الاسلام جانباً وكبر شأناً ولرضيته لي ديناً

أضعناك ياأستاذ وأي الرجال أضعنا . أضعنا النفس الشريفة والروح العالية. أضعنا الذي كان يخرج من منزله في كل صباح وفي جيبه بيان حاجات الناس فلا يبرح عن سعيه هنا وهناك حتى يقضيها ثم يعكف على خدمة الجمهور فينسى نفسه بها ويفني حياته فيها

أيها الامام انك قد مت شهيداً ، ولكن يكفيك انك قد حاربت الجهل وخدمت الأمة فأنت تغيب اليوم في السماء مستريحاً ، فيارجيم الخطوب ان أفق العلى بغير شهاب، ويافقيد العلم والآداب لقد شقت عليك مرائر العلم والآداب ، ويامن حملوك على الرقاب ، لقد كان فضلك طوق تلك الرقاب

عليكم سلام الله ما ذكر اسمكم وذلك بين الناس آخره النشر

لبى دعوة ربه فى الساعة الخامسة من مساء أمس

فساوى قلوب الناس فى الحزن رزؤه كأن صدور الناس في حزنه صدر
فان أظلمت أرض الشآم لحزنه فلم يخل من ذاك الصعيد ولا مصر

وقد أحاط به الآسون يبغون طبه، وراموا بأنواع العقاقير برءه، فلم تنجع فيه حيلة وكانت وفاته بعلة استحكمت من مدة بعيدة وهي تورم في الكبد طغى على البطن بكبر حجمه واختلطت علته بالدماغ بسبب تسمم الدم بما يسمونه «اسيدتونومي» أي العلة الخلية فأصيب بالسهو والغيبوبة وسائر الاعمال العصبية ولما فاضت روحه الكريمة أسرع عطوفة وكيل قائمقام خديوي الى نعيه للجناب العالي في ديفون

ثم عقد مجلس النظار في سان ستفانو للمداولة فيما يجب اتخاذه من التدابير لتشييع الجنازة في الاسكندرية ومصر وحضر جناب وكيل المالية خصيصاً لحضور هذه الجلسة فتقرر أن تكون النفقات على الحكومة وأرسل عطوفة وكيل قائمقام خديوي رسائل برقية الى محافظ العاصمة لاتخاذ التدابير التي تقررت في جلسة النظار وللتحتيم على جميع موظفي الحكومة بحضور تشييع الجنازة وأرسل الاوامر الى المديرين لاستقبال الجثة في المحطات التي تمر بها مع عمد البلاد ومشايخها

وفي الساعة العاشرة من صباح اليوم وصلت الجثة من الرمل الى الاسكندرية فشيعت الى محطة مصر من شارع المسلة الى شارع النبي دانيال فالمحطة بموكب حافل مهيب يتقدمه ثلة من فرسان البوليس فتلامذة مدرسة الشيالين ففرقة من البوليس المشاة ثم النعش يتقدمه اخوة الفقيد وأصهاره ويتلوه عطوفة فخري باشا بالنيابة عن الحكومة المصرية ودولة الوزير الخطير رياض باشا ثم أصحاب العطوفة والسعادة عباني باشا ومظلوم باشا ويعقوب باشا أرتين وعبد الحليم باشا عاصم وابراهيم باشا نجيب وصالح باشا ثابت وجميع رجال القضاء الأهلي والشرعي والعلماء وغيرهم من كبار رجال الأمة وجميع أعيان الاسكندرية تسير وراءهم جموع لا تحصى

وكان يسير على جانبي الموكب جميع تلامذة مدارس العروة الوثقى وجنود خفر السواحل وفي آخر الموكب فرقة ثالثة من فرسان البوليس حتى وصلوا الى المحطة فنقلت الجثة الى قطار خاص سار بها الى العاصمة وكان يتولى ادارة الموكب جناب وكيل المحافظة

وقد ورد الى شقيقه حموده بك عبده كتاب من متولي أعمال الوكالة البريطانية أعرب فيه عن أسفه بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن جناب اللورد كرومر وأصدر سعادة ناظر الحقانية أمره الى قضاة المحاكم الاهلية والمحامين أن يشيعوا الجنازة بكساويهم الرسمية

ترجمة الفقيد

وُلدَ الفقيد الكريم من أبوين فقيرين من أهالي محلة نصر بالغربية كان يضرب بهما المثل في الورع والشهامة واكرام الضيف حتى كان بيتهما بغير باب وكان الاستاذ يفتخر بذلك كثيرا . ومما يؤثر عن كرمهما ان ضيفاً وفد عليهما صباح يوم ولم يكن عندهما شيء من الزاد لفقرهما فقدما له اللبن الذي كان معدا لغذاء الفقيد وهو صبي فى المهد فأمضى الفقيد نهاره جائعاً باكياً

وُلدَ رحمه الله عام ١٨٤٥ . فلما بلغ السابعة من عمره ظهرت عليه علائم النجابة والذكاء فلم يشأ أبوه له أن يكون فلاحاً كاخوته بل شاء أن يعلمه فأدخله الى كتاب في القرية فاختلف اليه الفقيد مكرهاً ولم يدع أحداً من أهل القرية الا توسل به الى أبيه أن ينظمه في سلك اخوته فلاحاً فكان يأبى عليه ذلك ويصر على تعليمه اصرارا . وكانت النتيجة من هذا وذاك ان الفقيد رحمه الله لبث بهذا الكتاب ثلاث سنين لا يحفظ مما يلقي الفقيه حرفاً

وفي عام ١٨٤٨ أدخله أبوه الى الجامع الاحمدي فلبث به ثلاث سنين أخرى كانت النتيجة منها مثل الاولى . فلما أعيى أباه أمره أرسله الى الجامع الأزهر فمكث فيه عامين ولا يدري مما يلقن شيئاً

قال الاستاذ في تعليل ذلك ان الذي كان يعوقني عن تفهم المقصود من هذه الشروح والمتون ثلاثة أمور . الاول رغبتي في أن أكون مثل اخوتي فلاحاً وعدم وجود الوسائل التي ترغبني في العلم . والثاني اخلال نظام التدريس بحيث كنت أسمع الشيخ وهو يدرس فأحسبه يتكلم بلغة أجنبية . والثالث ما اتفق عليه الطلبة من مضايقة معدهم بالاغذية الضارة مما يكون منه اعتلال الجسم والفكر معاً

فلما لم يجد الاستاذ مناصاً من ارادة أبيه خلا بنفسه واجتمع بفكره وذكائه فهان الامر بعد ذلك عليه وأصبح ما يحصله رحمه الله في يوم واحد من هذه الدروس المعقدة المشوشة مثلا يحصله سواه في عام أو عامين . ومما يروى عن ذكائه انه لم يمر عليه شهر في درس كتاب الكفراوي في النحو حتى بدا له شيء من غلط

الكتاب وتناقضه في بعض المواضع فنبه شيخه الى ذلك فاعترف معه به ولكنه قال انما ندرس هذا الكتاب تبركا

ثم جاء السيد جمال الدين الافغاني الى مصر فاجتمع به الفقيد وأخذ عنه كثيرا من فلسفته وعلمه وكان السيد جمال الدين يقول عنه انه أنجب تلاميذه وانه لمصر أقوى من اسطول وأعز من جيش . ولقد لبث السيد جمال الدين بمصر عشر سنين فكان فقيدنا ساعده الايمن لا يكتب السيد موضوعاً علمياً الا بروح الفقيد وقلمه ولا يجادل جدالاً فلسفياً الا كان فيه شيء من ذكائه وفكره . ولما طرد السيد جمال الدين قال وهو في سجن السويس منتظراً الباخرة التي تحمله منفيا اني تركت الشيخ محمد عبده وكفاه لمصر عالماً

وكانت اولى الوظائف التي تولاها الفقيد رحمه الله تحرير الوقائع المصرية وكانت في عهده آية الاعجاز في الانشاء ثم عين مديرا للمطبوعات المصرية . ولما عزل المغفور له اسماعيل باشا وتولى رئاسة النظار دولتلو رياض باشا قرب الفقيد اليه واتخذه مستشاراً فالذي تراه الآن من آثار رياض باشا الحسان انما هو من فكر الاستاذ رحمه الله . حتى كان ما كان من تلك الثورة العرابية فبذل جهده في اقناع اهلها بسوء عاقبتها حتى هموا كثيراً بقتله وهو مع ذلك لم ينفك عن النصح والارشاد ومما يرويه التاريخ دليلا على جهل الذين قاموا بهذه الثورة وعلى بعض ما بذله الفقيد من العناء في سبيل الاقناع انه لما جاء الاسطولان الفرنسوي والانكليزي الى مياه الاسكندرية اجتمع الثائرون في منزل عرابي يضحكون من اوربا ويهزأون بقواتها فوقف الاستاذ رحمه الله خطيباً فيهم وعرفهم ما هي اوربا وما هي فرنسا وانكلترا وما هي قواتهما البرية والبحرية فقاطعه عضوان من اعضاء مجلس النواب حينئذ وهما عبد المجيد بك البطاش العضو النائب عن الاسكندرية وسائر الثغور المصرية والسيد احمد محمود العضو النائب عن مديرية البحيرة وقالا له ان اهالي السيالة وابي حمص وحدهم ليقاومون قوات الدولتين اللتين تذكرهما فاخرج من مجلسنا او قتلناك صبرا

ثم هدأت الثورة بعد الاحتلال فاتهم الفقيد ظلماً انه كان من رجالها فنفي

الى الشام فلبث فيها عاماً ثم دعاه السيد جمال الدين الافغاني الى مدينة باريس قاصدرا بها جريدة العروة الوثقى ثم عاد الفقيد الى مصر بعد ان تبينت براءته للحكومة المصرية فعين قاضيا جزئيا فى المحاكم الاهلية ثم مستشارا في محكمة الاستئناف ثم عين مفتياً للديار المصرية فكان في جميع الوظائف التى تقلدها بحراً من العلم والفضل

اما اعماله النافعة فكثيرة لايحيط بها بيان نذكر منها تدريسه القرآن الشريف بما لم يسبقه اليه احد حتى كان شرحه له وتفسيره شرحاً علمياً عصريا خاليا مما حشاه السابقون . ومنها اعماله في مجلس الشورى وهي كل حسناته وغاية غاياته . هذا عدا الافتاء والتأليف الذى منها رسالة التوحيد الشهيرة وتفسير جزء «عمّ» والرد على الدهريين . ولم يقف عند هذا الحد رحمه الله من الاعمال النافعة بل وجه نظره الشريف الى الازهر فاصلح ماقدر على اصلاحه وكان والمرض يساوره يشتغل بمشروع مدرسة تخريج القضاة الشرعيين ثم انه كان فوق هذا الاشغال الكبير يكاتب المجلات باعظم الموضوعات الادبية والعلمية مما كان له شأن كبير في العالم كله . نذكر من ذلك رده على المسيوهانوتو وعلى بعض مقالات ظهرت في الجامعة . وله عدا ذلك كله مساع مشكورة واعمال انسانية انتفع بها خلق كثير هم الآن يبكونه معنا و يذوبون عليه حزناً

هذه اعماله اجمالا . اما اخلاقه فاخلاق عمر . انه كان حليما واسع الصدر كريم النفس الى درجة متناهية . فما قصده ذو حاجة الا سعى له سعيها حتى يقضيها له وما اساء اليه انسان الا اجتهد ان يقابل الاساءة منه بالاحسان

نذكر من ذلك ان السيد عبد الرحيم الرمرداشي جاءه يوماً فقال ياستاذ ان عدوك فلاناً حقد عليّ لقربي منك فهو ساع للايقاع بي فاجابه المرحوم اصبر عليّ الى غد . وان الرجل في منزله الساعة الحادية عشرة اذا الاستاذ يطلبه بالتلفون فلما رآه قال انك اوجدت في نفسي شيئاً من الذي شكوته اليّ ولم اتعود ان ابيت ليلة وفى نفسي السوء لاحد . ومنها ان دولة البرنس سعيد حليم زاره في مرضه الاخير غير مرة فكان يلح عليه الاستاذ رحمه الله ان يعطي للعلماء استحقاقهم

مع ان علماء الازهر كما تعرف عا كسوا الشيخ وحاربوه بكل سلاح

ولقد كان انجال المشايخ في الازهر يتناولون مرتبات آبائهم بالوراثة فرأى الاستاذ في ذلك غبناً للعلماء لان هذه المرتبات انما هي وقف عليهم فاعاده الاستاذ اليهم وعوض انجال المشايخ عنها بما كان يجمعه لهم بسعيه في رأس كل شهر من امواله واموال محبيه . ولقد شوهد وهو ساع هذا السعي عقب اعتزاله الازهر وقيام الشيوخ في وجهه محاربين فاعظم بهذا كرماً وحلماً

ولقد كان رحمه الله وطنيا بحقيقة معني الوطنية وكان لا يني له عزم في كل ادوار حياته عن ترقية الامة واصلاح شؤونها . وانا رايناه في مرضه فما سمعناه يذكر عن مرضه شيئاً وكأنه غير مريض . وما سمعناه الا محدثاً باحسن المواضيع النافعة للامة والبلاد وله حسنات غير ذلك كثيرة لا تحصى ولا تعد وهي تدل على ان الرجل رحمه الله كان كبير الهمة واسع العلم شديد الغيرة على الامة والبلاد

وقالت جريدة الجوائب المصرية الصادرة في ذلك اليوم (*)

هو الحي الباقي

لا اغراق اليوم في قول الراثي قد انهد ركن للعلم ودك طود للفضل

مات الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية الذي كان بلا خلاف اذكى القوم فؤاداً وأشد عارضة واجمع لمرقي الدين والدنيا واعمل عالم لقصده وقصده فوق مطلب زمانه

استأثرت به رحمة ربه البارحة في نحو الستين من العمر وكان متين البنية لولا العلة العارضة لعاش دهرا طويلا ولكن لكل أجل كتاب

وكان أحسن الله اليه سمح الوجه حلو الحديث جهوري الصوت حاده في الخطبة . اذا تكلم في الجمع رقي في معناه ورق في مبناه واطرب برنته وأثر بنفاذ نظراته الساطعة .

(*) تأخر تأبين الجوائب عن تأبين الشرق سهوا

وكان كاتباً اذا استل القلم في غارة شعواء كغارته الاخيرة فى الدفاع عن الاسلام ومقاتلته المهجمين عليه لم يبق نادّة من قضايا الكلام ولم يذر شاردة من مستحدثات الجدل الا استثارها من مكمنها وأرساها على خصمه حججاً دامغة وبراهين قاطعة

فأما في الشرع الشريف فله تفسيره للقرآن العظيم وهو على كونه لم يخرج عن تفاسير المتقدمين في مضمونه الا انه بالغ فيه الغاية في سهولة التعبير مع حسنه ومن جدة الترتيب مع القرب الى الاجتهاد ·

وأما في الفقه فله من محكمات الفتيا مايدل على إلمامه بأطراف المسائل المتشعبة وأخذه بالاوطد أو الارجح منها في الغالب من الامر·

وله رسالة في التوحيد من طالعها علم مقدار فضل الرجل ورأى آثار ذكائه وبحثه في كل صفحة من صفحاتها

ومن غرائب عصره انه خرج منه على ذلك التوسع في العلوم الشرعية وعلى ذلك الاقتدار في التحرير والتحبير وقلما اتسقت لسواه هاتان المزيتان فى الغابرين من سابقين ولاحقين ·

وكانت له فيما عدا الآنف ذكره مشاركات عظيمة النفع فى العلوم الطبيعية كما أشرنا الى ذلك وفي الفلسفة على ضروبها وفي القوانين الموضوعة

تعلم اللغة الفرنسوية بعد الاكتهال فلم تكن الا بضعة شهور حتى أحسنها تكلما وكتابة ولم يكن الا زمن بعد ذلك حتى كان يخيل لسامعه انه تلقن ذلك اللسان وهو رضيع في المهد لتصريفه الخطاب فيه على أغرب وألطف ما امتاز به أهله في مكالماتهم ·

أما أخلاقه

فقد كان وافيا لصديقه شديدا على عدوه وعلى خصمه وكانت معه رصانة وتؤدة· وربما لان لحاجته الى الضعف وربما قسا لها الى الصلابة (١)

---

(١) يراجع الكلام عن أخلاقه في كل تأبين وفي جزء الترجمة · نعم ان

وكان مدفوعاً بفطرته الى العمل العظيم . بدأ بهذه الخطة منذ عهده بالسيد جمال الدين الافغاني في مصر معاون لسان وفي باريس معــاون قلم وتابعها في الحوادث العرابية التي كان له وحده فيها مرام أبعـد من مرامي نظر الآخرين فلما عاد من النفي وقد عظمت فيه صولته الفكرية بما لقي من اجلال أكابر الشام واعلامها تولى منصب قاض جزئي فلم يأنف منه لعلمه انه درجة له في سلم رقي بعيد الشأو ثم نهض الى ان نصب قاضيا في الاستئناف فشرع في تمهيد الحركة الجديدة للازهر .

وبعد ان أصبح عضوا في مجلس إدارته وألقيت اليه مقاليد الافتاء كشف عما ينويه وهو جليل .

كان ينوي ان يجعـل الازهر منارة للعالم الاســلامي كله لافي علوم الدين وحدها بل في علوم الدنيا منضمة لها معززة اياها في قتال الحياة .

وقد لقي في هذا الميدان الاخير من ميادين جهاده ماأربت مصاعبه ومتاعبه على ماسبق له الاضلاع به فلم يفلح الا في إلقاء كلمة الاساس الفكري وسقط مجهودا قتيلا لاسباب ليس مقام التأبين محل ذكرها ولكن سيقول المؤرخون لهـا بعد حـين ان عدتها لاتقع الا على رقاب بعض الذين تقربوا اليـه متسامحين على كياسته وكرم أخلاقه بسماجة الغلظاء وعبودية الارقاء (١)

*
* *

فالرجل الذي فقدته مصر اليوم رجل حزم وعلم وعمل . رجل نسيج وحده

الفقيد كان يستهين بكل عظيم يقف في طريق الاصلاح ولكنه لم يعاد أحدا عداوة شخصية وكان يخـدم مبغضيه لاسيما اذا لجأوا اليه فكان أعظم من عرفنا حلما وكرما وصفحا

(١) لم يجد الاستاذ الامام من الاعوان على عمله في الازهر من ينهض معه به وقد تقرب منه أناس فكانوا آفة العمل لا آلته واصاحب الجريدة هوى فيما قال وان وافق معنى صحيحاً في الجملة

في كثرة معارفه وشدة سعيه الى غايته . اذا جاوره بعضهم في المرتبة العليا من العلم بالدين أو جاراه بعضهم في حب العمل وتذليل كل عقبة دون الخدمة العامة التي آثرها فلا مثيل له فى الجمع بين تلك العلوم الواسعة وتلك الخلال العظيمة

لهذا نبكيه كما يبكي كل عظيم راحل ونسأل الله ان يرحمه كثيرا وان لا يجعل فقدانه وفقدان امثاله من قادة الامة وسراتها يتما طويلا لهذه الامة المحتاجة الى العلم والى العمل

خليل مطرن

(ثم ذكرت الجريدة شيئاً عن الاحتفال بتشييع الجنازة وتلغرافات من الجهات تنبئ بالحزن العام)

وقالت جريدة الظاهر الغراء في عدد ٤٩٩ الصادر في ذلك اليوم

الخطب الجلل

وكانت فى حياتك لي عظات فأنت اليوم أوعظ منك حيا

أرأيتم كيف تزلزل الأرض زلزالها ، أعرفتم كيف تقذف الأقدار أهوالها، أسمعتم كيف ينفخ في الصور ، أشهدتم كيف ترتجف بأهلها القبور ، يوم أمس وما أدراك مايوم أمس ، يوم صوّح نبت مصر وغاض نيلها وانقطعت روح هوائها ، ولطمت كف أرضها وجه سمائها ، وصاح جامدها ، وأخرس ناطقها ، وبكى كل ذي حياة فيها فقدان جوهر الحياة وأدب الحياة وعلم الحياة وفضل الحياة

أجل نعق ناعق العدم ، بما القضاء به حتم ، من قبض نفس حكيم الأمة ورب الشمم صاحب قلم الحكمة مفتي الديار الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

فكأني بعلَم العلم وقد هوى، وكوكب الفضل وقد خوى ، ورفعة المجد وقد خرت منكبة على وجهها خاشعة ، وعزة الحمد قد لبست شعار الحزن ومهجتها متصدعة وشؤونها هامية هامعة، فلا وربك ما ألم الاسلام في عصرنا هذا لرزء ألمّ ، كرزئه بفقيدنا اليوم

فقيدنا اليوم كان الوقور الأعلى فى منازل الرئاسة، الدليل الاذكى في طرائق السياسة ، الجليل الاكمل في مواطن الكياسة ،

نهض الفقيد باعباء خدمة الاسلام واصلاح حال الامة المصرية نهضة تزحزح دونها رجال العصور على تطاول كرورها فما ونى ولا فتر ولم توقفه اللائمات ولم توهن عزائمه الصعاب فضرب من أجل ذلك بكل سهم من أسهم السعي المحمود فما ترك شأنا من الشؤون الا وأجال فيه رويته ،وأمضى فيه عزيمته ، حتى كأنه وهو فرد مجموع أمة بما فيها من مصالح دينية وأدبية ومادية وعلمية وسياسية

تقلد القضاء فظهرت على يديه العدالة ناصعة راجحة و بسط يد التدبير الى أوقاف المسلمين فكان أحفظ حفيظ على اليتامى والمساكين وأصحاب الحقوق و بعث في صدور الناس الحمية لإقامة مباني المدارس وتثقيف الافهام وتهذيب النفوس فهبت الآداب والعلوم من مكامن خمولها وكان هو القائد لنهضاتها وما اكتفى بذلك حتى أقام نفسه مقام المدرسين فالقى فى أجل الجوامع وأكبر المجامع على الالوف من التلامذة أنواع العلوم العالية

وأما مآثره فيما عهد اليه من أعمال مجلس شورى القوانين ومجلس ادارة الأزهر والجمعية العمومية ورئاسة الجمعية الخيرية الاسلامية ورئاسة لجنة اصلاح المحاكم الشرعية فذلك مما يعجز القلم مهما بلغت بلاغته عن احصاء القليل الاقل من قطره فضلا عن الكثير . وحسب الامة المصرية قولا ان جميع ما يعنيها من الشؤون الهامة والمصالح العامة لم تكن لتوجد وان وجدت لم تكن لتتقدم فى فلاح لولا أن أتاح الله لها تدبير فقيدنا الحكيم . ولو لم تذكر له من جميع هذه الخدم الكبرى الا قيامه دون سائر علماء الاسلام بالرد على رسالة هانوتو التي جاءت مشنعة على الاسلام والمسلمين ، وتمنى فيها هانوتو أن ينقض قبر سيد المرسلين ، لكفاه ذلك عند الله ذخراً وأجراً ، و بين الامم الاسلامية فضلا وفخرا ،

وكان جاده الله غيث رحمته من أكرم الناس خلقاً وأرفعهم نفساً . وأخص ما عرف فيه من محامد الصفات الصفح والتجاوز وذلك لا يكون من مثله على رفعة مقامه وقوة كلمته الا لاحدى خلتين كلتاهما من أشرف الخلال- الشمم المستلزم

لعزة النفس واحتقار الانتقام . أو لين العريكة المستلزم للحلم والأناة والتواضع
تلقى علوم الشريعة في الأزهر الشريف على مذهب أبي حنيفة النعمان فنال منها ما أصبح به أهلا لتقلده منصب افتاء الديار المصرية وتلقى فيه من علوم العربية وفنونها ، ما وصل به الى الغاية التي لم يدركها الا القليل من أساطينها، وتلقى علوم الحكمة على حكيم الشرق المرحوم السيد جمال الدين الافغاني فكان أسبق النابغين من تلامذته وما زال يزاول فروع الحكمة حتى وصل فيها الى الشأو البعيد»

(ثم ذكرت الجريدة ترجمة للفقيد في ثلاثة أنهار من أنهارها نستغني عنها بما تقدم في الجزء الاول وما سيأتي من تأبين ذكرى الاربعين)

ثم ذكرت من أنباء الاسكندرية ما يأتي

بينا الناس عندنا يسألون الله سبحانه وتعالى أن يمن بالشفاء التام على فضيلة مولانا المرحوم الاستاذ الاكبر والعلامة الجليل الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ويدعون له بطول العمر والبقاء اذ فاجأهم النبأ المشؤوم في منتصف الساعة السادسة بعد الظهر بانتقاله من الدار الفانية الى تلك الدار الباقية فعم الحزن والاسف جميع القلوب وسيحتفل بتشييع جنازته في صباح الغد احتفالا عظيماً يليق بقدره الجليل الى المحطة حيث تنقل جثته الى العاصمة على قطار خاص . فرحمه الله رحمة واسعة وعوض الامة الاسلامية فيه خيرا

هذا وقد اهتم جناب الحكمدار وحدايه بك بترتيب المشهد رسمياً بالصفة الآتية

(١) جيء بالجثة من الرمل الى محطة المسلة فمحطة الباب الجديد عن طريق شارع النبي دانيال فأقلها القطار الخصوصي الى مصر وعينت القوة الآتية للمحافظة على النظام .

(٢) الضباط وجميع الصف ضباط والعساكر الخالين من خدمة بلوك السواري

(٣) من ضباط وخمسين صف ضابط وعساكر من بلوك الخفر (بلوك السواري تكون امام وخلف السرير)

(٤) عشرة سواري تلازم سرير الفقيد خمسة على اليمين وخمسة على اليسار

(٥) الشوارع تكون مصطفة بالبوليس والمسافة بين كل واحد منهم ٣ خطوة

(٦) القوة الآتية اجتمعت بقسم العطارين للخدمة وهي
اليوز باشي علي أفندي فهيم ــ اليوز باشي حسين أفندي لطفي ــ واليوز باشي فافيرو والملازم الاول ديدمان

ومن الأقسام القوة الآتية :

من محرم بك	١٤	كونستابل	وصف	ضباط	وعساكر
العطارين	١٥	«	«	«	«
المنشية	١٥	«	«	«	«
الجمرك	١٤	«	«	«	«
اللبان	١٤	«	«	«	«
مينا البصل	١٥	كونستابل	وصف	ضباط	وعساكر
كرموس	٩	«	«	«	«
أساس المخازن	٦	«	«	«	«
أساس الورش	١	كونستابل			
مراسلات المحافظة	٨		صف	ضباط	وعساكر
السكة الحديد	٤		«	«	«
البوستة	٣		«	«	«

وفوق ذلك جميع بوليس المجلس البلدي ــ كل هـذه القوة تحت امرة جناب مساعد الحكمدار وبمعاونة الصاغ (أوكلهم) والصاغ ريماندا

وتقرر أن يقوم مأمور قسم العطارين مع الجثة في القطار الخصوصي الى محطة مصر وان يلبس الضباط كساوي التشريفة والعساكر الالدوانات والمداليات

هذا ماورد الينا اليوم بالتلفون من وكيلنا الاسكندري

(وقالت في عدد ٥٠٠ الصادر في اليوم التالي مانصه)

فقيدنا بالأمس

من أشرف على مشهد الفقيد رجل الأمة الاسلامية وواحدها ساعة برز

النعش بجثته الطاهرة من المحطة يوم أمس تحمله عواتق الجلال والكرامة ، وتسانده اكف الوقار والشهامة، ويحف به كبراء اهل العلم والفضل ، وتتبع خطواته امراء ارباب الرئاسات والنبل ، وعاين ماانتشر هناك من الوف الخلائق في رحبات الساحات ، وما انتظم من صفوف المواكب في الطرق البعيدة المسافات ، واستشعر مهابة ذلك الموقف وجلالة تلك الحضرة علم أن الأمة المصرية ومن في منازلها يمشون في جوانب عميدهم ورئيسهم الاكبر وأن الاسلام يشيع اعز انصاره ، وأمنع من يذود عن حوزة دياره وشرف شعاره ، مما لم يسبق له مثيل في جيلنا هذا . وكذلك مراتب المجد ، ومنازل الحمد ، بناها فى الحياة ، وتبقى لهم حديث صدق بعد الممات ، من تصدق عزائمهم في إسعاد البلاد ، وتزكو سرائرهم في ارشاد العباد . ويقضون انفاس الوجود في إعلاء كلمة الدين وتقوية شوكة الأمة . فلا غرو إن نال الاستاذ الحكيم فقيدنا اسنى تلك المراتب، فانه أعطي اجمل هذه المواهب ، و «لمثل هذا فليعمل العاملون »

قبضت الى رضوان ربها روح فقيدنا الزكية فما من يتيم الا وبكى منه كفيلا وما من ملهوف الا وتوجع للمصاب بمنجد مغيث ، وما من جاهل الا وتحسر على مرشد شفيق ، وما من عالم الا وجزع لفقد استاذ عظيم ، وما من عاقل الا وأسف لخسران افضل حكيم ، وما من إداري الا وحزن على احذق رئيس ، وما من سياسي الا وألم لقضاء ابرع الرجال ، وأنهد من مارستهم الاعمال ، واثبت من جالوا في نضال ،

أجمعت الصحافة على اختلاف اهوائها ونزعاتها ، وتباين مللها ولغاتها ، أن فقيدنا الذي فقدنا أمس جمع من خصال الشرف ، ومعالي الهمم ، ومزايا الشيم ، والسبق في العلوم ، ومحاسن التدبير ، وثبات الجأش في حب أمته، مالم يجتمع لأحد ممن نبغوا في مدى هذا الزمن . ولم يكن ليحول دون هذا الإقرار العام الشامل لجميع الصحافة ما كان بين الفقيد الرئيس وبين بعض الصحف كاللواء والظاهر من الخلاف في بعض المسائل فان كلا من الفريقين المتخالفين كان يرى الصواب فيما يظن ويسعى في استخراج الحقيقة من أغوار البحث مع حفظ ارباب تلك

الصحف للشيخ الاستاذ مقامه الكريم ، وشرفه العظيم ، والاعتراف بفضله العميم ،

(بعد هذا وصفت المشهد وصفا مسهبا)

وقالت في عدد ٥٠١ الصادر فى ١٢ ج أ سنة ١٣٢٣ و١٥ يوليو سنة ٩٠٥

جزع الأمة

على عميدها ووحيدها

من الحكمة التي تجلت بها مخيلة الاستاذ الاكبر المرحوم عميد الأمة ومفتيها وحكيمها على عالم الحقائق قوله رضوان الله عليه « كل موجود يوجد بوجود العلم وكل مفقود يفقد بفقده» ومن الحقائق التي سارت بها ألسنة الأمة لاسلامية اليوم حتى تجاوزت ملأ الاشباح الى عالم النفوس الخالصة الذكاء قولها وهي والهة من الحزن « كل المصالح كانت مكفولة النجاح للدين والأمة بوجود الاستاذ الحكيم وكل الرجال فقدناه بفقده »

وهذا الاحساس العام المتدفق بهذه الكلمة الجلى ليس بالاحساس الذي وقف عند حد مصر ولم يتجاوز نفوس اهالي طبقاتها بل طار على لمحات البرق جائلاً في اقطار العمران ضاربا في نفوس الأمم شرقيها وغربيها ، خالبا عقول قريبها واجنبيها ، فاما الأمم الشرقية كافة والأجيال الاسلامية منها خاصة فانها تصدعت افآدها ، وتفطرت اكبادها ، وسالت بدموعها الوديان لهفة لفقد الرجل الذي كان مبعثا لروح حضارتها ، ومصدرا لرجاء تآلفها ، وقطبا لرحى مهماتها، وموئل ظنونها في مستعصيات مشكلاتها ، وسيف حمى دينها ، وكوكب دنياها . واما الأمم الغربية فانها بهتت وحسرت عن رأسها خاشعة اكبارا للخطب العصيب، واجلالا للموقف الرهيب ، وكانت هذه اولى المرات التي خلصت صدور الغربيين من الشماتة في الشرق في مصاب جلل اصيب به ، وصدقت نفوسهم في الاسف مع الشرق على فقد نصير من اعز انصاره ، وما كان ذلك منهم رحمة بالشرق ولا إشفاقا عليه من الضياع كلا ولكنهم عرفوا في الفقيد من معالي الشيم ، والنهضة

بإباء الشمم ، والوفاء بما عليه لأمته ودينه والشرق من العهود والذمم ، ما لا يراه الغرب في كثير من رجاله ، وندر أن يراه الشرق في كرور الدهور على أجياله ، فوقروا في الفاجعة صاحب الرئاسة ، وتوجعوا الحسرة الفضل والنبل والعلم والحكمة والسياسة

تلك حال الأمم جمعاء في توديعها لفقيد حضارة مصر ، وحكيم أقطار الشرق ، فما تكون حال الأمة المصرية من بين تلك الامم في توديع رافع معالم مجدها ، ودليل طرائق جدها ،

هذا شأن جليل يقصر القلم الواحد دون بلوغ غايته ، وحصر دائرته ، ولما كان الفقيد من خواص الرجال الذين قلّ أن يسمح الدهر بمثلهم رأينا أن يشترك معنا في مجال تعداد مناقبه ، وتدوين مآثره ومحامده ، أقلام الفحول من الشعراء ففتحنا لهم باباً لرثائه لم نكن لنفتحه من قبل وان نفتحه من بعد وسنبتدىء بنشر ما نختاره مما ورد الينا ويرد من القصائد منذ يوم غد ان شاء الله

(وذكرت في أخبار هذا العدد أيضاً ما نصه)

مأتم فقيد الأمة

كانت ليالي مأتم المرحوم المغفور له الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية أسكنه الله فسيح الجنان غاصة بجمهور المعزين آناء الليل وأطراف النهار على اختلاف أجناسهم وتنوع طبقاتهم وكانت قطارات سكة حديد المطرية مزدحمة بهم ازدحاماً هائلا حيث أقيمت ليالي المأتم بمنزل الفقيد العزيز في عين شمس وكان مشاهير القراء يرتلون آيات الذكر الحكيم ترتيلا شرعياً والناس في حزن عظيم وسكوت تام رحم الله الفقيد رحمة واسعة وألهم الأمة جميل الصبر على فقده

(وذكرت في هذا العدد أيضاً لمكاتبها بالمنصورة ما نصه)

طفت ساحات المدينة ليلة الخميس الماضي فاذا الناس منكبون على مطالعة الجرائد وهم بين متأسف ومتوجع ، وحزين ومتفجع ، على ما أصاب المسلمين من تلك الحادثة الرائعة ، والكارثة الفادحة ، هذا والسكوت شامل الجميع فلا نسمع الا أنيناً منبعثاً من قلوب واجفة وصدور ملؤها الحزن والكدر حيث اندك طود

العلم ، وخبا بدر الآداب ، أجل قد هوى كوكب الفضل و ياليته ماهوى ، وثوى نجم المجد وياليـته ماثوى ، فجدير بالقلوب أن تتشح بأثواب الهموم ، وخليق بالعيون أن تطلق أسراب الدموع ،

(وفيه أيضاً لمكاتبها بكفر الزيات)

كان لنعي فقيد الأمة والوطن مولانا مفتي الديار المصرية في بندرنا تأثير شـديد لم يعهد له مثيل فقد استوجب الحزن فؤاد الخاص والعام من سكانه ولا عجب فان سعي الاستاذ الفقيد في ترقية الأمة كان عظيماً و بموته فقدت الأمة أستاذا حكيماً ومرشدا نبيلا فحق عليها أن تمتلىء حزناً

وذكرت أمثال هذه الرسائل من جهات القطر في أعداد أخرى ولا حاجة لاستقصاء مانشرته هي وسائر الجرائد في ذلك لانه في معنى واحد وهو شعور جميع طبقات الأمة في جميع البلاد المصرية بالحزن العظيم لفقد امامها الحكيم

وقالت جريدة اللواء الغراء في عددها ١٧٦٩ الصادر في ذلك اليوم

خطب جلل

(انا لله وانا اليه راجعون)

الموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد

أنبأنا التلفون الاسكندري البارحة بوفاة الرجل الجليل والاستاذ الكبير العلامة النابغة المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي هذه الديار في الساعة الخامسة مساء وما ذاع نعيه بين العالم المصري حتى بدت الكآبة على الوجوه وانقبضت النفوس واندملت الافئدة لان الموت انما اغتال رجلا فى العقد السادس من عمره وصل بذ كائه المفرط وعلمه الغزير ومواهبه الوافرة الى مركز سام قل ان يناله غيره في العالم الاسلامي من عظماء الرجال

اقتطفت المنية زهرة يانعة من أزهار العلم المثمرة فاذبلتها،وعادت البيان فابكته، وانقضت على جيب الجود فمزقته،وطعنت الطفل الصغير في رئيس الجمعية الاسلامية فيتمته،ولكنه القضاء المحتوم فلا مرد له

ولد الفقيد في سنة ١٢٦٦ هجرية بقرية «محلة نصر» من أعمال مديرية البحيرة فهو الآن غير متجاوز السابعة والخمسين من عمره وكان أبواه صالحين فأدخلاه كتاب القرية فتعلم فيه القراءة والكتابة وحفظ القرآن ثم قصد الازهر الشريف وانخرط ضمن طلابه فكان بينهم حاد الذهن سريع الخاطر يفهم الصعب لاول مرة وقد امتاز على معاصريه بالميل الى اقتناء الاحسن من كل فن فكان أمهر الواصفين،وأقدر الكاتبين،اذا شرح أفهم،واذا جادل أفحم

وقد شهد له أستاذاه الكبيران المرحوم الشيخ حسن الطويل انبغ أهل عصره والمرحوم الشيخ البسيوني المالكي بسرعة البديهة وتوقد الخاطر وبعد ان حضر مذهب الامام مالك عكف على دراسة مذهب الامام الاعظم أبي حنيفة النعمان وأدى الامتحان في المذهب الحنفي ونال شهادة العالمية

ومن الاسباب التي أظهرت مواهب الفقيد الكبير انه درس الفلسفة على المرحوم السيد جمال الدين الافغاني يوم حضر الى هذه الديار على عهد المغفور له اسماعيل باشا فتخلق بالكثير من اخلاقه وتشبع بالغزير من افكاره وعلمه وكان من أقرب المقربين اليه حتى ان السيد جمال الدين كان يخاطبه مرارا بقوله « إن الذكاء يتوقد في عينيك والشهرة مرسومة في جبينك فلا تكثر من أسئلة الشباب فانها تتعب الشيوخ »

وقد وقع ماقاله السيد جمال الدين وصحت نبوءته حيث نال الفقيد أعلى مقام بين علماء الاسلام في عصره

وأول نجم اضاء في سماء حظ الفقيد أن المرحوم علي مبارك باشا ناظر المعارف ترجم رسالة « في الروح والجسد » ثم اعطاها للاستاذ الفقيد ليكتبها في قالب فصيح لما بلغه عنه من زيادة الاقتدار فكتبها بعبارة بليغة أعجب بها علي مبارك باشا واراد ان يكافئ الفقيد فعينه معلما لاولاده ثم محرراً للوقائع المصرية في وزارة

دولة رياض باشا الاولى(*) فبقي بها يكتب الفصيح والبليغ حتى قامت الحوادث العرابية فكان ضمن المنفيين من اجلها الى الشام ولكن علمه الواسع وفضله وجدا له فيها وطناً عزيزا فالتف حوله الادباء وأرباب الافكار وعين استاذا للمدرسة السلطانية في بيروت وهناك خدم العلم والادب واللغة خدمة تذكر له على مر الليالي والايام وقد مكث بها نحو ست سنوات عند ماطاب له المقام ثم سافر الى باريس بعدان تعلم اللغة الفرنساوية (*)واجتمع فيها بالسيد جمال الدين الافغاني مرة ثانية واصدر معه جريدة العروة الوثقى فكان له شهرة ذائعة وبعد أن سعى بعض أعضاء العائلة الخديوية للعفو عنه عاد الى هذا الوطن(*)مودعا من محبيه في منفاه بما لا يقف عند وصف مستقبلا من مواطنيه القدماء واصدقائه الاوفياء بمالا يقل عن واجب الاخ لاخيه أو الابن لابيه وما لبث قليلا حتى استدعاه القضاء الاهلي فلباه وأخذ بناصره حتى صار موقفه فيه مهيبا ورقى منه الى وظيفة مستشار بمحكمة الاستئناف ثم نقلته سنة الترقي الى مقام الافتاء وهو آخر منصب تولاه في هذه الحياة الدنيا

فالفقيد كان من المشهود لهم بسعة الاطلاع وسمو الادراك فكان فصيحا طلق اللسان وكاتبا متين البيان رد عن الاسلام مفتريات كثيرة — افتراها عليه أعداؤه — بأسلوب بديع جديد، وما حادث هانوتو عنا ببعيد

أخذ المرحوم في تفسير القرآن ففسر بعضه وكان في عزمه رحمه الله أن يتممه في راحة هذا العام (*) ويعجل بطبعه فعاجلته المنون وأحرم المسلمين من ثمرات فكره وآيات بنانه فلا حول ولا قوة الا بالله

خطب الفقيد وهو شيخ كبير ود اللغة الافرنسية فأقبلت عليه ليتعلمها فلكها بعد أن ذلل صعابها ووقف على مكنون اسرارها حتى صار يقرأها ويتكلم بها كاحد أبنائها المجيدين فكان يخرج الاجنبي من حضرته حاسداً الاسلام عليه، مقتنعا بعد ان كان ساخرا ببنيه، ولم يعقب من الابناء ولدا ذكرا وانما أعقب بنات أربعًا ولكن قد أعقب آثاراً علمية تخلد ذكره فالذي مات بالامس انما مات

(*) غلط تاريخي في المواضع الاربعة كما يعلم من الجزء الأول من التاريخ

بموته العلم العصري اليوم فياله من رزء جسيم ومصاب اليم . مات بموته انفس كان يمد لها في الظلام من جيبه الخاص يد المعونة والاحسان والله شهيد عليم

تولى رحمه الله رئاسة الجمعية الخيرية الاسلامية فأحسن أسلوبها وأكثر ايرادها ووسع دائرة الاحسان ونظم مدارسها ورفعها فى زمن وجيز بعلمه وفضله الى شأو بعيد من النور والعرفان

فالفقيد فقيد البلاد، فقيد العلم، فقيد اليتامى، فقيد البؤساء، فقيد الاسلام والمسلمين . وقد فقدت بفقده مصالح كثيرة عضواً عاملا وعالما نحريراً فالافتاء يرثيه، والشورى تبكيه، والجمعية تندبه، والاوقاف تتحسر عليه، والازهر يشهد له، وذلك الجنين (مدرسة القضاة والمحامين الشرعيين التي وضع نظامها) حرمت مساعيه والله يرحمه ويحسن اليه

انا لم نكن مع المرحوم متفقين في بعض النقط السياسية ولكن الموقف موقف عميم وخطب عظيم وانه مهما رثاه الراثي فلن يستطيع أن يوفيه حقه من العلم والشهرة والفضل . فهو آية الامس ومصيبة اليوم الخ

(ثم ذكرت الاحتفال بالجنازة بنحو ماسبق)

وقال في اليوم التالي مانصه

جنازة المرحوم المفتي

كل من عليها فان

صدرت البارحة جرائد القطر بين عربية وافرنكية وكلها موشحة بالسواد وانهارها فائضة بعبارات الرثاء المؤثرة نعياً لكبير من أكابر العلماء وعالم الكبراء المرحوم الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ورئيس الجمعية الخيرية الاسلامية والعضو في مجلسي شورى القوانين والاوقاف العمومية ومع ان كل هذه الجرائد تختلف في المشرب والمذهب والاميال والغايات فانها اتحدت بالامس على ان موت هذا الفقيد الكبير خسارة كبرى على المصريين عموما والمسلمين منهم خصوصا وقد تخاطف القراء نسخها من أيدي الباعة ومن اداراتها لمعرفة الطريق

الذي يسلكه موكب الجنازة ليودعوا ذلك البحر الذي اقترب غيضه، وجف فيضه، الوداع الاخير وما انتصفت الساعة الرابعة بعد ظهر الامس حتى نسل الناس من كل حدب بعيدا كان أو قريباً الى محطة العاصمة مشاة وركبانا لافرق بين كبير أو صغير ولم تتم الساعة الرابعة الا وكان الطريق ما بين السكة الجديدة والمحطة عن طريق ميدان الاوبرا غاصا بعشرات الآلاف رغماً عن انتشار عساكر البوليس انتشارا زائدا لمنع الزحام وحجز المركبات في افواه المنعطفات وقواطع الطرق»

ثم وصف الاحتفال بالتشييع بمثل ما تقدم وخص بالذكر الألوف من الازهريين الى أن قال:

ولم يكد موكب الجنازة يصل الى الازهر حتى ازدحمت تلك المنطقة ازدحاما هائلا وتلاحم الناس لضيق الطرق تلاحما شديدا وتصببت جباههم عرقا وكابدوا من المكافحة في المسير مايشهد لهم بتقديرهم فضل الفقيد وعلمه الغزير حق قدرهما»

وقال في عودة المشيعين ما نصه:

ثم عاد المشيعون يصعدون الزفرات ويمطرون العبرات ذاكرين ما للفقيد من الاعمال الحسان تغمده الله برحمته وعوض البلاد فيه خيرا وألهم آله واصدقاءه الصبر والسلوان

ثم ذكر بعض ماورد الى الجريدة من جهات القطر ومنه:

وقد ورد علينا من مينا القمح تلغراف صباح اليوم هذا نصه

« القلوب والهة والعيون باكية لفقد فيلسوف الشرق الوحيد »

وقالت جريدة المؤيد الغراء في عددها ٤٦١٢ الصادر في ذلك اليوم

الفاجعة المؤلمة

انا لله وانا اليه راجعون

وفاة المغفور له مفتي الديار المصرية

قضى الله فينا بالذي هو كائن   فتم وضاعت حكمة الحكماء

قضى الله أن يفدح الحادث، ويتنزل الكارث، وتقع المصيبة العظمى، والفاجعة الكبرى، المؤلمة للنفوس، المبكية للعيون، المقرحة للأكباد والجفون، بعد ما خانت الراقي رقيته، والحكيم حكمته،

وأقر الطبيب عنه بعجز   وتقضى تردد العواد

قضى الله ان يرزأ العلم وأهله بوفاة عالم عصره، وحجة زمانه ومصره، أبلغ البلغاء اذا كتب، وأفصح الفصحاء اذا خطب، بل أقوى العلماء بيانا، وأجودهم بالحكمة لسانا، واوسعهم في معاريض الكلام باعا، وأوفرهم في مفاهيم العلوم اطلاعا، وابعدهم في نظار الاشياء مرمى، وأسدهم في المناظرات سهما

قضى الله ولاراد لقضائه بوفاة ذلك العالم العلامة الاستاذ المغفور له (الشيخ محمد عبده) مفتي الديار المصرية ورئيس الجمعية الخيرية الاسلامية. صاحب الايادي البيضاء على الكثيرين، والفوائد الجلى على المسلمين، فكم دافع عن الدين (في مسئلة هانوتو وأضرابها) بما لم تستطعه الجماعة الكثيرة من العلماء، وكم سعى لفائدة الفقراء بما لم يأته الجمع من الاغنياء، وكم اسدى معروفا، وأغاث ملهوفا، وكم ساعد عاملا فنفخ فيه روح الثبات بالطيبات، وكم كانت له من أمان يضرب بخطواتها في الآفاق، غير خاش من اخفاق

كان عظيم الهمة كبير النفس يحاول أن يغالب الدهر ان عارضه، ويستهين بكل صعب اعترضه، ومما يؤثر عنه في مثل هذا قوله

«انني لا أخشى شيئا سوى الموت لانه يقطع علي خط السير»

ولكن ما الحيلة. وما كان يخشاه قد حل. وما كان يتقيه قد نزل. حيث

لا ينفع الانسان حول . وحيث يظهر عجز المخلوق المتناهي في جنب قدرة الله التي لانهاية لها

فبينما المرء يرفل في ثياب مجده وعلائه، وصحته ووفائه، ونعيمه ورفائه، اذا بنذير الموت يسطو بالصحة فينقض بنيانها ، ويطغى بآلامه عليها فيهدم أركانها ، ويذهب بدعوى الطبيب فيما يدعي ، وبوعيه فيما يعي ، فلا يجد له حيلة سوى الاذعان للقضاء والقدر ، كما لا يجد أهلوه واصدقاؤه وسيلة سوى الاستسلام للحزن والكدر

اذا كانت الدنيا كذاك فخلها ولو أن كل الطالعات سعود

(ثم ذكرت كلاما عن مرضه من بدايته الى نهايته وقالت)

ففاضت الروح الى خالقها ونعاه النعاة بالتلغراف الى جميع ارجاء القطر وفي الساعة السابعة أصدر المؤيد ملحقا ينعيه به الى قرائه في القاهرة فلم تكن الا ساعة وأختها حتى كان ذكر اسم الفقيد يتردد على كل لسان بين كلمات الاسف العام، وألفاظ الدعاء له والاسترحام عليه من الملك العلام

قضى هذا الفقيد العظيم رحمه الله رحمة واسعة عن نحو ٦٣ (*) من عمر أمضاه في خدمة العلم بين مظاهر الحياة المختلفة وقد بلغ أقصاها من الشهرة ورفعة الذكر في خدماتها ولسنا الآن في بيان تاريخ حياته ولكننا ننعيه نعياً بسيطاً ونرجىء ترجمة حياته الى فرصة أخرى .

(ثم ذكرت الاستعداد لتشييع الجنازة وقالت)

فنسأل الله تعالى أن يشمل هذا الفقيد العظيم فقيد العلم والبلاد والاسلام بواسع رحمته وأن يهطل على جدثه صيب الرضوان والغفران وأن يمنح كل مصاب فيه جميل الصبر وخير السلوان

وذكرت بعد هذا ما جاءها من الاسكندرية عن الاحتفال بالتشييع فيها وقد مر ذكره فلا نعيده وذكرت تلغرافات عن مرور القطار المقل للجثة في المحطات

(*) قد علم من الجزء الاول انه لم يبلغ الستين

ثم قالت في اليوم التالي ماذكره مع حذف وصف الاحتفال الا قليلا وهو

تشييع جنازة المغفور له

(الاستاذ العلامة الشيخ محمد عبده)

ظهرت الجريدة أمس ونعش الفقيد المغفور له مفتي الديار المصرية بين الاسكندرية والقاهرة يسير به قطار مخصوص على نفقة الحكومة من الاولى الى الثانية . يمر على عواصم المديريات فيزدحم على محطاتها الجموع الكثيرة من الموظفين والاعيان باكين آسفين . وأكثر ما كان من ذلك على محطة دمنهور عاصمة مديرية البحيرة التي درج من احدى قراها هذا الفقيد الجليل فلا غرو أن يقف الالوف من أهليها على تلك المحطة مشيعين اليوم من كان فخارهم بالامس باكين لمصابه الفادح من كانوا يقصدونه في شدائدهم وكربهم فيفرجها بمساعيه الحميدة. ولما وصل القطار الى طنطا كان سعادة مدير الغربية الهمام حسن رضوان باشا وكبار موظفي المديرية وعلماؤها وذواتها وقوفا على محطتها وعليهم مظاهر الكآبة والحزن فودعوه الوداع الاخير واستدروا على جثمانه رحمة الله ورضوانه . وهكذا حتى وصل الى محطة القاهرة في منتصف الساعة الثالثة وهناك نقلت الجثة من العربة التي كانت مودعة بها الى قاعة من قاعات الاستقبال في المحطة وظلت بها الى الساعة الرابعة تماما وكان الناس من علية القوم يأتون في خلال ذلك أفواجا أفواجا

فلما جاء الوقت المحدد لتشييع الجنازة حمل النعش على الرقاب وسير به الى خارج المحطة وأخذ في ترتيب المشيعين صفوفًا فتقدم وراء النعش أولا حضرات العلماء الاعلام يؤمهم حضرات أصحاب الفضيلة مولانا قاضي مصر والاستاذان الكبيران الشيخ حسونه النواوي والسيد علي الببلاوي شيخا الجامع الازهر الاسبق والسابق (وتخلف فضيلة شيخ الجامع الحالي لانحراف طرأ على صحته صباح أمس) وحضرات العلماء الاعلام اعضاء المحكمة العليا وشيخ علماء الاسكندرية وقاضيها وقاضي قضاة السودان الخ

(وذكرت فيما حذفنا من وصف التشييع ان جميع الضباط المصريين والانكليز كانت على ايديهم شارة الحداد)

ولما وصلت الجنازة الى الجامع الازهر كان كثيرون من علمائه وطلبته قد سبقوا اليه استعدادا للصلاة على الفقيد وهناك وقف الجمع العظيم من المشيعين بشارع السكة الجديدة ودخل جمع كبير مع النعش الى المسجد والمؤذنون فوق منائره يرتلون سورة الابرار . وما زالوا به حتى وضعوه عند القبلة الجديدة ووقف المشيعون هنيهة أراد فيها من اعتاد تأبين العلماء أن ينشد قصيدة قالها أحد الشعراء رثاء للفقيد فأبى فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الكريم سلمان أن تجري هذه العادة التي كان الفقيد رحمه الله أبطلها في حياته ثم دعا للصلاة عليه فتقدم للامامة فضيلة الاستاذ الشيخ حسونه النواوي وصلى الناس خلفه . وبعد أدائها شهد الجمهور للفقيد بالخير وحمل النعش بعد ذلك الى قرافة المجاورين حيث ووريت الجثة التراب وأراد بعض الادباء تأبينه عند قبره بالخطب والقصائد فوقف صاحب السعادة حسن عاصم باشا وقال ان كثيرين من أصدقاء المرحوم يرون أن يرجأ تأبينه الى وقت ومكان آخرين . وعند ذلك وقف الجمع وتهيئوا للانصراف وأخذوا يعزون حضرة الفاضل حموده بك عبده شقيق الفقيد وفي الحقيقة انهم كانوا يعزون أنفسهم لان المصاب مصاب الجميع . والرجل الذي دفن تحت أطباق الثرى لم يكن رجل أهله وعشيرته بل رجل الامة والاسلام في عصره فرحمه الله رحمة واسعة وعزى كل المصابين فيه خير العزاء

هذا وقد وعدنا حضرات القراء أن نذكر تاريخ حياة الفقيد ولكن لما كان هذا يستدعي بحثا لجمع كثير من الحقائق الغائبة عنا الآن فسننجز وعدنا في ذلك ريثما نستوفي الملاحظات في هذا الشأن حتى يكون تاريخه خير مثال مذكر للقارئين اهـ

وقالت جريدة مصر الغراء في عدد ٤٣٨٢ الصادر في ذلك اليوم

سبحان الذي لا يموت

خسر القطر المصري اليوم بل العالم الاسلامي كله خسارة لا تعوض إذ نكب في أعظم رجل عصامي نبغ فيه بعلمه وفضله حتى صار رجله في هذا العصر ، وزان بظهوره العالمية حتى صار علمها في مصر ، هو المبكي عليه الخالد الذكر الاستاذ الاكبر المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية . اجاب نداء خالقه امس عند الساعة السادسة مساء فما فاضت روحه الطيبة عقب ذلك المرض الذي عرفه القراء من قبل حتى طير البرق منعاه الى سائر جهات القطر والى اصحابه ومعارفه الكثيرين في البلاد الخارجية وابلغته المعية السنية ايضا للجناب الخديوي العالي في ديفون فما سمعت الآذان خبر وفاة هذا الشيخ الجليل والعلامة الكبير حتى عم الحزن طبقات الشعب المصري كله على اختلاف درجاته ولا عجب في ذلك لان الفقيد رحمة الله عليه يعد نابغة القطر في هذا العصر وزعيم نهضته العلمية المصرية الحديثة بلا مراء

توفاه الله عن ستين عاما او تزيد (كذا) ملأ بها الوطن علما وأدبا كما ملأ البلاد اصلاحاً واجتهادا فملأ بموته قلوب المصريين حزناً وأسى وعد موته خسارة كبرى ومصابا فادحا ليس على مصر وحدها بل وعلى الشرق كله ايضا

يعرف الناطقون بالضاد في مشارق الارض ومغاربها ذلك الفقيد العظيم ويستشهد أناس منهم بأقوال له ذهبت مذاهب الامثال ولكن الذين يعرفون ترجمته ليسوا كثيرين . فقد تلقى رحمه الله علومه على السيد جمال الدين الافغاني فيلسوف الشرق العظيم وكان يتوسم فيه مخايل النجابة فأكبر مقامه حتى اتخذه صديقاً له حميا يركن اليه في معضلات المسائل العلمية والفلسفية . ولما مات الافغاني بقيت روحه وعلومه في شخص فقيد اليوم فشب كاتباً من أرسخ الكتبة ، ومؤرخا من أصدق المؤرخين ، وفيلسوفا تثبت فلسفته مقالاته العلمية وتفاسيره لآيات القرآن الشريف تفسيراً علميا عصريا وحكيما تثبت حكمته مئات من الحكم والامثال .

ثم ان العارف بحوادث حياته لا يصدق انه هو الرجل الذى وصل الى اسمى مقام في حكومة مصر بعد ان كان من رجال الثورة العرابية واختفى منها في أول الاحتلال واهتمت الحكومة بالبحث عنه فلم تهتد الى مكانه فنشرت عنه في جريدتها الرسمية يومئذ انها تمنح عشرة آلاف جنيه لم يمكنها من ضبطه وظلت تنشر اعلانها هذا على الملاء نحو ستة اشهر بينما كان الفقيد يدرس اللغة الفرنسوية وبعض العلوم العصرية الاخرى في باريس(١) على ان الحكومة التي اعلنت عنه بمثل هذه الطريقة لم تلبث حتى عرفت فضله وقلدته اكبر مناصبها القضائية والعالمية والشرعية ولا عجب في هذا فانه من الافراد القليل عديدهم بين طبقات الرجال

وقد بقي رحمه الله زهاء العشرين عاماً الاخيرة من حياته خادما لوطنه محبا لبلاده ساعيا فى ترقيتها باذلا جهده في تهذيب ابنائها بكل واسطة ممكنة . فاذا كانت النهضة المصرية قائمة في ترقية العقول فقد رقاها أو فى الصحافة فهو اول من خدمها في الجريدة الرسمية حينما كان شأنها الادبي غير شأنها اليوم او في عالم التحرير على اطلاقه فقد كان كاتبا كبيرا او في الخطابة فقد كان خطيبا مفوها . بل اذا كانت النهضة فى تربية الفقير والاحسان اليه فقد كان اب البائس وعضد اليتيم او في الجمعيات الخيرية فقد كان عضدها وساعدها الاقوى بايجاده الجمعية الخيرية الاسلامية وفروعها واهتمامه بترقيتها الى الحد الذي وصلت اليه . وبالجملة فانه رجل ولا كل الرجال العظام فقدته مصر لسوء حظها وشاركتها في فقده الامة العربية من الشام الى بغداد الى الجزيرة الى العراق الى تونس الى سائر الاقطار التي فيها ناطقون بالضاد

(ثم ذكرت الاحتفال بتشييع الجنازة بنحو ماسبق فى غيرها)

وذكرت بعد ذلك هذا التلغراف لوكيلها فى طنطا

طنطا ١٢ يوليو الساعه ٢ و١٥ دقيقة بعد الظهر

---

(١) الاستاذ الامام الفقيد لم يختف بعد الثورة كما هو مقرر في الجزء الاول والذي ذكرته الجريدة هو رجل آخر فهذا كغلطها فى سنه فهو لم يتم الستين

مر بنا القطار المقـل لجثة فقيد العلم والفضيلة المرحوم الخالد الذكر الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وذلك في الساعة الاولى بعد الظهر وكان سعادة المفضال حسن باشا رضوان مدير الغربية قد انبئ بذلك من حضرة الدمرداشي فأعلن سعادته ذلك العلماء وأعيان طنطا ولم تأت تلك الساعـة حتى كانت محطة طنطا مزدحمة بالوجوه والاعيان يتقدمهم سعادة المدير المشار اليـه وأصحاب العزة وكيل المديرية ورئيس المحكمة ووكيلها وقضاتها ورجال النيابة ومأمور قسم الضبط وباشكاتب المديرية ووكلاء القناصل والعلماء الاعلام وكلهم بالملابس الرسمية ثم فرقة من الجند تحت قيادة مأمور بوليس البندر ثم رجال المحاماة ونظار المدارس وأساتذتها ووكلاء الصحف اليومية والاسبوعية وأعيان الامة القبطية وغيرهم بحيث لم يبق وجيه ولا عميد في طنطا الا وحضر المحطة لمشاركة الامة المصرية في اظهار الاسف والاحترام على فقيدها الكريم ورافع لواء العـلم الشريف ولما رسا القطار قوبل من الجميع بالتكريم والتعظيم وارتفعت الاصوات بالبـكاء والنحيب وعلت الضجة الصادرة من قلوب ملؤها الاسف على هـذا المصاب الجلل . وقد ودع القطار بين زفرات الدموع من الاهل والاصدقاء وكل ابناء الامة جميعا ولا عجب فان موت هذا الفاضل الكريم يعد خسارة كبرى على البلاد المصرية عموما وعلى العلم خصوصا عوضها الله فيه خـيرا وعزى قلوب قـلوب آله والمصريين اجمعين وكيلكم

(وذكرت في العدد الصادر في اليوم التالي كيفية الاحتفال بالجنازة في مصر مبتدأة الكلام بقولها):

« أقبل القطار المخصوص الذي يقلّ جثـة فقيد الشرق وإمامه الأوحـد المرحوم المأسوف عليه الشيخ محمد عبده في السـاعـة الثانية ونصف بعد ظهر أمس ومن ثم توافـد جمهور المشيعين من الاعيان والكبراء والعظماء » ... الخ مامر نظيره وختمت ذلك بقولها

« ونحن نكرر لحضراتهم عبارات العزاء ونسأل الله أن يتغمد الفقيد برحمته

ورضوانه ، وان يسكنه فسيح جنانه ، ويلهم الشرقيين عموما والمصريين خصوصا على فقده جميل الصبر وجزيل السلوان .

هذا وقد أخذت تتوارد علينا قصائد الشعراء تترى لرثاء الفقيد نأتي على نشرها تباعا

وقالت جريدة المقطم الغراء في عددها ٤٩٥٢ الصادر في ذلك اليوم

مصاب القطر بفقيد مصر

كان بيننا وبين فقيد القطر المرحوم الاستاذ العلامة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ، وزعيم حزب التقدم بين علماء الملة الاسلامية ، وداد نشأ قبل الفتنة العرابية ايام كان محرراً للوقائع المصرية ، وتجدد عهده ايام اجتماعنا به في سورية ، وتوثقت عراه وتقوى رباطه بعد رجوعه منها الى الديار المصرية ، غير ان هذا الوداد القديم العهد لم يكن مبنيا على الصحبة والمعاشرة والملازمة والممازجة ونحوها من الاركان التي يبنى عليها الوداد فى المعتاد حيث كان كل منا مشتغلا بشأن غير ما يشتغل به الآخر ومقيماً في مكان بعيد عن الذي يقيم فيه الآخر . بل كان مبنياً على اتفاق في بعض الآراء العمومية والافكار الجوهرية التي يتعلق كثير منها بخير الامة المصرية . وعلى مشاركة في تحمل السخط من الذين ظلوا مدة من الزمان يخالفون تلك الآراء ويضطهدون الذين يجاهرون بها

على اننا نذكر ما تقدم رغبة في اطلاع الجمهور على وداد عزيز عندنا اذ معظم الجمهور يعلم ذلك . وانما ذكرناه لغاية أخرى وهي ان العالمين به يعلمون انه كان وداداً مبنياً على حكم العقل لا على مجرد ميل القلب وهذا التمييز أمر يهم الشاعر والخطيب والراثي والمؤبن اذ الواجب على الصحافي أن يكون بالنسبة الى الرأي العام ، كالقاضي بالنسبة الى العدل فى الاحكام لا يراعي الصدقة بل يراعي الحقيقة ولا يبني حكمه على الاميال والعواطف ، بل على الادلة والقرائن ، فاقتضى ان نظهر للقراء اساس ودادنا حتى لا يحسبوا قولنا من قبيل المدح فى الرثاء او اظهار

المحسنات والمناقب والفضائل والفواضل في التأبين بل من قبيل النقد الذي يراد به اظهار الحقائق وتقرير الواقع وقول مايعتقد القائل صدقه مجرداً عن الاميال والعواطف

وعلى ذلك نقول اننا لاندعي للفقيد اكثر مما ميزه الله به ولا نقول انه كان مثال الكمال الذي تفرد الله تعالى به ولا ننكر انه لما كان انساناً كان محل الضعف والقصور والتقصير في اماكن كثيرة مثل سائر بني الانسان ولا نضعه الموضع الذي ترفعه اليه مخيلات الشعراء ، ولا ندعي أننا نباهي به الذين نبغوا في ممالك العالم من الاقطاب والعظماء ، وانما نقول ان مصر خسرت بفقده اليوم اكثر مما خسرت تلك الممالك بفقد الذين نبغوا فيها من اولئك الاقطاب لان حاجة مصر الى مثل الفقيد الكريم اعظم من حاجة تلك الممالك الى الاقطاب ووجود من يقوم مقامه في مصر اعز عليها من وجود من يقوم مقام اولئك الاقطاب في بلدانهم

اما وصف اوصاف الفقيد وبيان مزاياه وكمالاته فخير مكان له ترجمة حياته ولا يوفيه المنصف حقه من ذلك الوصف في عجالة مثل هذه ولذلك عزمنا ان نفرد لترجمة حياته فصلا او فصولاً ضافية الاذيال في المقتطف وانما نذكر الان مزاياه التي خسرت مصر بفقدها خسارة لاتعوض ولا يعلم الا الله مؤداها

فاول مزية امتاز بها الفقيد انه كان في مقدمة كل فريق من الفريقين اللذين انقسم اليهما المصريون في هذا العصر . فقد كان علماً يهتدي بنور علمه فريق المحافظين الذين لايروقهم غير ماجرى عليه المتقدمون كالعلماء والائمة وطلبة العلوم الدينية واللغوية ومن جرى مجراهم . وكان قائدا للآراء ومديرا للافكار عند الفريق الذي جعل شعاره التقدم والارتقاء من أبناء هذا العصر الذين يرون ان القديم لايغني عن الحديث وان من لايتقدم يتأخر والسكون المطلق محال . ونقول ولا نخشى في الحق لومة لائم ان الفقيد فاق الاقران كلهم في هذه حتى انفرد فيها او كاد

والمزية الثانية انه كان من ابعد اهل القطر نظرا في حقائق الامور وعواقبها ومن اشدهم غيرة على ارتقاء الامة المصرية وخيرها ومن اعظمهم جهدا في انهاضها

فكنت تراه تارة مدرساً يعلم شبانها وتارة شارحا يشرح العلوم لطلبتها . وتارة مؤلفاً لتنوير اذهان خدمة العلم والجمهور . وتارة مديرا ومنظما للمدارس المصرية القديمة حتى تجاري الحديثة في الترتيب والتحسين واصلاح الادارة وتسهيل التعليم وتكثير ماتدرس من العلوم ونحو ذلك . وتارة رئيساً للجمعيات الخيرية الساعية في اعانة الفقراء وانشاء المدرس لتعليم ابنائهم . وتارة مقداماً للذين يشيرون على الحكومة في مجلس الشورى بفعل مايصلح القطر وينفع اهله . وتارة مباحثاً ومناقشا لاقناع رفاقه في ذلك المجلس بالمشروعات النافعة للبلاد واهلها وجمع كلمتهم على تأييد الحكومة وشد ازرها على الذين يعارضونها في مقصادها الخيرية لمآرب خصوصية ولمقاصد ظاهرة وخفية . وتارة مجادلا يدافع عن دينه بأدلة مأخوذة من علوم المتأخرين التي جدت بعد عهد المتقدمين . وتارة صانع خير وفاعل بر وجامع اموال لاغاثة المنكوبين بالنيران وغيرها من المصائب والرزايا . وتارة متصدرا الحفلات الادبية وجالساً في مجالس الانس والصفاء يزيل الوحشة والجفاء بين الوطنيين والاجانب ويؤلف القلوب بين الجماعات والمعاشر المختلفة في المبادىء او الآراء او العادات . وتارة قارعا ابواب ولاة الامور لاعانة طلبة العلم بالمال وبذل المال لاصلاح الجامع الازهر ونحو ذلك من الغايات الحميدة . وكل ذلك بعد قيامه بحقوق وظيفة الافتاء وادارته لشؤونها وقضائه لمهامها على مابها من المصاعب والمتاعب

والمزية الثالثة ان الفقيد كان في قلب بلاد الشرق بلاد الخوف والرهبة والاستبداد رجلا جريء الفؤاد حر الضمير يجاهر برأيه ويثبت عليه ولا يخشى بأس متسلط ولا يهاب صولة كبير وقد جر عليه ثباته على رأيه وجراءته وقلة خوفه ورهبته اهوالا كثيرة ومصايب ومحناً عديدة ولكن لما استبدل الاستبداد بالدستور في هذا القطر اوصلته هذه المزايا الى ماوصل اليه من التقدم والعز والنفوذ والسطوة وصيرته فى اعتبار الجمهور الخصم العنيد للاقوياء والناصر الشديد للضعفاء والركن الوطيد للاحرار والعضد القوي للساعين في تنوير العقول والافكار

هذه بعض مزاياه واذا اضفنا اليها سعيه في سبيل الاصلاح وميله الى فريق

المحافظين حتى يجاري فريق المتقدمين حكمنا ان مصر فقدت بفقده عالمًا من اكبر علمائها ورجلا من اعظم رجالها ومصلحًا من اعظم رجال الاصلاح بين اهلها وحرا هماما مقداما قوالاً فعالا لا يكاد يكون له نظير من بنيها فصابها به اعظم مصاب وخساراتها اشد خسارة فارقها الى رحمة ربه ولسانه يلهج بما في نفسه وقلبه فنظم هذه الابيات قبيل ان تدركه الوفاة قال

(ونشرت الابيات التي ذكرت في تأبين جريدة الاهرام كما روتها . ثم ذكرت في الاخبار المحلية من هذا العدد نحو ما ذكره غيرها من احتفال الحكومة والامة بتشييع الجنازة في الاسكندرية ونذكر من عبارتها الطويلة ما يأتي)

وكانت الشوارع التي مرت الجنازة فيها مزدحمة كلها بالناس ازدحاماً عظيماً وعلى وجوههم لوائح الحزن والكآبة والاسف ومما زاد ذلك الاحتفال تأثيرا في النفوس اذان المؤذنين في المآذن والجنازة مارة وكذلك قرع رهبان الفرير للاجراس والنواقيس في محطة باكوس قرع الحزن ايذانًا بحزنهم وأسفهم فكان لذلك وقع عظيم في النفوس

وذكرت في اليوم التالي لوكيلها في الاسكندرية مانصه:

الخطب الجسيم

لم تأذن شمس أمس بالمغيب حتى كانت شمس حياة الاستاذ الكامل والامام الاكبر العلامة المفضال المفتي الحكيم الشيخ محمد عبده قد آذنت واأسفاه بالمغيب . . حياة كانت كلها خيرا وفخرا وذخرا للوطن والعالم الاسلامي وسائر البلاد الشرقية . حياة ملؤها حب السلام والاصلاح والخير لكل الناس

اجل لقد هوى ركن عظيم من اركان العالم الاسلامي ركن متين من اركان الهيئة الاجتماعية وطود شامخ من أطواد العلم والفضل والنبل فاهتزت له سائر الامصار الشرقيه ولقد اظلمت الدنيا في عيون اسرته الحزينة وذويه وجميع اصدقائه ومعارفه

وسائر اهل البلاد المصرية والسورية على اختلاف الملل والنحل فأعظموا خطبه ايما اعظام ، وطارت نفوسهم لهوله شعاعاً ، وذرفوا الدموع السخينة اسى واسفاً ، على فقده ، فقد كان محباً لخير الكل يتوقد غيرة على مصلحة الكل وهذا الكل في المصاب سواء

يبكيه عهد الاصلاح فقد كان عضده ، تبكيه العلوم والمعارف والفضائل فقد كان قطبها وامامها ونبراسها ، تبكيه المحابر والاقلام فقد كان مشكاتها ومهبط وحيها ، تبكيه الفضيلة والانسانية فقد كان شعارهما ونصيرهما ، تبكيه الأيتام والأرامل والفقراء والبؤساء فقد كان عضدها ومجيرها ومغيثها

واخيبة آمال آله ومريديه فطالما تضرعوا الى الله ان ينقذه من خطر الداء ، ويمن عليه بالشفاء ، ولكن حكمة الله التي لاتدرك شاءت ان تنقله الى جنة الخلد فرحمه الله رحمة واسعة عداد مناقبه وفضائله وحسناته ، وألهم آله الكرام والسادة المسلمين وسائر من تعرف به او سمع بفضله عزاء جميلاً

(ثم ذكرت كيفية الاحتفال بالجنازة هناك فنستغني عنه بما تقدم كما نستغني عما نشرته في أخبارها المحلية من وصف الاحتفال بتشييع الجنازة هنا تفادياً من التكرار وانما نذكر خاتمته قالت :)

هذا وقد بات حضرات اشقائه وذويه ومريديه واصدقائه احسن الله عزاءهم داعين للجناب العالي والحكومة المصرية لما ابديا من الرعاية والمجابرة فانه حالما بلغ نعيه سموه ارسل الى سعادة نائب القائم مقام الخديوي ان ينوب عنه في تشييع جنازته والحكومة أسرعت فقررت من تلقاء نفسها وعملا برأي رؤسائها ان تحتفل بتشييع جنازته على نفقتها والامة ايدتها فى ذلك الاحتفال فجاء احتفالا فائق الكمال نادر المثال

(وقالت جريدة الوطن الغراء في العدد ٣٢١٨ الصادر في ذلك اليوم ما نصه)

مات المفتي

أهي الصاعقة انقضت فصمت الآذان ، أم زلزلت الارض زلزالها فاصطكت لها الاسنان ، أم الشمس صافحتها يد الكسوف فاغبر اديم السماء، لاهذه ولا تلك ولكن يد المنون أنشبت أظفارها بعلامة مصر وأستاذها فعم الخطب والبكاء .

أينما سرتَ وحللتَ اليومَ فى عاصمة القطر وسائر بلاده، سمعت أنيناً صادرا من صدور أولي الفضل قائلا مات المفتي « فلا حول ولا » بعد بعاده ، فكان موته خطباً شاملاً استذرف العيون دموعها ، ومصاباً عاماً أسف له سكان القطر من نزيلها ودخيلها ، ولابدع فقد كان له في كل فؤاد منزل كبير ، نظرا لما عرف عنه من الفضل الرائع والاطلاع الغزير ،

لا بدعَ انّ عظمَ المصابُ بفقدهِ ... وتقطّعت لمماتهِ الاحشاء
قد كانَ في ذا العصرِ مفردعصرهِ ... ومنارَةً تُجلى بها الظلماء
ولذا ارتدى الافتاء ثوبَ حدادهِ ... من بعدهِ اذ لم يعد افتاء
والحزنُ عمّ مريدَهُ وبغيضهُ ... «والفضل ماشهدتْ به الأعداء»

حمل البرق نعيه الى محبيه في العاصمة عند منتصف الساعة السادسة من مساء أمس ، فراح بعد ان كافح المرض كفاحاً هائلاً لم ينجه من النزول الى الرمس ، دب فى جسمه السرطان فلم ينقطع دبيبه حتى قطع حياة رجل يتمنى الكل لوعاش أبد الدهر ، وكأنه استطاب السكنى في جسم بحرنا الفهامة فظل يسبح فيه أياما ولا عجب ان استطاب السرطان سكنى البحر

مات المفتي وأي يراع يقدرُ على ايفائه حق رثائه ، بل أية عين يمكن لها الانحباس عن بكائه ، اننا نخط هذه السطور يدفعنا اليها الواجب ، ولكن الحزن الشديد جعل اليراع كالتائه في فيافي البطاح والسباسب ، فهو يسود بمداد الاسف صفحة طالما سودها بذكر مجيد أعماله ، ويذكر اسم المفتي مقرونا بالاسف على فقده بعد ان ذكره مرارا مقرونًا باذاعة فضله ونشر حميد خصاله ، فلكل كاتب

عرف المفتي عذر على ما يرتكبه اليوم من الزلل اذا كتب ، ولكل شاعر معذرة اذا زاد في ابياته خبب او نقص سبب ، فلقدخيمت فوق الابصار غشاوة الاسى الشديد ، ومن ذا الذي لايبكي لموت المفتي الذي كان لمصر اكبر نصير كما كان لها اعظم فخر من طارف وتليد ،

***

مات المفتي فشيمه النبل والفضل ، وقضى بعد ان قضى على بنا من جهل ، وسار للقاء ربه الاعلى بعد ان جاهد فى سوق هذه الحياة الجهاد الكبير ، فربحت تجارته وما اربح تجارة الذي يخرج بالناس من الظلمات الى النور ، فقد كان في حياته مشكاة يهتدي الناس بضيائها في دياجير الظلماء ،وستبقى آثاره الخالدة مدى الدهر كعبة الفضلاء والنجباء ، وكما كان تغمده الله بواسع حلمه ورضوانه ، دراكة دهره وعلامة زمانه ، كان مثال الفضيلة وعنوان كرم الاخلاق والنزاهة والاباء ، حتى امتاز بفضائله الخصوصية على سائر العلماء ، لذلك لاعجب اذا كان موته خطباً لا ينفع فيه العزاء ، واي عزاء عن المنتصر على هانوتو وشارح القرآن ورافع لواء الافتاء ،

ولو اردنا ان نصف للقراء اخلاقه ومعارفه لطال بنا المقام دون ان نتمكن من الالمام بما عرف عنه من الاطلاع والمعارف ، فقد كان جنة علوم دانية القطوف ثمارها العقل الكبير وازهارها العوارف ، ولكن اشهر ما اشتهر به الاقدام والثبات في العزم ، والميل الى فقراء الادب وشدة الحزم ، فقد كان مقداماً على كل امر خطير ، كما كان منزله العامر ملجأ كل اديب فقير ، حتى لقب في اخريات ايامه بابي التعساء من الادباء ، وكان من آثار فضله تعريب حافظ ابراهيم لكتاب البؤساء ، الذي عدّ معجزة الكتاب لما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة في الانشاء ، فلا غرابة اذا لبس لموته الشعراء والكتاب أثواب الحداد ، ولا غرو اذا ظهرت الصحف اليوم وفيها ما فيها من السواد ، فلذلك دين واجب الاداء ، على صحافيي مصر وجمهور الكتاب والشعراء ،

***

قضى القدر الجاري ان ترحل عنا يا مفتي الديار ورجل الشرق وعلم مصر المفرد ،

فلا حول ولا قوة في رد ذا القدر اذ ليس له من مرد ، رحلت عنا على حين غرة فامست مغاني الصبر بعدك بلقعا ، واستجدينا العين دمعها لبكائك فوجدنا دمعها طيعا ، فشقت عليك القلوب قبل الجيوب ، وبدت عذارى البيان محلولات الشعور تندب مولاها واميرها ، وعم الاسف على موتك العدو والحبيب، كما شمل الحزن كبير مصر وصغيرها ،

كيف لا نبكيك وقد جاهدت في خدمة ربك وخدمة الملة خير جهاد، وعرضت نفسك في سبيلها لكل طعن وانتقاد ، ولم تكن تهز من طعن او انتقاد ، ولكن الذين انتقدوك قبل اليوم ووجهوا الطعن اليك ، باتوا اليوم وهم اشد العالم حزناً عليك ، وهكذا جرت عادة القوم ان لا يعرفوا اقدار كبار الناس ، الا واجدتهم داخل الارماس ، فلا يحزننك مالقيت من جهل المفسدين ولغط الاعداء ، فلك اسوة ربك الاعلى ان لم تكن لك اسوة الانبياء .

***

من لنا بيراعك السيال ايها الاستاذ الحكيم لنفيك بعض مايحق لك من الرثاء، ذلك اليراع الذي كان اذا كتب خال العالم ماخطه وحياً هابطاً من السماء ،

قضى نابغة الافغان فكنت لنا من بعده خير من يستهدى بهديه اذا تفاقمت المشكلات ، ولكننا بموتك لانجد من يخلفك في حل المعضلات اذا استحكمت حلقات ، غير ماخطته يدك الكريمة من كل اثر كريم يسرك في القيامة ان تراه، لانك علمت المسلم واجباته نحو نفسه في هذا العصر وواجباته نحو الله ، ولسوف يأتي يوم يعرف فيه الناطقون بالضاد عموماً انك كنت امامهم ، وأنهم لولاك لظل الجهل مخيماً بغشاواته فوق ابصارهم ، وانك كنت في حياتك خير نصير واكبر ظهير للاسلام ، فارقد الآن بسلام وعليك من الله وبني آدم الف سلام ،

هذا ماوسعنا الكتابة عن فقيدنا العظيم هذا النهار وسنأتي في مقالتنا الافتتاحية غدا على اهم مايجب ذكره عنه . وستصل جثته فى قطار مخصوص بعد ظهر اليوم عند الساعة الثالثة وربع الى محطة العاصمة ومنها يسير موكب الجنازة الرسمي في الساعة الرابعة تماماً مما سنأتي على وصفه غدا تفصيلا .

وصدرت العدد التالي بهذه المقالة

الاستاذ العظيم

« الشيخ محمد عبده »

ان فقيد الامس كبير من أعظم ابناء مصر في تاريخها الحديث واعله اعظم علماء الاسلام في هذه السنين شهرة وقوة وتأثيرا في شؤون المجتمع الانساني لاريب ان مصر لم تخرج مثله من عهد عهيد وانه قليل نظيره في الاقطار الاسلامية على وجه الاجمال . نقول ذلك ونحن لا دخل لنا بمذهبه او درجة علمه في هذا المذهب ولكننا ننظر الى الرجل من الوجه الادبي والوطني معاً فنرى انه كان اكبر كبير في مصر بين علماء الدين الاسلامي في همته وجده ونفوذه الادبي وحركته الاجتماعية وتأثيره على ابناء عصره وسعيه في التأثير والاصلاح ولا سيما في الفترة الاخيرة من عمره حين تولى منصب الافتاء . ولسنا ننظر اليه في هذه المقالة بصفته الدينية المطلقة ولكننا نورد هذه الخواطر الآتية عن حياته وأعماله بصفته الادبية والانسانية عامة عالمين ان ما نورده هنا قليل من كثير وان الحكم على الرجال وأعمالهم لا يسهل حال وفاتهم ولكننا نرى ان مصر فقدت رجلاً من أكبر رجالها وان الشرق خسر عميداً من أهم أبنائه بفقد المرحوم الشيخ محمد عبده فصدر جريدتنا اليوم خص بذكره على سبيل الاختصار

على اننا لا نقصد سرد حوادث رجل عظيم مدة حياة كثيرة الحوادث والآيات انما نحن نذكر القراء ان فقيد الوطن الكبير كان من نوابغ الشرق وفلاسفته بلا مراء وانه مثل أستاذه الشيخ جمال الدين الافغاني وغيره من قادة الافكار لم يترك آثاراً مكتوبة كثيرة العدد ولكن آثاره باقية في قلوب تلاميذه وأتباعه وعشاق فلسفته وهم كثر في القطر المصري وغيره من أقطار الشرق فهم سيتممون عمله بين الناس وينشرون أفكاره . لا تمر أعوام على حادث الأمس المحزن حتى تعم آراء هذا المصلح الشرقي ويقل الجاهلون الذين اشتهروا بمضادته على غير هدى في حياته وما هو بأول مرشد قام يهدي الاقوام الى طرق الصواب ويردهم

عن البدع والتعصب فحاربوه وعادوه وهم لا يدرون أنهم يحاربون أنفسهم و يضرون بجيلهم وأمتهم ضررا لا يزول الا بعد زوال الاجيال والاحوال . وما كان مثل هذا الشرّ قاصراً على بني الشرق أو أهل الاسلام بل ان الناس جميعهم من كل ملة وفي كل صقع مازالوا أميل الى الغباوة والخطأ منهم الى الصواب في كل زمان . وما قام مصلح في الناس الا وقام له الاعداء والمبغضون

« وعهدنا بفقيد الامة القبطية الايغومانوس فلتاؤوس فان جهاده في وجوب الاصلاح الداخلي للامة القبطية أقام ضده كثيرين يناصبونه العداء و يناهضونه في كل رأي ونظام »

ولقد بدأت شهرة الفقيد الكريم في الأزهر و بلغت أوجها في هذا الجامع المشهور فهو كبير أزهري وقطب من أقطاب الاسلام ومصلح شرقي عظيم . كان طالباً للعلم يمتاز بالذكاء وقوة العقل على بقية الطالبين فلما اشتهر الفيلسوف جمال الدين الافغاني بين الازهريين بتعاليمه وفلسفته التف حوله جماعة من اذكياء المصريين والسوريين والمغاربة وسواهم وكان فقيد مصر اكبر المعجبين به والناحين نحوه حتى انه اصبح رفيقاً وصديقاً لذلك الفيلسوف الشرقي واشترك معه في الكتابة زمانا حتى انه كتب معظم الفصول في جريدة العروة الوثقى وهي تعد الآن من نفائس الكتابات العربية ودلائل ماوعى صدر محررها من العلم وسحر البيان .

واشتغل الفقيد بعد ذلك زمانا بتحرير الوقائع الرسمية فكان ثاني العلماء الاعلام الذين تولوا تحرير هذه الجريدة وذاعت شهرتهم في الآفاق والاول منهما صاحب الفارياق والجوائب وغيرهما نريد به الشيخ احمد فارس الشدياق اللغوي الشهير .

على ان تحرير الوقائع الرسمية لم ينل فقيدنا الشهرة التي يستحقها فلما حدثت الحوادث الكبيرة التي يظهر فيها النوابغ وقادة العقول ظهر الشيخ محمد عبده بمظهر المرشد والقائد للحزب الوطني في اوائل الثورة العرابية حين كان الثائرون سائرين على خطة المصلحين وطلاب العدل والمساواة وقبل ان ساروا محاربين مثيرين للأحقاد وهم لا يعلمون الى اين هم سائرون . في تلك المدة كان الشيخ محمد عبده استاذ العرابيين وقائد افكارهم يحلفون قسم الطاعة للوطن ومصلحته بين يديه حتى انه عد من

زعماء تلك الثورة مثل عبد الله نديم وبقية الزعماء المشهورين فنفي على أثر انتصار القوة الخديوية بمساعدة الاحتلال مع الذين نفوا في سنة ١٨٨٢ ثم صدر أمر الخديوي السابق بالعفو عنه فعاد الى القطر غير محرض ولا مهيج كما عاد عبد الله نديم وأرادت الحكومة أن تستفيد من معارف الرجل فجعلته قاضياً في محكمة الاستئناف الأهلية حيث جلس على كرسي القضاء أعواماً كان فيها ممتازا بقوته العقلية واشتهر بين قضاة الاستئناف بشكله العلمي وعمامته حتى أنه جعل لهذه العمامة ذكرا في تاريخ القضاء المصري لانه تعود حركة عرفها المتقاضون عنه اذ كان ينكس العمامة الى الامام اذا أراد الحكم بالعقاب على المتهم ويدفعها قليلا الى الوراء اذا كان حكمه بالبراءة . واتفق انه رجع الى كرسي القضاء يوماً بعد المداولة ولما قعد نكس العمامة فتطير المتهم وتشاءم وصاح به أن بحقك الا زحلقت هذه العمامة الى الوراء قليلا يامولانا الشيخ . ويقال ان استغاثة الرجل افادته في تلك القضية وكانت آخر ما يروى عن تلك الحركة المذكورة في تاريخ القضاء المصري

ولما كثرت اشكال الخلاف بين الحكومة ومجلس شورى القوانين ومفتي الديار المصرية من بضعة أعوام وهو يومئذ الشيخ حسونه النواوي أحد مشايخ الاسلام السابقين وأصبح هذا الخلاف خطرا على الصلة الكائنة بين الحكومة والرعية أجهد أولياء الامر قرائحهم ليجدوا مفتياً وعضوا دائماً في مجلس شورى القوانين من بين العلماء الاعلام لا يكون معوانا لحزب الشقاق والفتن(*) وكان الفقيد في ذلك الحين قاضياً ومدرساً في الأزهر يفسر القرآن ويلقي آيات الحكمة على السامعين وقد خلف جمال الدين الافغاني والتف حوله مئات من الطالبين وجعلوا يرتلون بحمده ويتباهون باقتباس العلم عنه حتى هيجوا بذلك احقاد البعض وصيروا الاستاذ عدواً لفئة من العلماء على كره منه وهي عادة الناس مع الفلاسفة والمصلحين في جميع الازمان

ولما تولى الاستاذ مسند الافتاء وأصبح عضوا دائماً فى مجلس شورى القوانين سطعت كواكب علمه وظهرت أدلة ذكائه واقتداره وارتقى في العيون ارتقاء عظيما حتى أنه أصبح كبير القطر من بين العلماء ونواب الامة لأنه بعث روحاً جديدة

(*) لم يذكر جواب «لما» فلعله سقط سهوا وهو «لم يجدوا غيره» اوما هذا معناه

في مجلس الشورى وصار رئيس كل لجنة مهمة فيه فتغير سير هذا المجلس وانقلب من العداء للحكومة على غير جدوى الى مساعدتها فيما يفيد لان مجلس الشورى كان قبل أيامه مجتمعاً لفئة كل علومها تنحصر في طلب الجلاء ومعاندة الاحتلال معاندة لاقيمة لها ولا تأثير فلم يكن في وسع الحكومة أن تحل قوله محل الاعتبار. وأما بعد أن صار الشيخ محمد عبده أهم الاعضاء في هذا المجلس وكلف بمراجعة اللوائح والقوانين التي ترسلها الحكومة الى هذا المجلس فانه أصبح مجتمعاً للتشريع يصلح مافات الحكومة ويقدم الآراء السديدة تعمل الحكومة بها وينقح القوانين ويقترح آيات الاصلاح فكان تعديل قانون العقوبات وتوسيع دائرة المعارف وتعليم الفقهاء والقضاة الشرعيين ومصالحة الحكومة ومجلس الشورى وغير هذا من نتائج وجوده في المجلس المذكور وآثار سعيه وقوة عقله ونفوذه بين النواب والحكام فهو كان أكبر صلة في عهده الاخير بين الرعية والحاكمين

وأما عمله في منصب الافتاء فانه كان الجوهرة الكبرى في تاج فخره والذروة العليا بين درجات عمله الكبير مدة العمر الطويل لأنه جعل للمركز شاناً وتأثيرا لم يعرفها عنه من قبل وأخرج مقام الافتاء من دائرة الخمول والنطق بالفتاوى في ما يعرض عليه الى مقام التعليم والارشاد والتأثير على العالمين فصير المفتي من الكبار الحاكمين بقوة المنصب وقوة العلم والادب على السواء وأفتى في كثير من المسائل العصرية على ما أقر العلماء الاعلام فلم يحفل بما قال الجهلة والمسوقون الى المعارضة بحض أصحاب الغايات والاغراض. وقد كان صدقه في مركز الافتاء وقيامه بواجب الدين والذمة من دواعي الحقد عليه وقيام الذين لايريدون الاصلاح لمناهضته ومحاربته فاشغلوه زماناً بدسائسهم وأقوال الذين وقفوا يلقنونهم السفاسف والسخافات عنه ولكنهم لم يحملوه على اهمال مهمته القصوى وغايته الكبرى وهي ترقية شأن الازهر والازهريين، ورفع مقام الذين يعيشون بخدمة الدين الاسلامي كالفقهاء وخدمة المساجد والقضاة الشرعيين. ولو ان الله مد أجله أعواماً أخرى لصير القضاء الشرعي في مصر آية الكمال بدل أن يكون بؤرة الخلل والجهل كما هو الآن باقرار جميع العارفين

هذه زبدة الحياة التي قضت حكمة الله بختامها من يومين وهذا هو الرجل الشرقي الذي فقدته مصر في هذا الاسبوع. وأما عن تأثير حياته وخلاصة آرائه الادبية والاجتماعية ونتائج أعماله ومساعيه فاننا سنضع مقالة أخرى في صدر الجريدة ان شاء الله اهـ

(ونشرت في هذا العدد نفسه مقالة ضافية عن الاحتفال بتشييع الجنازة في الاسكندرية ومصر هي مثل ماذكر في غيرها معنى ختمتها بقولها)

وما حانت ساعة الدفن حتى سالت الدموع وتقطعت الاحشاء ووقف الكل خاشعي الابصار مطأطئي الرءوس احتراماً واجلالا لمنار الاسلام في الشرق فدفن والقلوب تشيعه بخفقانها المضطرب والعيون بدموعها المنسكبة

ولقد كان مرأى الذين كانوا يلازمون الفقيد من أهل العلم والآداب مؤثرا في النفوس كثيرا فقد كانوا في أشد حالات الاسى والحزن على فقد امامهم وعلامتهم ونصيرهم في هذه الديار

وبعد ان تمت حفلة الدفن عاد القوم وكل صدر نفثة حزن وأسى على ذلك الفقيد الكريم تغمده الله بالرحمة والرضوان، وأسكب على ضريحه شآبيب الصفح والغفران. وأسكنه فسيح الجنان. وألهم آله ومصر من بعده جزيل الصبر وجميل السلوان

(ثم نشرت مرثية لاحمد أفندي نسيم الشاعر المصري المشهور ستأتي في باب المراثي وانفردت بعد ذلك بما يأتي)

وقد نعي المرحوم الى الجناب العالي الخديوي تلغرافيا في ديفون فأرسل سموه رسالة برقية يعزي بها عائلة الفقيد على موت الاستاذ الحكيم وأظهر الأسف الشديد ونظم حضرة الاديب خليل افندي فوزي صاحب جريدة الانسان التاريخ الآتي

مات ذخر الاسلام خير البرايا ... صاحب الفضل والمقام الممجد
ما ارتضى داره بأرض ولكن ... في سماء النعيم أضحى محمد

سنة ١٣٢٣ ... ٩٣ ٨١٩ ٢٢١ ١٠١٩

بيان من جامع الكتاب للنائين عن هذه البلاد

صاحب جريدة الاهرام جبرائيل بك تقلا نجل أحد مؤسسيها بشاره باشا تقلا ورئيس تحريرها الآن داود أفندي بركات وصاحب جريدة البصير رشيد أفندي شميل، وجريدة الجوائب خليل أفندي مطران، وجريدة الشرق حنا أفندي جاويش وطانيوس أفندي عبده، وهؤلاء هم وأصحاب المقطم — يعقوب أفندي صروف وفارس أفندي نمر وشاهين بك مكاريوس — كلهم من كتاب السوريين المختلفي المذاهب في النصرانية

وصاحب جريدة الظاهر محمد بك أبو شادي وجريدة اللواء مصطفى باشا كامل وجريدة المؤيد الشيخ علي يوسف وكلهم من كتاب المصريين المسلمين

وصاحب جريدة مصر هو شنوده بك المنقبادي وجريدة الوطن جندي بك ابراهيم كلاهما من قبط مصر

وسنبين فيما ننقله عن الجرائد العربية غير اليومية والمجلات أسماء أصحابها والغرض من هذا البيان أن يعلم النائون عن هذه البلاد وأهل القرون الآتية ما يعلمه أهل هذا العصر من اتفاق كلمة أصحاب الجرائد الذين هم مؤرخو العصر على أن الاستاذ الامام رحمه الله تعالى كان نسيج وحده وامام وقته في العلوم والفضائل والعمل والاصلاح . واننا لم نر هذه الجرائد قد اتفقت على شيء قط كما اتفقت على اجلال فقيدنا العظيم على تباينها في الاديان والمذاهب، والسياسة والمشارب، وعلى مراعاة أكثرها للكبراء الذين يجاهدهم الامام لاجل الاصلاح، وعلى ماسبق لبعضها من التعريض أو التصريح بالانتصار لحزب الجمود القديم عليه وهو — رحمه الله — زعيم حزب الاصلاح، وانك لترى المتحامل في الزمن السابق، و باغي المجاملة لمقاومي الاصلاح في اللاحق، على تحريهم القصد في القول، والاحتراس في الثناء، والسكوت عن لقبه المشهور والاتيان بلفظ «مِنْ» بدل اسم التفضيل في بعض المواضع، قد اعترفوا بان الفقيد لا نظير له يعرف، ولا عوض له يخلف،

(٢)

أقوال جرائد القطر المصري غير اليومية مرتبة كسابقتها

(قالت جريدة الاتحاد المصري الغراء التي تصدر في الاسكندرية في عددها (٢٤٧٧) الصادر في ١١ جمادى الاولى بلسان صاحبها روفائيل افندي مشاقه الكاتب السوري المسيحي مانصه)

رزء وطني

لبست مصر أثواب الحداد على اعظم مصلح واكبر حكيم ظهر في هذا العصر مات الاستاذ الحكيم والامام الكبير الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فوقع منعاه في النفوس وقع الصاعقة واشتد الجزع عليه لأنه كان نبراس العلم ودعامة الفضل وطود الفضيلة فانطفأ بموته ذلك النبراس ومادت تلك الدعامة ودك ذلك الطود

كان الاستاذ الحكيم علماً للمكارم وسيداً للاخلاق الفاضلة رحيما بالفقراء والمساكين، برا بالمحتاجين غيوراً على البائسين، مجتهداً في افادة ابناء وطنه واخوانه في الجنسية لا ينظر الى الاجناس المختلفة الضاربة في وادي النيل الا نظر الاخ الذي يعتبر جميع الناس اخوانه في الانسانية

قام اعداء الانسانية يعتدون على الاستاذ الحكيم ويفترون عليه بما توحيه اليهم ضمائرهم السافلة فتأثرت نفسه الكريمة من تلك الحملات الشعواء ولكنه كان يعرض عن قائليها إعراض ذوي الانفس العظيمة ولا تقول الكبيرة لأن الاستاذ رحمه الله كان عنوان التواضع واللطف

اصابته في المدة الاخيرة علة جزع لها محبوه ومريدوه وكل الناس أولئك المحبون المريدون وما كانوا يقدرون ان المنية تختطف ذلك الامام الحكيم وهو لم يضع بعد اصلاحه الكبير على اساس متين فمات وخلف الحسرات وقطع بموته الآمال

هيهات ان يأتي الزمان بمثله ... ان الزمان بمثله لضنين

كان الاستاذ رحمه الله اول عامل على الاصلاح الديني بدون المساس باصول الشرع الشريف فانما كانت غايته من الاصلاح ضرب تلك البدع الهائلة التي شوهت وجه الدين والتي لم تكن من الدين في شيء فكان هو الجريء الوحيد الذي وقف في وجه الملأ يرفع الرأس بقوة سلامة نيته وطهارة ضميره لايخشى في الحق لومة لائم شأن أعاظم المصلحين الذين يضحون ذواتهم ومصالحهم على مذبح الانسانية والخدمة العمومية

تولى الشيخ منصب الافتاء فاعتز المنصب به وهابه اعداؤه ولم يجسر عظيم على الوقوف في تيار ارادته العظيمة

ولقد كان سبب العلة التي أودت الآن بحياته العزيزة دسائس بثها الغافلون ضده فكانت النتيجة تأثر نفسه العظيمة واشتدت العلة عليه وبتنا مدة بين اليأس والرجاء حتى انقطعت الآمال وردت الوديعة الطاهرة الى خالقها العظيم فكان موت الشيخ رزءا وطنيا عظيماً وليس مصيبة اسلامية لان الشرق الادنى عموماً وكل البلاد العربية كانت تعتز بالاستاذ وتتيه به اعجاباً وترجوان تصل بحسن مساعيه الى اعلى درجات المدنية التي لاتجعل الدين فاصلاً بين ابناء الوطن الكبير

(ثم ذكر كيفية الاحتفال العظيم بتشييع الجنازة)

وقالت جريدة الاخلاص الغراء الصادرة (في القاهرة) في ١٤ يوليو بلسان صاحبها ابراهيم بك عبد المسيح الكاثوليكي السوري الاصل ما نصه

الفاجعة الكبرى

فقدت مصر بل الشرق أجمع بموت من كان للعلم نبراسا، وللآداب والكمال مثالا ، وللعدل والرحمة والشفقة والانسانية تاجاً ، العالم العلامة المفضال ، المرشد النصوح ، المحب الودود ، المتواضع المحبوب ، الاستاذ الحكيم الاكبر ، الطيب الذكر الخالد الأثر ، شمس الملة والدين . الشيخ (محمد عبده) مفتي افندي الديار المصرية .

بينما كان هذا الفقيد العظيم عازما على السفر الى جهات اوربا ترويحا (للنفس) من عناء الاشغال التي قد تراكمت عليه لاسيما فى المدة الاخيرة قصد الاسكندرية للاستراحة يومين ومنها يبحر الى اوربا فيعود منها قرير العين منشرح الصدر بما يقوم به من الخدمة المقدسة للاسلام والمسلمين ولكن أبى الدهر الخؤون ان يتمم ماوعد وهكذا كان اصاب الفقيد العزيز في الاسكندرية اسهالٍ بسيط اولا ثم تغيرت عليه الحالة بألم شديد في معدته ثم عقبه انتفاخ في الكبد فحار به نطس الاطباء ولم يروا فى علاجه حيلة حيث تعاظم الداء وعز الدواء وكان يزداد يوما فيوما بل ساعة فساعة الى ان صعدت تلك النفس الطاهرة الزكية الى خالقها في الساعة الخامسة بعد ظهر يوم الثلثاء الغابر ١١ يوليو الجاري في محطة باخوس برمل الاسكندرية .

وما ذاع هذا الخبر الهائل حتى طيره البرق الى سمو الخديوي المعظم في ديفون فصدرت الاوامر الى سعادتلو أفندم حسين فخري باشا وكيل قائمقام خديو بان ينوب عن سموه في السير بمشهده ثم صدرت أوامر الحكومة المصرية للمراكز الرسمية بأن يحتفل بمشهده رسميا وهكذا كان حيث احتفل بجنازته في الاسكندرية احتفالا فائقا لم يسبق له مثيل اشترك فيه المسيحيون عموما فانه بينما كان المؤذنون يبررون على المنابر كالعادة بموت امام الدين كانت الاجراس والنواقيس تضرب ضربات الحزن فى كنائس محطة باكوس اعترافا بان الفقيد ليس بفقيد الاسلام والمسلمين بل فقيد الجميع فمن كان اعتباره بين الامم هكذا كيف لا تبكيه العيون وتذرف عليه عوض الدمع دماء؟ كيف لا تنفطر عليه القلوب حزنا واسفاه ؟ . وان شئنا ان نعدد مآثر هذا الراحل يضيق عنها الاخلاص بصفحاته الاربع اذ يقتضي لها مجلات كبيرة ومهما نعته الجرائد بالنعوت ومهما اطنبت في مديحه واظهار اعماله لاتكون قد قامت بعشر معشار ما قد خصه الله به من المحامد والصفات الكمالية التي يمتاز بها على من عرفناه الآن من حيثية طهارة الذمة وحرية الضمير ونقاوة القلب وبالاجمال فانه كان علما يهتدي به طلاب الدين والدنيا

الفقيد الجليل قد خدم الصحافة خدمة تذكر فتشكر وهكذا كان خادما

لحيتا القضاء اذ كان رجلا عادلا لا يراعي صاحباً او عزيزاً في احكامه بل كان الدستور امامه والعدل رائده ومتى خرج من كرسي وظيفته كنت تراه سمح الوجه حلو الحديث بشوشا لطيفاً واذا خطب في قوم كان يسكر السامعين واذا كتب مقالة في أي موضوع كان فهو الا كتب الفريد بين اقرانه

ومن اكبر مزاياه المحمودة ايضا انه كان أحرص رجل على اموال الايتام والارامل (ولنا معه رحمه الله أدوار مهمة كان لنا فيها الساعد الاكبر والمرشد الاعظم الى المقاومة لصيانة مال اليتيم ونلنا المراحم على يديه وأعداؤنا أصبحوا مخذولين) فلا غرو اذا لقبه الواصفون بأبي البائس وعضد اليتيم ومغيث الملهوف والساعد العامل لكل من يقصد رحابه فينفخ فيه روح القوه والشجاعة والثبات لانه كان عظيم الهمة كبير النفس يقاوم الدهر ومعانديه اكبر مقاومة حيث كان يفكر على الدوام بالاصلاح والتقدم لاهل بلاده وكان دائما يقول (كما ذكره المؤيد الاغر أيضا) — انني لا اخشى شيئا سوى الموت لانه يقطع عليّ خط السير — ومع كل هذه الخصال المحمودة كان دأبه أيضا الصفح والتجاوز عن كل من عاداه حتى اننا في ذات يوم قصدنا ادارة المجلس بالازهر المنيف لامر مهم مكدر لم نذق النوم ثلاثة ايام من أجله فلما حظينا بمقابلته عرضنا عليه الامر فكان جوابه لنا (يانار كوني بردا وسلاماً على ابراهيم) وأوضح لنا كيف يلزمنا من الصبر والثبات لننال بغيتنا ثم تعهد باننا اذا سرنا على ما أشار لنا به سنفوز باذن الله وان لم نفز فهو يكون المسؤل امام الله واليتيم فقمنا من حضرته وقلبنا مطمئن يطفح بشرا وزال عنا كل كرب وما آن الاوان حتى نلنا الظفر بعناية المولى عز وجل واشارة فقيد الامم

(ثم ذكر كيفية الاحتفال بالجنازة وعدد بعض المزايا)

(وقالت جريدة الجاسوس الغراء الصادرة بمصر في ١١ جمادى الاولى بلسان صاحبها حافظ أفندي حلمي الارناؤدي مانصه)

مات العلم والفضل

(انا لله وانا اليه راجعون)

الموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد

رزىء الدين والعلم بوفاة عيلم الامة وامام هديها صاحب الفضيلة الداعي الى الرشد والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وفيلسوف الشرق فقد حل به القضاء فى منتصف الساعة السادسة بعد ظهر يوم الثلاث الماضي بثغر الاسكندرية وكان قد ذهب اليه على أمل السفر الى الاقطار الاوربية فعاجله المنون وطير البرق نبأ وفاته في جميع الارجاء المصرية فاهتزت له صروح الدين و بكت له العيون وحزنت منه القلوب فما كنا نرى الا حزنًا وأسفًا باديين على وجوه الكافة مصريين ونزلاء وطفقوا يحوقلون ويستمطرون الرحمة والرضوان على نفس ذلك الفقيد الذي ذهبت معه آمال المستقبل وأضحى الدين في مصرنا وحيداً لانصير له بعد ذلك الرجل الذي طالما ذب الردى عن حوضه ورد جماح المعتدين عليه وحفظ كرامته من عاديات المتهورين من النزلاء والدخلاء

مات رحمه الله وأمطر على جدثه الغفران على أثر مرض عضال أوقفه على شاطىء البحر الابيض واجتمعت حوله نجباء الاطباء ولبثوا يوالون تحرير نشراتهم الطبية فتحملها صحف الاخبار على أمل الرجاء تارة واليأس أخرى وكنت ترى تهافت الناس على مطالعتها رجاء تبريد غلة حزنهم ولكن قدر فكان ولا راد لقضاء الله

(وبعد ان ذكر الاحتفال بالجنازة قال)

والآن نذكر للقراء بعض أبيات قالها فضيلته عند النزع الاخير قدوصلتنا

بعد وفاته من أحد أخصائه وهي مع طلاوتها و بلاغتها وتأثيرها في النفوس تشهد بثباته وصبره و رضوخه لآلام المرض وهي·

(أورد الابيات زائدة عما في الجرائد بيتاً ثم قال)

هذا وربك أيها القارئ قول ذلك الفقيد وهو فى شدة كان يشعر معها بدنو أجله واقتراب ساعته فأفاض الله عليه غيث إلهامه وأنار قلبه بنور الغيرة على الدين والوطن حيث كان رحمه الله لا يرهب الموت بقدر ما كان يخشى على الاسلام و بنيه من صروف اللأواء واختلاف العلماء من بعده

فمن لنا يا قوم بعد ذلك الرجل الحكيم يصلح أمرنا و يقوم اعوجاجنا و يحمي ديننا و يحرص على كرامتنا و يدافع عن حوزتنا و يكبت أعداءنا و يخمد أنفاس حسادنا كما فعل فقيدنا مع « هانوتو » الذي كبا به جواد الرد فكسر قلم عناده في محبرة أباطيله .

فاللهم ارزقنا الصبر على هذا المصاب العظيم والرزء الجسيم والخطب العميم وألهم مصر و بنيها والاسلام ورجاله فضيلة السلوان وابعث لنا من يتولى شؤوننا انك بنا رؤوف رحيم .

ثم ختم الكلام بالتعزية والدعاء

وقالت جريدة الحرية الغراء في عدد ١٢٩ الصادر في ١٣ ج ١ وهي تصدر في طنطا بلسان صاحبها محمود افندى فهمي

مصاب أليم

انا لله وانا اليه راجعون

غاضت ينابيع الحكمة وانهدم ركن البؤساء وملاذ الضعفاء والحفظ على أموال اليتامى والمساكين مات العلم ودفنت الفضيلة قضي على حكيم الامة الاسلامية فى سائر بقاع الارض الذي كان يدافع عنها بقلمه وبماله و يفديها بحياته فيسهل الصعاب و يقابل المشقات بصدر رحيب

اختطفت يد المنون عالم عصره وفيلسوف دهره الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فسلام على الاسلام والمسلمين

ساروا به والكل باك حوله صعقات موسى يوم دك الطود

فأي قلب لا ينقطع وأي فؤاد لا يهلع لهذا المصاب الاليم والخطب الجسيم واذا أنكره البعض في حياته فقد عرفوا فضله بعد مماته فكان منهم على حد قول القائل

سيعرفني قومي اذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

احتفلت بجنازته الحكومة احتفالا رسميا مهيبا سار فيه كبار رجال الامة من سائر الطبقات فكنت لا ترى الا عيونا تتفجر منها الدماء حزنا على حكيم الامة ورجلها في المهمات الذي طالما استضاءت بأفكاره عند الملمات حتى واروه التراب وعادوا يعزون أنفسهم على هذا المصاب الجليل لانه مصاب عام ووقعة على الامة المسلمة بأسرها

رحمه الله رحمة واسعة وصب على جدثه شآبيب الرضوان عدد حسناته الى امته وألهمنا وآله الكرام الصبر والسلوان

(وقالت جريدة الرائد العثماني الغراء التي تصدر بطنطا بلسان صاحبها محمد توفيق أفندي الازهري في عددها الصادر في ١٧ جمادى الاولى مانصه)

مصاب الاسلام

اندبي يا أرض وابكي يا سماء قد قضى المفتي ولله البقاء

الخطب الجسيم، والرزء العميم، والحادث الاليم، والكارث المقعد المقيم، والنائب الباغت، والمصاب الساحت، والفجيعة الفاجيه، والنكبة الناكيه، والطارقة الطاريه، والملمة المؤلمة والبلية الباريه، والواقعة الرائعه، والصدمة الصادعه، والحدمة اللافحه، والروعة الفادحة، والغمة التي غامت بها الايام، وغم لها الأنام، واعتل منها الاسلام، واختل النظام، فقد عدمت المطالع ضياءها .

والمشارع صفاءها ، والعلوم رشادها ، والامور سدادها ، والعيون قرتها والنفوس قرارها ،والقلوب ثباتها والجفون غرارها ، والايدي أيدها والوجوه سفورها ، والصدور انشراحها والاسرار سرورها ، فقد فقدت الدنيا بهجتها ، وضلت العلياء محجتها ، واهتدى الضلال الى الهدى ، واقوى نادي الندي ، وأقفرت مغاني الغنى ، واكفهرت مجالي السنى ، وأمرت مجاني المنى ، وخفيت مناهج المناجح ، وعطلت مناهل المنائح ، وعميت مذاهب المواهب ، وأظلمت مطالع المطالب ، وارتجت أبواب الفتوح ، ودجت أضواء الوضوح ، ودرست معالم المعالي ،وطمست زواهر الليالي،واضطربت الدهماء ، واضطرمت الدهياء ، وبطلت مواسم الحق ، وأبهمت مظالم الخلق ، وانقطعت مسالك الجهاد ، وتفجعت ممالك البلاد ، وأخلفت عدات الاعداء على الاعداء ، وانكسفت أنوار آمال الاولياء ،وامتدت أيدي الاعتساف، الى نهب أموال الاوقاف ، واستطال الكبراء ، الى سلب حقوق الفقراء،وذلك بما أجراه الله من قضائه المحتوم ، وأظهره من سر قدره المكتوم ، بمصاب الاسلام ، بموت مولانا الاستاذ الامام ، روح الله روحه ، وروض في جنان رضوانه وغرفات غفرانه ضريحه

فقد عظم الخطب وجل ، وحل عرى الجلد حين حل ، وثلم غرب الصبر وفل . وأجرى غرب الدموع ، وأذكى كرب الضلوع ، وبت حبل اللاجين ، وشت شمل اللاجين ، وأعلمنا أن الدنيا الدنية حبالها رثاث ، وحباؤها غثاث ، وعقودها انكاث،وسهولها أوعاث ، وقصورها اجداث،وشرورها غرور ومواهبها حداث ، وسكونها قلق ، وأمنها فرق ، وصحتها سقم ، وأملها ألم ، وغبطتها ندم ، ووجودها عدم ، وبقاؤها فناء ، ونعيمها بلاء ، وراحتها عناء ، وملكها هلك ، وسترها هتك ،وأخذها ترك ، وسلمها حرب،وصلحها فتك ووفاؤها غدر ،ووفاقها مكر ،وعرفها نكر ،ووصلها هجر ،وخيرها شر ،ونفعها ضر ،وجبرها كسر ،ومتاعها قليل ، وباعها في التطاول طويل ، وما لمثارها مقيل ، ولا في ظلها مقيل ، ولا أرب فيها لأريب ، ولا الباب فيها للبيب ، فان ظلها زائل ، ونعيمها باطل

أسفا على موت العلوم لفقده   من قاسه بالغير فهو مماري

اليوم فاض من الشريعة دمعها والعلم أمسى في الثرى متواري

قضى الامام فانقضت الآمال ، ونقطعت الاوصال ، وساء الحال ، وبات العالم الاسلامي يرسل الزفرات ، ويردد من أعماق قلوب أفراده الحسرات ، على قبلة الحكمة كيف تهدمت ، وأركان نهضتها الحقيقية كيف تحطمت ،

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا جمل يموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حي يموت لموته خلق كثير

قضى حكيم الافتاء ، وقدوة كبار العلماء ، وذخر البوساء ، ومعين الادباء وحصن الفضلاء ، بعد ان جاهد جهاد الابطال ، وأيد دين الله بعزيمة أرسخ من الجبال ، ورفع شأن الاسلام ، وأزال الشكوك والاوهام ، ولم يعبأ بفرقة المبطلين ، الذين ينتسبون الى المسلمين ، حتى تبينوا الصواب ، رضوا من الغنيمة بالاياب .

قضى الامام الذي لم تزعزعه الحوادث ولم تكن ترهبه مدلهمات الكوارث فبلغ بعلمه وفضله وحكمته ونبله مالا يناله غيره من بعده مهما بلغ فى الرياء وتسلق بيوت الامراء .

قضى الامام العظيم والفيلسوف الحكيم وقد ضن الله به على هذه الامة لأن هذه الروح الطاهرة من ادران النفاق والتدليس لا يجب أن تكون فى هذا الوسط المملوء بالارواح الشريرة والنفوس الخبيثة فخليق بالروح الشريفة أن ترقى الى الحظيرة القدسية عند مليك مقتدر .

أسفا على هذه الهمة العالية والعزيمة الماضية كيف أصبحت تحت أطباق الثرى .

فمن نرجوه بعدك أيها الامام لحل المشكلات ومن الذي نأتمنه بعد فوتك لحسم الامور المعضلات فسلاما سلاما عليك أيها القبر الشريف الذي ضم رفات رجل الاسلام ومن كان اليه المرجع في المسائل الجسام

وصبرا صبرا أيتها العائلة الكريمة والشقيق العظيم فما ذهب من الوجود من آثاره موجودة بين يدي العالم بأسره

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

حقا أن آثار عميـدنا وعميدكم لا يزال ينتفع بها العالم الاسلامي مادامت الارض والسماء

فرحمه الله رحمة واسعة وصب على جدثه شآبيب الرضوان

(وقالت جريدة الصاعقة الغراء الصادرة بالقاهرة في ١٦ جمادى الاولى بلسان صاحبها احمد افندي فؤاد المصري ما نصه مع اختصار قليل بغير تصرف

من شاء بعدك فليمت

اليوم نامت أعين بك لم تنم وتسهدت أخرى فعز منامها

اليوم سكن نفس من أشهر الانفاس اليوم مات من لولم يختم الله نبوته بمحمد وكتبه بالقرآن لبعثه نبي رحمة وأنزل عليه قرآن هدى اليوم مات الاسلام وقبر في ضريح الاستاذ الامام اليوم ذهبت هيبة الدين وقويت شوكة الملحدين اليوم ماتت الآمال واضمحلت عزائم الرجال اليوم مات من لو كان يفدي لافتديناه بالف كبير من كبرائنا وعشرة امثالهم من علمائنا اليوم

قد خططنا للمعالي مضجعا ودفنا الدين والدنيا معا

والموت حتم في رقاب العباد فمن بعد الاستاذ الحكيم للتربية والتعليم ومن يستدر الاغنياء للبائسين ومن يصون أوقاف المسلمين ومن يحمي دين الموحدين فالاسلام الآن يئن أنين المتوجع وينشد انشاد المسترجع

طوى الدهر مابيني وبين محمد وليس لما تطوي المنية ناشر

ومن عجائب الدنيا ان ذلك الذي كان لا يسع نفســه العالم قد وسعه لحد لا يزيد عن ذراعين في مثلهما ثوى فيه وحثي عليه التراب وامسى في ظلمات القبر وطالما فتح لنا ابواب السعادة بجاهه وجميل سعيه وانار بصائرنا بوعظه وارشاده فأصبحنا بعد فقده

لا فانكا (١) آخر في مصر نقصده * ولا له خلف في الناس كلهم

ولو انصف الدهر لكان بيت الله الحرام أحق برفات الشيخ من أرض مصر

ومن عجيب صنع الله ان أحمد المنشاوي نال قسطا وافراً من العافية فلما صار من الاتقياء البررة احاطت به الآلام ونالت منه الامراض والاسقام فلحق بالسابقين الاولين كذلك الشيخ كان مشغولا في أول امره بتحصيل الحكمة فلما بدأ فيما بدأ فيه من اصلاح الدين ومحاربة البدع والضلالات أبدله الله بثوب العافية ثوب المرض وقبضه اليه قبل أن يتم ماشرع فيه وجاهد له . ولله حكمة فيما فعل لان الامة التي تسمى بالامة الاسلامية أمة لا تستحق الا الذل والهوان والله أعدل من أن يمن عليها بمن يصلح أحوالها ويقوم اعوجاجها وينهض بها ويرأف على صغارها ويبر كبارها ثم لا يلاقي منها الا ما يلاقي الحليم من السفيه فدعاه فلبى وودع هذه الفانية واستقبل الباقية وليس معه ما يقابل الله به الا حسن ظنه وقوة إيمانه وثبات يقينه ولا بين يديه ما يقدمه اليه الا رسالة التوحيد التي لولاها ما اهتدى احد الى وجود الله

ومما يخفف الحزن عن اشياعه واتباعه اجماع اهل التوراة والانجيل والزبور والفرقان على تبجيله وتعظيمه لانه كان يوفق بحسن رأيه بين المتخالفين ويؤلف بين المتنافرين وينتصر لدينه اكبر انتصار من غير أن يغضب واحداً من اهل الكتاب فكانت هذه المزايا التي نزعت التعصب من القلوب ووضعت مكانه التآلف داعية الى الحزن عليه فدقت النواقيس في الكنائس وأذن المؤذنون في الجوامع واقفل التجار حوانيتهم واستقبلوا الجنازة بقلوب موجعة واعين دامعة وعبارات الحوقلة والاسترجاع ، وذم الزمن اقل ما كان يخرج من افواههم ويدور على السنتهم . وهذا الجزع العام من كل الطوائف على اختلاف اديانها وتلون ألوانها لم ينله واحد منذ برأ الله الدنيا .

كان رضي الله عنه شريف النفس عالي الهمة طاهر الذيل نقي القلب واسع الصدر رحب الذراع ، طويل الباع ، جم البر ، كثير الخير ، قوي الايمان ، عويص

(١) اسم رجل

الحكمة ، ثاقب النظر ، سريعا الى المكرمات معيناً فى الملمات ، ماجلس مجلس سوء ، ولا عصى الله في عدوّله ، ولا رأى الى الخيرسبيلاالا سلكه ، ولاللاصلاح يابا الا ولجه . وكان كرم الله وجهه يرى وغبار الموت على وجهه ان الحمام بعيد عنه فاذا سئل في ذلك قال ما كان الله ليقبضني اليه قبل ان انتهي مما بدأت فيه من الخير لدينه فدعوني من ارجاف المرجفين ، وتخرص المتكهنين، فإن امامي عملا عظيما لا بدلي من اتمامه

ولقد كان احسن الله اليه في أخراه ، قدر احسانه الينا في دنياه ، اذا بلغته سيئة من سيئات اعدائه او وصل اليه خبر مكيدة كادوها له استغفر الله لهم منها وقابلها الحسنة ودعا لصاحبها بالهداية ومازال هذا دأبهم ودأبه كلما أسمعوه شرا اسمعهم خيراً وكل ينفق مما رزقه الله . ولو شاء الشيخ نفعنا الله بشفاعته يوم القيامة ان يطعمهم من لحومهم وهم احياء لصنع ولكنه الحلم يجعله العاقل حرزا، ويعده الجاهل عجزا وما كان اعداء الشيخ الجليل الا جماعة من الغوغاء ، وطائفة من الجهلاء ، والا فأي عاقل يعادي الحقيقة ويقاوم البر ويحارب العلم . سئل الاحنف بن قيس أيما أحلم أنت أم معاوية؟ فقال للسائل ما رأيت والله أحمق منك فان معاوية يحلم مع قدرته وأنا أتحالم لعجزي : وليس من ينكر على فقيد الاسلام قدرته ويطالب الدليل عليها الا من يطلبه على وجود الله وكل شيء دليل على وجوده . ولقد اوصى بحساده وهو فى النزع خيرا واستحلف اقدرالناس على البطش بهم ان لا يسيؤهم وما كانوا ليخالفوه بعد ان عاهدوه ولو لا حق للشيخ في اعناقهم ومنزلة في نفوسهم لسدوا عليهم مطلع الشمس وحالوا بينهم وبين الهواء ، ونجروا لهم ألف آلة حدباء،

امامروءته فليس اقوى للدلالة عليها من خروجه قبل ان تخرج الشمس من غمدها وجيبه ممتلىء برقاع امتلأت بحاجات الناس فلا يرجع الى داره الا بعد ان يرجع الدهر عن معاكسة من وضعوا آمالهم فيه فحارب في سبيلها وانالهم ماشاؤا وأنف المعاكس راغم وكم نظر الله اليه في جوف الليل وهو يمد يده بالحسنات الى الفقراء والمساكين و يعول انفسا ماتت بموته اليوم

اما نشاطه وان جل عن الشبيه فنشاط فتي انكليزي في مستعمرة جديدة

لا يتطلع الا الى المجـد . فهو يقتل الوقت ويخنق الزمن بالعمل ويرى الراحة فى التعب واللذة في النصب . ومن يشتغل صيفاً وشتاء من الساعة السابعة صباحا الى التاسعة مساء الا الاستاذ الحكيم

اما فضله فقل ماشئت فيه فاعداء الشيخ رحمه الله لاينكرونه (والفضل ماشهدت به الاعداء) وهل يحتاج النهار الى دليل

أما اخلاقه فاخلاق الملائكة فما شئت من سعة الصدر وكثرة المجاملة من غير تكلف مع خفة الروح وكان ليس عنده كبير أفضل من صغير الا اذا قدمه عقله ومع هذا فالناس على تفاوت عقولهم قد وسعتهم اخلاقه . ولوقارنت بين نفوسنا ونفسه لعلمت انه من غير تلك الطينة فان الواحد منا اذا حفظ قصيدة لغيره ملأ الدنيا ثناء على نفسه وفخرا بذكائه واعجابا بقوة حافظته فكم يكون فخر الشيخ في علمه وفضله لو كانت نفسه الكبيرة كنفوسنا الصغيرة . وما جئنا بهذا الا لأن فقيدنا حكيم الأمة كان يتأفف اذا مدح ويتألم اذا اثني عليه ويرى ان الشكر على معروف ثمناً له وما كان ليصنعه الا ابتغاء مرضاة الله

اما دينه فكانت غيرته عليه غيرة الراشدين ، فما فاته فرض من فروضه لا في سفر ولا فى مرض . حدثني أديب مصر ابراهيم بك المويلحي قال كنت في اوروبا مع الشيخ شتاء فكنا نتسامر الى الساعة الثانية بعد نصف الليل ثم يأخذ كل منا مكانه فكنت لااطبق جفني بعد ان يحتويني مضجعي الا واسمع الشيخ يقول : يا ابراهيم الصلاة : فلما ضاق صدري قلت له بلساني لا بقلبي لك صلاتك ولي كفري . ولكم دينكم ولي دين . وكان يساعد من ماله طلبة العلم الذين قعد بهم الفقر عن الطلب و يبر اصحاب العاهات وابناء السبيل حتى مات عن شيء خير منه لا شيء

فاذا مشى الناس في جنازة الاستاذ وعزى بعضهم بعضا وقالوا الآن ماتت الحنيفية . فلهم بعض العذر فالمصائب تذهل وما كنا لنتوقع مثل هذه المصيبة ولو توقعناها لذهبنا الى الهند وريضنا انفسنا وتدرعنا بعزيمة قوية فاما وقد فاجأتنا على غرة فالهول جسيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

فهلا فديت اللهم الشيخ بنا جميعا فانا لا نرضى له بفدية الذبيح استغفر الله فان الكبش والله ينتفع به اما نفوسنا في حيز العدم ومن المحال ان تفدي تلك النفس الكبيرة . فالموجود لا يفدى بالمفقود

فاللهم ارحم ذلك الذي ينسى نفسه ويقول في وقت يذهل فيه المرء عن امامه وأبيه وصاحبته وبنيه

ولست ابالي ان يقال محمد ابل ام اكتظت عليه المآتم

(واورد سائر الابيات)

(وقالت جريدة الصيحة الغراء الصادرة في طنطا في ١١ جمادى الاولى بلسان صاحبها محمود افندي الشاذلي المصري)

مات المفتي

دوى في انحاء القطر صدى نعي الاستاذ الكبير ، والعالم المفضال النحرير ، قطب دائرة الفلسفه ، وملتقى اشعة البيان ، وسيد واضعي القوانين ، ورافع لواء العلم والدين ، الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ، انتقل الى دار الرحمة والرضوان عقيب مرض قصير المدى شخصت في اثنائه الابصار الى ثغر الاسكندرية متطلعة الى فضيلة الاستاذ حائمة حول سريره متسائلة عن حال صحته من ساعة لاخرى متخاطفه أنباء سير مرضه داعية له بالشفاء ولكن هكذا قدر فكان انا لله وانا اليه راجعون

وليس للصحافي المؤرخ في هذا الموقف الصعب غير باب التلخيص والايجاز في سرد تاريخ حياة مملوءة كلها بالمفاخر منزهة عن الآثام والمعايب تزينها الاعمال المجيدة وتحليها الآثار الغراء على العلم والعلماء والتربية والتدريس وتنقيح القوانين الوضعية وتطبيق الدين الاسلامي على العلوم الحديثة والمدنية الاوربية الجديدة فعاش مكرمًا من ملوك الاسلام مرموقًا بعين عناية اساطين العلم في كافة أقطار المسكونة كما كثر اعداؤه ومبغضوه وهم حساد النوابغ الراغبون في اخماد انفاس

كل ناشر للحقيقة المجردة عن الزيغ والبهتان

تلقى مولانا الاستاذ الامام دروسه العلمية على كبار رجال الازهر فكان منظوراً اليه من الجميع بعين المهابة على صغر سنه ثم انتظم في سلك رجال النهضة الحديثة التي رأسها الشيخ جمال الدين الافغاني ثم سار في تيار الثورة العرابية فكتب وخطب حاثاً على انقاذ الوطن من مخالب الترك والافرنج ولولا سوء تصرف عرابي وبعض زملائه لأزهر ثمر قول الاستاذ وكانت مصر في غير حالتها اليوم

وبعد ان هدأت زعازع الفتن وعادت مياه الصفو الى مجاريها ولم يجد رجال الاحتلال من يعولون عليه في تدبير بعض المهام الادارية والقضائية استعادوه من الديار السورية (*) وأجلسوه على أحد كراسي المحاكم الابتدائية ومنها الى وظيفة مستشار في الاستئناف ثم تولى منصب الافتاء وهو في كل مركز من هذه المراكز الرفيعة موضع الهمة وعنوان الشهامة ومحط رحال الاجتهاد وحب العمل واستبدال القديم البالي بالجديد الزاهي رغماً عن كثرة ما كان لديه من ادارة الشؤون العمومية والخصوصية فهو عضو الشورى النافذ الرأي المسموع الكلمة وهو الناظر من حين لآخر في اصلاح المحاكم الشرعية وهو زعيم ذوي الافكار الحرة ومدرس علم التوحيد والتفسير والبلاغة بالأزهر وهو مدير دفة اعمال الجمعية الخيرية وهو رئيس كل عمل خيري ومشروع علمي أو ادبي خطير وهو صاحب التآليف الخطيرة والكتب التي افحمت علماء النصارى وأحنت امامه رؤس علماء المسلمين فمن الرد على هانوتوالى رسالة التوحيد الى شرح نهج البلاغة الى تفسير القرآن الحكيم الى العلم والمدنية الى غير ذلك من نفائس الكتب التي لم تساعد الظروف على ظهورها وهو صاحب الفتاوى العصرية التي اقامت الدنيا وأقعدتها وهو ماحق الخزعبلات والاضاليل التي تسكع في ظلماتها المسلمون اكثر من جيل فلا غرابة اذا لبس عليه كل مسلم مؤمن ثياب الحزن وبكته البلاد الاسلامية من باكين الى طنجة احسن الله جزاءه والهمنا على فقده الصبر والسلوان بمنه وكرمه اه

(*) لما عاد الرجل من سورية لم يكن يعرفه أحد من أهل الاحتلال وعفا عنه الخديوي بشفاعة مختار باشا

قالت جريدة العجائب الغراء في عدد ١٩ الصادرة بالقاهرة في ١٦ جمادي الاولى بلسان صاحبها محمد أفندي فوزي المصري مانصه مع اختصار:

هل ماتت الامة

بموت المفتي

فزعت أفئـــدة أفراد الامة كافة لمنعى فقيدها بل فقيد الشرق كله مفتي أفندي الديار المصرية رحمه الله وظهرت الصحف جميعها مفصحة عما يراه الرأي العام في هذا المصاب الجلل راثية الفقيد ذاكرة غرر أعماله وجليل آثاره وهكذا فعلت الحكومة بان اشتركت رسمياً في تشييع الجنازة وتعزية آل الفقيد ونحن مع حضرات الزملاء الافاضل وكل آسف لهذا الخطب نعزي أنفسنا وزملاء نافي الوطنية والدين على انطفاء هـذا المصباح المنير والمرشد الامين قائلين : انا لله وانا اليـه راجعون

نعم ان المرحوم كان شعلة ذكاء متوقد وعـلم في كل فن ومطلب وكانت ميزته الوحيدة هي انه كان همزة وصل بين القديم والحديث والعلم والدين والحكومة وأصحاب العمائم وهو امتياز يقر به الاعداء والمحبون كما لا ينكر أحد واسع علمه وغزارة اطلاعه ولهذا بلغ ذاك المبلغ الذي لم يصله سواه

وعقيب وفاته تطلعت العيون الى من سيخلف فضيلته في منصبه فسمت لنا الصحف اليومية عدداً من فحول رجال الازهر ثم عادت فأخذت في تكذيب بعضها وبالاخير أجمعت على انه لا يتم التعيين الا بعد عودة الحكومة من المصيف. فمتى عادت لابد من انتخاب أحد الذين سمتهم الصحف ولكن هـذا التعيين لا يغني صاحبه ولا الامة فتيلا ان لم يكن الخلف كالسلف عارفاً بمواقع الداء مدركا حقيقة الهيئة الحاكمة ونواياها وسمو مبادئها واغراضها نحو هذه الامة التعيسة فان لم يكن كذلك لا يلبث حتى يلحق بسابقيه ممن لم يعمروا في منصب الافتاء سنوات ثم عادوا منه بخفي حنين بعدان جنوا على ذواتهم وأبناء دينهم شر جناية وهكذا يبقى هذا المنصب الشريف كالكرة بين الايدي حتى يتيح له الحق مثل المرحوم (الشيخ

محمد عبده) عالمًا عصريًا متفقهًا عارفا الواجب عليه سياسيًا ومدنيًا وحينئذ ترفع الأمــة صوتها قائلة : أعطي القوس باريها وأسكن الدار بانيها : وتردد ما يقوله الافرنج عند موت ملوكهم وتنصيب غيرهم فننادي صارخين: مات المفتي فليعش المفتي

أحسن الله عزاءنا وعزاء المسلمين أجمعين وألهمنا على الفقيد الصبر والسلوان وألهم علماءنا مايحافظون به على مجد الاسلام والسلام

وقالت جريدة العمران الغراء في عدد ٢٤٤ الصادر في ١٣ جمادى الآخرة و٥ يوليو بلسان صاحبها عبد المسيح بك انطاكي من طائفة الروم الارثوذكس السوريين وقد صدرت التأبين بصورته

مات الاستاذ الامام

وخططنا للمعالي مضجعا ودفنا الدين والدنيا معا

بلى فقد رزئت مصر بل الامة العربية بل العالم الاسلامي برجل ولا كالرجال

مضت الدهور ولم يجئن بمثله ولقد أتى فعجزن عن نظرائه

فلا عجب اذا طار منعاه في الآفاق، وعم الحزن عليه السبع الطباق، وتمنى كل مسلم وكل من يغار على مصلحة الاسلام لو افتداه بما له وروحه

وهيهات ان ترضى المنية فدية وهيهات ان يرضى الحمام له بدل

مات الاستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده فمن بعده للافتاء ومن بعده للشورى ومن بعده لتفسير الكتاب الكريم ومن بعده للجمعية الخيرية ومن بعده لاصلاح المحاكم الشرعية ومن بعده للفقراء والبائسين ومن بعده لمدرسة القضاة الشرعيين وهي جنين ومن بعده للاصلاح والصلحين ومن بعده للاسلام والمسلمين

ومن بعده يعنى لاصلاح دينه ليحيي الى الاسلام مافات من مجد

يحارب من قد ضلّ فيه ومن غوى ومن زاغ عن سبل الهداية والرشد

هذا هو الرجل الذي فقدناه، والشجاع الذي بكيناه، والعلامة الذي رثيناه،

فان نشق عليه الجيوب، ونمزق أسودة القلوب، وتستمطر الدموع من المآقي، ونيأس بعده من بلوغ الآمال والاماني، نكون قد وفيناه حقه الواجب الاداء وقمنا بما هو مفروض علينا من الرثاء

سنبكيه ماعشنا وندب فضله ونثر فيه المرثيات وننظم
وان هو الا كان كافل قومه فيالهف قلبي مات عنهم وهم هم
قضى عمره يرجو الصلاح لقومه فلم ير للاصلاح من يتقدم
وقاموا عليه يطلبون نكاله وحاد بهم الجهل القبيح المذمم
فما ثبطوا عزماً له في فعاله ونفس العظيم النفس لا تتقسم

على ان هذا القلم لأعجز عن ان يفي مثل هذا الفقيد حق الرثاء، أو يصف ما حل من هول الخطب على العقلاء، أو يبلغ من القول ما يعبر عن تلك المصيبة السوداء، فقد كان للامة نوراً فانطفأ النور وأمست في ظلمات بعضها فوق البعض، وكان لها هاديا فمضى وتاهت في فلوات من الجهل قد اختطوها بالعرض، فاليوم يعلم الناس قدر الفقيد، ويعلمون أنهم فقدوا به الحكيم الهادي الرشيد، ولعمري

لا يعرف القوم الفتى الا اذا مات فيعطى حقه تحت الثرى

نعم مات الشيخ محمد عبده رحمه الله واذا أردت أن تعلم من هو هذا النابغة الذي فقدناه فاسمع ما قال وهو يجود بنفسه عند ما أدركته الوفاه

(ثم أورد الابيات التي تقدمت وقال)

و بعد فقد خلق الشيخ محمد عبده للاصلاح، ومات وهو شهيد الاصلاح ينشد الاصلاح، و يسأل الله أن يمن على الامة بالاصلاح، فالمصاب اليوم مصاب الاصلاح، فان نبكه فانما نبكي على الاصلاح، وان نرثه فانا نرثي الاصلاح،

وقد فقد الاسلام أفضل مصالح وأفضل من قد جدَّ في سبل المجد

الا ان البكاء لا يغني فتيلا وهيهات ان يخفف العويل والنواح من فداحة الرزء الذي منينا به والخسارة لا تعوض لنرجو لها بدلا وعنها منصرفا وشهرة فقيدنا رحمه الله وجعل في الجنة مثواه أوسع من أن نخوض بتعريفها فما من مسلم في مشارق الارض ومغاربها الا وسمع به واستفاد من علمه كما ان علماء أوربا ورجال السياسة

فيها كلهم يعزفون الفقيد كما هو و يسمونه ركن الاسلام وأعظم مدافع عن المسلمين

وقد ذكرت الجرائد اليومية فى هذه الأيام طرفاً من ترجمته ومجملا لأعماله التي كان يشغلها وما كان لدفنه من الحفوة والاحترام مما مجمله ان الفقيد توفي في الاسكندرية على إثر علة سرطانية في الكبد وقد ذهب اليها للاستشفاء على اشارة الاطباء فشيع الى المحطة بالاجلال والاحترام ومشى بجنازته كل عظيم وجليل من رجال الحكومة المصرية وأقله قطار خاص الى القاهرة فاستقبله المديرون والاعيان والعمد في محطات دمنهور وطنطا و بنها واذ وصل الى مصر استقبله موظفو الحكومة جملة ومشايخ الازهر عموماً وأعيان القاهرة وما جاورها حتى بلغ عدد المشيعين نيف وخمسة آلاف نسمة على أقل تقدير وصلي عليه في الجامع الازهر ودفن رحمه الله فى قرافة المجاورين

وقد جهلوا قدر الامام فاضرحوا لاجلاده في موحش بفلاة
ولو أضرحوا بالمسجدين لانزلوا بخير بقاع الارض خير رفات

وعليه سقى الله ضريحه بسحب الرضوان

بكى الشرق فارتجت له الارض رجة وسالت عيون الكون بالعبرات
ففي الهند محزون وفي الصين جازع وفي مصر باك دائم الحسرات

أما الذي كان يرمي اليه الاستاذ الامام و يسعى في سبيله وكان يقول رحمه الله انه لا يخشي الا من الموت لانه يقطع عليه طريق السير اليه فهو انه كان يريد أن ينهض بالاسلام بما يعيد للمسلمين ذلك المجد القديم والسلطان الواسع وكان رحمه الله ينظر في الامر نظر الطبيب الذي يشخص الداء و يصف الدواء فكان يرى ان الذي أوقف المسلمين عن التقدم ليس من أصل دينهم بل من البدع التي أدخلت على الدين وقد برهن على ذلك بالحجج الراهنة من آيات القرآن المبين والاحاديث النبوية الشريفة وان أحسن طريق يجب أن يسلكها المصلحون هي فتح أبواب الاجتهاد للمتأخرين كما كانت مفتوحة بوجوه المتقدمين فيقوى حينئذ العلماء العقلاء على التوفيق بين الدين الصحيح والمبادي العصرية الحاضرة وحينئذ ينشط المسلمون في مباراة الغربيين فى العلم والعمل وكانت أعماله كلها في

مدى حياته منصرفة الى هذه الوجهة فعارضه بذلك المقلدون ووقفوا في وجهه وقفة المتعصب الجاهل وساعدهم ذوو الاغراض من المستفيدين من الحالة الراهنة وتولد عن ذلك اضطهاد أدبي للامام حيث اعتقدت العامة بأن الرجل كافر أو يميل الى الكفر بتغرير أولئك المتعصبين والى هـذا أشار حافظ أفندي ابراهيم بقصيدته التي رثاه بها حيث قال

وآذوك في ذات الآله وانكروا　　مكانك حتى سودوا الصفحات
رأيت الاذى في جانب الله لذة　　ورحت ولم تهمم لهم بشكاة
لقد كنت فيهم كوكبًا في غياهب　　ومعرفـة في أنفس نكرات
جمعت لهم بين الهـداية والتقى　　وفرقت بـين النور والظلمات

ونعتقد ان الاستاذ الفقيد وان مات مطعونًا بأسنة تلك المقاومات موت شهيد في سبيل الدين الا أن مبدأه لم يمت وان كانت المسيحية قد استضاءت بعد تلك العصور المظلمة بأنوار الاصلاح الذي قام به لوثيروس فان الاسـلام لا بد عاجلا أو آجلا من أن ينتعش بروح هذا الفقيد وقوة تعاليمه التي بثها في صـدور تلاميذه ووضع بعضها في تفسـيره القرآن الحكيم والتاريخ يروي لنا حوادث كثيرين كفقيد اليوم نشدوا الاصلاح فلاقوا من الاضطهاد الشيء الكثير الا أن مباديهم لم تضع بل نمت بعد موتهم وتقوت وانتفع الناس بها فخلدت لهـم الذكر العاطر على مر الدهور وسيأتي زمان يسود فيه رأي الاستاذ وشريف مباديه ويذكر المسلمون هذا العزيز فيسمونه المصلح العظيم بعد ان كان يدعوه العقلاء في حياته الامام الحكيم

هذا وانا لنسأل الله سبحانه أن يتغمد الفقيد برحمته ورضوانه ويلهمنا جميعًا نعمة الصبر والعزاء على فقده وان يفتح بصائرنا لفهم مباديه العليا وقبول آرائه الصائبة وأن ينفعنا بحكمته ويهدينا بهديه فهو سبحانه على كل شيءٍ قدير

وقالت جريدة الفاروق الغـراء في عددها ١١ الصادر بالقاهرة في ١٣ جمادى الاولى بلسان صاحبها محمد افندي عزت المصري

الى رحمة الله

رزئت الأمة المصرية بفقد المغفور له « الشيخ محمد عبده » مفتيها الا كبر فـكان لموته أسف عام وحزن عظيم شمل جميع الطوائف والملل . وقد احتفلت الحكومة بتشييع جثة الفقيد الجليل الى جدثه احتفالاً رسمياً مهيباً لم يسبق له نظير وان الرجل يستحق هذا لأنه كان نافعاً رضيّ الاخـلاق طائر السمعة في العالم الاسلامي كله .

(ثم قالت بعد ذكر الاحتفال بجنازته)

واننا نتقدم بواجب التعزية لحضرة عزتلو حموده بك عبده شقيق الفقيد وباقي عائلته وآله الـكرام وان كنا نعتقد ان فقده مصيبة عامة لـكافة بني الاسلام ولولا ان الصحف اليومية قامت بواجب تأبينه لأفضنا ولكن هذا ما وسعه المقام الآن والسلام

وقالت جريدة المأمون الغراء في عـددها ٣٦٥ التي تصدر في القاهرة بلسان صاحبها أمين بك حسن المصري ما نصه

رزء جسيم ومصاب عميم

رزئت مصر بل الشرق بل العالم الاسلامي عموماً بدك طود علم من أطوادها الشامخة ، وفقد ركن فضل وأدب من أركانها الراسخة . العالم النحرير ، والاستاذ الـكبير ، الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية عاجلته المنون في مساء يوم الثلاثاء الماضي في منزل صديقه محمد بك راسم في رمل الاسكندرية على أثر داء عياء ، فنيت في مداواته حيل نطس الاطباء ، وما طار نعيه في انحاء البلاد حتى عم الحزن

بالاسى كل انسان ، وأخذ الاسف يتردد عليه من كل لسان ، وهذا أعظم برهان على ان مصر عرفت انها خسرت رجلا عظيما إماماً،وعالماً عاملاً مقداماً،ولوشئنا ان نفي عظم الرزية حقها من الوصف الشافي أو أن نعدد مناقبه وفضائله ومآثره ومحامده لاقتضى لنا مجلد ضخم ولم نبلغ عشر المعشار فنقتصر على القول بما رثاه به بعض الفضلاء حيث قال : إن المصاب به مصاب أليم والخسارة بموته خسارة قد لا تعوض — والمرء مذكور بحسناته — بل كيف لاتكون الخسارة كبيرةوقدكان في الشورى صاحب الرأي النقاد والفكر الصائب والمقدم على كل رأي وفي اللجنة التشريعية صاحب المقام الاول . وفي المجلس الاعلي للاوقاف المرشد الهادي وفي الجمعية الخيرية الاسلامية الرئيس المحيي وفى مجلس إدارة الازهر المصلح الهادي . وفي عالم الآدب العلم الذي يشار اليه بالبنان وفى اصلاح المحاكم الشرعية الاهلية العامل المجد العاقل . وفي أمر كبير الرجل المقدم المفضل فلا يتم فى مصر عمل كبير الا ويده فيه قبل كل يد وسعيه فيه قبل كل سعي : وصفوة القول ان الشيخ محمد عبده رجل لا يعول الاعلى ذكائه الوقاد الثاقب، ورأية النقاد الصائب، حتي صح أن يقال عنه أنه رجل الشرق وواحده العامل .

هـذا ومما يدلك على أن الحزن في مصر على فقده عظيم وعميم أنه ما كاد القطار الخاص الذي يقل الجثةمن الاسكندرية يصل الى محطة العاصمة بعد ظهر يوم الاربعاء التالي ليوم الوفاة حتى أقبل الى المحطة العلماء والعظماء وكبار رجال الحكومة وضباط الجيش المصري وجيش الاحتلال، وكل ذي حيثية ومقام عال، وسمات الاسى بادية على وجوه الجميع

﴿ ثم أفاض فى وصف الاحتفال وختم الكلام بقوله ﴾

فنسأل الله أن يتغمده بواسع رحمته ورضوانه و يعزي آله وذويه الكرماء بل مصر والشرق و لاسـلام عموماً عن فقده أجمل عزاء إنه تعالى سميع النـداء ومجيب الدعاء .

(وقالت جريدة الممتاز الغراء في عدد ٢٤١ الصادرة بالقاهرة في ١٣ جمادى الاولى بلسان صاحبها الشيخ مصطفى الشاطر المصري وقد صدرت ما كتبته بصورته وتحتها هذان البيتان)

ابا حنيفة لا دمعي بمنقطع حزنًا عليك ولا همي بمحدود
قد مزق الموت ثوبًا كنت لابسه من نسج حمدك لا من نسج داوود

فقيد الشرق

لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، حم القضاء ، فلا مرد لحكم الواحد القهار ، مات بالامس مولانا المفتي فمات العلم والادب والفلسفة والحكمة والهمة والعمل والرأي والتدبير والشجاعة والاناة وعزة النفس وفقد الاسلام والمسلمون ركن نهضتهم وحامل علم رقيهم وانطفأ المصباح الذي كان يضيء الخافقين وحال الموت بيننا وبين القمر المنير في سماء مصر الذي كان يرسل أشعته نورا الى العالمين فيهتدي كل سائر في هذه الدنيا يسترشد به الشيخ ويزداد العاقل تبصرة والجاهل علماً والشاب موعظة والحكيم عبرة والرجل خبرة . ولكن « قتل الانسان ما اكفره » - عاش مولانا المفتي ٦٥ عاماً معلماً مهذباً مرشداً طبيباً للنفوس مصلحاً لادواء العمران فنغصنا عيشه وقتلناه باعمالنا أشد قتلة

أيها الناس : أي عمل قام به مولانا (رحمه الله) ولم نعارضه فيه ؟ أي مشروع أدبي بدأ به ولم نقف امامه حجر عثرة ؟ اي خير فعله ولم نقل انه الشر والاثم والزور والبهتان ؟ أي تعليم له لم نقلبه عليه بدعوى انه يريد افساد الاخلاق ومخالفة ما قرره السلف الصالح ؟ ولكنها همة فوق السحاب ونفس كبيرة واخلاق شريفة رضية وبحر علم خضم لم تؤثر فيه الترهات أو تمنع ظهور فضله كثرة الاعادي والحساد . فعاش كغيره من الانبياء والحكماء والملوك كثير الاعداء كثير المحبين وهي ميزة كل نابغة عظيم القدر والمقام . واذا كان نصف الناس اعداء لمن ولي الحكم فلا غرابة اذا رأينا ثلاثة ارباعهم مبغضين لمن ولته الزعامة الدينية والادبية علومه ورفعته الى اوج النعمة فضائله وداس على رقاب أخصامه بقدم همته

فكان أينما تحرك تحركت الدنيا وحيثما حل تطلعت اليه الابصار وحامت القلوب والكل بين مقدس لتلك الفضائل مدحاً ، وعامل على اشهارها ذماً وقدحاً ، وكلا الاثنين — العدو والحبيب — كانا في مستوى واحد نحو تلك الحياة الممثلة بالمفاخر والآثار

كم من العلماء تركوا الازهر واشتغلوا بالقضاء ، كم من المصلحين ومحرري الشعوب أقصتهم الحكومة عن البلاد ، كم من رجال العلم تولوا الافتاء ، كم من الافاضل أنابتهم الحكومة عنها في مجلس الشورى والجمعية العمومية، عشرات ومئات تقلبوا في هذه المراكز الخطيرة وأتى بعضهم بكثير من جليل الاعمال ولكن بينهم فرداً واحداً كان طالب علم وكان شيخاً متنوراً طالباً للحقيقة المجردة وكان مدرساً وكان خطيباً بليغاً وكان محرراً صحافياً وكان قاضياً وكان مستشاراً ومات مفتياً وهو في كل مركز من هذه المراكز العضو المتحرك لخير الانسانية والعلم المفرد الساعي وراء ترقية أبناء أمته ودينه والبطل الذي لم يخش في حياته وطنيا أو أجنبيا لتأ كده بأنه انما يعمل على مايقوي ساعد الملك ويوثق روابط الالفة بين الهيئتين الحاكمة والمحكومة — هذا هو الشيخ محمد عبده فقيد الاسلام الخالد الذكر

فى ريفي ألهم الله والده بأن يعلمه فبعث به الى الجامع الاحمدي بطنطا حيث كانت الجوامع دون سواها مواضع تلقي العلم والمعرفة فاختلط بشبان وشيوخ يظنون أقوالهم الحكمة وأراءهم فصل الخطاب ويخيل لهم ان كل العلم والدين منحصر فى متن معقد وشرح أكثر تعقيدا وتأويل غامض وتفسير مبهم فاخترق بحاد بصيرته ان علم هؤلاء جهل وصحيحهم غلط فعف عن العلم أياماً ثم آب اليه وافترش صحن الازهر طالبا لفائدة عقلية أو نقلية فلم يجد الا مناقشات وجدالا ومغالطات كان يخرج منها على غير هدى ولكن ذلك كله لم يمنعه عن استئناف بحثه وتنقيبه محكماً عقله في الاستدلال والاستنتاج فرماه سادتنا علماء الأزهر بالميل عن الصراط السوي وادعوا انه يذيع بين الطلاب مذهب المعتزلة وكادوا ينشبون به أظفارهم لولا ان قيض الله له من أخذ بيده ونصره عليهم وعلى وقته وهو ذياك الحكيم الشرقي الشيخ جمال الدين الافغاني فمازجا روحياً وعرف كل مايكنه

صدر الثاني من صنوف العرفان والميل لهـدم صروح الفساد والجهل المستولي على افئـدة المسلمين عموماً والمصريين خصوصاً ولكنهما لم يبدءا بنشر تعاليمهما حتى كثرت الوشايات وعمت السعاية والنميمة واعتصب ضد فقيدنا علماء الازهر ولولا الشيخ العباسي المهدي لما انالوه درجة العالمية . وما كاد ينجو بعلمه من شر الازهريين وغباوتهم حتى وقع مع زملائه أبطال النهضـة الفكرية في شرك نصب له وتهمـة فظيعة فابعده اسماعيل باشا عن عاصمة القطر الى مسقط رأسه في مديرية البحيرة ولم يعد الا بحسن رعاية الوزير الخطير دولتلو رياض باشا أحد العارفين بفضله الراغبين في افادة البلاد بواسع علمه فولاه منصب تحرير الوقائع المصرية ، وكانت كحالها اليوم عبارة عن اعلانات رسمية مع بعض أخبار ادارية ووقائع محلية ففك قيودها وتوسع في طرق تحريرها أو بعبارة أفصح حررها من سجنها الي فضاء الحرية فنقد الاخلاق والعادات واشار بمواضع الخلل في أعمال الحكومة ودوائرها وفتح للكتاب أبواب التحرير التي كانوا لا يعرفون غير اسمها فكانت نهضته في الانشاء هي الخطوة الثالثة من أعماله التي اظهرت مواهبه وخالف بسيره فيها ما كان يظنه البعض أساساً لا ينقض فهدم ابراج خزعبلاتهم وأبان لهم كيف يجب ان يكون العالم وكيف ينبغي ان يكون الامام المصلح وماذا يفرض على من تلقى اليه ازمة التحرير والتحبير لامة جاهلة وحكومة دستورية اسماً مطلقة فعلا

هبت الثورة العرابية وكان فقيدنا في فجر حياته ومطلع شهرته فلما دعي اجاب وهو يرمي الى غير غرض عرابي وسامي وعبدالعال : كان يعتبر هذه الثورة خطوة في سبيل التحرر من رق الاجانب ، كان يظن ان ثمار كتابته وأقواله قد اينعت فجاهد جهاد العقلاء وقدم الرأي عن شجاعة الشجعان ووضع الحكمـة والسداد موضع الجهل والرعونة والتسرع ولكن ذلك كله لم يغنه فتيلاً . فلا أقنع غُفلاً لا يعرفون غير السيف والمدفع ولا ارضى فئة كبرى كانت تؤيد سمو الخديو والحكومة وكانت نتيجة هـذا الموقف الحكيم انه سيق مع العصاة والمتمردين وحوكم كما حوكموا وصدر الامر بابعاده عن القطر ليس بصفة ثائر مثير بل خوفاً من أن يكون لوجوده بعد الثورة تأثير على الاذهان المتأهبة لقبول الآراء الجليلة الحرة التي لا تلائم

الاحتلال وهو في مهده . ولهذا كان الامر العالي الصادر بنفيه ممتازاً بانه يجوزله الاقامة في أي قطر أراد ويجوز له العودة بامر خديوي وهكذا كان . فحل سوريا حيث لقي القلوب متعطشة لنهلة من بحر علمه واجتمع حوله عدد كبير من الطلاب فأرواهم من وابله وشرح نهج البلاغة وعني بطبعه ثم انتقل الى باريس وقابل فيها السيد الافغاني وهنالك رأيا ان أحسن خدمة تؤدى للعالم الاسلامي توحيد كلمة المؤمنين على اختلاف الملل والنحل فأنشآ معاً جريدة « العروة الوثقى » التي صدر منها ١٨ عدداً هي نموذج البلاغة وحسن البيان وأول ما كتب في اللغة العربية من أساطير السياسة الدينية الدنيوية ولم تشغله هذه الصحيفة عن الاستفادة من مقامه في عاصمة الفرنسيس فدرس لغتهم (١) وترجم بعض كتبهم وقابل كبار وزرائهم فكان هناك سفيراً متطوعاً لخدمة المسلمين واظهار عواطفهم نحو أبناء الغرب فعرف علماء أوربا قدره وأنزلوه مكانته وكانوا يودون لو بقي بين ظهرانيهم يبدد عن سماء اذهانهم ظلمات الجهل بحقيقة الاسلام والمسلمين . ولكن دعته الحكومة المصرية تكفيراً عن ذنبها واعتقاداً بأن البلاد في حاجة له فعين قاضياً بالمحاكم الجزئية المحاكم الكلية ثم مستشاراً في الاستئناف فمفتياً للديار المصرية

تولى المنصب الاخير وهو (أي المنصب) موضع نقمة الاهالي ونقطة دائرة سخطهم يظن الجميع بان الداء قد استحكم منه ولا يقدر ان يبرئه منه طبيب فخيب الله ظنهم وعاد للافتاء سابق مجده بحسن عناية الفقيد الذي زادت شهرته اتساعاً وشمس فضله نورا وكثر مبغضوه وكيف لا يعادى من تفرد بالحكمة والرزانة والمهابة من كلما أرادت الحكومة أو الامة رجلاً لعمل لم تر سواه ، فبينا هو يدير مركز الافتاء تجده العضو العامل في مجلس شورى القوانين لا تؤلف لجنة لعمل اداري أو اقتصادي أو مالي أو زراعي حتى يكون من أعضائها، تجده كبير المستشارين في ديوان الاوقاف لا يتم عمل صغير أو كبير دون أخذ رأيه واستفساره، تجده مؤسس الجمعية الخيرية الاسلامية جائلاً في عواصم المديريات يحث السراة والاغنياء على

---

(١) هذا غلط والصواب انه تعلمها بعد عودته الى مصر كما علم مما كتبه عن نفسه

البذل والعطاء لتشييد دور التربية والتعليم ، تجده متربعاً في الرواق العباسي يلقي دروس الحكمة والمنطق والبلاغة والتفسير ، تجده في منزله بعين شمس وقد التف حوله الراغبون في علمه يفيض عليهم من نوره ، تجده في تونس والجزائر يداوي أمراض المسلمين ، تجده في اوكسفرد وكمبريدج ينظر كيف ترتقي الامم ، تجده يكتب الفتاوى العصرية التي أقامت الدنيا وأقعدتها فاخرست الاعداء وافحمت المعارضين وانقسمت لاجلها البلاد قسمين انتصر أصحاب الحق منهما على مدعي الباطل — هذا هو الرجل الذي كان يبتعد عن السياسة ويتحاماها ولكن أبى مركزه الا أن يرغم القابضين على اعنتها علي الاحتكاك به والوقوف امامه موقف الاعداء حينا والمحبين تارة فلم يخش سلطة أمير أو وزير حتى كان ما كان مما فصله الممتاز في سنتيه الماضيتين من المنازعات والاختلافات التي قامت بين الفقيد ومبغضيه وأهمها فتوى ذبائح الكتابيين وتحليل ايداع الاموال بصندوق البوسته ، ومسئلة العلماء ، ورفع رواتب رجال الاضرحة والمساجد ، وحادثة الازهر الاخيرة التي دوي صداها في ارجاء المسكونة وحملت لنا صحف الهند استياء المسلمين لكل ماصدر ضد فضيلته رحمه الله .

وقد أمضينا الاسبوعين الفارطين مع جم غفير محتاطين بسريره وكلنا ألسنة داعية لفضيلته بعاجل الشفاء ولكن ما قدر كان فذهب مبكيًا علي شمائله مودعًا من الجميع بالاسى والاسف والكل يرددون ان السعادة التي تنعمت بها مصر في حياة مفتيها وامامها العظيم كانت كالحلم الجميل ولكنه حلم سيبقى أثره في النفوس وتأثيره على العادات والاخلاق والهيئة الاجتماعية المصرية في كل دقائق حياتها كما يبقي اسم الشيخ محمد عبده الاجيال الطويلة عنوانا للمجد والفخر فنسأله تعالى ان يهبنا نعمة الصبر على فقده ولا يحرم الشرق من ظهور نابغة يحل محله والسلام

(وقالت جريدة النيل الغراء التي تصدر في القاهرة بلسان منشئها محمد أفندي غانم المصري في العدد ٥٩ مانصه وقد صدر بصورة الفقيد)

فقيد الاسلام

ان الذي أطلق من يدي القلم وأنا بين عوامل المرض وفواعل الألم تنتابني الاطباء ، وتشفق علي الاصدقاء ، شيء لم يكن في الحسبان له دبيب في الفؤاد أشد فعلاً من تعلق الداء العضال بموضع العلة من المرض

هذا الذي غلبني على كل شيء من أمري فهاج أحزاني وحرك أشجاني في حين اني لا أستطيع حراكا وانساني الألم الذي أنا فيه حتى تركني صريع الأسى بعد ان لقح هذا القلب الحزين بدم هذا الخطب الجسيم

فسلام على الفضيلة وأهلها ، والحكمة وطلابها ، والمروءة وأصحابها ، سلام على العلم والسياسة والأدب والبر والتقوى ، سلام على الأزهر وتلاميذه وعلمائه الى يوم يبعث فيهم حكيم آخر من المسلمين تهون عليه حياته في طريق تعليمهم وارشادهم واصلاحهم . سلام على هذه الديار الأسيفة . التي لا يكاد يبدو في سمائها نجم الا عاجله الأفول تأديباً لها وعبرة «ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»

« سلام على الاسلام بعد محمد سلام على ايامه النضرات »
« على الدين والدنيا على العلم والحجى على البر والتقوى على الحسنات »

(وذكر عدة أبيات أخرى من مرثية حافظ وستأتي في موضعها ثم قال)

مات المفتي ولم يمت . مات شكلا ولم يمت معنى لانه رحمه الله أدرك ان الحياة غير مأمونة العاقبة فبادر في حياته الى غرس الكثير من الغراس الطيب النافع الذي ابتدأ يظهر ويثمر في آخر عمر الاستاذ وبعين منه فكان ذلك يخفف عنه احتمال ما يهذي به الجهلة بشأنه وأكبر ما يعزيه في مرضه وغاية ما يقال ان شخص الاستاذ الامام لم يفن وانما هو قد توزع في أشخاص سيبصرون بنوره فيمشون على أثره ويعملون بعمله ليكون فيهم الأثر النافع لهذا الأثر الخالد وخير خلف لذلك السلف الصالح

على انه حق على العاقل بعد ذلك ان يفكر في الكيفية التي يقضي بها العاملون من أهل الفضل حياتهم بين ظهراني هذه الأمة العجيبة في أخلاقها الغريبة في أطوارها فقد كان المرحوم مفتي الديار المصرية موضوع احترام واكرام العظماء والمفكرين وموضع اعجابهم به في كل بلد يحله من باريس الى بلاد الانكليز الى الشآم الى الجزائر الى أمثالها ثم أنظر كيف كان الحقد عليه من فئات في مصر يدخل فيها — وا أسفاه — فئة كبرى من الأزهريين وجماعة من الصحافيين الذين يعلمون الأمة...

والآن وقد اشتمل عليّ المرض فى أشد أدواره حتى ضعفت يدي عن احتمال القلم فاني أعزي الأمة عن فقد أثمن درة في تاج حياتها واستودع الله تلك الجوهرة اليتيمة التي جاءت الى عالم وذهبت منه ولم يعرفها الا القليل

(يقول جامع الكتاب)

هذه أقوال أشهر الجرائد العربية فى القطر المصري استقصينا منها اليومية جميعها لأنها في الغالب أرقى من غيرها وأكثر ماتركنا من الجرائد الاسبوعية فلم نحفل بالاطلاع عليه ولا بحفظه هو مما يسمونه بالجرائد الساقطة والهزلية. ومن غير الاكثر جريدة الرأي العام فهي محترمة الا انها لم تكن تصدر في أيام الفجيعة بالفقيد ومنها جريدة العصر الجديد فقد منا العدد الذي نشر فيه تأبينه ولم يتيسر لنا عوض عنه وسننشر قولا لها في شأن حفلة التأبين العامة

واننا نرى الجرائد التي تصدر في هذه الأيام لاتخلو من ذكر فقيد الاسلام والشرق واننا نذكر على سبيل النموذج منها ماقالته جريدة (الارشاد) التي أصدرها بالقاهرة في غرة ذي القعدة الشيخ علي أحمد الجرجاوي المصري قال

فقد العلماء في هذا العام

في هذا العام فجع العالم الاسلامي بوفاة خمسة من أكابر العلماء ونابغي رجال الفضل وعلو الهمم وجلة المشائخ العالمين العاملين أعلام الهدى وشموس العرفان بكت عليهم

الدروس والطروس وعطلت منهم نوادي المحاضرات ور بوع الفضائل ومكارم الاخلاق
فأولهم المغفور له الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية الذي شهد له العدو قبل الصديق بسبقه في حلبة العرفان، وتفسير القرآن، وخدمة الاوطان، والذي أظهر لاهل أوربا عموماً انه لايزال في الأمة الاسلامية رجال يعرفون كيف يذودون عن حوض دينهم بأوضح حجة وأعظم برهان، وانه لم يزل فيها من يعرف قيمة الاوطان، فيعمل على ترقيتها بكل ماوهب من حول وقوة. شغل رحمة الله عليه عدة مناصب كبرى وعهدت اليه الحكومة اصلاح شؤون كثيرة مختلة معتلة فكان في ذلك مثالاً للهمة السامية والجد الفائق والحزم الصادق رحمه الله رحمة واسعة. وثانيهم المرحوم السيد عبد القادر الرافعي الذي أسندت اليه وظيفة الافتاء فلم يلبث فيها الا عشية أوضحاها حتى عاجلته شعوب أجله فكان لنعيه رنة حزن وصدى أسف عم طبقات المسلمين لما كان عليه رحمه الله من طهارة الذيل وعفة الميل والتمسك بعروة الدين وسعة المدركة ووفور الدراية وحسن المعاملة وحب العشيرة. وثالثهم الشيخ أحمد الجيزاوي أحد كبار علماء السادة المالكية كان رحمه الله واسع الاطلاع دقيق البحث في علوم الدين أفاد الطالبين افادة عظمى تشهد له بالاخلاص في العمل وحسن الدراية وما كاد الحزن على هؤلاء الافاضل يخف حتى فوجئنا بفقد مثال الشرف وعنوان الفضيلة المرحوم السيد علي البيلاوي شيخ الجامع الازهر ونقيب السادة الاشراف بالديار المصرية سابقاً فوقع منعاه في الاسماع والنفوس وقعاً مؤلماً لما عرف به بين الخاص والعام من حسن الطوية وحب الاصلاح والرغبة التامة فى جلب الخير للازهر الشريف عرف ذلك فيه في عهد توليته المشيخة الازهرية حتى نال انعطاف الجناب العالي الخديوي بصفة امتيازية وقد أسندت اليه وظيفة نقابة الاشراف قبل المشيخة فحمدت سيرته فى المنصبين وفارقهما مرضياً عنه وتوفي مأسوفاً عليه رحمه الله رحمة واسعة »

﴿ وانما ذكرنا ما قالته هذه الجريدة في غير صاحب التاريخ لنجعل قولها نموذجاً للفرق بين مايقال في فقيدنا وما يقال في غيره من أكابر علماء العصر على أن ذكره هنا كان مقدمة لا مقصدا ﴾

٣

اقوال المجلات المصرية العربية

قالت مجلة الحكمة العلمية الطبية التي يصدرها في القاهرة الدكتور عبد العزيز أفندي نظمي المصري في ص٣٨٢ من السنة الاولى ما نصه

انا لله وانا اليه راجعون

رزئ العالم الاسلامي في السابع من جمادى الاولى رزءا لم يذق مرارته مذطوت الايام حماة الاسلام الاول :

رزئ في امام عظيم وعليم حكيم جمع الى جهاد الخلفاء الاربعة في اقامة الدين والدنيا اجتهاد الائمة الاربعة في تقويمهما ... رزئ في خير من سعي بعد رسول الله وخلفائه الراشدين فى اعلاء كلمة الله وتجديد ما أخلقت الايام من فضائل الاسلام ودفع مفتريات اعدائه عنه ونفي البدع منه .... رزئ فيمن كان للهدى علماً، وللعلم مناراً، وللتشريع حجة، ولمصالح الامة حافظاً ، ولأيتامها أباً وأي أب ... رزئ في فضيلة الاستاذ العلامة الشيخ محمد عبده رضي الله عنه وأرضاه

جاءته دعوة ربه وهو على سفر الى أوروبا للتداوي من علة أصابت كبده بل اصابت الاسلام فيه فألقى عصا الرحلة واستقر بالاسكندرية ريثما حانت ساعة لقاء مولاه ثم لباه : كريماً يقدم على كريم فتلقاه في جنة ونعيم

عم الرزء فيه فاشترك في الحزن عليه أمة محمد وامة عيسى فكان أولئك ساعة تشييعه يبررون على المآذن في المساجد وهؤلاء يضربون النواقيس حدادا عليه فى الكنائس ولا غرو فقد كان الفقيد فقيد العالم لا فقيد أهله

نقلت جنازته ثاني يوم وفاته من الاسكندرية الى العاصمة في مشهد رسمي حافل بألوف المشيعين من سائر اجناس الناس ونحلهم وطبقاتهم سواء في الاسكندرية ومصر وصلى عليه فى الازهر ودفن في قرافة المجاورين والعيون تبكيه والقلوب تذوب أسى على معارفه وعوارفه تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته وألهمنا الصبر على فقده

هذا وقد كنا نود ان نأتي للقراء بملخص تاريخ حياة الفقيد ولكن المؤيد والمنار وعدا باستقصاء هذه الترجمة وايفائها حق شرحها وهما ولا شك ادرى بها واقوي على جمعها فنكل الامر لهما

وقالت مجلة الثريا الادبية التي يصدرها في القاهرة ادوارد أفندي جدي المسيحي السوري في الجزء الثاني من السنة السابقة (وقد تأخر عن سابقه سهوا)

فقيد الشرق

ليست المصيبة التي تذهب بالدمع تذهب بالامل ولكن المصيبة التي تذهب بالامل تذهب بالحياة وما الحياة الا كطائر حذر رنقت عيونه سنة من النوم فأدركه صياد حريص فسلبه حياته . أصابت الايام في اخرياتها عالم الشرق ونبراس الفلسفة ومنار الدين وحجة الفقه وإمام اللغه مفتي الديار المصرية بإرداء نجيس لو أصاب الأيام لذهب بضيائها ، ولو أصاب البحار لغاض بمائها ، فاتفقت الامة في الحزن واختلفت في الصبر وكادت الشمس تحترق من الاسف ، والمهج تذوب من التلف ، حزناً على عالم أبى الدهر أن يبقي على حياته الطيبة لينهض بالشرق بعد ما كبلته العلماء (الجهلاء) بقيود لو كبل انسان به الليل لمحا الله آية النهار

أخرجت الارض ذلكم العالم كما تخرج النحل الشهد من بطونها ، فافتخرت الارض على السماء كما يفتخر الصباح على المساء ، فعكف على الدرس في ادوار متباينات وأيام مختلفات وكان في إبان نشأته كالغصن الرطب فأثرت فيه الاعصار الازهرية وكادت تميل به فأنكر طريقة التدريس وعاف التمسك بالقديم فآض الى بلده وشغل بالزراعة بعد ما تصور ان الانسان لايمكنه ان يجتاز بحر الظلمات بغير دليل ولا قبل له باجتيازه في ذلك العهد وما زال كذلك حتى ألان قناته أبوه فعاد الى الازهر مكرهاً ففتح الله عليه وذلل له الصعاب فاغترف من بحر المعقول ماشاء أن يغترف ، وقطف من روض المنقول ماشاء أن يقطفه وكان

الازهر في ذلك الحين يضم بين جوانبه عالماً نبغ في الفلسفة وعرف بالمنطق وهو الشيخ (حسن الطويل) فلازمه الفقيد ملازمة اللفظ للمعنى ووافقه موافقة الروي للقصيدة وأخذ عنه ماجهله في أيام قلائل يعبر عن أفكار الشيخ ومقاصده فكان بين اقرانه كالنجم يهتدى به في غياهب الظنون ولما قصد مصر روح الفلسفة ولسان المنطق السيد جمال الدين الافغاني مشى الاستاذ تحت سمائه المنيرة فصارت معارفه تنقل من صدر الى صدر ، ومواهبه تنقل من عقل الى عقل ، حتى نبغ نبوغاً لا يشاركه فيه ناطق بالضاد فرأى جمال الدين أن روضته أزهرت وشجرته أثمرت ، فافتخر به وأدناه منه وقال وهو بين عالم الارواح وعالم الاجساد لمريديه انني خرجت من الدنيا وما ألفت كتاباً ولكن تركت لكم أثراً يغني عن جميع الكتب . وبعد ما برع المفتي تنفس صدر الثورة العرابية فألزمته الظروف ان يكون من اعوانها كما ألزمت فقيد الشعر وصاحب دولتي السيف والقلم محمود باشا سامي البارودي ولما سكنت ثائرة الثورة غضب عليه الامير فنفاه الى الشام فرأى مكاناً رحباً بين علمائها ، ومقاماً سامياً بين امرائها ، فاغترفت العلماء من بحر فضله ، واستضاءت الامراء بنور علمه ، ولم يقعد به الحزن في منفاه عن افادة الدين والأدب ، فطفق يفسر الغامض من الخطب ، ويشرح الصعب من المتشابهات حتى أفاد من استفاد

ثم شخص الى مصر بعد عفو الخديوي عنه فشرع في كتابة الوقائع الرسمية بلفظ فخل ومعنى أنيق وتراكيب كعقود الجمان في عهد كانت اللغة فيه تتراوح بين الموت والحياة وكان الذي يفتح الله عليه بسجعة يعد نفسه من أئمة المنشئين ، والذي يفتح الله عليه بنوع بديعي يعد نفسه من أئمة النابغين ، فحل الشيخ عقدة الالسن ، وأطلق في رياض المعاني طائر الفكر ، بعد ما هدم صروح البديعيين . ولم يرَ الفقيد أهلاً لمساعدته في القيام بذلك العمل الجليل غير الاستاذ الفاضل الشيخ عبد الكريم سلمان فصارا ينتقدان على الجمل الركيكة والتراكيب الفاسدة ويرشدان الحكومة الى محجة الصواب وكانت الحكومة في ذلك العهد تعمل برأيهما ثم عينته الحكومة قاضياً فأسس للعدل داراً ، ورفع للقانون مناراً ، وما رأيت

قاضياً يحكم بالقانون على القانون سواه . ولما أسكت الله نأمة المفسدين انتدبته الحكومة مفتياً للديار المصرية فأظهر فيها من الفتاوي العقلية الشرعية ماجعل علماء الدين ينظرون اليه بعين الحقد

وصل الى ذلك المقام الذي هو نهاية الرفعة فكثرت حساده فكان كل يوم في جدال ، وكل آن في نضال ،وكان الاستاذ رحمه الله يرى أن التمسك بالجديد(١) ضرب من الظنون ، وكانت العلماء ترى ان التمسك بالجديد ضرب من الجنون، فخذل العلم الجهل وأخذ له بناصره . ثم رأى ان يفسر كتاب الله تفسيراً معقولاً يدع للتاريخ فيه مجالاً و يوفق بين الحوادث الدينية والحوادث التاريخية ليزيل الشك عن أفكار العامة والسامة فأنكرت العلماء تفسيره كما ينكر الاعمى ضوء القمر.

ثم قام هانوتو وزير خارجية فرنسا وتحكك بالدين الاسلامي وطعن فيه طعناً كاد يذهب بحقيقته فتحفز الاستاذ كالاسد من مربضه وسدد قلمه في صدر ذلك الوزير فثاب اليه رشده و بان له الخيط الابيض من الخيط الاسود كل ذلك والعلماء بين الولائم والوضائم يحرفون كتاب الله ويخلقون الاحاديث املاً فى ارضاء الجهلاء.

ثم كتب صاحب الجامعة شيئاً من فلسفة ابن رشد فغابت عنه الحقيقة فأنكرها عليه الاستاذ وكشف النقاب عنها ثم قام يحارب البدع كالسجود لغير الله والتبرك بالاحجار وزيارة القبور والتمسك بما تساهل فيه السلف (أي المتأخرون) فقامت قيامة الجهلاء ورموه بكل كلمة عوراء وهو لا يصده عن سبيل الله معارض، ولا يوقفه عند حده كاشح ،

ولما عجزت العلماء عن اثبات الله بالعقل ألف رسالة في التوحيد فلو كان الله سبحانه وتعالى جسماً (تنزه عن ذلك) للمسته الأيدي ولو كان له حيز (تقدست اسماؤه) لرأته الابصار . فلما قرأ الرسالة بعض حساده قال اني آمنت بالله ورسوله ولكن أخشى ان يكون المفتي خدعني ببلاغته وقام وكتب الى المفتي كتاباً يحمده فيه على خدمة الدين و يعتذر له عما فرط منه فقال الاستاذ الحكيم رحمه الله الحمد لله الذي أوجد من يحبني اذا علم ويكرهني اذا جهل.

---

(١) كذا ولعل الصواب (القديم)

ذلكم هو الاستاذ الكريم الذي غاب عنا ظله ولم يغب ذكره. كان الفقيد رحمه الله يحن الى الفقير ويعذر الجهلاء ولا يخرجه الذم من الحلم الى الغضب. وكان في المضاء كالسيف يقطع ولا يقطع ولقد مرت عليه أيام كسالفة الغراب الغدافي ومسائل كذنب الضب فتحمل من الايام مالو تحمله أحد لصار هباءً منثوراً . وماذا يفعل الانسان اذا أوجدته الطبيعة بين عدوين كلما غاب عدو حضر عدو . وكان الاستاذ اذا حضر في مجلس عقد الجلال ألسن القوم فلا تسمع غير قوله ولا ترى غير وجه منير

وكان يميل الى المحاضرات والنكات . زاره مره محمد أفندي امام العبد بصحبة حافظ أفندي ابراهيم فقال الامام لإمام ممازحاً لو كنت في اميركا ماسمح لك لونك بالجلوس بيننا وما هي الا كلمة حتى غشي المجلس أحد الجنود وكان الاستاذ زوده بكتاب الى رئيس القرعة بقصد اعفائه فأهمله الجندي حتى جند في السودان وسلخ فيه عشرين هلالاً ثم عاد الى الاستاذ والخطاب في يده فلما سمع امام بذلك الخبر الغريب قال للاستاذ وهل لو كنت في اميركا لا يسمح لي لوني أن أقعد مع مثال هذا ؟ والله اني لأفضل ان أقعد مع الاحجار اذا كانت اميركا كهذا فما زال الاستاذ يضحك والحافظ يصفق حتى كاد ينطوي بياض النهار في الضحك . وزاره مرة امام أفندي في محل الافتاء ولما همَّ بالانصراف قال له الاستاذ اسمعني شيئاً من شعرك الجديد فقال له امام انا كالمتنبي (وكان المتنبي لا ينشد الا واقفاً) فقال له الاستاذ كن كالبحتري (وكان البحتري اذا همَّ بالانشاد وقف وتفل يميناً وشمالاً وصفق) فقال له امام انما انا واقف في المحراب فأنجد الاستاذ وأتهم في الضحك ولم يفهم أحد من العلماء مادار بينهما . وكان للحافظ على الاستاذ دالة ما نالها أحد سواه . وكان الاستاذ يذوق الشعر وطالما سمعته يردد بيت البارودي

اسمع في قلبي دبيب المنى وألمح الشبهة في خاطري

ولقد أسمعه الحافظ بيتين قامت لها الطبيعة وقعدت وهما لاحد شعراء الاندلس:

عليَّ والا ما بكاء الغمائم وفيَّ والا ما نواح الحمائم
وعني اثار الجوّ صرخة طالب لثار وهز البرق صفحة صارم

لحفظهما الاستاذ بعد ما أعجب بهما وشرحهما لطلابه بالازهر. وكان الاستاذ لا يحابي في الله وقد مدحه الحافظ بقصيدة بزّ بها المتنبي ولقد مدحه أيضا محمد امام العبد بقصيدة يقول له منها :

ووفقت بين العين والقلب بالحجى ... فأرضيت عيسى بالدليل وأحمدا
لئن أنكروا هـذا اليراع وربه ... فقد أنكرت أهل الضلال محمدا
بلوت صحابي بعد عشرين حجة ... فلم ارَ فيهم صاحباً يحفظ اليدا
اذا غاب عني بت درعاً منيعة ... وان غبت عنه بات سيفاً مجردا

وقد أبنته الجرائد على اختلاف اغراضها وتسابقت في رثائه الشعراء فقال الشاعر النابغة المشهور أحمد بك شوقي شاعر الحضرة الفخمية الخديوية :

مفسرَ آي الله بالامس بيننا ... قم اليوم فسر للورى آية الموت
رُحمت مَصيرُ العالمين كما نرى ... وكل هناء أو عزاء الى فوت
هو الدهر ميلاد فشغل فمأتم ... فذكر كما أبقى الصدى ذاهب الصوت

ولما بوغت الشاعر النابغة المشهور حافظ أفندي ابراهيم بهذا النبإ الكارث بكت قريحته استاذه وامامه فنظم ابياتاً قطعها الحزن وتجسم فيها اليأس ولم يتمها لاشتداد حزنه قال أجمل الله عزاءه :

سلام على الاسلام بعد محمد ... سلام على أيامه النضرات

(وذكرت المجلة عدة أبيات من هذه المرثية ومراثي أخرى ستأتي في باب الرثاء . وأنت ترى ان أسلوب تأبينها شعري فحسنت فيه المبالغة في مغالبة الضحك للاستاذ الامام زمنا طويلا . ومثل ذلك مبالغتـه في ملازمته للشيخ حسن الطويل ومافي معناها من التشبيهات الشعرية وفي الكلام في العلماء على انهم لم ينكروا التفسير كما قالت المجلة ولم يعرفوا قيمته الا قليلا منهم.

(وقالت مجلة الشرق والغرب وهي مجلة دينية لدعاة النصرانية بمصر . وذلك في العدد الـ ٢٩ من السنة الاولى)

وفاة الشيخ محمد عبده

لا يسعنا الا ان نبدي أسفنا لوفاة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية الذي نعته الجرائد وأبنته الصحف منذ أيام قلائل . فقد حاول أن يكون سراجا منيرا للاسلام باتخاذه العقل مرشدا والضمير دليلا في تفسيره القرآن الذي كان حجته العظمى في أمور الدين . ولكن يُشك فيما اذا كانت الساعة قد حانت للاصلاح الذي كان يحاوله . وأصبحنا ننتظر ان نرى ماذا كانت الناشئة المصرية الجديدة تقتفي آثار خطواته وتسلك بموجب الروح التي كان يحاول أن يبثها فيهم والتي تظهر من خلال الايات التي نطق بها وهو على عتبة البقاء

(وقالت مجلة الضياء التي يصدرها في القاهرة الشيخ ابراهيم اليازجي المسيحي السوري وذلك في الجزء التاسع عشر من السنة السابعة وقد صدرت التأبين بصورته

البقاء لله

في مساء الحادي عشر من هذا الشهر نعت الينا انباء الاسكندرية الاستاذ العلامة الكبير ، والامام الفيلسوف النحرير ، الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ، وقطب العلوم العصرية ، وافته دعوة ربه في ذلك الثغر وفي الخامسة والستين(١) من العمر ، على أثر علة سرطانية دبت في كبده بل أصابت كبد القطر ، فكان منعاه خطباً لا تقاس به الخطوب ، عمَّ الرزء فيه فبكته العيون بدماء القلوب ، وحقٌ للامة المصرية ان تبكي فقيداً من ابنائها قد لا يخلفه عليها الدهر ، بل للامة العربية ان تندب اكبر

(١) الصواب انه ولد سنة ١٢٦٦ فموته كان في الـ ٥٨

عامل من علمائها في هذا العصر ،وفي اليوم الثاني نقلت جنازته الى العاصمة فسير بها بين الوف من المشيعين، حتى اذا بلغوا بها الى الجامع الازهر صلي عليه ثم دفن في قرافة المجاورين، تغمده الله برحمته وجعل مقره بين جماعة أوليائه المصلحين

أما ترجمته فقد وُلد رحمه الله سنة ١٢٥٨ للهجرة(١) بمحلة نصر من أعمال مديرية البحيرة وتلقى مبادىء العلم في الجامع الاحمدي بمدينة طنطا وفي سنة ١٢٨٢ انتقل الى الجامع الازهر وبعد ان تخرج فيه مدة ثلاث سنوات استوفى فيها ما تدعو اليه حاجة المتعلم من علوم العربية والشرع نزعت نفسه الى العلوم العقلية وكان مدرسها يومئذٍ المرحوم الشيخ حسن الطويل فحضر عليه شيئاً من كتب المنطق والحكمة . وفي سنة ١٢٨٨ ورد على القطر السيد جمال الدين الافغاني الشهير فاتصل به ولزمهُ وأخذ عنهُ شيئاً كثيراً في الكلام وأصول الفقه والمنطق والحكمة النظرية والهيئة القديمة والحديثة فنبغ في ذلك كله . ولما اشتهر فضلهُ وعلمهُ عيّنه رياض باشا رئيساً لقلم المطبوعات وعهد اليه في انشاء جريدةٍ رسمية (٢) سماها بالوقائع الرسمية هي التي لا تزال تصدر الى اليوم وهي أول جريدة في القطر . وفي اثناء ذلك نشأت الثورة العرابية واتهم بممالأة الثائرين فنفي الى الديار الشامية ولبث ست سنوات في بيروت فعرف القوم فيها فضله والتف حوله كبراؤها ثم عين استاذاً في المدرسة السلطانية بها فتخرج على يديه كثيرٌ من نوابغ الطلبة وفي مدة اقامته بها كتب شرحه لخطب الامام علي المعروفة بنهج البلاغة وشرح مقامات بديع الزمان

وفي تلك المدة كان السيد جمال الدين الافغاني قد وصل الى باريز آتياً من كلكتا وكانت المكاتبة بينهما لا تنقطع فسار اليه وانشأ معه جريدة العروة الوثقى ومع انه لم يكتب منها الا ثمانية عشر عدداً فقد أخذت أبعد مكان من الشهرة وحسبك بجريدة يتولى كتابتها مثل هذين الحكيمين . وعلى أثر ذلك سعى بعض آحاد الاسرة الخديوية في اصدار العفو عنه فعاد الى الديار المصرية وبعد أن ألقى بها عصاهُ عينه الخديوي السابق المغفور له محمد توفيق باشا قاضياً أهليا ثم نصب مستشاراً في

(١) راجع هامش الصفحة السابقة (٢) لم يكن الفقيد هو المنشىء لجريدة الوقائع بل عين محررا لها ثم رئيس تحرير وهو الذي أنشأ القسم الادبي فيها

محكمة الاستئناف وسمي عضوا في مجلس ادارة الجامع الازهر وفي سنة ١٣١٧ عين مفتيا للديار المصرية وهو المنصب الذي توفي عنه رحمه الله تعالى

أما صفاته الشخصية فكان ربعة أسمر اللون معتدل الجسم قويّ البنية حادّ النظر فصيح المنطق جهوريّ الصوت وكان متوقد الفؤاد ثاقب البصيرة قويّ الحجة ذَرب اللسان بليغ العبارة اذا وقف للخطابة كان كأنما يتلو عن ظهر قلبه فلا يتوقف ولا يتلكأ ولا تجد في كلامه لفظة ركيكة ولا تركيباً سخيفاً حتى لو كتبت لفظه الذي يقوله على البداهة وجدته كأحسن ما ينشئ المترسلون من الفصحاء . وكان آية من آيات الله في قوة الحفظ وسرعة التناول حتى انه تعلم اللغة الفرنسوية وهو فوق الاربعين فلم يأت عليه الا أشهر حتى كان يجيد فهمها ثم كان يتكلم فيها كأحد أهلها ولم يرو مثل ذلك الا عن استاذه السيد جمال الدين وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . ومع بعده عن الشعر وعدم اشتهاره به فانه كان مطبوعاً عليه يجيده متى أراد وقد نظم أبياتاً قبيل احتضاره روتها له احدى الجرائد اليومية ننقل منها البيتين الآتيين

ولست أبالي ان يقال محمدٌ ابل أو اكتظت عليه المآتم

ولكنّ ديناً قد أردت صلاحه أحاذر أن تقضي عليه العمائم

وفي هذين البيتين اشارة لا تخفى على المطالع ومن علم ما كان ينويه من توسيع نطاق العلم في الجامع الازهر حتى يكون كاحدى الكليات الكبرى في اوربا ثم ما كان يحاول ابطاله من البدع التي كان يراها من مفاسد الأمة واطلع على ما لقي امثاله من كبار المصلحين فى كل عصر تبدت له تلك الاشارة مشروحة المتن واضحة المغزى سامح الله ذوي المآرب وغفر لهم ما أساءوا به الى هذه الامة الاسيفة بل الى الشرق الاسلامي على العموم ورحم الله تلك النفس الطاهرة واثابها عما نوت من الخير الكبير ولكل امرىء ما نوى

هذا مجمل ترجمة حياته اوردناه بالاختصار وأما بيان اعماله في القطر وما كان له من التأثير في عقول المتنورين من ذويه فسنفرد له مكانا مخصوصاً في الجزء التالي ان شاء الله اه

وقالت مجلة المجلات العربية الغراء التي يصدرها في مصر صاحبها محمود حسيب بك المسلم المصري في عددها الاول لسنتها السادسة الصادر في ذي الحجة سنة١٣٢٣ ويناير سنة ١٩٠٦ وقد صدر بصورة الفقيد

فقيد الاسلام

المرحوم الشيخ محمد عبده

مفتي الديار المصرية

رزئ الاسلام في العام الماضي (الميلادي) بفقد أعظم ركن من أركانه، اذ استأثرت فيه المنية بالاستاذ العلامة حجة الاسلام الشيخ محمد عبده الذي قضى حياته في خدمته عاملاً على رفعة شأنه ، فقد تجسمت فيه رحمه الله الغيرة على الدين بأجمل ثوب وأبهى رداء، فجاهد في سبيله جهادا لا تذكر في جانبه مجاهدة الابطال في قتال الاعداء، فأظهر الدين الاسلامي للاجانب عنه متحليا بمحاسنه الكثيرة بعيدا عن كل عادة خرقاء. فعرف غير المسلمين فضائل هذا الدين بفضل ماأوتيه فقيدنا من قوة الحجة وسعة الاطلاع و بلاغة الخطابة والانشاء والالقاء. فكان موته خطبا جللاً لا يقبل المؤاساة والعزاء، فشقت عليه القلوب و بكته العيون بالدماء، لان خسارة المسلمين به كانت عظيمة لا تعوض ورزءاً فادحا أذاب القلوب والاحشاء.

لا بدع ان عظم المصاب بفقده ... وتقطعت لمماته الاحشاء
قد كان في ذا العصر مفرد عصره ... ولذا بكاه الدين والافتاء

كان الاستاذ رحمه الله نابغة وعى صدره الرحب ما لم يرو عن غيره من علماء هذا العصر فقد كان خطيبا مصقعا، وكاتبا مقتدرا، وشارحا قوي الحجة واسع الاطلاع، ومدرسا خبيرا، وسياسيا كبيرا، ولهذا أحله العلماء والفضلاء والادباء محلا عظيما من الاعتبار ، فلم يكن يذكر اسمه الا بالاجلال والاكرام والاكبار ، وكان

مع كل ذلك بعيدا عن حب الشهرة والظهور حتى انه عند ما ردّ على هانوتو وذلك الرد المفحم المشهور الذي اعترف بقوة حججه وصدق آياته هانوتو نفسه لم يضع اسمه على ما كتبه ولكن كتابته نمت عليه وأدرك الكل ان ما كتب ليس في وسع عالم ان يسطره غير امام أئمة الاسلام في هذا العصر وأستاذهم الاكبر ولم يكن الاسف عليـه قاصراً على المسلمين فقط بل عم سائر الذين عرفوه واطلعوا على كتاباته وشروحه يدلك على ذلك الكتاب الذي أرسله جناب المستر براون أحـد كبار المستشرقين الافاضل ومدرس اللغتين العربية والفارسية في كلية كمبردج الشهيرة يعزي به شقيق الفقيد على مصابه الاليم ومما جاء فيه باللغة العربية قوله

« ياسيدي »

«فى مدة عمري رأيت كثيراً من البلاد والعباد ومارأيت مثل الفقيد المرحوم لافي الشرق ولا في الغرب . فوالله كان وحيداً فى العلم ، وحيدا في التقوى والورع، وحيدا في البصيرة والاطلاع على ظواهر الامور و بواطنها ، وحيـدا في البلاغة والفصاحة ، عالما عامـلا ، محسناً ورعاً ، مجاهدا في سبيل الله ، محباً للعلم ، ملجأ للفقراء والمساكين ، »

ولم يكن جهاده فى الحياة الدنيا قاصرا على خدمـة المسلمين بالقاء الدروس النافعة وتفسير آي القرآن الكريم في الازهر الشريف وكتابة المقالات الرنانة دفاعاً عن الاسلام بل كان يجاهد أيضاً في خدمة الامة المصرية على العموم فان له في مجلس شورى القوانين وغيره من دوائر الحكومة المصرية كنظارة الحقانية وسواها آثارا خالدات أبد الدهر تشهد له بالفكر الثاقب والرأي السديد والحكمة البالغة وكان مع ذلك محباً للفقراء ،ميالا الى الادباء،حتى لقب منزله في عين شمس بملجأ البؤساء ، ولـكن احسانه كان خفياً عن الابصار لاتدري يمينه بما قدمته يسراه لانه كما قلنا كان يكره المظاهرات العالمية والاباطيل الدنيوية

رأس رحمه الله الجمعية الخيرية الاسلامية الكبرى عدة سنوات فخدم بها البائسين والمعوزين اذ مهد للجمعية كل العقبات التي كانت تعترض سبيل تقدمها حتى باتت أشهر الجمعيات الخيرية وأكثرها نفعاً للمنكوبين من بني الانسان.وسن لها النظامات

التي تكفل بقاءها فمات ولكن الجمعية لاتزال وستظل الى الأبد باذن الله حية ذاكرة فضله الغزير وبره الكثير

وقد كان الاستاذ رحمه الله عصامياً ارتقى الى ذروة المجد بثباته العجيب فذلل كل الصعوبات التي اعترضت طريق ارتقائه حتى وصل الى مالم يصل اليه واخذ من العلماء فخدم بنفوذه الشخصي وسعة معارفه القضاء والدين والعلم والافتاء

ولو أردنا تسطير كل محاسن الفقيد لملأنا الصفحات الكثيرة وقضينا الايام في جمعها ولكن مثله لايحتاج الى اظهار حسناته بعد ان ذاع ذكره في المشرقين واشتهر فضله في المغربين واعترف كل امرئ بما أوتيه من العلم

ولقد يجمل بنا بعد ماتقدم ان نثبت في هذا العدد تاريخ نشأته ومبدأ تعليمه مما أثبتته مجلة المنار الغراء بقلم الفقيد نفسه تغمده الله برحمته ورضوانه

(ثم نقلت عن مجلة المنار ماأثبتته عن الفقيد بقلمه)

وقالت مجلة المحيط الغراء التي تصدر في مصر لصاحبها عوض أفندي واصف القبطي المصري في عددها الثامن من سنتها الثالثة الصادر فى أول اكتوبر سنة ١٩٠٥ وقد صدرت الترجمة بصورة الفقيد

الراحل الخالد الذكر

المغفور له الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقا

أجمع العقلاء من كل أمة في هذه الديار ان انتقال هذا الفقيد الكريم كان أعظم خسارة خسرتها الامة لاسلامية خصوصاً والمصرية عموماً في التاريخ الحديث ولاعجب في هذا فقد كان —رحمة الله عليه – أول عالم إسلامي اجترأ على مايخالف اعتقاد الجمهور من وجوب المجاهرة بالحرية الفكرية ونبذ الخرافات والرجوع الى الصحيح من قواعد الدين ومجاراة الأمم المتمدنة الراقية في الاخذ باسباب الارتقاء ونحو هذا مما يعود بالنفع على جمهور المصريين من خاص ومن عام

وفي تاريخ حياته وحده وقيامه في سبيل الظهور مخترقاً عدة طبقات ونبوغه في وسط كله مصاعب وضيقات مايكفي للدلالة على عظمته وعلى انه وجد ذا استعداد ذاتي للظهور في ميدان الحياة بذلك المظهر العالي وذا قوة شخصية ممتازه كافية لخدمة ذاته وخدمة كثيرين غيره من اخوانه الناس .

ولد رحمه الله عام ١٢٥٨ هجرية من أبوين فقيرين في قرية صغيرة يقال لها (محلة نصر) وشب في أصغر الكتاتيب ثم دخل الجامع الاحمدي في طنطا فالجامع الازهر فأخذت مواهبه الشخصية في الظهور ونال بذكائه حظاً من العلم وافرا . ولما كان في سن الثلاثين ظهر في مصر السيد جمال الدين الافغاني فيلسوف الاسلام فأخذ عنه من المنطق والفلسفة ما زادفي نور عقله . ثم ساعدته مواهبه على التدريس في المدارس الاميرية وتحرير الوقائع المصرية حتى كان زمان الثورة العرابية فاتهم بانه أفتي بعزل توفيق باشا الخديو السابق ونفي مع المنفيين الى سوريا . ثم انتقل الى باريس وهناك اتفق مع ذلك الفيلسوف على انشاء جريدة دعياها العروة الوثقى وعفي عنه بعد ذلك فعاد وكله أفكار جديدة بما رآه في بلاد الغرب فعين مستشارا في محكمة الاستئناف ثم مفتياً للديار المصرية في سنة ١٣١٧ فكان فوق قيامه بهذا المنصب الخطير عاملا على انارة الاذهان بانتقاد التقاليد القديمة وتفسير الآيات القرآنية حسبما ترمي اليه ونحو ذلك مما قد نعود الى ذكره بعد . وظل محطاً لاكرام العقلاء حتى دعاه ربه في ١١ يوليو الماضي فعم الاسف كل طبقات الامة المصرية واحتفل بتشييع جنازته احتفالا لم يسبق له مثيل . وقد نسب اليه انشاء هذه الابيات الشعرية ساعة احتضاره

(ثم ذكر الابيات التي ذكرتها اكثر الجرائد)

(وصدرت مجلة المفتاح التي يصدرها في القاهرة توفيق أفندي عزوز القبطي الجزء السابع الصادر في ١٥ يوليو سنة ١٩٠٥ بصورة الفقيد وقالت في مقالة في الانتخابات العمومية (ص٢٤٠) مانصه :

«هذا فقيد الشرق العظيم وامامه الاوحد وعلمه المفرد (المرحوم الشيخ محمد

عبده) هو أحد هؤلاء الرجال العصاميين وفحول العلماء العاملين رقته الحكومة الى أعلى المناصب وأسمى الوظائف وراعت في ذلك درجة كفاءته ومعارفه الشخصية وانتدبته الأمة رئيساً لاكبر جمعية مليّة فيها وانتخبته في مجالسها النيابية والعمومية فاستفادت الامة والبلاد من علومه ومعارفه الواسعة وتمّ على يده من الاصلاح في الشؤون الشرعية والعمرانية والاجتماعية في بضع سنوات قلائل مالا يمكن ان يتم على يد سواه في عدة أحوال واجيال

(ثم قالت في باب تاريخ الشهر (ص ٢٧٤)

(فقيد عظيم) ومن مفجعات هذا الشهر وفاة المرحوم المغفور له الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ورجل الشرق الوحيد وسنأتي على ترجمته ومبادئه العالية في الجزء الآتي للمفتاح اهـ

(ولم ينشر الترجمة في الجزء الثامن ولعله نشرها في جزء آخر وقد عرف اعتقاد الكاتب في الفقيد مما تقدم فلا حاجة الى الترجمة التي لا تخالف في نحواها سائر التراجم)

وقالت مجلة المقتطف الغراء التي يصدرها في مصر صاحباها الدكتور يعقوب افندي صروف، والدكتور فارس أفندي نمر صاحبا جريدة المقطم في الجزء الثامن من المجلد الثلاثين الصادر في ٢٩ جمادى الاولى وقد صدرت الترجمة بصورة الفقيد

الشيخ محمد عبده

مفتي الديار المصرية

تمهيد

كأن المنايا تبتغي في خيارنا لها ترةً أو تهتدي بدليل

شهدنا قبيل كتابة هذه السطور مشهداً قلما يرى مثله في هذه العاصمة تقدمة

كتيبة من فرسان البوليس وشرذمة من مشاته نسيران في صفين على جانبي الطريق ووراءهما نعش مجلل بشيلان الكشمير يحمله طلبة العلم في الجامع الازهر ووراءه قاضي مصر وشيخ الجامع الازهر والعلماء وقضاة المحاكم الشرعية ووراءهم خلق كثير من المشايخ والمجاورين ثم مستشارو محكمة الاستئناف الاهلية وقضاة المحاكم الابتدائية ورجال النيابة وكلهم بالاوشحة الرسمية ورجال المحاماة بطيالسهم السوداء ثم ناظر الحقانية وقائد جيش الاحتلال ومستشار الداخلية ووكيل الحقانية ووكيل حكومة السودان ومدير مصلحة الصحة واكابر ضباط الجيش المصري من الانكليز والمصريين وكبار موظفي دواوين الحكومة ووكيل محافظة مصر وحكمدارها ورئيس مجلس شورى القوانين واعضاؤه وفضلاء العاصمة وأدباؤها وأعيانها على اختلاف طبقاتهم وكثيرون من وجهاء الارياف . وشهد أهالي الاسكندرية مشهداً مثله في الصباح سار فيه نائب قائمقام الخديوي وسكرتير الوكالة البريطانية ووكلاء الداخلية والخارجية والمعارف العمومية وجمهور العلماء والوجهاء وهم يمثلون الحكومة المصرية والحكومة الانكليزية في مصر والاسكندرية والقطر المصري كله فان مفتي الديار المصرية العلامة المحقق الشيخ محمد عبده قضى وهو في الاسكندرية بداء اعيا الاطباء فحمل منها الى العاصمة واحتفلت الحكومة المصرية بتشييع جنازته احتفالا رسمياً قلما صار لاحد من أعاظم امرائها ووزرائها . ولقد عمّ الاسى عليه الديار المصرية وفقده أهل الاسلام في مشارق الارض ومغاربها واسف عليه غيرهم من الذين يودون الخير لهذه البلاد ونزع الضغائن المتولدة من اختلاف الاديان لما له من الايادي البيضاء والمساعي المشكورة في انارة الاذهان ودفع الوساوس فحق ان يقال فيه

عمت فواضله فعم مصابه ... فالناس فيه كلهم مأجور
والناس مأتمهم عليه واحد ... في كل دار رنّة وزفير

وهو عصامي رقي الى هذه المنزلة بجده وتوقد ذهنه وحسن نظره في العواقب واقدامه على عظائم الامور . فانه جدّ حتى اكتسب العلوم اللغوية والدينية وامتلك ناصية الانشاء ونبغ حتى صار من أكتب كتاب العصر ومن أعلم العلماء في العلوم

اللغوية والدينية وما جرى مجراها . ثم تعلم اللغة الفرنسوية لكي يطلع على العلوم العصرية والافكار الحديثة ولا سيما ما تعلق منها بالفلسفة الاجتماعية . وترجم كتاب الفيلسوف هربرت سبنسر في التعليم لكي يستعين بآرائه الفلسفية على اصلاح المدارس المصرية . وكان ذكي الفؤاد بالطبع قوي الحجة حسن المحاضرة لا يخاف في الحق لومة لائم ولا يتهيب الكبراء والعظماء لمجرد ماهم فيه أو ما أدركوه من رفعة المقام فاستطاع ان يكون علماً يهتدي بنور علمه المحافظون الذين لا يروقهم الا ما جرى عليه المتقدمون كاكثر العلماء وطلبة العلوم الدينية واللغوية ومن جرى مجراهم لانه كان ثقة فيهم . وعضداً قويا لابناء هذا العصر الذين استناروا بالعلوم الحديثة والآراء الجديدة . ومرشداً صادقاً للذين يطلبون الاستنارة بها والسير في سبيلها . وسيفاً صقيلا على أهل البدع الذين قيدوا أبناء المشرق بقيود تظلم العقل عن التبصر وتغل الايادي عن العمل . وملجأ أميناً للذين يودون نزع أسباب الشقاق التي أودت بطوائف المشرق وليس لها أصل راسخ بين أصول الدين ولا هي مما تقتضيه مطالب العمران

ثم إنه كان عالي الهمة شديد الغيرة يستسهل الصعاب و يذلل المشاق سعياً الى خير أمته وارتقائها فكنت تراه تارة مدرسا يعلم شبانها وتارة مؤلفاً يؤلف الكتب او يشرحها وينشرها لتنو يرأذهانها . وتارة مفسراً قواعد الدين تفسيرا يقبله العقل المستنير وتصلح به شؤون الامم و ينطبق على مطالب الزمان . وتارة منظماً للمدارس المصرية القديمة حتى تجاري الحديثة في انتظامها وفي ما يعلم فيها من العلوم القديمة والحديثة . وتارة رئيساً للجمعيات الخيرية الساعية في اعانة الفقراء واصلاح شؤونهم وتعليم أبنائهم . وتارة مقداماً للذين يشيرون على الحكومة في مجلس شوراها بفعل ما يصلح القطر وينفع أهاليه . وتارة مباحثاً ومناقشاً لاقناع رفاقه في ذلك المجلس بالمشروعات النافعة للبلاد وأهلها وجمع كلمتهم على تأييد الحكومة وشد أزرها على الذين يعارضونها في مقاصدها إما لغرض في نفوسهم أو لان وجه النفع الذي تتوخاه لم ينجل لهم . وتارة مجادلا يدافع عن الدين بأدلة مأخوذة من علوم المتأخرين التي جدَّت بعد عهد المتقدمين . وتارة مبيناً بالحجج القاطعة ان الدين لا يمنع الارتقاء والاخذ

بأسباب العمران بل بحث عليها ومظهراً الشوائب والبدع التي دخلت فيه فاضرت أهله وهي ليست منه في شيء بل يتبرأ منها وينهى عنها . وتارة ممانع خير وفاعل بر وجامع أموال لاغاثة المنكوبين بالنيران والاوبئة وغيرها من الرزايا يقصد المصابين بنفسه ويوزع عليهم الاموال بيده . وتارة متصدراً في الاندية العلمية والحفلات الادبية يبين مزايا العلم وفوائد التربية ويشرح الاسباب التي رقت أهالي أوربا وأوصلتهم الى ماوصلوا اليه من العزة والمنعة وينعش الافئدة بذكر ما كان عليه اسلاف الشرقيين وما يمكن ان يصيروا هم اليه اذا تعاونوا وتناصروا وأخذوا بأسباب الارتقاء . وتارة جالساً في مجالس الانس والصفاء يزيل الوحشة والجفاء من بين الوطنيين والاجانب ويؤلف بين الجماعات والمعاشر المختلفة في المبادىء والآراء والعادات . وتارة قارعاً باب ولاة الامور لاعانة طلبة العلم وبذل المال لاصلاح الجامع الازهر وما أشبه من الغايات الحميدة . وتارة جالساً في بيته وحوله جماعة كبيرة من تلامذته ومريديه وهو يطرفهم بالاحاديث المفيدة ويشرح لهم بعض ما عثر عليه حديثاً في كتب المتقدمين أو المتأخرين — كل ذلك بعد قيامه بحقوق وظيفة الافتاء وادارته لشؤونها وقضائه لمهامها على ما بها من المصاعب والمتاعب

وكتبه الى اصدقائه والذين يدعونه الى الحفلات العمومية ويمنعه انحراف صحته أو كثرة اشغاله عن اجابة طلبهم آية في البلاغة وحسن السبك حتى لقد يحار من يدعوه بين ان يُمتع بمشاهدته أو ينال منه كتابا بخطه يحفظه تذكاراً له ويتلوه على الحضور فتسكرهم طلاوته . وكذلك تقاريظه للكتب فانها كانت تدعو الى ترويجها لثقة الناس بعلمه وبانه لا يكيل الكلام جزافا

ولم تكن مشاغله الكثيرة لتقعده عن السعي في مصالح الناس فيقصده ذوو الحاجات وهو لا يدخر وسعاً في اغاثتهم بما في الامكان اذا تبين انهم محقون في طلبهم . وكان مسموع الكلمة مقبول الشفاعة فكثر مريدوه على شدة المقاومة له من الذين كانوا يغارون منه

ولقد لقي كثيرين من أعاظم الرجال في ممالك أوربا وفي بلاد الشام وتونس

والجزائر وحادث اكبر فلاسفة العصر ووقف على آرائهم وأوقفهم على ما يجهلونه من أحوال الامم الشرقية فزاد اختباراً وحنكة . واستفاد من ملازمة المرحوم السيد جمال الدين الافغاني وقرأ عليه دروس الحكمة الشرقية والاصول والمنطق وجاراه في المجاهرة بما يعتقده صواباً ولو خالف فيه الجمهور

وكان في قلب بلاد المشرق بلاد الخوف والرهبة والاستبداد جريء الفؤاد حر الضمير يجاهر برأيه ويثبت عليه ولا يخشى بأس متسلط ولا يهاب صولة كبير. وقد جر عليه ثباته على رأيه وجرأته في نصرة الحق وقلة خوفه ورهبته أهوالاً كثيرة ومحناً عديدة ولكن لما أبدل الاستبداد بالدستور في هذا القطر أوصلته هذه المزايا الى ما وصل اليه من المقام والسطوة وصيرته في اعتبار الجمهور الخصم العنيد للاقوياء، والناصر الشديد للضعفاء ، والركن الوطيد للاحرار ، والعضد القوي للساعين في تنوير العقول والافكار

هذه بعض مزاياه واذا أضفنا اليها سعيه في سبيل الاصلاح وميله الى فريق المحافظين حتى يجاري فريق المتقدمين حكمنا ان البلاد الاسلامية فقدت بفقده عالماً من أكبر علمائها ومصلحاً من أعظم رجال الاصلاح بين أهليها حراً هماماً مقداماً قوّالاً فعالاً فمصابها به أعظم مصاب وخسارتها أكبر خسارة فارقها الى رحمة ربه ولسانه يلهج بما في نفسه فنظم هذه الابيات قبيل ان تدركه الوفاة

(ثم ذكر الابيات التي ذكرتها اكثر الجرائد)

ولسان عارفيه ومريديه وكل الذين انتفعوا بنصحه وارشاده أو تمتعوا بالنفع الذي نالته البلاد على يده ينشده قائلاً

فاذهب كما ذهبت غوادي مزنة ... اثنى عليه السهل والاوعار

سلكت بك العرب السبيل الى الهدى ... حتى اذا سبق الردى بك حاروا

وسنعود الى ذكر ترجمته بالتفصيل بعد ان نتمكن من جمع المواد اللازمة لها اه

(ثم نشرت هذه المجلة ترجمة له في جزئين من أجزاء هذه السنة)

وقالت مجلة المنار الاسلامية التي تصدر في مصر لصاحبها السيد محمد رشيد رضا الحسيني السوري (جامع هذا الكتاب) وذلك في الجزء العاشر من المجلد الثامن الصادر في ١٦ جمادى الاولى

مصاب الاسلام . بموت الاستاذ الامام

مات الاستاذ الامام ولو كان كبر النفوس وطهارة الارواح وعلو الهمم مما يحول دون الموت لما مات أبدا ولكن كل حي يموت إلا الحي القيوم « إنا لله وانا إليه راجعون »

مات الاستاذ الامام فمات ذلك العلم الواسع ، والحكمة البالغة ، والحجة الناطقة ، والمعارف الكونية والالهية ، والعلوم الكسبية واللدنية ، مع البيان الساحر ، والأدب الباهر ، والبلاغة التي تمتلك العقول والقلوب ، والفصاحة التي تستهوي الاسماع والنفوس ،

مات الاستاذ الامام فماتت تلك الاخلاق القدسية ، والشمائل المحمدية ، والصدق في القول والفعل ، والاخلاص في السر والجهر ، والوفاء في القرب والبعد ، والسخاء في العسر واليسر ، والعفة في الشباب والكهولة ، والحلم عند الغيظ والمغاضبة ، والعفو مع القدرة على المؤاخذة ، والتواضع وخفض الجناح للمخلصين ، والشهامة والترفع على المنافقين والمستكبرين ، واللين للحق وأهله ، والشدة على الباطل وجنده ، والشجاعة التي تهابها الأمراء والعظماء ، والقناعة التي رفعت رأسه فوق الرؤساء ،

مات الاستاذ الامام فماتت تلك الاعمال النافعة ، والمشروعات الرافعة ، والمساعي الجديدة ، والوسائل المفيدة ، والاجتهاد في ترقية الامة ، والدفاع عن الملة ، والدعوة الى التوحيد والتأليف ، والاشتغال بأفضل التعليم والتأديب ، والتربية الصحيحة للمريدين ، والجمع بين علوم الدنيا والدين ، ومواساة البائسين والمعوزين ، وكفالة أولاد الفقراء والمساكين ،

مات الاستاذ الامام ففاتت تلك الآمال البعيدة ، والمقاصد الحميدة ، التي كانت مطوية في ذلك الجرم الصغير ، الذى انطوى فيه العالم الكبير ، تلك الآمال التي تتضاءل دونها همم الملوك والأمراء ، و تتصاغر أمامها نفوس الزعماء والاغنياء ، الذين هم عن استعمال مواهبهم مصروفون ، وعن الثقة بربهم محجوبون ، وعن سنته في خلقه غافلون ،

مات الاستاذ الامام فراع موته الناس ، من جميع الطوائف والاجناس ، فعلم علماء الدين ، أنهم فقدوا ركنهم الركين ، الذي تحمل عنهم رد الشبهات وغير ذلك من فروض الكفايات ، وعلماء الدنيا ، أنهم خسروا ركنهم الاقوى ، الذي يدفع عنهم مطاعن المتعصبين ، وتكفير الجامدين ، ويثبت ان الاسلام جمع بين المصلحتين ، ولا يتم ذلك الا بالجمع بين العلمين ، وشعر طلاب الاصلاح بأنهم فقدوا امامهم العظيم ، الذى كملت فيه صفات الزعيم ، وأحس الفقراء والمساكين ، بأنهم رزءوا بكافل اليتامى وغوث العاجزين ، ولم يجهل القائمون بالشؤون العامة ، شدة وقع هذه الطامة ، وانهم نكبوا بصاحب الرأي الثاقب ، والعمل النافع ، مربي الرأي العام في الشورى والجمعية العمومية ، صاحب اليد البيضاء في الاوقاف الاسلامية ، المضطلع باصلاح الأزهر والمحاكم الشرعية ، الناهض بأعباء الجمعية الخيرية ، الموفق بين الحكومة والرعية ، واعترف أهل الملل بأن مصابه مصاب الانسانية ، والخسارة الكبرى على العلم والمدنية ،

مرض هذا البر الرحيم فكان على فراش الموت يسأل عن بعض الضعفاء ويبحث عن مساكن القواعد من النساء ، ليواسيهم بالبر ، من وراء الستر ، وقال لي ان فلانا الغريب قد انقطع عن السفر بدين عليه ، واني مستغن الآن عن مئة جنيه فان كانت كافية ارسلتها اليه ، ولكنه غاب عن الوجود ، قبل ان يقضي لبانته من البر والجود ،

مرض هذا المصلح العظيم فاضطربت الامة المصرية لمرضه فكانت الدار التي يمرض فيها كعبة العائدين من العلماء والامراء ، والوزراء والادباء ، والفضلاء والفقراء والأغنياء ، وكان البرق يناجيها كل يوم مع البريد ، بالنيابة عن العاجز

والبعيد ، سائلين عن صحته ، أو مهنئين بما يقال عن راحته ، فكان يحمد الله ان جعل الدهماء من أمته يعرفون لخادمها خدمته ، ويشكرون للعامل لها عمله ، ويقول لئن شفيت لاجهدن النفس في خدمتهم أجمعين ، حتى أكون حرضا أو أكون من الهالكين ،

مرض الاستاذ الامام ، فلم يعقه المرض عن خدمة المسلمين والاسلام ، واحتضر الاستاذ الامام ، وهو يفكر في مصلحة المسلمين والاسلام ، ومات الاستاذ الامام ، وهو يلتهب غيرة على المسلمين والاسلام ،

نقول مات الاستاذ الامام فنبدئ القول ونعيده ننصر الحس ، ونكابر النفس ، فقد كادت تحسب ان موته رؤيا منام ، وأضغاث أحلام ، وما هو الا الحق اليقين ، ومصير الاولين والآخرين ، « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون * كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون * » مات أستاذنا وإمامنا ولك اللهم البقاء فلا تفتنا بعده ، ولا تحرمنا أجره ، واغفر اللهم لنا وله ،

نعم إنه قد مات ولكن لم تمت علومه ومعارفه ، ومآثره وعوارفه ، فلقد ربى أرواحا ، واصلح إصلاحا ، وألف كتبا ، وترك علما وأدبا ، وأمات سننا سيئة له اجر اماتتها ، وأحيا سننا حسنة له أجرها وأجر من يعمل بها ، وعلمنا كيف نفهم القرآن ، ونقيم شرائع الاسلام ، مع توخي نفع الناس أجمعين ، والاخلاص لله رب العالمين ،

مات أستاذنا وامامنا فكبر علينا موته ولكنه ربانا على الصبر وعلمنا كيف نتعزى عنه حتى في مرض موته ، فقد كان هجيراه في تلك الكربات والسكرات ، كلمة الله التي أمرنا بتكرارها في الصلوات ، (الله أكبر) فلئن كان بفضل الله كبيرا فينا فالله أكبر ، ولئن كان مرضه وموته كبيرا علينا فالله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم « ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم »

لبى دعوة ربه برمل الاسكندرية في الساعة الخامسة بعد الزوال من يوم الثلاثاء ثامن جمادى الاولى فنعاه البرق بآلاته الناطقة والكاتبة الى العاصمة

وغيرهامن مدن القطر فاضطربت لنعيه القلوب وذرفت العيون واسترجعت الألسنة وحوقلت وطفق الناس يعزي بعضهم بعضا متفقين على ان المصاب به عام ، وأشد وقعه على المسلمين والاسلام ، وما كنت تسمع من القريب والغريب ، والبغيض والحبيب ، والوطني والاجنبي ، والرشيد والغوي ، والعالم والجاهل ، والمفضول والفاضل ، الا كلمة « خسارة لاتعوض » أو كلمة « عوض الله الامة به خيرا » أو قول الشاعر

وما كان قيسا رزءه رزء واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

أوقول الآخر

ولكن الرزية فقد حر يموت لموته خلق كثير

وقد اجتمع مجلس النظار فقرر ان تحتفل الحكومة رسميا بتشييع جنازته في الاسكندرية ومصر وان تنقل جثته على قطار خاص الى العاصمة ففعلت وشاركتها الأمة ونزلاؤها والمحتلون بهذا التشييع الذي لم يسبق مثله لغيره حتى كان يخيل للمشيع انه لم يبق أحد من سكان الاسكندرية ولا من سكان القاهرة الا وقد حضر ليودع هذا الامام الوداع الاخير وقد صلي عليه في الجامع الأزهر ودفن في قرافة المجاورين تغمده الله برحمته ورضوانه ، وأسكنه فسيح جنانه

ولما كان المنار هو الداعي الى الانتفاع بهذا الامام المصلح في حياته ، فجدير به ان يرشد الى الاستفادة بسيرته بعد مماته ، فلا نطيل في الرثاء والتأبين وان كان بالحق ، ولكننا نقص على القراء ملخص سيرته مع التزام الصدق ، ليظهر لهم كيف تعلم وتربى حتى صار اماما حكيما ، وماذا عمل حتى صار مصلحا عظيما ، وسنضع له تاريخا مطولا نفصل فيه ماأجملنا ، ونشرح فيه مالخصنا، ونودعه كثيرا من رسائله ومكاتباته ، وخطبه ومقالاته ، وما كتب به اليه بعض العلماء والعظماء ، وما قاله فيه نوابغ الكتاب والشعراء ، وما ابنته به الجرائد ، ومارثي به من غرر القصائد ، ونسأل الله تعالى ان يحسن عزائنا وعزاء الامة فيه ، ويوفقنا في مصابنا لما يحبه سبحانه ويرضيه ، اه

(وقد نشرنا له ترجمة مطولة في عدة أجزاء من المنار وهذا الجزء الثالث من الكتاب الموعود

وقالت مجلة الهلال الغراء التي تصدرها في القاهرة صاحبها جرجي أفندي زيدان المسيحي السوري وذلك في الجزء العاشر من المجلد الثامن عشر وقد صدر الترجمة بصورة الفقيد

أشهر الحوادث وأعظم الرجال

الشيخ محمد عبده

مفتي الديار المصريه

ولد سنة ١٢٥٨ وتوفي سنة ١٣٢٣ هـ

أصيب الاسلام في أثناء الشهر الماضي بوفاة ركن من أركانه، ورجل من أعظم رجاله، أصيب بموت الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فابنته الجرائد، ورثاه الشعراء، وبكاه العقلاء، ولا يزالون يبكونه ويرثونه وستحتفل الامة المصرية في يوم الاربعين من وفاته الموافق ١٨ اغسطس الجاري مثل احتفال الشعراء بفقيدهم البارودي منذ بضعة أشهر وقد عينوا لتلك الحفلة سبعة أشخاص يسرد كل منهم شيئا يتعلق به : فالأول يتلو تاريخ حياته و بعض آثاره في الجمعية الخيرية الاسلامية والثاني يذكر طرفا من اخلاقه ومزاياه والثالث يبين شيئا من مركزه في الهيأة الاجتماعية وأعماله في مجلس شورى القوانين . والرابع يشرح مآثره في الازهر وفضله على اللغة العربية واصلاحاته الدينية . والثلاثة الباقون يؤبنونه بالقصائد الشعرية . فنقتصر في مايلي على فذلكة من تاريخ حياته وأعماله ونبسط الكلام في أسباب عظمته وحقيقة منزلته من العمران البشري على العموم والعالم الاسلامي على الخصوص

ترجمة حياته

(نشأته الأولى) نشأ الفقيد في قرية صغيرة (محلة نصر) من أبوين فقيرين فلم يمنعه ذلك من الارتقاء بجده واستعداده حتى بلغ منصب الافتاء وأصبح علماً

في الشرق وقطباً من أقطاب الدهر سينقش اسمه على صفحات الايام و يبقى ذكره ما بقي الاسلام

ولد عام ١٢٥٨ ﻫ وأبوه يتعاطى الفلاحة وقد ادخل فيها أولاده الا محمداً لانه توسم فيه الذكاء وأراد ان يجعله من الفقهاء فادخله كتاب القرية تردد اليه حيناً ثم أرسله الى الجامع الاحمدي في طنطا أقام فيه ثلاث سنوات ثم نقله الى الجامع الأزهر فقضى فيه عامين لم يستفد فيهما شيئاً وهو ينسب ذلك بالاكثر الى فساد طريقة التعليم

ثم انتبه لنفسه ولم ير بداً من تلقي العلم فاستنبط لنفسه أسلوباً في المطالعة واعمل فكرته في تفهم مايقرأه فاستلذّ العلم واستغرق فى طلبه فاحرز منه جانبا كبيراً على ما يستطاع ادراكه بتلك الطريقة

واتفق ان ورد على مصر سنة ١٢٨٨ﻫ (١٨٧١م) السيد جمال الدين الافغاني فيلسوف الاسلام وصاحب الترجمة لا يزال في الازهر وقد أدرك الثلاثين من عمره وتولى جمال الدين تعليم المنطق والفلسفة فانخرط الفقيد فى سلك تلامذته مع جماعة من نوابغ المصر يين تخرجوا على جمال الدين فخرجوا لا يشق لهم غبار كان الرجل نفخ فيهم من روحه ففتحوا أعينهم واذاهم في ظلمة وقد جاءهم النور فاقتبسوا منه فضلا عن العلم والفلسفة روحاً حية ارتهم حالهم كما هي اذ تمزقت عن عقولهم حجب الاوهام فنشطوا للعمل فى الكتابة فأنشأوا الفصول الادبية والحكمية والدينية . وكان صاحب الترجمة الصق الجميع به وأقربهم الى طبعه وأقدرهم على مباراته . فلما قضي على جمال الدين بالابعاد من هذه الديار قال يوم وداعه لبعض خاصته « قد تركت لكم الشيخ محمد عبده وكفى به لمصر عالما » .

وتقلب الفقيد في بعض المناصب العلمية بين تدريس في المدارس الاميرية، وتحرير في الوقائع المصرية ، وكتابة في الدوائر الرسمية ، حتى كانت الحوادث العرابية، فحمله أصحابها على السير معهم وهو ينصح لهم أن لا يفعلوا وينذرهم بسوء العاقبة . ولما استفحل أمر العرابيين اختلط الحابل بالنابل وسيق الناس بتيار الثورة وهم لا يعلمون مصيرهم . فدخل الانكليز مصر والشيخ محمد عبده في جملة الذين

قبض عليهم وحوكموا فحكم عليهم بالنفي لانه أفتى بعزل توفيق باشا الخديوي السابق . فاختار الاقامة في سوريا فرحب به السوريون واعجبوا بعلمه وفضله فأقام هناك ست سنوات فاغتنموا اقامته بينهم وعهدوا اليه بالتدريس في بعض مدارسهم

وانتقل من سوريا الى باريس فالتقى فيها باستاذه وصديقه جمال الدين وكانا قد تواعدا على اللقاء هناك فانشآ جريدة العروة الوثقى وكتابتها منوطة بالشيخ فكانت لها رنة شديدة في العالم الاسلامي ولكنها لم تعش طويلا . وتمكن الشيخ في اثناء اقامته بباريس من الاطلاع على أحوال التمدن الحديث وقرأ اللغة الفرنساوية على نفسه حتى أصبح قادراً على المطالعة فيها ثم سعى بعضهم في اصدار العفو عنه فعاد الى مصر فولاه الخديوي السابق القضاء وظهرت مناقبه ومواهبه فعين مستشارا في محكمة الاستئناف وسمي عضوا في مجلس ادارة الازهر وعين أخيراً مفتيا للديار المصرية سنة ١٣١٧ هـ ومازال في هذا المنصب حتى توفاه الله في ١١ يوليو الماضي ولم يعقب ذكرا يبقى به اسمه ولكنه خلف آثارا يخلد بها ذكره

مناقبه وأعماله

كان ربع القامة أسمر اللون قوي البنية حاد النظر فصيح اللسان قوي العارضة متوقد الفؤاد بليغ العبارة حاضر الذهن سريع الخاطر قوي الحافظة . وقد ساعده ذلك على احراز ما أحرزه من العلوم الكثيرة الدينية والعقلية والفلسفية والمنطقية والطبيعية وتلقى اللغة الفرنساوية وهو في حدود الكهولة في بضعة أشهر . وكان شديد الغيرة على وطنه حريصاً على رفع شأن ملته وذاع ذلك عنه في العالم الاسلامي فكاتبهُ المسلمون من أربعة أقطار المسكونة يستفتونه ويستفيدون من علمه وهو لا يرد طالبا ولا يقصر في واجب

ناهيك بما عهد اليه من المشروعات الوطنية فقد كان القوم لا يقدمون على عمل كبير الا رأسوه عليه أو استشاروه فيه . فرأس الجمعية الخيرية الاسلامية وألف شركة طبع الكتب العربية وشارك مجلس شورى القوانين في مباحثه وآخر ما عهد اليه تنظيم مدرسة يتخرج فيها قضاة الشريعة ومحاموها . فضلا عما

اشتغل فيه من التأليف والتصنيف وما كان يستشار فيه من الامور الهامة في القضاء أو الادارة بالمصالح العامة والخاصة . وبالجملة فقد كان كنز فوائد للقريب والبعيد بين افتاء ومشورة واحسان وكتابة ومداولة ووعظ وخطابة ومباحثة ومناظرة واستنهاض وتحريض وتنشيط وغير ذلك

اصلاح الاسلام

على ان عظمته الحقيقية لاتتوقف على ماتقدم من أعماله الخيرية أو العلمية أو القضائية وانما هي تقوم بمشروعه الاصلاحي الذي لا يتصدى لمثله الا افراد لا يقوم منهم في الامة الواحدة مهما طال عمرها الا بضعة قليلة . وهذا ما أردنا بسطه على الخصوص في هذه العجالة

﴿ العظمة الحقيقية ﴾ تختلف العظمة شكلا وأثرا باختلاف السبيل الذي يسعى صاحبها فيه أو الغرض الذي يرمي اليه . فمنهم العظيم في السياسة أو الحرب أو العلم أو الدين ومن العظماء من يتوفق الى اتمام عمله ومنهم من يرجع بصفقة الخاسر من نصف الطريق أو ربعه أو عشره . على ان أكثر العظماء انما يأتون العظائم لمجرد الرغبة في الشهرة الواسعة ويغلب ان يكون ذلك في رجال الحرب . وهؤلاء تنحصر ثمار أعمالهم في أنفسهم أو أهلهم أو أمتهم على انهم لا يستطيعون نفعاً لانفسهم الا بضرر الآخرين — اعتبر ذلك في سير كبار الفاتحين كالاسكندر وبونابرت وغيرهما فكم سفكوا في سبيل عظمتهم من الدماء أو ارتكبوا من المحرمات وكان النفع عائدا على أنفسهم أو أمتهم ولم يطل مكثه فيهم الا قليلا

واما رجال العلم فعظمتهم تقوم بما ينيرون به الاذهان من الاصول العلمية أو يكتشفونه من أسباب الامراض والوقاية منها أو يضعونه من النظامات والقوانين أو غير ذلك . ونفعهم يشتمل القريب والبعيد الرفيع والوضيع ولا يسفكون في سبيل نشره دماً ولا يرتكبون محرماً وهو باق مابقي الانسان وينمو بنموّ المدنية

واما رجال الدين ومن جرى مجراهم من واضعي الشرائع والاحكام فتأثيرهم أوسع دائرة وأعم شمولا لانه يتناول البشر على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم رجالا ونساء وكبارا وصغارا وعليهم يتوقف نظام الاجتماع وآدابه وأخلاق الناس وعاداتهم

وعلائقهم بعضهم ببعض وعظماء الدين فئتان الفئة الاولى واضعوا الشرائع كالانبياء أومن في معناهم ممن ينسبون أعمالهم الى ماوراء الطبيعة . والفئة الثانية المصلحون الذين يصلحون الدين بعد فساده — لان الدين اذا مرَّ عليه بضعة قرون فسد وتغير شكله وانقلب وضعه تبعا لمطامع الذين يتولون شؤونه فتفسد الامة وينحط شأنها حتى يقوم من يصلحه ويعيده الى رونقه . ووضع الاديان عمل شاق قل من يفوز به والاصلاح الديني لا يقل مشقة عنه . وربما كان ادخال دين جديد أيسر من اصلاح دين قديم . فالديانة المسيحية لم تكلف البشر في قيامها من الدماء أكثر مما كلفتهم في اصلاحها . على ان ما يضيعه رجال الدين في نشره من الدماء يعوضونه بسرعة انتشاره اعتبر ذلك في الفرق بين النصرانية والاسلام في قيامهما . ويقال نحو ذلك في الاصلاح فقد طلبه وسعى فيه غير واحد من رجال النصرانية فلم يتوفق منهم الى اصلاح كبير غير لوثير لان أهل السياسة نصروه ولا بد من استعداد الاذهان لقبول الاصلاح وتهيئة الاسباب الاخرى . فكم نهض من المصلحين بالسيف فغلبوا على أمورهم وذهب سعيهم عبثا . وأقربهم عهدا منا صاحب مذهب الوهابية في نجد فقد استفحل أمره في أوائل القرن الماضي وأراد في الاسلام نحو ما أراده لوثير في النصرانية فلم يتوفق الى غرضه لان الجنود المصرية غلبته وفلت عزيمته . اما المصلحون بالموعظة الحسنة والتعليم فعملهم بطيء ولكنه أرسخ في الاذهان واصبر على كوارث الحدثان — والشيخ محمد عبده واحد منهم

﴿هو وجمال الدين﴾ نشأ الشيخ المفتي نير البصيرة حر الضمير وربي في الاسلام وتعلم علومه فشب غيورا عليه ثم اطلع على علوم الامم الراقية من أهل هذا التمدن ودرس تاريخ الاجتماع ونواميس العمران فرأى الاسلام في حاجة الى نهضة ترفع شأنه وتجمع كلمته . واتفق اجتماعه بالسيد جمال الدين الافغاني فأخذ عنه الفلسفة والمنطق والحكمة المشرقية وكان جمال الدين غيورا على الاسلام راغبا في جمع كلمته ورفع شأنه فتوافقا في الغاية ولكنهما اختلفا في الوسيلة . لان جمال الدين سعى في ذلك من طريق السياسة فأراد جمع شتات المسلمين في أربعة أقطار العالم تحت ظل دولة اسلامية واحدة وقد بذل في هذا المسعى جهده وانقطع

عن العالم من أجله فلم يتخذ زوجة ولا التمس كسباً وانما جعل همه السعي الى تلك الغاية فلم يتوفق الى غرضه لاسباب عمرانية طبيعية لامحل لذكرها . وكان الشيخ محمد عبده رفيقه في كثير من مساعيه واطلع على دخائل أموره وعرف أسباب حبوطه فعلم ان جمع كلمة المسلمين ورفع شأنهم من طريق السياسة لا يتيسر الوصول اليه فسعى فيه من طريق العلم . فجعل همه رفع منار الاسلام وجمع كلمة المسلمين بالتعليم والتهذيب وتقربهم من أسباب المدنية الحديثة ليستطيعوا مجاراة الامم الراقية في هذا العصر . ورأى ذلك لا يتأتى الا بتنقية الدين مما اعتوره من الشوائب التي طرأت عليه بتوالي العصور وتغالب الدول واختلاف أغراض أصحابها وأئمتها كما أصاب النصرانية في القرون المتوسطة اذ تمسك الناس بالعرض وتركوا الجوهر واستغرقوا في الاوهام ونبذوا الحقائق . والسبيل الوحيد لمغالبة الاوهام والخرافات انما هو العلم الصحيح على ما بلغ اليه في هذا العهد . وعلم الفقيد رحمه الله ان محور العلوم الاسلامية اليوم مصر ومركز العلم بمصر أوفي العالم الاسلامي كافة الجامع الازهر فرأى انه اذا أصلح الازهر فقد أصلح الاسلام فسعى جهده في ذلك فاعترضه اناس من أهل المراتب يفضلون بقاء القديم على قدمه واستنصروا العامة عليه وغرسوا في أذهانهم ان المفتي ذاهب بالمسلمين الى مهاوي الضلال والبدع . فلم يهمه قولهم لعلمه ان ذلك نصيب أمثاله من قديم الزمان — على انه لم ينجح في اصلاح الازهر الا قليلا ولكنه وضع الاساس ولا بد من رجوع الامة الى تأييد هذه النهضة ولو بعد حين فيكون الفضل له في تأسيسها

على ان الجانب الاعظم من عقلاء المسلمين وخاصتهم يرون رأيه في اصلاح الدين ورجاله . وربما سبقه كثيرون منهم الى الشعور بحاجة الاسلام الى ذلك ولاسيما المتخرجين بالعلوم العصرية من الناشئة المصرية ولكنهم لم يجسروا على التصريح بافكارهم في غير المجتمعات الخصوصية لئلا ينسبهم الناس الى المروق من الدين — فلما جاهر محمد عبده برأيه وافقوه وصاروا من مريديه ونصروه بألسنتهم وأقلامهم . فحاجة الاسلام الى الاصلاح ليس هو أول من انتبه اليها ولكنه أول من جاهر بها كما ان لوثير المصلح المسيحي ليس أول من انتبه لحاجة النصرانية الى

الإصلاح ولكنه أول من جاهد في سبيلها وقد فاز بجهاده لقيام السياسة بنصرته واما مصلح الاسلام فكانت السياسة ضده وانما حمله على تلك المجاهرة حرية ضميره وجسارته الادبية ومنصبه الرفيع في الافتاء

﴿ الاسلام والمدنية ﴾ فلما صرح الشيخ محمد عبده بحاجة الاسلام الى الاصلاح انقسم المسلمون الى فئتين. فئة ترى بقاء القديم على قدمه وهم حزب المحافظين وفئة ترى حل القيود القديمة واطلاق حرية الفكر والرجوع الى الصحيح من قواعد الدين ونبذ ما خالطه من الاعتقادات الدخيلة وكان رحمه الله زعيم هذه الفئة يناضل عن مبادئها بلسانه وقلمه وبكل جارحة من جوارحه . وكانت مساعيه من هذا القبيل ترمي الى غرضين رئيسيين : الأول تنقية الدين الاسلامي من الشوائب التي طرأت عليه والثاني تقريب المسلمين من أهل التمدن الحديث ليستفيدوا من ثمار مدنيته علمياً وصناعيا وتجاريا وسياسيا. فاهل العصبية الاسلامية يرون هذا التقريب مغايرا لما يرجونه من استقلال المسلمين بالجامعة السياسية لان مجاراة أهل التمدن الحديث بأسباب مدنيتهم وتسهيل الاختلاط بهم يضعف عصبية الاسلام على زعمهم ويبعث على تشتت عناصره فيستحيل جمعها في ظل دولة واحدة . ولكن الشيخ المفتي كان يرى ذلك الاجتماع السياسي مستحيلا في هذه الحال فلم يشأ ان يضيع وقته سدى كما أضاعه استاذه وصديقه جمال الدين وان يخسر فائدة تقرب المسلمين من أسباب هذا التمدن فسعى في ذلك بما نشره من فتاويه المتعلقة بالربا والموقوذة ولبس القبعة ونحو ذلك مما يقرب المسلمين من الامم الأخرى ويسهل أسباب التجارة

﴿ تنقية الدين ﴾ واما تنقية الدين الاسلامي من الشوائب الطارئة عليه فأساس سعيه فيها انه أطلق لفكره الحرية في تفسير القرآن ولم يتقيد بما قاله القدماء أو وضعوه من القواعد التي يحرم الائمة تبديل شيء منها . فرأى ان يحل نفسه من هذه القيود ويفسر القرآن على ما يوافق روح هذا العصر فيجعل أقواله وآراءه فيه موافقة لقواعد العلم الصحيح المبني على المشاهدة والاختبار ولنواميس العمران على ما بلغ اليه هذا العلم الى الآن مع مطابقته لاحكام العقل وأصول الدين كما فعل

النصارى في تفسير الكتاب المقدس بعد ثبوت مذاهب العلم الجديدة . وهو أوعر مسلكا في الاسلام لارتباط الدين بالسياسة فيه . والقرآن أساس الدين والدنيا عندهم فيعلقون على تفسيره أهمية كبرى لانه مرجع الفقه وغيره من الاحكام الشرعية والسياسية ولذلك رأى أهل السنة تقييده باقوال الأئمة الاربعة وخالفهم الشيعة باستبقاء باب الاجتهاد مفتوحاً فلايرون بأساً في العدول عن تفسير الى آخر بشروط يشترطونها في مفسريهم وهم يعرفون عندهم بالأئمة المجتهدين .

﴿ التفسير ﴾ وقد توالى على تفسير القرآن أحوال تختلف باختلاف العصور من أول الاسلام الى الآن ترجع الى أربعة أعصر — الأول العصر الشفاهي وهو ينحصر في أيام النبي وأصحابه فقد كانوا عند ظهور الدعوة كلما تليت عليهم سورة أو آية فهموها وأدركوا معانيها بمفرداتها وتراكيبها لانها بلسانهم وعلى أساليب بلاغتهم ولأن أكثرها قيلت في أحوال كانت القرائن تسهل فهمها واذا أشكل عليهم شيء منها سألوا النبي فيفسره لهم . وكان التفسير مختصرا بسيطاً لسذاجة الدولة الاسلامية يومئذ

ثانيا العصر التقليدي : ونريد به عصر التابعين أو حواليه وكانت الدولة الاسلامية قد أخذت في النمو والارتقاء فاحتاجوا الى التوسع في التفسير وكان أكثرهم أميين فاذا أعجزهم تفسير بعض الآيات سألوا عنها من أسلم من أهل الكتاب ولاسيما اليهود المقيمين في اليمن وكانوا قد أسلموا وظلوا على ما كان عندهم من التقاليد المتناقلة شفاهاً وكتابة مما لا تعلق له بالاحكام الشرعية

ثالثاً العصر الفلسفي المنطقي : ونريد به تدوين التفسير وضبطه بالقياس الفلسفي والحكم المنطقي بعد ان اختلط المسلمون باهل العلم القديم في الشام والعراق وفارس واطلعوا على علوم القدماء وفلسفة اليونان والهند ونقلوا ذلك الى لسانهم واستخرجوا علم منه الكلام . وكان العرب قد وضعوا العلوم اللسانية وضبطوا معاني الالفاظ وأساليب التعبير فنظروا في التفاسير السابقة نظر الناقد ومحصوها بالقياس العقلي بالاعتماد على قواعد المنطق بما تقتضيه الفلسفة اليونانية القديمة على نحو ما فعله لاهوتيو النصارى قبل ذلك

رابعاً العصر العلمي : الذى نحن فيه وهو عصر الفلسفة الجديدة المبنية على العلم الطبيعي الثابت بالمشاهدة والاختبار ويمتاز عن العصر السابق باطلاق حرية الفكر من قيود التقليد القديمة التي غلت ألسنة أسلافنا وأقلامهم وأوقفت مجاري التمدن أجيالاً متطاولة . فالشيخ المفتي رحمه الله أراد ان ينقل التفسير الى روح هذا العصر فيفسر القرآن بما يطابق أحكام العقل ويحل الاسلام من قيود التقليد . فسار في هذا الطريق شوطاً بعيداً فالقى على طلبة الازهر خطباً كثيرة في التفسير نشرت في مجلة المنار وطبع بعضها على حدة وكان لها تأثير حسن في نفوس العقلاء ولو مد الله في أجله لأتم هذا العمل ولكنه قضي آسفاً خائفاً ولسان حاله يردد هذين البيتين — وقد قيل انهما من قصيدة نظمها في أثناء مرضه وهما:

ولست أبالي ان يقال محمدٌ أبلَّ أو اكتظَّت عليه المآتمُ
ولكن ديناً قد أردت صلاحهُ أحاذر ان تقضي عليه العمائمُ

على أنهُ خلف جماعة من تلامذته ومريديه أكثرهم من أهل العلم وأرباب الاقلام وفيهم نخبة كتاب المسلمين وشعرائهم فى هذا العصر. وأكثرهم مجاهرة بنصرته واذاعة لآرائه رصيفنا السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي

فالشيخ محمد عبده زعيم نهضة اصلاحية لاخوف منها على الدماء أو الارواح وأكثر نهضات الامم في سبيل اصلاحها لاتخلو من اهراق الدماء— فهو رجل عظيم يجدر بالمسلمين ان يبكوه وان يقتفوا آثاره فى التوفيق بين الاسلام والمدينة الحاضرة وتنقيته مما ألمَّ به بتوالي الازمان وذلك ميسور لمن اطلق فكره من قيود التقليد واسترشد بما يهديه اليه العقل الصحيح بالاسناد الى العلم . على اننا نرجو ان لاتعدم هذه النهضة من يخلف الامام الفقيد فى الانتصار لها والعمل بها والله على كل شيء قدير

٤

اقوال الجرائد العربية

في تونس

قالت جريدة الحاضرة الغراء التي يصدرها في مدينة تونس صاحبها السيد علي بوشوشه وبلغنا ان التأبين بقلم الكاتب المفضال سيدي محمد بن الخوجه الشهير مؤلف الرزنامة التونسية

مات ولم يمت

نعت أخبار الاسكندرية وفاة الامام مفتي الاسلام وعلامة الانام نادرة الدهر الاستاذ الكبير والنقادة الشهير نسيج وحده مولانا الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية رحمه الله . كنا على وجل الاشفاق من أخبار صحته التي أخذت في الانحطاط من نحو أربعة أشهر فارطة واضطرته للانتقال من القاهرة للاسكندرية بنية السفر لتغيير الهواء خارج القطر المصري فكنا نستطلع أحواله آنا فآنا ونجدد معه عهود المودة الوثيقة ونستمد من أنوار علومه على بعد الدار فكان الرشيد المرشد لمن قرب أو نأى وآخر العهد به ورود مكتوب منه على أحد أصحابنا ممن لهم معه علقة علمية ورابطة وداد

سمعنا منه انه ولد رحمه الله في حجة ١٢٦٦ وذلك بمحلة نصر من أعمال البحيرة . ودخل الازهر الشريف لتلقي العلوم متبعا للمذهب المالكي الزكي فأخذ العلم عن اكابر الشيوخ مثل شيخ الاسلام عليش وكان يعده أنبغ تلامذته ومثل الاستاذ الشيخ حسن الطويل انبغ أهل عصره والشيخ البسيوني اللذين كانا يشهدان له بسرعة البديهة وتوقد الخاطر وظل فقيد الاسلام يتفقه ويتعلم بالازهر الى ان وفد على القاهرة أواخر سنة ١٢٨٦ المرحوم فيلسوف الاسلام السيد جمال الدين الافغاني وانتصب للتدريس بالازهر (١) فلازمه الفقيد ملازمة الظل وكان يقول له

---

(١) الصواب خارج الازهر

(ان الذكاء يتوقد في عينيك والشهرة مرسومة في جبينك) وهو الذي كمل ترقية مواهبه الفطرية ولما تخرج عليه في علوم المعقول أخـذت النهضة الادبية العصرية بمصر في الظهور أواخر دولة اسماعيل باشا وكان الوزير الخطير المصلح رياض باشا من أعظم المساعدين لذلك فعين الفقيد مدرسا للعربية بمدرسة الالسن فجمع بينها وبين التدريس العلمي بالجامع الازهر لكن تلك النهضة لم ترق في عين الخديوي الجبار فعزل رياض باشا من الوزارة وأبعد السيد جمال الدين عن مصر وحكم برجوع الفقيد الى مسقط رأسه فمكث بمحلته الى ان عاد رياض باشا للوزارة على عهد الخديوي توفيق باشا وكانت فاتحة وزارته تعيين الشيخ محمد عبده محررا للوقائع المصرية التي هي الجريدة الرسمية بمصر ومن ذلك العهد أي من سـنة ١٢٩٧ أخذ أمره في الاشتهار ،وفضله في الانتشار ، فانشأ بالوقائع المصرية قسمها الادبي الذي كان له في ذلك العهد ذكر ينقل وحـديث يسمع بين حملة الاقلام فكان أبلغ البلغاء اذا كتب،وأفصح الفصحاء اذا خطب،وكان أقوى العلماء والادباء بيانا،وأجودهم بالحكمة لسانا،وأوسعهم في معاريض الكلام باعا ، وأوفرهم في مفاهيم العلوم اطلاعا، وأبعدهم مرمى ،وأسدهم سهما ، وكان عظيم الهمة كبير النفس يغالب كرات الزمان بثبات عز عن النظير ويستصغر الكبائر ويستسهل المصاعب ويستهين بكل شيء اعترضه في مسيره ومما يؤثر عنه في هذا المعنى قوله « انني لا أخشى شيئا سوى الموت لانه يقطع علي خط السير » وبالجملة فان الشيخ محمد عبده كان رجلا « والرجال قليل»

عند ظهور الحوادث العرابية بمصر اثناء سنة ١٢٩٩ كان للفقيد يد عاملة في حركة الافكار بما كان ينشره بالجرائد والمجلات وكان يومئذ رحمه الله رئيسا على عموم المطبوعات فعلت منزلته حتى قيل ان العرابيين كانوا لا يبرمون أمرا دون استشارته ولدينا في الحوادث العرابية رسالة من انشائه كنا أخذناها منه عند زيارته الاولى لتونس لكن نعلم علم اليقين ان المرحوم كان ينكر كثيرا من أعمال العرابيين ولما احتل الانكليز وادي النيل قبضوا على الفقيد في جملة الرؤساء المقبوض عليهم وأودعوه السجن الى أن حوكم في ذي القعدة ١٢٩٩ وكان وكيله المستر برودلي

المحامي المشهور الذي كان له ذكر بتونس على أول الاحتلال الفرنسوي فقضي عليه بالابعاد مدة ثلاث سنوات مع منعه عن الرجوع لمصر بدون اذن حكومتها ومما نقموه عليه يومئذ ما قيل من انه أفتى بخلع الخديوي توفيق باشا

بعد الحكم عليه استوطن الفقيد ديار الشام حيث انتصب للتدريس بين الناس فالتف حوله أهل الافكار السامية وأخـذ عنه خلق كثير وانتفعوا بعلمه وأجلوا مقامه ثم في حدود سنة ١٣٠٣ التحق بالسيد جمال الدين الافغاني نزيل باريس وأصدرا هنالك جريدة العروة الوثقى المشهورة التي لم يزل صـداها باسماع كتاب العالم الاسلامي قاطبة وفي تلك الاثناء تعلم وأتقن اللسان الفرنسوي

وفي سنة ١٣٠٥ عفا عنه الخديوي توفيق باشا ورخص له بالرجوع لوطنـه وما استقر بمصر حتى سمته دولته قاضيا بمحكمة بنها ومنها انتقل لمحكمة الزقازيق فمحكمة مصر القاهرة

وفي سنة ١٣٠٨ تعين مستشارا بمجلس الاستئناف و بعد سبع سنوات ارتقى لخطة مفتي الديار المصرية المنحلة عن الاستاذ العلامة الشيخ حسونه النواوي وظل متربعا على منصتها العالية الى أن ادركته المنون

هذا وللشيخ محمد عبـده آثار علمية مذكورة، وفضائل مأثورة، منها ما وقفنا عليه كتفسيره للقرآن الشريف ورسائله العديدة في تطبيق العلم على الدين وردوده على الدهريين ورده على الوزير هانوتو الذي تهجم على الاسلام وتآليف أخرى تفوت الحصر ربما نأتي على ذكرها في فرصة أخرى. ومن حسناته مساعدته لمجلة المنار التي لم ينسج الناسجون على مثلها في الازمان الغابرة والحاضرة وكان الفقيد رحمه الله عليما بدرجته و بمقدار خدمته للاسلام فكان يردد على فراش موته عبارات الاسف عن عدم بلوغه نهاية المشروع السامي الذي اختطه لنفسه في خدمة وإصلاح الأمة الاسـلامية وقد نظم في المعـنى قصيدة قبيل وفاته ننقل منها الابيات الآتية

﴿ثم بعد ان ذكرت الابيات قالت﴾

ويقال إن من آخر كلماته أيام مرضه قوله « مادخلت السياسة في شيء الا

أفسدته » وكأنه اشار رحمه الله بذلك لحادثته الاخيرة مع سمو خديوي مصر

حل به الاجل المحتوم وهو على عقيدة حب الخير للاسلام والمسلمين فهو الفقيد الذي يرثيه العلم ، وتبكيه الشورى، وتتوجع عليه الفتوى، وتندبه جمعيات البر، ويتحسر عليه الازهر، وفى الحقيقة ان اسمه لم يمت وانما الميت هو شبحه الذي مات بموته خلق كثير فقد كان نعمه الله اشفق أب لليتامى، وأحن أخ للبؤساء والمساكين وكم من يد كانت تمد له في ظلام الليل فيواسيها بالمعونة والاحسان والله شهيد عليم

عند ما أسلم الفقيد عزيز الروح لرب القلم واللوح طير البرق خبر وفاته لسائر الجهات فكان لمنعاه أسوء وقع في النفوس وتقطبت الوجوه وانقبضت النفوس واندملت الافئدة لان الموت انما اغتال اماما مرشدا ،وعالما جليلا،واستاذا حكيما، وحبرا شهيرا ،ملأ ذكره الخافقين واصدر فخامة قائمقام الخديوي أوامره بأن تتولى الدولة القيام بشئون الجنازة والاحتفال رسميا بها إشعارا بما للفقيد من الجلال والعلم والفضل فاجريت على جثته المكرمة الاعمال السنية ثم ادرج في شال كشمير وحمل على نعشه من الدار التي مات بها بالاسكندرية صبيحة غد وفاته وسار موكب الجنازة في انتظام عجيب يتقدمه فخامة القائمقام خديوي ويتبعه أهل الحل والعقد ورجال العلم ونواب الدول ورؤساء الملل وطلبة العلم وعامة الناس في عد الالوف وقصدوا به محطة السكة الحديد لنقله للقاهرة على قطار مخصوص فوصلها بين مظاهر الحزن العمومي من كافة السكان ولدى وصول القطار انتظم موكب الجنازة الرسمية فكانت عساكر البوليس ركوبا وفرسانا ورجال خفر السواحل والألوف من تلامذة المدارس يمشون حول نعشه ووراءه من خاصة الناس وعامتهم ألوف تلو ألوف ومهما مر موكب الجنازة بسوق أو شارع الا أقفلت أبوابه اشعارا بالحداد ولما بلغت الجنازة للازهر للصلاة عليه اذن المؤذنون من منائر مصر دفعة واحدة تبريرا لروحه فزاد الخشوع وزادت العبرة وما بقيت عين لم تمطر دمعا هطيلا لتلك العظة الكبرى بموت فخر رجال العلم والاسلام ثم سير من هنالك لقرافة المجاورين حيث واروه مبكيا من الجميع

ترك الفقيد ثروة متوسطة بالنسبة لسراة مصر ومات عن دون عقب ذكر

وله من البنات الإناث أربع ومن الاخوة الذكور ثلاثة أشهرهم حضرة حموده عبده المحامي بمحاكم مصر واعتنى فى قائم حياته بتعمير محلة تسمى عين شمس أصبحت بفضل كده وعمله من أعمر جهات النزهة حول القاهرة نسأل الله ان يعزي الاسلام بمصابه العزاء الجميل وان يفرغ على جدثه وابلا من الرحمات، ويسكنه بفضله أعالي الجنات، انه سميع النداء، مجيب الدعاء،

وقالت جريدة الصواب الغراء التي يصدرها في تونس سيدي محمد الجعايبي ع ٦١ منها الصادر في ٢٥ جمادى الاولى مانصه

فاجعة الاسلام في الاستاذ الامام

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

اجل انه لبنيان شديد أقيم لدين الاسلام زمانا ثم هوى والحاجة اليه جديدة، والنفوس الحية ليست فى صدر عليه بشديدة، هوى هذا العلم فتقطعت قلوب المسلمين من نبأهويه، وسبر العقلاء خلفه فما ظفروا بقريعه أودنيه، فأي رزء أصاب الاسلام، وأي شرف فقده عامة الانام، كان ملجأ عند المشكلات، ومظهرا للآيات الباهرات، فكم مجدأ بان للاسلام من عيون العلماء الغربيين، وكم سمعة نالها منه والدين المبين، أما انه قدرد عليهم مطاعنهم والناس ساكتون، أما انه قد أجلى روح الدين ترفرف على عالم الحكمة والناس عن علمها لاهون، أما انه قام بالعظيم حين فشلوا، ومضى فيه زمان وقفوا، وكان أرفع الناس صوتا، واعلاهم فوتا، ناهيك من قدوة في البلاغة والبيان، ومثال في العمل والعرفان، فقد كان اماما ناصحا، وعاملا كادحا، وسيفا قاطعا، وركنا آويا دافعا، وخطيبا قوي الحجة، واضح المحجة، يثبت في الخطابة ثبوت الجبل لاتحركه القواصف، ولا تزيله العواصف، فطار بعنانها، واستبد ببرهانها رهانها، ولولا ان الناس قد اعتادوا المبالغات، في تأبين الاموات، لكان تأبيننا الاستاذ الامام، لا يشبهه تأبين أحد ممن رماهم سهم الحمام، بعد الانبياء (عليهم السلام) ولكنا ربما نرى

فيه ماقد سمعناه من قبل فليعلم القارئ ان هـذا دون الوفاء بالحق ،والآخر فوق المبالغة والصدق

نشأته ـ ولد رحمه في ذي الحجة سنة ١٢٦٦ هجرية بقرية من قرى مديرية الغربية من القطر المصري وأصله من قرية « محلة نصر » من مديرية البحيرة وفيها تربى ولم يدخل المكتب لتعلم القراءة والكتابة الا بعد العاشرة من سنه . فأتم حفظ القرآن في سنتين ثم جوده في طنطا سنة ١٢٧٩ ثم في سنة ١٢٨١ جلس في دروس العلم بالمسجد الاحمدي الذي هو ثاني الجامع الازهر فشرع يتلقى شرح الكفراوي على الاجرومية على الطريقة الازهرية فقضي مدة طويلة لم يفهم شيئا لان المدرسين كانوا يفاجئون الطلاب باصطلاحات لا يفهمونها و يكلفونهم بحفظ لاعراب من أول الامر غير معتنيين بتفهيمهم المعاني ولا بالتدريج الطبيعي للتلامذة فادرك الاستاذ اليأس من النجاح وهرب من الدروس فرجع الى « محلة نصر » وتزوج هنالك سنة ١٢٨٨ ثم الزمه والده بعد ايام بالذهاب الى طنطا لطلب العلم ولكنه أظهر الامتثال فركب وانما عرج على بلدة « كنيسة اورين » حيث يسكن خؤولة أبيه فصادف أحدهم المعروف (بالشيخ درويش) على جانب من العلم والتقى اذ قد كان ذهب الى طربلس الغرب وجلس الى السيد محمد المدني والد الشيخ ظافر المشهور وأخذ عنه شيئا من العلم والطريقة الشاذلية وكان يحفظ الموطأ و بعض كتب الحديث ويجيد فهم مايحفظ فهو الذي جذبه من حال الرحال بملاطفته وأخلاقه الصوفية لكن من التغلب على اعراض الاستاذ عن العلم حتى كان من عاقبة أمره ان ترك كل شغل وصار أحب الاشياء اليه المطالعة والفهم وكانت بعض الرسائل التي يقرؤها مع شيخه درويش تشتمل على معارف الصوفية وكثير من كلامهم في أدب النفس وترويضها على مكارم الاخلاق وتزهيدها في الباطل من مظاهر هاته الحياة . كان هذا طورا جديدا للفقيد وهي اللذة الاولى التي وقعت في نفسه من حب الاصلاح اذ كان سخط على شيء لدناءته ثم رضي بعد عليه لما رأى من حسنه فعلم ان الاصلاح اذا انتاب الفاسد حببه الى النفوس كان هذا الشيخ درويش بعود الاستاذ الفقيد على نقض الحال التي ركبها المسلمون

من ضعف الدين والتساهل في المعاصي و يشرح له تدجيـل بعض القارين وهو الذي جعل له وردا نصف حزب من القرآن يقروه عقب كل صـلاة مع الفهم والتدبر وشجعه على ذاك بأنه يكفيه ان يفهم الجملة و ببركة القرآن يفاض عليـه التفصيل ثم رجع الى طنطا بعد أيام لاخذ العلوم ثم الى الازهر في شوال سنة ١٨٨٢ فكان يتلقى دروسه مع العزلة عن الناس وكان الشيخ درو يش يحرضه على العلم والفنون التي لا تقرأ في الازهر نحو الحساب والهندسة والمنطق و يقول له ان طالب العلم لا يعجز عن تحصيله في أي مكان فأخذ عن شيوخ كان كلهم يشهد له بتوقد الذهن وصفاء القريحة وان تنكر عليه بعد منهم من تنكر لوشايات شيطانية وغايات شخصية

ولما كانت سنة ١٢٨٤ وفد الفيلسوف الشهير داعي النهضة الاسلامية السيد جمال الدين الافغاني الى مصر فلقيه الفقيد في محرم سنة ١٢٨٧ وأخذ يتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والفلسفيه والكلاميه و يدعو الناس الى الأخـذ عنه معه فكثرت الاقاويل على السـيد وتلامذته زعما ان تلقي تلك العلوم قد يفضي الى زعزعة العقائد الصحيحة ولكنه لم يصغ الى هراء المغرورين بل دام مع السـيد على مباديه الصحيحة فلما كانت شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٩٤ عرض الفقيد نفسه على مجلس الامتحان فلقي بلاء شديدا من التعصب كانت نهايته ان أنصفه شيخ الازهر الشيخ العباسي المهدي الشهير وحلف أنه لم ير مثله ولقي شيخ الازهر خصاما شديدا لكن دمغ الحق الباطل

وفي اواخر سنة ١٢٩٥ عين مدرسا للتاريخ في مدرسـة دار العلوم وللعلوم العربية في مدرسة الالسن مع تدريس الازهر فسلك في تدريس التاريخ مسلكا لم يكن معهودا في مصر اذ مزجه بعلم الاجتماع والعمران و يومئذ ابتدأت حياته الاصلاحية التي سنلم بها بعد

في رجب سنة ١٢٩٦ خلع الخديوي اسماعيل باشا وكان خلعه في الحقيقة بما نشر من الطعن على سـيرته المالية في الجرائد فكان من وراء حركة الاقلام حركة عامة خلعت اسماعيل فتولى محمد توفيق وكان الفقيد والسيد جمال الدين

من شيعته وحزبه الا ان الوشاة غلبوهما عليه فقلبوا ما كان من ميله اليهما بغضا اذ كانوا يوحون اليه ان هذين الرجلين يبثان في نفوس التلامذة رغبتهم روح الميل الى الحرية والحكومة النيابية فصدر في رمضان من هاته السنة أمر الخديوي بنفي السيد جمال الدين فذهب الى الهند و بعزل الاستاذ محمد عبده من وظيفة التدريس في مدارس الحكومة وان يبعد عن العواصم المصرية و يلزم بلده فاختار المقام بسوريا(١) وهناك عين أستاذا في المدرسة السلطانية ففتح سنة ١٣٠٢٠ (كذا) اذهانا وانتج رجالا في تلك النواحي وبعد انقضاء مدة الحكم سافر الى باريز ومر على تونس وهي سياحته الاولى بها وذلك سنة ١٣٠٢ حيث اجتمع بالسيد جمال الدين الافغاني فانشأ جريدة العروة الوثقى التي كان السيد جمال الدين مدير سياستها وفضيلة الفقيد محررها وفي سنة ١٣٠٥ عفا عنه توفيق باشا الخديوي فرجع الى مصر ثم عين قاضيا بمحكمة « بنها » ثم بمحكمة « الزقازيق » فمحكمة مصر وفي سنة ١٣٠٨ عين مستشارا في الاستئناف وفي سنة ١٣١٧ تولى خطة مفتي الديار المصرية وظل فيها حتى مات فتركها

اصلاحه وأهم أعماله — أصل حياته هاته الشيخ درويش الذي ربى نفسه ووجهها لتربية الناس ثم السيد جمال الدين الذي فتح امامه المنافذ والكوى واشرع له الطرق والمناهج وأصل الاصيل مواهبه الساميه التي فطره الله عليها وهيأه بسببها لجلائل الاعمال وكان من مبدأ أمره مهرعا في دروسه للخلق اذ الناس يجدون في كلامه روحا لم يعرفوه، وتطبيقا على حالهم لم يألفوه، ولولا ما كان من ثورة الشيخ عليش وعصابته لحدة كانت في طبعه لامكنه تغيير أسلوب التعليم في الازهر بسرعة اذ كان يجد في جماعة من مدرسيه موافقة على مبادئه ولكن السلطة العلمية بالازهر أمكنها ان تهزم عزائم كثير ممن كانوا يشايعون الشيخ الفقيد وان توقفه مدة من الزمن لا يقري فيها الكتب التي لم يعتادوا اقراءها ولا يجهر بالمسائل

(١) لعله سقط من الكلام شيء وذلك ان الفقيد اختار الاستخفاء في ضواحي القاهرة نهارا مدة ثم رضي عنه الخديو وعين رئيسا للمطبوعات وتحرير الجريدة الرسمية الى ان حدثت الثورة العرابية التي نفي بعدها فسار الى سوريا

التي لم يألفوا سماعها فسموها مسائل اعتزالية

يلزم الرجل المصلح طلاقه اللسان و بلاغة الكتابة ولم يكن في الأزهر تعليم للخطابة والكتابة فلما جاء السيد جمال الدين والتف حوله من التلامذة من عرف مقداره وكان الاستاذ الفقيد واسطتهم عنى السيد بتكميل نقص البلاغة في تلامذته فحملهم على التحرير على طريقة سنها لهم من حسن الاسلوب فبرع كثير ممن كان يختلف اليه وصاحب الترجمة غرتهم فكانت هاته الحركة العلمية فاتحة أصلاح اللغة العربية وكانت صحبة السيد جمال الدين قد أفادت الاستاذ المأسوف عليه حرية في الفكر واستقلالا فى الارادة و بصيرة بأمراض المسلمين وغيرة دافعة الى السعي في علاجها بقدر الطاقة وجراءة في القول والعمل وأعانه على تحقيق هاته المبادي الاجماعية سلامة فطرته وتكافوء قواه العاملة من الفكر والارادة والقول والفعل وكان ابتداء عمله في الاصلاح ان عين سنة ١٢٩٧ رئيس المحررين للجريدة الرسمية المصرية « الوقائع المصرية » فاختار لها محررين من خواصه الذين ظهرت آثار أقلامهم في تلك النشاة الجديدة كالشيخ عبد الكريم سلمان الذي كان يوم موت الاستاذ كأكبر أقاربه وأحبهم اليه وهو اليوم عضو في المحكمة الشرعيه العليا وكالسيد سعد زغلول مستشار محكمة الاستئناف الاهلية وكالسيد محمد وفا رحمه الله ثم وضع قانونا لقلم المطبوعات أعطى به ذلك القلم حق المراقبة على جميع مصالح الحكومة ووجه همته الى اصلاح أساليب التحرير في جميع دوائر الحكومة وقد عنى أيضا باصلاح الاساليب العربية في الجرائد التي كانت تنشر في القطر المصري لذلك العهد فلم يكن يسمح للجرائد ان تنشر شيئا بعبارات سخيفة حتى الزم محررا مشهورا بان يترك تحرير جريدته أو يأتي بمحرر جيد العبارة وحدد له أجلا فتم ما أراد

ومن أجل أعماله التي يخلدها له التاريخ ان كان أقوى المؤسسين للجمعية الخيرية الاسلاميه وهو الذي انتشلها من مهاوي السقوط غير مرة بفضل حزمه واعانته وعزمه وارادته ومنها تقاريره الطويلة أين كانت قيدا للعمل في اصلاح المحاكم الشرعيه بمصر وسعيه في اصلاح التعليم بالازهر وهي المسألة التي كان الاستاذ فيها يلاقي المرار من تعاصي كبراء الازهر المحبين بقاءهم على قديمهم ولولا

اعتلاقهم من الحكومة بسبب ما كانوا ليقتدروا على رد عزائم الشيخ ولكنه مع ذلك كله صارعهم سنين منذ سمي عضوا في مجلس ادارة الازهر حتى ساعة تسليمه في هاته الواقعة التي علمها قراء بريد الشرق قبل وفاة الاستاذ بأشهر قليلة وقد كان سعى لدى سمو الخديوي في تخصيص مبلغ ٣٠٠٠ جنيه من الاوقاف للازهر وتخصيص ٢٠٠٠ من خزينة الحكومة وكانت تنفق فى تنشيط المعلمين والمتعلمين ووضع قوانين لذلك تمنع المحاباة واستئثار القديمين وجعل لطابة الامتحان جوائز مالية ظهرت آثارها الحسنة أيام جريانها فلما سعى من سعى في ابطال ذلك لاغراض الله أعلم بها ظهر الضعف في الطالب والمطلوب وكان أكثر شيوخ الأزهر متابعين لتعاليمه ومن أجل ذلك تكرر عزل شيوخ الازهر في السنين الاخيرة ارتيادا لشيخ يقاوم أعمال الاستاذ فلما أيئس الاستاذ من اصلاحهم وعلم ان يدا قوية من وراء الستار تحرك لعبهم بادر الى الاستقالة من هاتيك العضوية وحسبك من مقاوتهم له ان كتب كاتب من شيوخ الازهر ان تعلم الحساب بالطريقة العملية يفسد العقل ويصد عن الدين! وان امتحان طلبة العلم من أعظم عوائق التحصيل!

ومنها ملازمته في سائر تعاليمه نحل الحقيقة وتمحيصها وابطاله لسائر الاوهام والعوائد السخيفة بالقول والفعل وربما كان هذا مبدأ معاداة أهل الاوهام والتدجيلات لتعاليمه

وخلاصة القول ان مواهب الاستاذ الذى رزئنا بفقده قد ناءت بعقول المثقفين حوله لقصور أو تقصير فأضاعوه وأي فتى أضاعوا، وقد أصبحوا اليوم من النادمين على ان عصوا أمره وما أطاعوا

وينقل عنه انه كان يأمل أن مباديه ودعوته تسمع بعد موته أحسن مما تسمع في حياته ولكنه كان مشفقا ان يحول حلول الاجل دون اتمام تعاليمه ومقاصده ولا سيما تفسير القرآن الذي أتم غالبه وكان عازماً على تمامه في هاته العطلة والعجلة بطيئة(١) وقد نظم أبياتا وهو على مضجع الاسقام في الاسكندرية وهي هذه:

(١) هذا وهم كما علم من الجزء الاول

(وذكرهنا الابيات السابقة ثم قال)

وآخر القول انه قد انقطع بموته من صفات الرجال العظام مايوجب الاسف الشديد على كل نفس حية مهما تذكرته وسيبقى ذلك منقطعا الى زمان لا نعرف مبدأه ولكننا نعرف انه بعيد زمنا فانه رحمه الله من نوادر الدهر الذين لا يسمح بهم الا فى ابتساماته النادرة وهو المصلح الوحيد ونصير الاسلام في آخر القرن الماضي وهذا القرن ومتى كان موته كذلك فهو حياة له لا تزول أبدا مادام الناس يقرؤون ويعلمون فليس هو من الناس الذين يعيشون على الارض يذكرهم من يراهم فان غابوا عنه ينساهم ويضرب موتهم سد النسيان الابدي لهم فلا تسمع ذكرهم ومن علم كنه الاستاذ وعلم انه لم يترك الآن مثله في اصابة الرأي و بلاغة الخطابة وقوة الحجة ومضاء القريحة على قران القول بالعمل ثم يجد في خطبه العظيم موضع نعزعنه عاوده الجزع مهما ذكر الدين والاصلاح فانا لله وانا اليه راجعون فانا لله وانا اليه راجعون فانا لله وانا اليه راجعون . ولو أبقى الأسف من نفوسنا بقية لاسهبنا الكلام ثم رجعنا بالعجز والتيئام فان حياة الاستاذ كلها عجائب، ومقداره أعظم من أن يعرب به لسان منطيق أو قلم كاتب، فصبرا اللهم على مصيبة المصائب

تآليفه -- التفسير العظيم المعهود لأهل العلم قد بلغ فيه مبلغا عظيما وكان يأمل اتمامه في هذا المصيف وطبعه ولكن . . . .

رسالة التوحيد معروفة ببلاغتها وسلوكها الى النفس مسلكا لطيفا حتى لقد قال بعض علماء النصرانية حين قرأها «ان كان هذا اعتقاد المسلمين فأنا أولهم»

الرد على هانوتو وزير خارجية فرنسا السابق . الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية . تقرير في اصلاح المحاكم الشرعية

ولاشك ان للاستاذ آثارا عجيبة ونحار يرحرة ربما كانت ظروف الاحوال تقتضي اخفاءها الى وقتها فنحن نرجو من تلامذته وسائر المنتسبين اليه ان يكونوا يدا واحدة في البدار بنشر تحاريره وآرائه لنعتاض بها عن بعض أيام وجوده وليكون له بها لسان صدق في الآخرين ونعما لو يجمعلون اكتتابا في طبع آثاره يشترك فيه أهل العلم الحقيقي من سائر طبقات المسلمين ويكون الله لهم خير الشاكرين

٥

أقوال الجرائد العربية في أمريكا

قالت جريدة مرآة الغرب الغراء في عدد ٥٩٥ في ٤ آب سنة ١٩٠٥
الصادرة في نيويورك لصاحبها نجيب أفندي موسى دياب السوري

مات الشيخ محمد عبده

رجل مات والرجال قليل

كان اليوم الحادي عشر من الشهر الفائت يوماً انقضّ فيه رسول المنية على عميد الاسلام ومصباحهم المنير، العلامة النحرير، والاستاذ الحكيم الكبير، المغفور له الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فانتزع من صدره روحا شريفة ونفساً عالية ترددت في جسم هو مثال التقى والحزم والعلم والصبر على مكاره الأمور . فياله مصاباً تدكدكت لهوله جنبات القطرين المصري والسوري وتضعضع فيهما الشدة وقمه ركن من أركان النهضة الجديدة النامية . فالخطب جسيم، والمصاب عظيم عميم ، وان يكن الفقيد واحدا بالظاهر الا ان أماني كثيرين قد ضاعت بضياعه وفقدت بفقده

كان رحمه الله شديد التمسك بلباب دينه قوي المارضة في تفسير آيات الكتاب العزيز مجتهداً في ذلك بتطبيق الحقائق العلمية على الاصول الدينية من غير تزييف أو محيد عن جادة الحق لغرض في النفس أو غاية يسعى في الوصول اليها ارضاء لمآرب المتعصبين من أمته بل كانت الحقيقة دأبه يجتهد في ابرازها بعامل البحث المنزه عن كل مايشين وله عدا ذلك من المآثر التي لو أردنا سردها واحدة فواحدة اضاق نطاق الجريدة عن استيعابها . فكم له في دور القضاء من آيات باهرات ازال بها برقع الشك عن محيا اليقين ، وجلى بواسطتها الحق في نور مبين ، وكم له في الجمعية الخيرية الاسلامية من أيد مشكورة وعمل مبرور، يلحقه جزاؤه الى يوم النشور، وكم دفع في وجه الاستبداد. وسلك مناهج الحق

والرشاد ، ودلّ على جوادّ الهدى والسداد ، وكم له في قلوب المعوزين من أثر محمد، ويذكر بالشكر ويردد ، ولسنا الآن في مقام المؤرخين المدققين لنبين صنائعه وفضائله التي تكاد لاتقع تحت حصر ولايحويها عدد لتفاني المغفور له في وجوه الخير العديدة وحسبه ما أوتيه من البيان والمقدرة اللسانية على مايرقي الدين الاسلامي وينقيه من الشوائب التي تحط من قدره في عيني الباحثين المنتقدين . هذه صفحات مجلة المنار الاسلامية مرصعة بدرر حكمه وجواهر أقواله تشهد له بفصاحة لسانه وقوة جنانه وجزيل إحسانه

ولد المرحوم عام ١٨٤٥ فحاول في صبوته ان يحترف الفلاحة اسوةً باخوته لكن أباه الذي كان قاطناً في احدى قرى مديرية البحيرة من القطر المصري قد أرغمه على التعلم وأدخله قسراً الى الكتاتيب الصغيرة ثم جاء به الى الجامع الازهر (١) وهناك قضى المرحوم زمناً لم يستفد شيئا وذلك لاسباب منها عدم انتظام طريقة التعليم وسوء التلقين وفساد طريقة الالقاء يومئذ . على انه لم يلبث ان عاد الى رشده فأكب على درس العلوم العصرية واقتباسها من المرحوم جمال الدين الافغاني بما فطر عليه من الذكاء والفطنة . ولم يمض كبير زمن حتى حصل حظاً وافرا من العلم فجعل يتقلب في وظائف متعددة ناله في اثنائها من المصائب ماينال غيره من ذوي المقدرة ولاعجب فان « أفاضل الناس اغراض لذا الزمن » ولما زار الشام لقي فيها من حسن الوفادة ما يلقاه كل كبير خطير . فالرزء اذن في القطر السوري ليس بأقل أهمية منه في القطر المصري . ومازال يتدرّج في المراتب العالية والمناصب السامية حتى عين مفتياً للديار المصرية . ثم قصد في أواخر حياته بلاد السودان فأصابه من رداءة الطقس هناك مرض في الكبد أقعده في الفراش مدة طويلة كان يتراوح في اثنائها بين الابلال واشتداد وطأة المرض حتى أشار عليه الاطباء بالسفر الى أوربا ليستشفي من دائه فعوّل على السفر ولما وصل الى الاسكندرية عاقه المرض عن متابعة السير فنصح له الاطباء بالاقامة فيها لئلا يتعجل منيته بيده فأقام فيها على فراش المرض على ما ذكرناه في المرآة الا ان داءه تغلب هناك على

(١) الصواب الجامع الاحمدي التابع للأزهر

طب الاطباء حتى بلغ به طور الاحتضار والناس بين ذلك في هلع وحذر، من ان يناله مكروه و ينفذ فيه حكم القدر، ومما نظمه في آخريات أيامه بينما كان يتقلب على فراش اليأس قوله

(وذكرت الابيات التي تقدمت ثم قالت)

وأنت ترى من هذه الابيات ان المغفور له كان متفانيا في خدمة ملته قيماً عزيزا على دينه يغار عليه من تلاعب المتلاعبين وبدع المنسدين لايهمه بقاؤه في الحياة الا بمقدار مايتوقعه من الاصلاح لامته على يده ضعيف الثقة بمن يأتي بعده متسميا بسمة الدين وهو بعيد عن الأخذ باسبابه المتينة ومبادئه الصحيحة القوية على ان حذره هذا لم يغن عنه شيئا فقد أدركه الاجل ولاحول ولاقوة

أما مرضه الذي صرع به فهو على ماشخصه أحد نطس الاطباء اعتلال في الكبد السفلي وتضخمها بالمرض السرطاني حتى طغى هذا الورم على البطن وتجاوز الى القلب فابطل وظيفته. وقد تسمم من جراء ذلك دمه فاختل الدماغ وتشوشت القوة المدركة فيه وهذا علة السهو والغيبوبة اللذين كانا ينتابانه حال المرض

قضى الفقيد وا أسفاه في الساعة الخامسة من مساء اليوم الحادي عشر من تموز الفائت في الاسكندرية ولم يكن الاساعة واحتها حتى نعاه الناعون في انحاء القطر المصري فبكته القلوب دماً أحمر لما كان له فيها من منزلة سنية مضى وخلف بعده أربع بنات يندبن سوء حظهن ولم يكن للمرحوم عقب ذكر

ولما كان اليوم الثاني من وفاته (١٢ تموز) احتشد جمهور كبير في الاسكندرية من وجهاء وأعيان وكبار الموظفين ليشيعوا الجثة الهامدة الى القاهرة فسار القطار بها من محطة الاسكندرية عند الساعة الحادية عشرة والناس في ذهول عظيم من هذه الفاجعة المؤلمة فمر في طريقه الى القاهرة على عدة محطات للقطار، وفي كل محطة كنت ترى جمهور النادبين الذين نسلوا من الارياف لتوديع رجل كان لهم عوناً عند الشدة وفرجاً في الضيق. فبلغ القاهرة الساعة الثالثة ونصف وما أزفت الساعة الرابعة حتى ضاقت شوارع المدينة بمن ازدحم فيها من الخلق ثم سير بالجنازة في ذلك الجمهور اللجب الذي لا يدرك الطرف آخره منهم أساطين العلم

وكبار رجال السياسة وشيوخ الازهر وطلبته والجمعيات الاسلامية ورجال البوليس من مشاة وفرسان لحفظ النظام الذي يعز في مثل ذلك المشهد العظيم على ماذكرته الجرائد المصرية . ومازالوا سائرين به حتى وصلوا الى الجامع الازهر فأذن المؤذنون وتليت الصلوات المفروضة وقد حاول كثير من الشعراء رثاءه الا أنهم منعوا اتباعاً لوصية الفقيد الذي كان قد نسخ هذه العادة وقال بوجوب ابطالها . و بعد الانتهاء من الصلاة واتمام الفروض المقتضاة حمل الى حيث واروه في التراب ثم رجع المشيعون يترحمون على الفقيد وفي قلب كل واحد غصة لا تبرأ وفي عينيه دمعة لا ترقأ رحمه الله عداد حسناته وجزاء احسانه وأمطر ضريحه بشآبيب عفوه وغفرانه

والمرآة أحق الناس بالرثاء والاسف لما كان للفقيد عليها من الايادي البيضاء فياطالما تحلت عرائس سطورها بدرر مقاله ورفلت مباهية مفاخرة بما يزينها به من حكمة باهرة ورأي سديد أيام كان صاحب اللواء متحاملا على السوريين يرميهم بكل تهمة شنعاء . وليس ذلك فقط بل كان بين المرحوم وصاحب المرآة مراسلات جاء في بعضها من كلامه المتعلق بصاحب اللواء

« ان مصطفى كامل باشا ليس من المصريين بخلٍّ ولا بخمر »

أجل ان صداقتنا مع المرحوم كانت مبنية على الاشتراك بالمبدإ الواحد المبني على أساس حب الجميع وخدمة الجميع بما يعود على الامة بالخير والنفع

وقد قلنا في رثائه ما يأتي :

قضى وقضاء الله لاشك نازل	امام به عاش التقى والفضائل
وكانت رياض العلم تزهو بعهده	وفوق غصون الفضل تشدو البلابل
عظيم له في الشرق كل عظيمة	وأعظم منها لطفه والشمائل
فتى المجد استاذ المعالي لقد ثوى	فصدر العلى من ذلك المجد عاطل
قد اختاره المولى الذي هو عبده	فأمسى سريعاً لم تخفه النوازل
فهل «لمنار الدين» في الشرق بعده	ضياء وقد غاضت لديه المناهل
الى الله نشكو فقد أكرم سيد	يعز له بين الانام مماثل
مصيبته في الأمتين جليلة	بها الدين والآداب حقاً ثواكل

قضى العمر في الشرع الشريف وخادماً عُلى الحق لم يقصده عن ذاك شاغل
وجاهد في بثّ الحقيقة لم يخف ملاما عليها أو ترعه الغوائل
فمهد للاسلام أكبر نهضة حقيقية زالت لديها الاباطل
واحيا موات العلم في صدر أمة بها وعليها للنشاط دلائل
فيا موته أبقيت فى كل مهجة ضرام شجون حره متواصل
ويا موته أفقدتنا العضد الذي قضى عمره حتى قضى وهو عامل
سقاك سيول العفو قبر محمد وغيث الرضا هام عليك وهاطل
(وذكرت الجريدة بعد ذلك شيئاً عن بعض الجرائد المصرية)

(وقالت جريدة المناظر الغراء التي يصدرها في سان باولو عاصمة البرازيل نعوم أفندي لبكي الكاتب السوري في العدد ٥٤٧ من السنة السابعة المؤرخ فى ٩ ايلول ١٩٠٥ وهو عدد خصصه للتأبين بعدما كتب جملة في عدد قبله وقد صدره بصورة الفقيد تحتها الابيات التي قالها قبل موته . وكتب تحت اسم الجريدة ما يأتي:

﴿ اكراما لذكر المرحوم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مصلح الاسلام ومصلح الشرق﴾

محمد عبده

كما يفجعنا موت الوالد لاننا أبناء وكما يسقط علينا نعي الوالدة لاننا والدة من فؤادها وكما تحزننا وفاة الصديق لاننا أصدقاء كذلك فجعنا وسقط علينا وأحزننا نعي الامام لاننا شرقيون . وكما يوجد حب شخصي يوجد حب وطني وليس لان الامام ذو دماغ كبير . وليس لانه عالم . وليس لانه فيلسوف . وليس لانه كاتب . وليس لانه خطيب . وليس لانه لغوي . ليس لشيء من ذلك ما انتهي الينا ونحن في هذا البلد الطروح الاسف على وفاته . فكم في الشرق

دماغاً كبيراً وكم عالماً وكم فيلسوفاً وكم كاتباً وكم خطيباً وكم لغوياً ولا نشعر من الا كثيرين بشيء الا اذا كان هذا الشيء ضررا . ولكن الامام كان يصرف كل قواه وما أعظمها في فائدة الوطن الذي نحبه ونريد له بل لنا صلاحا وطالما شعرنا بتفاعيل اخلاصه

أكبر أمانينا ان يصطلح الشرق وأكبر واجباتنا ان نسعى فى اصطلاحه . نقول ذلك بلساننا ولسان كل مخلص من نصارى الشرق . ولكن لا نحن ولا كل مخلص من هؤلاء النصارى مهما عظم استعداده يستطيع شيئا كبيرا . ذلك الاصطلاح متوقف على اصلاح الاسلام — على الرجوع به الى حقيقته خالصاً من كل الشوائب التي طرأت عليه وكانت أصل الفساد الذي دب في جسم الهيأة الاجتماعية الشرقية . وفي هذه النقطة تتجلى عظمة الامام الذي صدرنا باسمه هذه الكلمة . هو صاحب المشروع . هو الذي استخدم كل ما وضعته فيه الطبيعة من المقدرة في سبيل اصلاح الاسلام فهو مصلح الاسلام . ومن أصلح الاسلام فقد أصلح الشرق . فمحمد عبده هو مصلح الشرق . وهذا ما يجعلنا ان نخشع لموته ونكبر المصاب اننا شرقيون وفينا روح وطني

ومتى قلنا ان الامام أصلح فقد وجدت التعزية واستقرت السلوى . نعم انه لو طال بقاؤه لكان ركنا كبيرا في تأييد المشروع . ولكن موته على كون كلامه حياً وروحه منتشرا لم يزعزع شيئا من أساس البناية . ولو كان الخلاف لما كان الامام هذا الرجل الذي دوى نعيه هذا الدوي الرهيب . انه يموت وكل من أحبه تلميذ وكل من احترمه رسول وكل من أعجب به بشير . وما أكثر المحبين والمحترمين والمعجبين وما أكثر الأئمة والكتاب والخطباء فيهم

قد مات محمد عبده وحيي مصلح الشرق

هي المقالة التي نشرناها إثر نعينا للامام فى العدد ١١٥٣٥ وقد رأينا ان تكون هي كلمة المناظر في العدد الذي خصصناه بالموضوع فكررنا نشرها

نحن والادباء الذين يشاركوننا بكتابة أو بموافقة فى هذا الاكرام وان نكن

قد تجردنا خارجاً عن المعبد من كل صفة دينية وأنكرنا كل جنسية غير التي تجمعنا بكل من هو مواطن الا ان العالم الشرقي لا يزال يميزنا بنصرانيتنا

في الصبغة التي نعرفها لانفسنا رأينا أن نجمع كل قوانا العقلية والاحساسية لاجل اكرام ذكر الرجل الذي كان من نفسه الكريمة أن اخلص للشرق فاستخدم كل قواه الجلى في مقاومة أدواء الشرق

وفي الصبغة التي يميزنا بها العالم الشرقي — بصفة كوننا نصارى نقف باحترام امام الاسم الذي حمله الرسول العربي ورسول الرسول ونكرّم ذكر الامام المسلم قدر ما يشاء التساهل . وانا لنعتقد ان اجتماع الامتين بجامعة الوطن متعلق بارادة المسلمين لا ارادة النصارى . ولذلك يجب ان يمسك المسلمون أولا رباط هذه الجامعة . لاننا نرى من جهة أخرى ان النصارى لا يجب ان يلزموا السكون الى ان يروا المسلمين قد أخذوا برباط الوطنية ويجب ان يظهروا استعدادهم للاخذ بهذه الجامعة عندما يرون طرفها الواحد في أيدي اخوانهم المسلمين . فنحن وقد تحررنا من قيود التقليد الذي يفصل بين أهل الوطن الواحد من الشرقيين ، واغلال السلطة التي يلائمها ان يستمر الاستقلال بين الامم نجل عملنا هذا تجاه المجموع المسلم الشرقي تلك الاشارة الايجابية

ذلك مبدأ اصدارنا لهذا العدد . وانا بالصفة التي نعرفها لانفسنا نتقدم به الى جميع المعجبين بالامام ، وبالصفة التي يميزنا بها العالم الشرقي نتقدم به الى جميع المسلمين الشرقيين ولاسيما الذين تجمعنا بهم الوطنية

وُلد الشيخ محمد عبده سنة ١٢٥٨ هـ . في محلة نصر في مديرية البحيرة

وسنة ١٢٨٢ بعد اذ تلقى مبادىء التعاليم الاسلامية في طنطا انتقل الى الجامع الازهر وتعلم فيه في ثلاث سنوات العربية والشرع

وبعد ذلك أخذ المنطق عن الشيخ حسن الطويل

والعربية والشرع والمنطق تصير في الدماغ الكبير أكثر من ثلاثة . ما كان أكثر المتضلعين من العربية والشرع والمنطق اذ كان الفقيد لم يتعلم شيئا آخر وقدم جمال الدين الى مصر ولم يكن أحد أقرب اليه من صاحب الترجمة

واستفاد الشيخ من ملازمته لجمال الدين علما وأدبا

ولم يطل ان عينه رياض باشا ناظراً للمطبوعات وأوكل اليه انشاء جريدة للحكومة . منذذاك تصدر «الوقائع المصرية» أول جريدة في القطر المصري

ثم حدثت الثورة العرابية . ولما استتب الأمر للحكومة نفي الشيخ الى سورية لانه مالأ الثائرين . وبقي فى بيروت ست سنوات وكان صلة بين متنبهي الملتين

ترك بيروت بدعوة من الافغاني وأقام واياه في باريس يصدران جريدة العروة الوثقى

وكان الافغاني يسعى في ضم المسلمين كلهم على اختلاف واستقلال أوطانهم بجامعة دينية تكون واسطة عقدها خلافة تعنى بشؤونهم الدينية دون السياسية . وهذا ما كان غرض « العروة الوثقى » . ولا نعلم اذا كان صاحب الترجمة سعى بعد ما استقل عن رفيقه في هذا المطلب . انما الذي انصرف اليه محمد وظهر سعيه فيه على أكثر أقواله وأعماله تنقية الإسلام من البدع والشوائب التي دخلت عليه وكانت سبباً فى انحطاط المسلمين وانحطاط أوطانهم

ثم توقفت « العروة الوثقى » . الافغاني دعي الى الاستانة حيثما بات أسيرا الى ان توفي وصاحب الترجمة دعي الى مصر وقد عفي عنه

وبعد اذ تولى حيناً القضاء الاهلي والمستشارية في محكمة الاستئناف دخل في الطور الذي ظهر فيه اخلاصه ومقدرته

بعد ذاك عين عضواً في مجلس ادارة الجامع الازهر . وسنة ١٣١٧ عين مفتياً للديار المصرية . وما أنسب الوظيفتين لرجل وضع نصب عينيه اصلاح الاسلام الحاضر . الجامع الازهر مصدر التعاليم الاسلامية والاسلام يكون كما تكون هذه التعاليم ومنصب الافتاء فى مصر أوجه مناصب الافتاء في الاسلام

ما سمعنا صوتا في وجوب توسيع نطاق العلوم فى الازهر حتى يكون كواحدة من كليات أوروبه قبلما كان محمد عبده عضواً فى مجلس ادارة الازهر . وما سمعنا بفتوى تخالف الاسلام الشائع على كونها تنطبق على الاسلام الصحيح وحاجة العصر حتى كان محمد عبده مفتياً للديار المصرية

وماأشــدّ مالاقت تعاليم الفقيد وآراؤه ولا سيما فى هاتين الوظيفتين من المقاومات . لم يشأ رصفاؤه في ادارة الازهر جعل الازهر كاية مثل كليات أوروبه لان العلوم التي تدرّس في تلك الكليات لاتنطبق على الاسلام الذي يفهمونه هم وما كان « العلماء » يوافقونه على أكثر فتاويه لانها لاتنطبق أيضا على اسلامهم الا ان المقاومات التي اعترضته لم تثنه ولا أثرت في عزيمته ولا فصلت بينه وبين اغراضه . لبث مع كل ما صدمه في سبيله من المناوأة يتقدم نحو محجتـه بثبات ونشاط عجيبين . وله في شرح الاسلام الحقيقي مقالات اجتمعت البلاغة والفصاحة والحكمة والسداد على تحريرها وأخصها رسالة التوحيد. إنها مثلت الاسلام تمثيلا . لاعجب اذا أنكره المسلمون المقلدون أوظنوا انه تعليم جديد وما هو من الاسلام الشائع في شيء

وكان صاحب الترجمة حاد البصر حتى لترى الحياة منبعثة من رسم عينيه

وكان على وفرة من جميع اســتعدادات الخطيب قرأنا له مرة خطاباً دونه صاحب المنار اذ الشيخ يلقيه ونشره فلم نصدق انه بديهي أو ان السيد محمد رشيد ينشره كما لفظ تماما . فقد كانت تراكيب الكلام من البلاغـة ومحكم الانسجام مالا يصدق معه أنها بنت الحضرة . ولكن الشيخ ابراهيم يقول عنه في «الضياء» « اذا وقف للخطابة كان كأنما يتلو عن ظهر قلبه فلا يتوقف ولا يتلكأ ولا تجد فى كلامه لفظة ركيكة ولا تركيباً سخيفا حتى لو كتبت لفظه الذي يقوله على البداهة وجدته كأحسن ماينشيء المترسلون من الفصحاء »

وكان قوي الحافظة سريع التناول حتى انه تعلم اللغة الافرنسية في مدة خمسة أشهر وهو فوق الاربعين وأجادها تكلماً وكتابة . وقد أفادته هذه اللغة كثيرا ومما أخذه بواسطتها عن الافرنج كتاب سبنسر في التربيــة ترجمه واعتمد على كثير من آراء الفيلسوف الانكليزي في النظام الذي هو وضعه للمدارس الاميرية

ذلك مجمل ماعرفناه سابقاًوحصلناه آخرا من المجلات والجرائد المصرية عن فقيد الشرق . وقد تأخرنا باصدار هذا العدد الى الآن على أمل ان يردنا المنار ونتوسع في هـذه الترجمة على قدر ما نستفيد من كلام الرجل الذي كان أقرب

الناس الى الفقيد وأعلمهم بمقاصده وسائر أحواله وفاتت المواعيد ولم يرد المنار . قد أصيب بخسوف . عرض الحزن بينه و بيننا . ولكنه خسوف عارض وسيطلع المنار « يضيء النهج والليل قاتم » كما أراد الفقيد . على ان صورة الفقيد ماثلة في هذا الذي قدمناه يزيدها رسمه جلاء فهو اذاً كاف

والله يرحم الامام ويجعل نصيب الشرق من أماني الاستاذ وفيرا

مفتي الاسلام

مات مفتي الاسلام والدين أدرى ... من جميع الورى بهول المصاب
و يح هذي الايام هل علمت من ... أودعته الايام بطن التراب
أي بدر غشينه بغروب ... أي سيف وضمنه بقراب
قد أضاعت به الحنيفة رأساً ... كان منه الحياة للاعصاب
فارتمت رجلها التي أوطأتها ... بازدهاء على رؤوس الصعاب
وارتخت ذرعها اليمين التي ودّ ... ت بها رفع ذاك الحجاب
وعمي طرفها البصير الذي قد ... فتحته على معمّى الكتاب
بسلام محمدٌ وأمان ... ووراء الرحيل ألف ثواب
حيّ عنا الكواكبي وأبلغـ ... ـه جزيلا تشوق الاصحاب
قل له قوله المعاد صداه ... لا شباب لنا بغير الشباب
وتعهد لنا نوايا جمال الد ... ين فالعهد قد طال بالانقلاب
ان يوما نشتاقه قد خشينا ... بعدكم ان يكون يوم الحساب

﴿ جرجس عساف ﴾

محمد عبده

ما مات (عبده) انما هي نفسه ... اذ ضاق عنها منه جسم خائر
طلبت لها اذ ذاك منه مخرجاً ... ومضت الى حيث النفوس حرائر
ومتى النفوس غدا كبيرا شأنها ... تعبت بها الاجسام وهي ضوامر

* * *

أحمد والموت فينا سنة مرعية لم ينج منها حاذر
فلئن قضيت بها فلست كمن قضى ومضى وما دلت عليه مآثر
ولئن طوت في مصر جسمك حفرة فبكل مصر منك روح ناشر
ولئن يفت مرآك منا أعيناً فبروحك الكبرى تعيش ضمائر
ولئن تمت فالذكر ليس بمائت ولسوف تحييه الدهور منابر
ولسوف تحييه المساجد والمعابد والمعاهد والكتاب الطاهر

٭ ٭ ٭

تبكيك أرض قمت فيها هادياً وبآية الاصلاح كنت تجاهر
ولو انها شعرت بما تنوي لها لأبت وما قفلت عليك حفائر
يبكيك دين كنت حامي حرزه وعليه من أهل الفساد تحاذر
في حدقتيه من مماتك عبرة حرّى ومنهم في حشاه مجامر
والعلم يبكي والمداد مدامع أسفاً لفقدك واليراع محاجر

٭ ٭ ٭

نم آمنا وكما حييت مظفراً فلأنت بعد الموت أيضاً ظافر

﴿ طنوس حنا الياس ﴾

نكبة الشرق

أنادي وما كان اليراع يجاوب فما باله والجفن للدمع ساكب
علامَ أراه شارقاً في دموعه وقد علمته الاصطبار التجارب
على الشرق يبكي ذا اليراع لانه يغالب صرف الدهر والدهر غالب
كأنّ السما قد حالفت صرف دهره عليه لذاك الربُّ والعبد غاضب
اذا قام فيه مصلح قام ضده من القوم جرّار الفساد يحارب
فيسقط أهل الفضل بعد جهادهم ونعلو بأرباب الفساد المناصب
بموت عظام المصلحين تحسراً وفي قلب كل مطلبٌ ومآرب
« بذا قضت الأيام مابين أهلها فوائد قوم عند قوم مصائب »

الا رحم الرحمن كل مجاهد قضى وهو في جيش الفلاح يضارب
واجزل في الاخرى جزاء «محمد» فان جزاء المصلح الحر واجب
امام بدا للمسلمين منارة به يهتدي للحق والنور طالب
اذا ما بكاه المسلمون تأسفاً فدمع النصارى ماحكته السحائب
فتى مثله في الشرق ما قام مصلح قلوب رجال الامتين يقارب
وما علة الشرقيِ الا تباعدٌ لقد بثهُ في الناس شيخٌ وراهبُ

* * *

دعا الموت (هوغو) ثم مات (سبنسر) ومات ذوو علم بكتهم مكاتب
وكان مصاب الكل مراً وانما لقد ناب عن كلٍ لدى القوم نائبُ
فسائل رجال الشرق من بعد (عبده) نرجيّ اذا عزت علينا المطالبُ

* * *

لقد خسر الاصلاح قائد جيشه وهيهات لا تغنيه عنه الكتائب
فيا راحلا علمتنا الصبر في البلا مصابك ميتاً ماحكته المصائبُ
وددتُ لواني كنتُ بين أولي الوفا أودّع رضوي جللته المناقبُ
فأسمع نظماً قاله فيك شاعرٌ واسمع نثراً قاله فيك خاطب
واسمع أنات القوافي لحافظ وللمنفلوطي فيك شعرا يناسبُ
واقرأ ما عنك الجرائد سطرت وما دونته في رثاك «الجوائبُ»
ولكنما هيهات ماحاق شاعرٌ رثاك ولا أحصى صفاتك كاتبُ
فانعم بلقيا الحقِ واسأل لنا الهدى عسى لك عند الله تقضى الرغائب

﴿ قيصر ابراهيم معلوف ﴾

ثورة في بلاد اليمن ! تنبه خواطر في سوريه ! يقظة في الاسلام ! تطاول أعناق من بلاد الفرس والهند ! مخاوف واضطراب على جوانب البوسفور ! هواجس وقلق في أئمة الاسلام ذلك أحدثه انفجار الافكار الحرة التي قذفتها أفواه المخلصين وتطايرت شظاياها الى كل مكان وفعلت فعلها

وكما ان الذي يرمي القذيفة على معاقل الظلم والاستبداد لا ينجو عند انفجارها هكذا مات الشيخ محمد عبده وسط الانفجار الذي أحدثته تعاليمه ومبادئه في في العالم الاسلامي وذهب ضحية مقدسة عن الشعب الذي كبلته التقاليد بسلاسل الظلم والاستبداد

مات محمد عبده ولكن روحه لا تبرح تتفقد الاساسات والمبادىء التي وضعها وسوف يستجاب الدعاء الذي لفظه وهو محتضر و يرزق الاسلام « مرشداً رشيداً يضيء النهج والليل قاتم » ، بل الدعاء قد استجيب وهوذا محمد رشيد يضيء بمناره ربوع الاسلام

يرحم الله تلك النفس التي لم تبرح هذه الدنيا حتى تركت لها أثراً في كل نفس من نفوس الشرقيين

{ شكري الخوري }

الخطب الشامل

من الناس من اشتهر بالفضيلة فكان لها نبراساً، وللاصلاح راساً، وللنهضة الادبية أساسا، ومنهم من اشتهر بالسياسة فكان سياسيا خلاّبا، ورأسا في جسم وطنه مهابا، ومنهم من اشتهر بالعلم فكان عالما مدققا، وفقيها محققا، ولغويا يعول في اللغة عليه، ومنطقيا يرجع في تحليل القضايا اليه، ومنهم من اشتهر بالكتابة والنظم فكان كاتبا أديبا يخلب الالباب بأساليبه ودقة معانيه، وشاعرا لبيبا يطرب القلوب برقيق نظمه ومتانة قوافيه ، ومنهم من حنكه الدهر واختبرته الايام فانصرف الى صوالح الامة، يذودعنها و يدفع كل ملمة. واما الفقيد فقد اشتهر بهذه كلها مقرونة بمحبة وطنية. وغيرة وقادة على الحرية الادبية، والمشاريع الخيرية، رحم عدادمبراته وحسناته، وعوض الوطن بامثال له يعمرون أضعاف حياته،

* * *

العلم مفطور الحشا يتوقد حزنا وأبيات الرثاء تردد
والفضل مشطور الفؤاد يئنّ من ألم وشخص المكرمات يعدّد

والمجد لاعجب اذا الفيتة دنفا ففارقه امامٌ أمجد
مات العلى والجد والاخلاص والا إقدام لما قيل مات محمدُ
يبكيه أهل الشرق أفضلهم ولا عجب فان فقيدهم متفردُ
ندبته احرار الضمير لانه حر الضمير وغيرةً يتوقدُ
ناحت لمصرعه البلاد وكيف لا وهو الامام لها ونعم السيدُ
جمدت مياه النيل من حزن ومن أسف ونيل دموعها لايجمد
ياهاجرا تلك الديار وانها أبدا تردّد ذكركم وتمجدُ
قد كنت ترشد أهلها عن غيهم واليوم من منهم يقوم فيرشدُ
لابدع في فقد العباد وانما بدع أُلُو الاصلاح حالا تفقد
لو كنت أحسن صنع تمثال له درا ومرجانا فلا أترددُ
فرض على أهل الحجى ان يذرفوا فوق الضريح دم الشجون ويسجدوا
لولا النبي كتبت حول ضريحه هذا محج المسلمين الاخلد

﴿ سعيد يازجي ﴾

فقيد الشرق

ان بكيناك ياسميًّ الرسول فالبكاء سلاح أهل الخمول
وسلاح الاحرار حزم وعزم واقتفاء الآثار بعد الرحيل
بلغت روحك الجزيرة فاهتزّ ت لها العرب كاهتزاز النيل
فارقت مصر لتحل جسوما(١) في سوى مصر من كبار العقول
عشت في مصر للفضيلة سورا حامي العلم مرشدا للجهول
كنت للشرق مصلحا ولدين الله م نورا وماحق التضليل
حافظ الشرع عادلا لايراعي عاذلا لليتيم خير كفيل
عالما عاملا خطيبا جسورا جهبذا كاملا بغير مثيل
شاعرا ناثرا رئيسا حكيما قائد العرب في قويم السبيل

(١) لعل الاصل « كي تحل جسوما » وحذفنا بيتا قبل هذا غير موزون

يذكر الأزهر الشهير دروسا منك كانت تُلقى لنزاع الدخيل
وفتاويك لاتزال على القر طاس مسطورة كسفر جليل
فهي للشانئيك كبت وللظمـ آن ماء الحياة مروي الغليل
وتعاليمك الجليلة تبقى مع بقاء القرآن والأنجيل
وكبار الرجال تبنيهم الآ ثار نور الصغار بعد الافول
فاحي بالروح في قلوب ذوي الاحـ ساس يافرد هذا الجيل
وأعاض الرحمن قومك فردا يتلافى الخطوب قبل الحلول

﴿ نخول حنا ﴾

وماأريد ان أخالفكم الى ماأنهيكم عنه
إن أريد الا الاصلاح مااستطعت

إن من يتخذ من كتاب ديانته مثل هذه الآية السامية ويجعلها كقاعدة للافعال الحسنة والافكار العظيمة التي ينوي بها مجرد الصلاح متحفا بها أمته. وان من في ساعة مفارقته لهذه الحياة الدنيا أظهر عدم مبالاته بابلال أوا كتظاظ مآتم، وأبان أن حذره الوحيد هو من ان تقضي على دينه العمائم، وان من لم يشغله حب الانسان الغريزي لهذه الدنيا عن الافتكار بها على سر يرنزعه وكان معظم اهتمامه فى الخوف على آمال كثيرة للناس بقضائه. وإن من كان آخر التماس له من ربه في ان يرزق الدين مرشدا رشيدا ، ان ذاك المصلح العظيم رب هذه المظاهرات لجدير بأن يسرع الكون أجمع لوضع أكاليل التمجيد على ضريحه ويذكره كل لسان بأجل كلام

وإذا وجب وكان لا يتسنى للمعجب البعيد وضع واحد من تلك الاكاليل على الهيكل العظيم فلا أنسب من انشاء ما يقوم مقام الزهر من الكلام فتكون هذه الابيات التالية لتلك الغاية المبينة يشترك بها ناظمها مع مؤيدي تساهل الاستاذ الاكبر والمعجبين بفضائله

مجد فيك الشرق أفجع لا مصر وفيه كما فيها استمد لك الاجر
فقد كنت نجما ساطعا عم نوره وجاوز حد النيل لم يثنه حصر

وقد كنت للاصلاح أحكم قائد سرى في جهات الارض صوتك والفكر
وقد كنت بحرا زاخرا يكتفى به فمن فلك الحسنى ومن صدرك الدر
لذلك لما قدر الامر وانطوت بموتك اسمى صورة وانطوى قدر
تحرك اقوام رأت في سكونها لدى الخطب جحدا بالجميل وذا إمر
فذلك سباق مجيد بشعره وذلك ملسان بليغ وذا نحر
وذا ناثر والكل بالقصد واحد يجلون فيك الفضل قارنه البر
ومثل بنيه القرن يرثيك نادباً بفقدك ندبا كان يرجى به النصر
وان يفتقدك القرن والليل قاتم ففي الليلة السوداء يفتقد البدر
تمادت يد الاحداث بالفتك والاذى كأن يد الاحداث شيمتها الضر
ولكن فلا غروى اذا ساءت المدى محمد في صنع فلم يطل العمر
فان شرارات الصواعق حينما من الجو تهوي قاتلات لما تعرو
بمنفردات النائبات تحل لا يطيب لها الا الفتى المثمر النضر
تميت ولا تدري الضلال بفعلها وأن ثمار الغصن يحتاجها القطر
بذا عرفت أبناء ذا الدهر بل بذا حديثا وفي عهد مضى عُرف الدهر
على ان طي الموت شخصك في الثرى محمد من فكر نشا دونه نشر
نعم ان فكرا أنت أنشأت ثابت وسوف به لاشك يصطلح الامر
وإن يستطع غدر البغاة لك الردى فروحك لا يستطيع ارداءها غدر

استفان غلبوني

سألنا خمسة ممن بعثوا الينا بالمقالات والقصائد بهذا العدد بعد ما كنا رتبنا لها ثلاث مقالات وقصيدتين لسبب ليس الظرف مناسبا لبسطه ان لا ننشر لهم شيئا ففعلنا

وبعد ما كنا أنجزنا التصفيح وكاد يحين ميعاد صدور الجريدة وردنا العدد من جناب الشيخ محمد حماده قصيدة جميلة . وعلى شدة رغبة منا في ان يشاركنا في هذا الأكرام مواطن درزي لم نستطع تأجيل اصدار الجريدة لتعديل الديباجة

ونشر القصيدة ولا لنشر القصيدة والاستدراك على الديباجة . هذا كل ما استطعنا
لم نستطع مع شدة عناية منا ومن الزينكوغرافي ابراز رسم الامام جليا لانه
أخذ عن رسم مطبوع غير جلي على كون الفن يستدعي أخذه عن رسم فوتوغرافي جلي

(اهما جاء في عدد التأبين الخاص باكرام الامام من جريدة المناظر الغراء)

وقالت جريدة الافكار التي يصدرها في سان باولو (البرازيل) الدكتور سعيد أبو جمرة من أطباء السوريين . وذلك في صدر العدد ١٣٥ الذي صدر في ٢٦ آب (أغسطس) ما يأتي

﴿ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ﴾

العنصر الاقوى في الشرق فجع الشرق ومحبوه . والعلم وذووه . بوفاة مصلح كبير . وعالم نحرير . وفيلسوف خطير . « خلقه الله حجة على هذه الامة التي رزئت بالخمول والكسل » على ما قالت مجلة المنار الاسلامي الغراء فعم فيه الخطب كل الناطقين بالضاد . وبكته الامة العربية بل الشرق كله ومثله من يبكى لا بالدموع بل بالدماء . وفي مثل هذه النازلة يحق لما نحن معشر الشرقيين ان نجهش في مثل هذا البكاء . ليس فقط لان فقيد الشرق كان من أبلغ البلغاء . وافصح الفصحاء . وأخطب الخطباء . بل لانه كان رحمه الله يحاول طول حياته الثمينة هدم ما بنته « العمائم » من ابنية تعصب وخيم . وعلم عقيم . وجهل عميم . ورفع مكان العلم والحرية مكانها . واعلاء شأنها ليس في القطر المصري فقط بل في كل الاقطار العربية والاصقاع الاسلامية . ومثلها (من) يحتاج الى العلم والعرفان . اسوة لها بسائر الممالك والبلدان . فكفاها كفاها خمولا مع كبرياء . وانحطاطا مع ادعاء . من جراء ذلك التضليل والتفريق . والتغرير والتمزيق . الذي أوجدته في شرقنا التعيس تلك « العمائم » والقلانس . فاوجدت به الجهل ومن الجهل التحاسد والتباغض والدسائس . وكيف ترجو صلاح الشرق والشرق بسببها قد غاص في بحر ظلام دامس

ومن المعلوم ان الشرق كله ينظر الى الملة الاسلامية كي تنهضه من هذا

السبات العميق وتفك عنه قيود ذياك الخمول . وذلك لأنها العنصر الاقوى بين كل عناصره المتعددة . ومن الاقوى يرجى مالا يرجى من غيره ولو كان ذلك الغير صادق الوطنية كبير الهمة ماضي العزيمة فكلامه صيحة في واد ونفخة في رماد وقد أتاح الله لتلك الامة القوية أن تسعد برجل عرف هذا السر الجليل فشخص داء الشرق أحسن تشخيص ووصف له انجع دواء . ومثله من يلقب بالحكيم أخي الحكيم وحسب « محمد عبده » ان يكون أخا ورفيقا في هذا الجهاد لذلك الحكيم الكبير السيد جمال الدين الافغاني ذائع الصيت دائم الاثر

عرف الفقيد ان « العمائم » تحول دون العلم الصحيح وكيف لا يعرف ذلك وتلك العمائم هي التي عارضته في جعله الجامع الازهر مدرسة عملية صناعية لا مدرسة مذهبية تعصبية . كما انها قد عارضته بشدة في اصدار فتاويه المتعددة لاصلاح ما فسد من عوائد وتقاليد واخلاق . وأمر « القبعة الافرنجية وأكل ذبيحة يذبحها أهل الذمة واخذ ربا المال الموضوع في الشركات المتضامنة » حديث العهد لا يزال صوته يرن في الآذان وامله لا يبرح ولن يبرح من الاذهان

عرف الفقيد ذلك فلم يعبأ بالمقاومات العنيفة التي لاقته . والمصاعب الشديدة التي صادمته . ولم يبال بتلك الاقاويل السفيهة التي نشرها عنه غلاة المتعصبين المرائين بل كان رحمه الله من العاملين بمغزى المثل الفرنساوي القائل « الصائح يصيح والقافلة تسير » ولطالما صرح بانه لا يخشى من شيء سوى الموت لانه يقطع عنه خط المسير في ذلك المسلك الوعر مسلك اصلاح الشرق باستئصال علة تأخره من جذورها — ولكن ما امكن تلك الجذور وما أكثرها تشعبا وامتدادا وتأصلا في قلوب الملايين وعشرات الملايين . فانها نجت من معول ذلك الصالح الكبير بفضل « العمائم » ونفوذها فسمع الشرق صوت « محمد عبده » القوي يردد لآخر مرة في هذه الحياة الدنيا بعض أبيات « مشروحة المتن واضحة المغزى » منها هذان البيتان الخالدان

ولست أبالي ان يقال محمد ... ابلّ أو اكتظت عليه المآتم

ولكنه دين أردت صلاحه ... أحاذر ان تقضي عليه العمائم

ترجمته : ولد رحمه الله سنة ١٨٤٣ م بمحلة نصر من أعمال مديرية البحيرة (مصر) فتلقى العلوم العربية والمنطق والشرع في الجامع الازهر والتقى في سنة ١٨٧٢ بالفيلسوف جمال الدين الافغاني فدرس عليه أصول الفقه وأخذ عنه مبادئ الحرية والاصلاح وظهر ذلك منه اثناء الثورة العرابية سنة ١٨٨٢ اذ حكم عليه حينئذ بالنفي فسافر الى سوريا فبقي فيها ست سنوات صرف معظمها في بيروت حيث رأيناه في المدرسة الكلية يوم ألقى المرحوم الياس صالح قصيدته الشهيرة في الحرية و بعد ذلك سافر الى باريز فانضم الى استاذه الحكيم جمال الدين الافغاني وأصدر جريدة العروة الوثقى وقصدهما بذلك معروف وهو انهاض الهمم في الامة العربية وازاحة ذلك الغشاء الكثيف عن عيون الملة الاسلامية غشاء التقاليد وتوابعها . وفي ذلك الحين سعى بعضهم فنجح باصدار العفو عنه من جانب الخديوي السابق فقدم مصر وطنه الاصلي وتقلد فيها أسمى الوظائف القضائية الى ان اصبح مفتي الديار المصرية في سنة ١٨٩٨ م وما زال متقلدا ذلك المنصب السامي حتى وافاه القدر المحتوم في الاسكندرية الساعة الخامسة من مساء الحادي عشر من شهر حزيران الماضي

اعماله : أهم ما اتصل بنا من قلمه شرحه البليغ لنهج البلاغة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه . وشرحه لمقامات بديع الزمان الهمذاني . وكتاباته المتعددة في جريدة الوقائع المصرية وجريدة العروة الوثقى . ورده على الموسيو هانوتو وزير خارجية فرنسا دفاعا عن الاسلام والمسلمين وكتابته الحديثة العهد في التساهل والتعصب بتاريخ الملتين النصرانية والاسلامية . ومن آثاره الادبية شروح القرآن الشريف المدرجة في مجلة المنار الاسلامي الغراء وهي تشف عن رغبته الشديدة في تطبيق العلم العصري ومطاليب التمدن الحديث على آيات القرآن وأقوال كبار الائمة وهو عمل خطير قلما خطر على بال أحد غيره من العلماء والمفسرين . ومن المفهوم ان أعمال المرء لا تقاس فقط على ما يبقى منها بعد مماته كالتآليف وامثالها بل تقاس أيضا على ما يذيعه في حياته العلمية من التعاليم الصالحة والاقوال الحكمية والنصائح المفيدة علاوة عما يبثه من المبادي القويمة وعما يظهر من صالح القدوة

وحسن السيرة والسريرة . ولا خلاف بأن حياة الفقيد كانت خير مثال لمن يريد نفع ملته واصلاح قومه وخدمة وطنه

صحته ومرضه وموته : كانت صحة الامام جيدة في الغالب . الا انه بدأ يشكو الضعف منذ زار السودان في العام الماضي فتسلط عليه المرض واضطره احيانا كثيرة الى ملازمة الفراش . وقد اشتد عليه الحال مؤخرا فأشار عليه أطباؤه بالسفر الى أوروبا بقصد الاستشفاء وكلهم لم يتحققوا ماهية العلة تماما . ولما وصل الى ثغر الاسكندرية زاره الطبيب السوري الشهير الدكتور بشاره زلزل فكان اول من أصاب كبد الحقيقة في تصريحه باصابة الاستاذ بداء السرطان (١) . وهاك قوله لمراسل المؤيد :ــ

« زرت الاستاذ منذ خمسة أيام فحزنت جدا للحالة التي رأيته عليها . ومع ما كان فيه من خطر الحالة وشدة المرض أخذ فضيلته يشرح لي سير مرضه بالدقة شرحا طويلا ثم بحثته جيدا فوجدت ورما كبيرا عالقا لجهة الكبد السفلى وقد طغى على البطن بكبر حجمه وظهر لي من جسه وصلابته ومن علامات كثيرة انه ورم سرطاني لاشك فى انه كان عنده من مدة بعيدة . . وحين مشاهدتي له كان حركة القلب منتظمة والنبض معتدلا نوعا ولا اعلم ماجد بعد ذلك (لان تلك الزيارة الطبيسة كان الاولى والاخيرة) ولكني تعجبت من بقاء مدارك الاستاذ عالية وعواطفه قادرة على كثرة الملاطفة مع هذه الحالة التي لا تسمح لغيره ببقاء شيء من ذاك » اه

جنازه : كان الفقيد قد أبطل عادة هي انشاد قصائد الرثاء في تأبين أحد العلماء والمشايخ يصلون على الجثة فى الجامع الازهر . وكان أوصى بالبساطة في الجناز وعدم التأبين على الضريح أيضا مما يذكرنا بوصايا الاستاذ المرحوم الدكتور فان ديك ولاغرو فالعظيم يهتم بالحقائق لا بالصغائر . ولكن القطر المصري مع حفظه وصية

(١) الصواب ان أول من عرف مرضه الدكتور طلعت بك المصري قبل سفره الى الاسكندريه بيوم او يومين ووافقه على ذلك طبيب فرنساوي ثم اشهر اطباء الافرنج والعرب في مصر والاسكندرية كما علم مما كتبناه عن مرضه

الامام قد احتفل رسميا بجناز رسمي على نفقة الحكومة فكان ترتيبه على هذا النسق

(وذكر ملخص ما قالته الجرائد المصرية ثم قال)

وزبدة القول ان الشرقي يفتخر في هذه البلاد البعيدة بين المتنور بن من الاجانب بأعاظم رجال الشرق وكبار مصلحيه . ويشتد به الشعور بهذا الفخر الغريزي كلما طالت الشقة وشط المزار مما يدلك على تغلب الحاسة الوطنية على كل حاسة عند قوم يعقلون . ومن منا لا يطر به ذكر مدحت باشا وفؤاد باشا وجمال الدين الافغاني ومحمد عبده وغيرهم من نوابغ الشرق الذين حاولوا اصلاح فاسده وتقويم ما اعوج منه فلم يفلحوا لاسباب قد ذكرنا بعضها عرضا وأغفلنا عن ذكر أهمها ولو أنها لا تخفى عن كل عاقل بصير . ومدرك خبير يعرف داء الشرق فيعز عليه وصف الدواء لان الحق للقوة والموت للضعفاء . هكذا قدارتأت الطبيعة فقالت ببقاء الاقوى في تنازع هذا البقاء اه

﴿ يقول جامع الكتاب ﴾

هذا معظم ما وصل الينا من الجرائد العربية التي ابنت الاستاذ الامام وترجمته ومنها ما لم يصل الينا . أما جرائد سوريا وسائر البلاد العثمانية فقد منعها السلطان أن تذكر خبر وفاته بل تأبينه وترجمته بل كانت قبل ذلك ممنوعة من ذكر اسمه لان مجرد ذكر اسمه يستلزم تذكر الاصلاح والسياسة هناك تخشى ذلك وتتقيه ولله في خلقه شؤون

أقوال الجرائد الافرنجية

كتبت جريدة الايجبشيان غازت الانكليزية التي تصدر في القاهرة فى عددها الذي صدر فى ١١ يوليو سنة ١٩٠٥ ما ترجمته

مفتي الديار المصرية

تشييع جنازته بمصر اليوم

انا لآسفون شديد الاسف ان نخبر الناس بموت الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الساعة الخامسة من مساء امس في محطة (صفر) من الرمل مات الفقيد بسرطان في الكبد أصيب به من زمن بعيد ولكن لم يخش من سوء عاقبته عليه الا في الاسبوع الماضي فان الشيخ منذ اسبوع أو اسبوعين كان ينوي السفر الى أوربا ثم الى مراكش على ان العبد في التفكير والرب فى التدبير فقد قضى ذلك الرجل صاحب الاعمال الجمة الذي كان يظهر من حاله انه خلق ليعمل أكثر مما عمل ليضيء عقول اخوانه فى الدين فارق الدنيا وهو في السابعة والخمسين من عمره وهو سن صغير بالنسبة لغيره وليس الحزن على فقده قاصرا على مسلمي مصر ولا على أهل الشرق كافة بل انه سيعم كثيرا من أصدقائه والمعجبين به ممن ليسوا على دينه

(وبعد ان وصفت الجريدة تشييع الجنازة بالاسكندرية على نحو ما وصفته الجرائد الاخرى قالت):

ولد الشيخ محمد عبده في محلة نصر من مركز شبراخيت باقليم البحيرة سنة ١٨٤٨ وكان والده مزارعا يسمى الشيخ عبده وتربى في الجامع الازهر وفى سنة ١٢٩٥ هجرية نال شهادة العالمية ثم عين محررا للوقائع المصرية ثم اتهم بالاشتراك

مع العرابيين فحكم عليه بالنفي ونفي في سنة ١٨٨١ ولما كان في بيروت تزوج احدى بنات الشيخ حماده (١) وكان هناك يلقي دروسا في الدين والتوحيد ثم عفي عنه في سنة ١٨٩٢ ولم يلبث بعد رجوعه الى مصر ان عين قاضيا في محكمة بنها ثم نقل الى الزقازيق ثم عين مستشارا في محكمة الاستئناف الاهلية وفي يونيه سنة ١٨٩٩ عينه الخديوي مفتيا للديار المصرية بدلا من الشيخ حسونه النواوي وكان عضوا في مجلس ادارة الازهر من سنة ١٨٩٤ الى أن تخلى عنه أخيرا . اه

(وجاء في العدد الصادر منها في ١٣ يوليه سنة ٩٠٥ ماترجمته):

المشهد الرهيب

احتشد جم غفير من الناس بمحطة مصر في الساعة الثانية بعد ظهر أمس ينتظرون وصول القطار المقل لجثة المرحوم الشيخ محمد عبده من الاسكندرية لدفنها في العاصمة وفي الساعة الثانية والدقيقة السادسة والخمسين بالضبط وصل القطار ووقف بجاه رصيف عدد ١ وما استقر به الوقوف حتى نزل منه من كانوا يرافقون الجثة من الاسكندرية فازدحم بهم الرصيف فوق ازدحامه بمن كانوا عليه ثم أحاط هذا الجمهور بالعجلة التي كان فيها السرير ولما فتحت ابوابها وحمل السرير حاملوه على أعناقهم وعلى وجوههم علائم الكآبة والحزن انفرجت الجموع امامه متحيزة الى الجانبين مخلية الطريق له فنقل الى حجرة مفتوحة على الرصيف وأغلقت عليه ووقف على بابها أربعة من رجال الشرطة

ثم أخذت الجموع تتزايد والشرطيون يمنعون الناس من الوصول الى الرصيف الذى خصص لمن يتألف منهم المشهد وأمسى باب الدخول الى المحطة من الازدحام بحيث كان الوصول الى الرصيف في غاية الصعوبة وبعد منتصف الساعة الرابعة بقليل انشأ المشيعون يفدون الى المحطة ويكثر عددهم من الساعة الرابعة وقد ناب عن كل نظارة وكل مصلحة من مصالح الحكومة العدد الكثير من رجالها فاشترك عمال الحكومة من المصريين والانكليز في الحضور لتشييع رجل قضى حياته كلها

---

(١) الصواب احدى عقيلات بيت حماده

في العمل لمسلمي مصر واستحق الاجلال والاعجاب من جميع من دانوه حتى ممن كانوا شديدي المعارضة لافكاره ومقاصده

وفي الساعة الرابعة حمل السرير من الغرفة التي كان وضع فيها و بارح المشهد المحطة من جهة باب الخروج سائرا في طريقه الى المدفن

(وهنا وصفت الجريدة ترتيب المشهد كما وصفه غيرها وذكرت من ذكرهم ثم قالت:)

ولقد كان مشهدا عظيما من اجل المشاهد واشدها تأثيرا وفي أثناء مروره كان يشتد زحامه بجماهير الناس المصطفين على جانبي الشوارع التي مر بها حتى لقد وقفت حال التجارة فيها وكان الناس في سكون واجلال مدة مرور الجنازة وكان يخيل للرائي ان جميع سكان القاهرة الوطنيين قد حضروا ليؤدوا آخر فريضة من الاجلال والاعظام لذلك الشيخ الجليل وكان يوجد بينهم أيضا عدد عظيم من الاوربيين (وهنا ذكرت الجريدة الشوارع التي سلكها المشهد الى المدفن كما ذكرها غيرها ثم قالت) وقد جاءنا من مكاتبنا بطنطا هذه الرسالة البرقية وهي :

لقد أحدث موت المفتي هنا نعيا لا يوصف فكل الناس يعزي بعضهم بعضا على خسارتهم التي لا عوض لها ويسألون للفقيد الرحمة الالهية. اه

(وكتبت جريدة (اجبت) التي تصدر في القاهرة بالفرنسية والانكليزية في عددها الصادر في ١٢ يوليو ما ترجمته)

اخبار الصباح المصرية

توفي الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية أي أحد من يشغلون أسمى المناصب الدينية الاسلامية وأعظمها نفوذا وكان مصابا بداء مؤلم طالت مدته ومن منذ ثلاثة أيام تتعاقب الرسائل البرقية متناقضة فبعضها مبشر بنقاهته و بعضها منذر باشتداد علته حتى قضى نحبه بالاسكندرية في الساعة السادسة من مساء أمس.

وسيكون خلق الشيخ محمد عبده وما قام به من الاعمال في السياسة المصرية أو في حكومة المسلمين الوافدين على الازهر طلبا للعلم والدين موضوع مباحثات ومناظرات طويلة

ولا نريد الآن الا ان نذكر القراء بانه تعلم في الازهر وكان تلميذا شديد الاخلاص للفيلسوف المرحوم الشيخ جمال الدين الافغاني

وأول عمل رسمي تولاه بعد خروجه من الازهر هو تحرير الجريدة الرسمية ثم نجمت الفتن العرابية فكان فيها عاملا نشيطا وقد نفي عقبها الى سوريا فكان فيها محبوبا مبجلا واشتغل هناك بالتعليم في مدارسها الكبرى وتزوج فيها بعد زواجه الاول (١) ولما عفا عنه الخديوي توفيق باشا عين قاضيا بالمحاكم الاهلية ثم رقي الى درجة مستشار في محكمة الاستئناف الاهلية

ولما رأى الجناب الخديوي المعظم ماامتاز به الشيخ محمد عبده من العقل المستضيء بنور العلم وحرية الفكر والنشاط وقدرها قدرها رقاه الى عمل مفتي الديار المصرية

كان المرحوم يتداخل طيبة نفسه في المناظرات السياسية والفلسفية وله عدة رسائل ومقالات نشرت في الجرائد ولا نزال نذكر مناظرته الكتابية في سنة ١٩٠٠ مع الموسيو جبرائيل هانوتو التي كان لها دوي عظيم في العالم الاسلامي وله تفسير جزء من القرآن وكتاب في التوحيد

وكان يميل الى نظام الحكومة الحالي ميلا ظاهرا لانه كما كان يقول كان يقدر حريته حق قدرها وكان صديقا حميما لصاحب العطوفة مصطفى فهمي باشا الذي فقد بفقده مستشارا أمينا وناصحا صادقا وكانت الطبقة المتعلمة من الوطنيين تجل الفقيد كل الاجلال وأما العامة فانها اقلة وقوفها على تقدم العلم وحركة الفكر العامة لم تكن مستحسنة لخطته وأفكاره بتمامها

وكان الشيخ محمد عبده في معاملاته مع الاوربيين غاية في جمال المحاضرة وحسن الملاطفة فكان نديما حلو الفكاهة جليسا ساحر المحاورة

(١) أي بعد موت زوجته الاولى

وجاء في عدد هذه الجريدة الصادر في ١٣ يوليه سنه ٩٠٥ بقلم حضرة محمد طلعت حرب بك ما ترجمته

وفاة الشيخ محمد عبده

لقد خسرت مصر والعالم الاسلامي خسارة كبرى بموت الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصريه وسيبكي خسارة هذا الرجل جميع المسلمين على اختلاف بلادهم ومذاهبهم فانه كان من أكبر رجال الإسلام الذين كانوا يتمنون ارجاعه الى مجده السابق

نشأ الشيخ محمد عبده نشأة رجل عادي فانه ولد من نحو ستين سنة في محلة نصر بمديريه البحيرة وتلقى دروسه الاول بالجامع الاحمدي بطنطا وأتمها في الجامع الازهر المشهور ثم صار استاذا لنفسه وبما كان فيه من النهم في العرفان انكب على الدرس والمطالعه بقوة يندر وجودها في غيره وأمكنه بما أوتيه من ثبات العزيمه وقوة الادراك التي لا يمترى أحد في سموها ان يصير الى ما رآه الناس فيه وعرفوه منه أعني محيط علم حي فكان برهانا محسوسا على ما يكون لعزيمة الانسان من سعة لامكان ولا سيما اذا عززتها قوة الجنان وجملة القول ان الشيخ محمد عبده كان هو المربي لعقله والمنشيء لادراكه وكان يخيل للعارف باحوال هذا الشيخ في جهاده المستمر ان أم المسائل التي كانت تشغله وأدعاها الى اهتمامه هي الدين الاسلامي الذي كان يريد اصلاحه لا بادخال مذاهب جديدة أو عبادات أخرى فيه ولكن بتنقيته وتجريده من الاوهام والآراء الفاسده التي أدخلها عليه الجهل أو مقتضيات السياسة وجعله بالجملة كما كان قبل تشويه الجهل اياه الدين الحنيفي الذي كان يعلمه لأمته النبي عليه الصلاة والسلام

وقد كان للشيخ محمد عبده حساد ينقصونه كما كان لغيره من كبار المصلحين وأرباب العقول السامية فلم يذروا تهمة الا ألصقوها به بلا سبب، ولا دسيسة ولا وشاية ولا قذفا الا رموه به من غير ما ذنب، ولكن ذلك لم يعقه عن المداومة على سلوك نهجه غير كالّ ولا وانٍ حتى انتهى أمره بان ألزم حساده والجاهلين به كما

الزم خصومه واعداءه احترام آرائه وأفكاره

وهو وان كان قد صرعه الموت قبل ان يذوق لذة اتمام عمله الشاق الذي فرضه على نفسه قد أوضح السبيل الى اتمامه وخلف عملا نافعا باقيا

وقد كان لمعاشرة الشيخ محمد عبده للشيخ جمال الدين الافغاني الذي هو اكبر فيلسوف شرقي معروف تأثير ظاهر في عقله فكانت معاشرته لهذا الفيلسوف الذي كان هو نفسه الثانية مبدأ طموح نفس الشيخ محمد عبده الى الافكار التي صارت من ذلك العهد غرضه الذي يعيش من أجل بلوغه الا وهي اصلاح الدين الاسلامي واحياء وطن الاسلام البعيد الاطراف وتجديد وحدته وعظمته

وكان يستعين و يستهدي في هذا العمل الشاق بقوة يقينه

ومن غريب الاتفاق ان نفس العلة التي اودت بالمرحوم الشيخ جمال الدين وهي السرطان هي التي اختطفت منا الشيخ محمد عبده

ولما قامت حوادث الفتنة العرابية كان الشيخ محمد عبده متقلدا في نظارة الداخلية عمل محرر الجريدة الرسمية فظن ان الوقت قد حان للبداءة في تنفيذ خطته الواسعة في الاصلاح فسلك سبيل الفتنة بقلب سليم لما كان يلوح له من خلوها عن الاغراض الشخصية في بدايتها ثم اضطر آخر الامر الى ان يجاهد فيها بعض الرؤساء و يقاوم طرقهم الملتوية الدالة على اطماعهم لان أفكارهم لم تكن مطابقة لامنيته المجردة من كل شوب وهي مصلحة الوطن والدين

وكان جزاؤه على مخالطته لرؤساء الفتنة ان حكم عليه بالنفي ولما رأى خيبة آماله اذ ذاك لجأ الى سوريا غير انه لم يكن ممن يسهل عليهم الاستكانة للغلب فلم يلبث ان استأنف جهاده السلمي لبلوغ أمنيته ولما عين استاذا في المدرسة السلطانية كان يعلم فيها آداب اللغة والبيان وغيرها من الدروس العربية وهذا غير دروس تفسير القرآن التي كان يلقيها في المساجد

ثم دعاه السيد جمال الدين الى باريس فكان يمينه على تحرير العروة الوثقى ولما عاد الى سوريا استأنف دروسه التي لا يزال السوريون يحفظون لها أجل ذكر ماحل الشيخ محمد عبده في مكان الا ترك له فيه معجبين بعلمه وفضله

وأينما نزل صار كل من دانوه أحبابه وأصدقاءه

ولما عفا عنه الخديوي توفيق باشا عاد الى مصر فرجعت اليه جميع المحبات القديمة مع احترام كافة الناس وتبجيلهم ثم لم يلبث ان نوه به فضله وولعه الشديد بخير بلاده للتأمين بالامر فعين بعد قليل قاضيا في المحاكم الابتدائية ثم مستشارا في محكمة الاستئناف وكان مع وجوده في هذا الميدان ميدان العدالة الفسيح لا يزال يحس بانه محرج وانه لابد له من ميدان أوسع وأجل منه أي لابد له من الطرق التي يستعين بها على بلوغ الغرض الذي يعيش من أجله باذلا في ذلك جهده وذلك الغرض هو اصلاح الدين وكان يعتمد حينئذ في الوصول اليه على مخلة كان يلوح له أنها هي القادرة على رفع ذلك البناء وتلك المخلة هى الازهر تولدت في ذهنه فكرة توجيه الاصلاح فى هذا السبيل الجديد فكان يريد ان يجعل الازهر واسطة في هداية العالم الاسلامي وتبصيره بدينه وان يجرد هذا الدين مما يحول دون معرفته من الصعوبات ومن الآراء الفاسدة التي حشاه بها الجهل وللوصول الى هذه الغاية فكر في أن ينشيء له مجلسا أي محكمة عليا دينية — ان صح تسميتها كذلك — لادارة شؤونه وبث نور العرفان في عقول الامة لمصلحة الاسلام الكبرى وهي غاية نبيلة جليلة وبفضل عنايته شكل المجلس وكان هو من أعضائه وكذلك الشيخ عبد الكريم سلمان صديقه من الصغر الذي كان موافقا له في آرائه وأفكاره

وقد حصل له بتشكيل هذا المجلس الامل ببلوغ غايته بلا عائق فانشأ يجدد ما رث من أصول الدين وينفخ في المسلمين روح العرفان ويرشدهم الى العلوم والفنون وجميع الامور الجليلة والافكار العظيمة التي كانت فى سالف الايام زينة ملك الخلفاء

وانه ليسوءنا ان نقول انه مع مساعدات المخلصين التي تيسر له الحصول عليها لم تأت النتيجة مطابقة لما كان يرجوه تمام المطابقة فقد قام روح معاكس له فعوق العمل الكبير الذي كان يباشرة بكثير من النزاهة والاخلاص والاقدام نوعا من التعويق

وهو على بذل جل همته في تحصيل الغبطة والسعادة للعقول لم يغفل السعي

فى تحصيل الراحه والرفاهية للابدان فلم ينس الفقراء والبائسين لعلمه حق العلم بان البؤس فى الامم مدعاة الى اضمحلال العقول فاسس الجمعية الخيرية التي كان هو روحها الذى به تقوم والفضل في بقاء هـذه الجمعية ونجاحها راجع الى همته التي لا تغفل واخلاصه الذي لا يتغير

ولما عينته الحكومة مفتيا للديار المصرية أثبت في هذا المنصب أيضا كفاءته للقيام به وكان من مقتضيات توليه ان صار له حق الجلوس في مجلس الشورى فكان عضوا في كل لجنة من لجانه وكان هو المرشد الثقة لرفقائه في بحث جميع القوانين واللوائح أو إعدادها

وكان في مجلس الاوقاف الاعلى هو المدافع عن الحقوق والاصول المقدسة التي بنيت عليها هذه المصلحة النافعة

وقد كان فوق كل ما تقدم كما قلنا شـديد الحب لوطنه مخلصا في اسلامه واذا كان قد وجد له عيابون قادحون بما كان عيبهم مبنيا على الحكم بالظواهر فان مادحيه والمعجبين به اوفر منهم عددا وهم ينصفونه و يعرفون له قدره

وسيذكر من عاشروه أوداناه فقط جميل محاضرته وحسن تلطفه وجاذب ابتسامه الدال على سلامة طويته بل انه كان يعظ أصدقاءه و يوصيهم بلين الجانب والتلطف وكان له فى ذلك كلمة تؤيد هذه الوصية وهي قوله « انك اتصطاد من الذباب بملعقة من العسل أكثر مما تصطاده ببرميل من الخل »

كان الشيخ محمد عبده نهما في الاطلاع والتعلم ليكون أصوب حكما واسد رأيا ولذلك ساح كثيرا فى بلاد أوربا و بلاد المشرق باحثا اينما حل عما عساه ينفع للعـمل الجليل الذي ابتدأه وكان يدرس غير متشيع الى مذهب ضروب الحضارة والاخلاق عند جميع الامم بحرية فى الفكر وجولان فى الرأي يندر وجودهما في هذه الايام وجوابه البليغ على مقالات الموسيو هانوتو فى الاسـلام دليل على اننا سائرون فى سبيل التقدم فقد كشف هذا الجواب النقاب عن سعة علمه واضطلاعه وتسامحه الذي عرف ان يدهش الناس به لوقوعه فى جانب التهجم الذي حصل من الموسيو هانوتو

وقد ترك كتابات كثيرة يتيسر للمطلع عليها ان يجد في جميعها المبادىء التي كان يسير عليها في حياته وهي الآن مبادىء تلامذته الذين تتبعوا طريقته وسيتنافسون في حفظ ذكراه

اني كنت أعرف الرجل معرفة ذاتية فانا أشد تأثرا لفقده ممن لم يعرفوه ومثل غيري من معارفه الكثيرين في هذا التأثر فقد كان شديد الحب لوطنه ووطننا وفي هذا المقام أرفع له واجب المدح مع مزيد الحزن والاسف على فراقه وأرجو ان يوجد في هذه البلاد التي بث فيها كثيرا من الافكار الصالحة الشريفة عقول وهمم أخرى تستأنف السير على النهج الواضح الذي اختطه لها

بينما كنت أخط هذه الاسطر اذ لقيت رسالة برقية من بلدة إسبا ببلاد بلجيكا تنعي لي وفاة الدكتور سدني سميث وهو موسر أمريكي واسع الادراك والفكر محب للاسلام ومعجب بالشيخ محمد عبده الذي كان من أصدقائه

لا تقع مصيبة وحدها قد فقد انطفأ نبراسا هذين العقلين في يوم واحد وهما على تباعدهما في المنشأ قد تقاربا بالاشتراك في الافكار والآراء

وسيدني سميث هذا الذي جمعني واياه الالفة الاكيدة كان هو الاستقامة المجسمة وكان له عندي فوق ذلك الخصيصة الكبرى وهي محبته لبلادي وديني وذوده عنهما فانه كان تعلم كيف يعرف الدين الاسلامي ولهذا تراني أجد وقع مصابه مضاعفا وليس في وسعي أن أمدحه بأكثر من اشتراكه هنا في السلام الذي أهديه من قلبي الحزين الى فقيدنا الذي هو نفسه كان يطربه و يعجب به كثيراً . اه

تحريراً في ١٢ يوليه سنة ١٩٠٥   محمد طلعت

حرب

وكتبت جريدة البيراميد الفرنسية (الاهرام) في عددها الصادر بالقاهرة فى ١٢ يوليه سنة ١٩٠٥ ما ترجمته

موت الشيخ محمد عبده

قد توفي الشيخ محمد عبده إثر انتكاس قوي وكانت حالته الصحية من بضعة ايام داعية الى قلق ممرضيه واخوانه قلقا شديدا توفي بالاسكندرية حيث كان ينوي السفر منها الى اوربا فمنعه منه عشية الاستعداد له علة مكينة مؤلمة ولما بلغ نعيه المحزن القاهرة مساء امس كان شديد الوقع على النفوس لان تقارير الاطباء في الاسبوع الماضي كانت تؤذن بشفائه فساء الناس ان كان ذلك التحسن الظاهر نذير الموت الذي اختطفه من أوليائه وخلانه . انطفأ نبراس حياة ذلك الشيخ الجليل فى الساعة السادسة من مساء أمس

زال بزوال مفتي الديار المصرية رجل من أكبر الرجال في العالم الاسلامي وفقدت مصر فيه سراج علم من أضوإ السرج وجميع من عرفوا الشيخ محمد عبده معرفة قريبة أو بعيدة من أي أمة كانوا والى أي دين ينتسبون آسفون أسفا حقيقيا شديدا أن غاب عن مشهد هذا العالم مثل ذهنه المستنير وعقله المثقف ونفسه الكريمة .

ولد الشيخ محمد عبده في محلة نصر (باقليم البحيرة) وتلقى دروسه الاولى في الجامع الازهر على الشيخ عليش الذى كان اذ ذاك شيخا لهذا الجامع (كذا) فامتاز عن جميع اخوانه من الطلبة بحدة ذهنه وهمته في العمل فكان في شبيبته مُمتىً العقل فى طلب العلم دائم النهم في تحصيل المعارف غير قانع باغترافها من ينابيعها الأزهرية واتفق في ذلك الوقت ان السيد جمال الدين الافغاني كان يلقي دروسا على نخبة من شبان المسلمين فاسترعت ذهنه فانخرط في سلك تلاميذ ذلك العالم الكبير الذي كان صاحب الدولة رياض باشا استقدمه من القسطنطينية للتعليم في الازهر وقد اقتبس منه أفكاره الحكمية الحرة فكان غرضه الذي يرمي إليه فكرة الانسلاخ عن التقاليد العتيقة والتوفيق بين العلم والدين ولما كانت جرائيم هذا

الاصل قد ألقيت في نفسه كان لابد ان تؤتي فيما بعد ثمارا ثمينة جليلة ·

وفي سنة ١٨٧٩ عين مدرسا في مدرسة الالسن غير انه لم يلبث ان ارتاب في أمره الخديوي اسماعيل باشا فصدر اليه أمره بالابتعاد الى مسقط رأسه (محلة نصر) وأما شيخه جمال الدين فانه نفي من القطر المصري وبعد مضي سنة من ذلك عاد رياض باشا الى الوزارة فاستعاد الشيخ محمد عبده الى مصر وعهد اليه بتحرير الجزء العربي من الجرنال الرسمي فبقي في هذا المنصب الى ان قامت الحوادث التي غيرت أحوال مصر وأفضت الى دخول بريطانيا العظمى فيها وبما اتهم في الثورة العرابية بحق أو بغير حق حكم عليه بالنفي فغادر مصر الى سوريا حيث اشتغل بالتعليم في كبريات مدارسها وأخص ما عني بالقائه فيها تفسير رسائل سيدنا علي بن أبي طالب فطار بهاصيته وذاع بها ذكره

كان الشيخ محبوبا محترما من جميع الناس وكان يعيش عيشة وادعة ويبذل لتلاميذه كنوز علمه الواسع وقد تعرف في بيروت بمحيي الدين بك حماده الذي كان لحادثته الاخيرة اسوأ وقع في القاهرة وتزوج بنت (أخي) هذا الصديق الجديد وبعد ذلك بثلاث سنين سافر الى باريس حيث لقي استاذه القديم الشيخ جمال الدين وكان هذا الحكيم الكبير يأنس من نفسه ميلا اليه لما ادهشه من ألمعيته وفرط ذكائه وقد تجلى هذا الميل في مظهر محبة فائقة له وكان الشيخ جمال الدين يعيش في مدينة النور (يعني باريس) بين عصابة من المعجبين به فقبلوا ان يكون هذا الشاب المنفي في زمرتهم وكان هذا الاختلاط المستمر والاحتكاك الدائم بهم سببا في نمو افكاره الحرة وبلوغها من القوة الى حد ان ظهر أثرها في سيرته بقية حياته وقد انشأ بمساعدة استاذه جريدة عربية سماها العروة الوثقى لم تطل مدة بقائها

ولما عفا عنه الخديوي المرحوم توفيق باشا في سنة ١٨٨٧ بادر بالرجوع الى مصر حيث لم يلبث ان لفت الانظار اليه بفضله ومعارفه الغزيرة في المسائل الدينية والادبية وقد نشر تفسيرا للقرآن يعتبره العارفون وهم محقون انه خير التفاسير وقد حظي الناس منه أيضا برسالة في التوحيد

كان شريفا في تواضعه بشوشا في معاملته للناس فلم يلبث ان استمال قلوبهم

اليه وكثر فيهم احباؤه واصدقاؤه ولقد خلب عقول جمع من حظوا بصحبته بسحر منطقه وحلاوة آدابه وبالحسن المنبعث من ذاته كلها ولقد كان يخلص لرائيه جمال لا وصف له من عينيه الصغيرتين البحاثتين اللتين كان يخيل لمن يراهما انهما على الدوام تغوصان في عالم المجهولات

قبل ان يرقى الشيخ محمد عبده الى منصب الافتاء في عام ١٨٩٧ كان عاملا في المحاكم الاهلية فقد ولي القضاء في محكمة بنها ثم نقل الى محكمة الزقازيق ومنها الى مصر و بلغ في سنة ١٨٩٠ بكفائته واستعداده منصب مستشار فى محكمة الاستئناف الاهلية ولكنه لم يبين للناس حرية الفكر والتسامح اللذين بثهما في نفسه جمال الدين الا وهو فى منصب الافتاء وكانت تعاليمه تدور على أمر واحد وهو التوفيق بين العلم وأصول القرآن

كان للشيخ محمد عبده نفوذ كبير في حياة بلاده الداخلية سواء كان ذلك من جهة الدين أو من جهة السياسة فبما كان مفتيا كان يرجع اليه المسلمون في حل مايشكل عليهم من المسائل الشرعية و بما كان عضوا فى مجلس الشورى كان حكما لاعضاء الجمعية العمومية الاجلاء يوضح لهم دقائق المباحثات والمجادلات و يوحي اليهم بالمشروعات القانونية وقد برهن في كلا العملية على ما كان له من سعة الفكر والبصر بالامور الذي يندر وجوده في غيره

كثيرا ما كان الشيخ محمد عبده كغيره من المشتغلين بحياة البلاد السياسية والادبية هدفا لمطاعن لا يسلم منها امثاله غير انه قد وجد له معارضون في بعض طوائف من الناس ولم يكن له بينهم أعداء مطلقا فان ما أوتيه من المعارف وحسن السمت الدال على الشمم والشرف كان يوجب اجلاله وتعظيمه حتى ان معارضيه أنفسهم ما كانوا يأبون عليه أداء مايجب له من الاعجاب والاستحسان

وليس من حقنا ان نتوسع فى بيان عمله من الوجهة الدينية فالكلام فيه من المسائل الدقيقة التي لاحق في الخوض فيها الا لاخوانه في الدين وانما لا يسعنا ان لا نقول انه من حيث كان عضوا فى مجلس الشورى قد أدى واجبه أكمل أداء وأشرفه فقد ذب عن مصالح البلاد بمقدار ماسمحت له به أحوال مصر الآن

وربما عاب عليه بعض الناس شيئا من الضعف في بعض المواطن ولكن كان له في ذلك عذر فانه كان لابد له ان يرضخ لصروف الزمن وحوادث الايام

ومن ذا الذي لايذكر له مقابلته الواجبة التذكار للمستشار القضائي في هذه الايام الاخيرة بسبب انشاء محاكم الجنايات فانه لما كان رئيسا للجنةالتي نيط بها درس مشروع قانون هـذه المحاكم كان من رأيه ورأي اخوانه المعارضة في تنفيذه غير ان المستشار صرح بان لا يسلم برفض هذا القانون فاضطر الشيخ محمد عبده الى الامتثال لانه لم يكن في وسعه غيره واجتهد في ان يحوز ذلك المشروع التحوير الذي يراه ضروريا وكان أشد من ذلك اقداما في معارضة الحكومة عند المناقشة في مشروع قانون مرسى مطروح وبهمته ومساعدة اخوانه أيضا عدلت الحكومة عن هذا المشروع الذي سيحور تحويرا كبيرا

ولاينبغي ان ننسى أيضا انه هوصاحب مشروع لائحة تشكيل المحاكم الشرعية الذي عرض في هـذه الايام الاخيرة على نظارة الحقانية فهـذا المشروع ونظام التدريس الذي وضعه لمدرسـة القضاة الشرعيين هما آخر أعماله التي تفضل بها على بلاده وقد دهمه الموت قبل ان يفرح برؤية ثمارها

للشيخ محمد عبده على مصر اياد كثيرة ومن أجل هذا نرى جميع أهلها في حزن وألم شديد لموته . اهـ

وجاء في عددها الصادر في ١٣ يوليه سنة ١٩٠٥ وصف تشييع الجنازة بالاسكندرية والقاهرة على نحو ماذ كرته الفارد الكسندري (كما سيأتي) وزادت البيراميد أنه عند قيام الجثة من محطة باكوس أوعز رئيس مدرسة الفرير بدق الاجراس فدقت فكان لاعلان هذا الاجلال والميل وقع عظيم فى نفوس المشيعين

جريدة البروجريه

جاء فى عـددها الصادر فى القاهرة باللغة الفرنسية في يوم الاربعاء ١٢ يوليه سنة ١٩٠٥ ماترجمته

توفي الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في منتصف الساعة السادسة من

مساء أمس وستنقل جثته على قطار مخصوص الى القاهرة فتصلها الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والثلاثين بعد الظهر ويبقى النعش في المحطة حتى الساعة الرابعة بعد الظهر وفيها يسير المشهد

وسيتبع المشهد في مسيره هذا النظام وهو أن يمر بشارع كامل امام لوكاندة شبرد فميدان الاوبرا فالعتبة الخضراء فشارع الموسكي حتى يصل الى شارع الحلوجي ومنه الى الجامع الازهر حيث يصلى عليه ثم تنقل الجثة بعد الى مقبرة العفيفي بالقرب من مقبرة الشيخ الامبابي وتدفن هناك

وقد أرسل عطوفة فخري باشا مقام الجناب الخديوي أمره الى جميع كبار عمال الحكومة بأن يحضروا الجنازة . اه

وجاء في عددها الصادر في ١٣ يوليه سنة ١٩٠٥ ما ترجمته:

شيعت جنازة الشيخ محمد عبده كما قلنا أمس في الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم وكان يتقدم المشهد فصيلة من فرسان البوليس ويحمل النعش نفر من طلبة الازهر ويتبعه مباشرة مئات من مشايخ الازهر وعلمائه ووراءهم مستشارو الاستئناف والمحامون الوطنيون وعمال نظارة الحقانية والمحاكم الاهلية وعلي بك شاهين من قبل الجناب الخديوي وعطوفة ابراهيم باشا فؤاد عن الحكومة وكان أكثر من خمسة آلاف نفس يمشون مع الجنازة فكان مشهدها مؤثرا ولم يحصل شيء يخل بالأمن والفضل في ذلك لما اتخذه سعادة منسفيلد باشا من الطرق الاحتياطية . اه

جريدة الجورنال دوكير الفرنسية

جاء في عددها الصادر بالقاهرة في ١٢ يوليه سنة ١٩٠٥ ما ترجمته

لاشك ان مصر قد ابتليت في هذه الايام الاخيرة بكثير من المحن ففي شهر دسمبر فقدت محسنها الكبير واليوم فقدت أكبر علمائها وأشهرهم وهو الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ونعي هذا الرجل المبجل لن يقتصر على مصر بل أنه سيكون له رنة في جميع ارجاء العالم الاسلامي كالهند وسوريا والجزائر وجنوب أفريقيا فان الشيخ كان معروفا في كل مكان ومحترما عند جميع الناس وقدمات

وله من العمر ٥٨ سنة

أصاب المفتي داء عضال وهو سرطان في الكبد فكان عازماً على مبارحة مصر الى أوربا لتبديل الهواء ولكن الاطباء المعالجين له منعوه من أي انتقال عشية يوم السفر لان حالة المرض كانت تقضي بذلك فاقام بمحطة شوتس (١) بالرمل حيث قضى نحبه في الساعة السادسة من مساء أمس مع بذل الاطباء جميع مالديهم من العناية في مداواته وقد فقد الناس الامل في شفائه من يومين واشتغلت نظارة الحقانية وحكمدارية البوليس باصدار التعليمات الرسمية للاستعداد لتشييع جنازته تشييعا يليق بمقامه وماعرف خبر وفاته في القاهرة حتى بادر رصفاؤنا الوطنيون باصدار الملحقات الناعية لاهل مصر مصيبتهم بفقده وإنا مقتصرون هنا على إيراد شيء من ترجمة حياة الشيخ فنقول :

تربى مفتي الديار المصرية في الجامع الازهر بعيدا من أهله وذويه وكان تلميذا للفيلسوف المعروف جمال الدين ويقول العارفون بمعرفة أكيدة أنه كانت له طريقة عجيبة يهتدي بها في طريق التعليم وقد أتم دروسه في بلاده ثم كملها باسفاره في أفريقيا وآسيا وأوربا وبعد خروجه من الازهر عين محررا للوقائع المصرية واستمر في هذا العمل الرسمي الى سنة ١٨٨٢ وفيها اشترك فى الثورة العرابية وبسببها نفي الى سوريا وهناك عين معلما في مدارس الحكومة الكبرى

ثم عاد الشيخ الى مصر بعد ان نال عفو الخديوي السابق توفيق باشا وعين قاضياً بالمحاكم الاهلية ثم مستشارا في محكمة الاستئناف الاهلية ثم مستشارا في نظارة الحقانية (٢) وفي ٧ رجب سنة ١٣١٣ الموافق ٤ يناير سنة ١٨٩٥ قررت الحكومة انشاء مجلس ادارة للازهر وعين الشيخ مندوباً للحكومة فيه ويذكر

---

(١) ان الدار التي مرض فيها وتوفي كانت قريبة من محطة سوتش هذه ولكنها أقرب الى محطة صفر ولذلك اختلف فيها قول الجرائد !

(٢) كذا قالته هذه الجريدة والامر ليس كذلك ولعلها أخذته من ان المرحوم لما عين مفتياً للديار المصرية كلف نفسه التفتيش على المحاكم الشرعية على عموم القطر فاجابته الحقانية ففعل وقدم تقريره المعروف في اصلاح هذه المحاكم

أنه استقال من هذا العمل في ١٩ مارس الماضي بسبب حادثة طنطنت بها الصحف وتبعه في هذه الاستقالة عضوان آخران

عين الشيخ محمد عبده مفتيا للديار المصرية في ٢ يونيه سنة ١٨٩٩ بدلا من الشيخ حسونه النواوي الذي استقال من هذا المنصب

وللمفتي كتاب في التوحيد وتفسير لعدة من سور القرآن وجملة من الفتاوى وكان ينشر ما يلقيه في الجامع الازهر من دروس التفسير في مجلة وطنية مخصوصة ولكن أجل مأثرة كانت له وستكون على مر الدهور هي اصلاحه للازهر فقد كان في مقدمة الرجال العارفين العقلاء الذين في استطاعتهم ان يعرفوا سوء حالة التعليم في هـذه المدرسة لانهم بعد ان تخرجوا منها بادروا بالابتعاد عن تأثير تعليمها بما أوتوه من العقل العالي

كان الشيخ محمد عبده واقفا على حضارة الامم الحديثة وتاريخ الامم القديمة ولهذا وقف جزءا عظيما من حياته على تحقيق فكرة اصلاح الاحوال في الازهر واصلاح التربية الاسلامية برمتها وكان يعتبر من الاصلاح الضروري أن يصل بين الشرق والغرب و بين الحضارة الاسلامية والحضارة الاوربيـة وكانت هـذه الحقيقة دائمـا تجول في نفسه وهي ان الاوربيين يجهلون حقيقة الاسلام والمسلمون عاجزون عن تفهيمهم حسن عقيدتهم لانهم أنفسـهم على غير يقين فيها لا من جهة العلم ولا من جهة العمل ولا من جهة الاخلاق

ابتدأ عمل المفتي في الاصـلاح من عهد الخديوي السابق توفيق باشا فانه في ذلك العهد استقل بادخال بعض اصلاحات قانونية فيه ولبغض الازهر بين له تبين له ان لا يمكن الاستمرار على اتمام ماوضعه من أمور الاصلاح بدون مساعدة الخديوي ولم يكن توفيق باشا ميالا لمساعدته ولما تولى الخديوي عباس باشا لم يلبث الشيخ ان شكل مجلس ادارة للازهر مكلف بملاحظة التعليم والتربية فيه وجعل الجناب الخديوي تحت تصرفه مبلغا قرر في ميزانية الاوقاف ونظارة المالية أعدت له أيضا مبلغا آخر وقد جرى الاصلاح جريا حثيثا بهمة الشيخ الذي كان مندوبا للحكومة في المجلس ولم يظهر أحد بمعارضته وان كان أهل الازهر قد طلبوا مرارا

تأجيل تنفيذ بعض الاعمال بحجه وجوب ارجائها ليكون الابطاء فيها أنجح لها

وقد حدثت بالازهر عدة حوادث كان من نتائجها تعاقب جملة مشايخ على المشيخه وهم الشيخ حسونه (١) والشيخ سليم البشري والشيخ علي الببلاوي والشيخ الشربيني وكانت فيه قلاقل اقترن بها اسم الشيخ محمد عبده

وانضم الى تلك الحوادث حوادث أخرى كفتوى الشيخ بحل أكل ذبائح الكتابيين ولبس ملابسهم لعدم تصريح القرآن بالمنع منه خصوصاً لمن هم مضطرون الى معاشرة الاوربيين

كان المفتي يتداخل في كثير من المناظرات الفلسفيه بل والسياسيه وقد كتب عددا وافرا من الرسائل والمقالات في الجرائد

ونحن لاننسى مناظرته الكتابية في سنة ١٩٠٢ للموسيو جبرائيل هانوتو بسبب مقالاته التي نشرها عن الاسلام في جورنال باريس فقد كان لهذه المناظرة دوي عظيم في العالم الاسلامي

وقد سافر مفتي الديار المصرية كثيرا الى تونس والجزائر وكتبت جريدة التان الفرنسيه في هذه الايام في ذلك هذه الجملة فقالت :ان المصريين أكثر المسلمين تقدما وسببه اختلاطهم بالاوربيين وجامعهم الازهر ينشر ما سمعتموه الآن من الافكار في جميع انحاء العالم الاسلامي وقد سافر الشيخ محمد عبده حديثا الى تونس لبث هذه الافكار :

وقد حصل بينه و بين رياض باشا والحزب الوطني المصري بعض الشقاق كما هو معروف

كان الشيخ محمد عبده قبل كل شيء رجل همة وعمل وكان صديقا حميما ومستشارا أصيل الرأي للجناب الخديوي ولرئيس مجلس النظار واللورد كرومر وكانت طبقة المتعلمين من الوطنيين والطوائف المختلفة من الاوربيين جميعهم أحبابا له وربما كان بعضهم غير موافق له في آرائه ولكن يستحيل ان لا يعتقد فيه هذا المخالف حسن النية وثبات الاعتقاد وكان الشيخ رئيسا للجمعية الخيرية الاسلامية بل كان

(١) نسي الكاتب الشيخ عبد الرحمن القطب وكان بعد حسونه

مساعدا لكل عمل خيري فمن ذلك اعانته للحزب المصري الذي أنشيء لمحاربة السل الدرني بكل مافي وسعه من الهمة والنفوذ

وجملة القول ان مصر قد فقدت عالما من أكبر علمائها ورجلا عريض العلم غزير الادب غاية في حسن المحاضرة وليس الاسف على فقده قاصرا على مصر بل انه سيعم العالم الاسلامي باسره

تشييع الجنازة

ستنقل جثة المفتي على قطار مخصوص يبلغ مصر اليوم الساعة الرابعة بعد الظهر وسيجتمع المشهد في المحطة ليسير بالجثة الى المدفن مارا بميدان باب الحديد فشارع نوبار فشارع كامل فميدان الاوبرا فالموسكي فالسكة الجديدة فالجامع الازهر حيث تصلى صلاة الجنازة المعتادة ويدفن بقرافة المجاورين وسيكون تشييع الجنازة على نفقة الحكومة ويقام المأتم ثلاثة أيام بمنزل الفقيد بعين شمس . اه

وجاء في عدد هذه الجريدة الصادر في ١٣ يوليه سنة ١٩٠٥ ماترجمته:

حياة شيخ — عمله — جنازة المفتي — كال البساطة في مشهده — مقالات الجرائد فيه — جزاؤه المستحق من المديح

ما برح موت مفتي الديار المصرية يعد حادثة اليوم في مصر وفي جميع العالم الاسلامي فلا حديث للناس الا هو وذلك برهان جديد على ما كان للفقيد من المكانة السامية ولذلك يهمنا ان نثبت هنا شأن تفاصيل حياته وتواريخها .

لم يكن الشيخ محمد عبده من البيوتات الشهيرة فانه ولد في سنة ١٨٤٨ أفرنجية في محلة نصر بمركز شبراخيت (من مديرية البحيرة) وكان أبوه يدعى سليم عبده (١) وهو من مزارعي تلك القرية وبعد ان أتم الشيخ دروسه بالازهر نال درجة العالمية في سنة ١٨٧٨ وكان تلميذا للشيخ عليش وللشيخ جمال الدين الافغاني الذي استحضره صاحب الدولة رياض باشا من الاستانة بمرتب شهري قدره ٢٥ جنيها ليعلم في الازهر الحكمة وعلم الكلام والعلوم الدينية وقد أثبت الشيخ محمد

---

(١) كان اسم والده (عبده) فقط فلفظ سليم زائد

عبده استحقاقه لان يكون تلميذا للحكيم الافغاني كما أثبت ذلك كل من الشيخ عبد الكريم سلمان العضو بالمحكمة الشرعية الكبرى وابراهيم بك اللقاني المحامي والشيخ وفا محمد وقد قاوم طلبة الازهر الشيخ جمال الدين ووقفوا في سبيله وقفة بلغت الى حد أن اضطر شيخ الازهر الى اخراجه مع تلامذته من مسجد سيدنا الحسين (كذا)

وفي سنة ١٨٧٩ عين صاحب الدولة رياض باشا الشيخ محمد عبده مدرسا بمدرسة الالسن ولم يمض على ذلك غير قليل حتى أسقط اسماعيل باشا (كذا) وزارة رياض باشا ونفى الافغاني وارجع الفقيد الى بلدته في البحيرة ولما عاد رياض باشا الى الوزارة في عهد توفيق باشا عين الشيخ محمد عبده محررا للوقائع المصرية (القسم العربي من الجرنال الرسمي) فكان يحرره بمساعدة الشيخ عبد الكريم سلمان وسعد بك زغلول وابراهيم بك الهلباوي والسيد وفا محمد

وفي ذلك الوقت حدثت الثورة العرابية فكان الشيخ محمد عبده فيها مستشار العرابيين المسموع الكلمة على عدم استحسانه لاعمالهم بل أنه حمى سرايي رياض باشا من أفعالهم العدوانية

وعند احتلال الانكليز للقاهرة في سنة ١٨٨٢ قبض على الشيخ محمد عبده كما قبض على عدة من اخوان عرابي وحبسوا في المحل المعد للدائرة السنية وفي سبتمبر سنة ١٨٨٢ سيق الى المحاكمة متهما بأن من ضمن أعماله أن نشر فتوى مقتضاها خلع توفيق باشا فعين له صديقه المستر والفريد بلانت المحامي الانكليزي برودلي وانتهت المحاكمة بأن قضي عليه بالنفي ثلاث سنين بل انه يحكى أن الشيخ لجأ الى الهرب وأن الحكومة أعلنت هربه في الجرنال الرسمي ستة أشهر متتابعة واعدة من يقبض عليه بأن تكافأه بعشرة آلاف جنيه مصرية وكان الشيخ اذ ذاك في باريس (الصواب ان هذا الهارب عبد الله أفندي نديم)

ثم أنه نفي بعد ذلك الى سوريا فعين مدرسا للمدرسة السلطانيه ببيروت وأقام في سوريا أربع سنين فى أثنائها عرف محيي الدين حماده بك الذي قبض عليه في هذه الايام الاخيرة عند بلوغه بيروت آتيا من سفره ولم يفرج عنه الا بتوسط

السفارة الانكليزية في الاستانة وكانت معرفته به سببا في ان تزوج الفقيد بنته

وفي سنة ١٨٨٦ ذهب الشيخ محمد عبده الى باريس حيث لقي أستاذه الشيخ جمال الدين الافغاني ونشر معه جريدة لم يطل عمرها وهي المسماة بالعروة الوثقى التي منع دخولها مصر ثم في سنة ١٨٨٧ عفى عنه الخديوي توفيق باشا فرجع الى مصر وعين قاضيا في محاكم بنها والزقازيق ومصر وفي سنة ١٨٩ عين مستشارا في محكمة الاستئناف الاهلية وفي ٢٠ يونيه سنة ١٨٩٩ عين مفتيا للديار المصريه

وفوق هذا العمل الرفيع كان الشيخ محمد عبده عضوا في مجلس الشورى وفي الجمعيه العموميه وفي مجلس الاوقاف الأعلى وفي اللجنه التشريعية بنظارة الحقانية ورئيساً للجمعية الخيرية الاسلامية وعضوا في مجلس ادارة الازهر وقد قام في جميع هذه المناصب بالخدم الجليلة المشهورة وكان رحمه الله برا من أحسن البارين ومحسنا من أجل المحسنين فكان يبذل جزءاً عظيماً من ايراده لمواساة البائسين ومساعدة المحدودين

لم يعقب الشيخ محمد عبده ذكورا بل ترك أربع بنات اثنتان منهن متزوجتان بمحمد بك يوسف وعثمان أفندي يوسف والاخريان تميشان مع عمها حموده بك عبده المحامي

مات الشيخ محمد عبده كما قلنا أمس بسرطان في الكبد وهو نفس العلة التي مات بها أستاذه الحكيم الشيخ جمال الدين الافغاني وكان أصابه برد في سفره الاخير الى السودان في شهر فبراير الماضي ومن ذلك الحين ظهر المرض ظهورا شديدا

وقد تكفلت الحكومة بتشييع جنازته فاحتفلت به احتفالا يليق بمقامه

(ثم وصفت الجريدة تشييع الجنازة في مدينتي مصر واسكندرية على نحو ما ذكرته الجرائد الاخرى وزادت ان القطار المقل لجثة الفقيد كلما كان يقف بمحطة كانت تحتشد فيها العامة لاستقباله وهي مكتئبة حزينة — وامتازت هذه الجريدة بان نقلت شذرات مما كتبته معظم الجرائد الافرنكية والعربية في تأبين الفقيد ولكنها أخطأت في مسائل صححنا بعضها وأشرنا الى بعضها بكلمة (كذا)

وجاء في عدد هذه الجريدة الصادر في ١٤ يوليه ماترجمته

مفتي مصر

قلنا بالامس ان جنازة الشيخ محمد عبده كانت كلها عنوانا للبساطة والخلو من البدع موافقة لمذهبه فلم يكن فيهاأحد من القراء ولا من حملة المباخر ولامن حملة المصاحف ومما يذكر لهذه المناسبةاز المفتي لما شيعت جنازة احدى اخواته (١) منع كل هذه التقاليد منعا كليا لانه كان يعدها مخالفة للدين

وقد جرى الناس في تشييع جنازته على الاصول التى كان يعلمها في حياته فمن ذلك ان أحد أهل الازهر كان يريد ان يتلو قصيدة في تأبينه فاسكته الشيخ عبد الكريم سلمان قائلا ان الشيخ قدأبطل هذه العادة (من الازهر) في حياته

و بعد انصلى عليه الشيخ حسونه صلاة الجنازة دفن في قرافة المجاورين ولما أراد بعض الخطباء ان يؤبنوه نبههم سعادة حسن عاصم باشا الى ان كثيرا من أصدقائه يروم ارجاء التأبين الى وقت آخر وجعله في مكان آخر فكان ماقاله

ومما نزيده على ما قلناه ان رصفاءنا أصحاب الجرائد العربية قد نشروا مقالات مطولة في هذه الحادثة وعند كلامهم أمس على الجنازة كانت عناوين مقالاتهم كما ترى: جنازة الفقيد ــ مشهد المأسوف عليه المفتي ــ جنازة الفقيد المفتي: وقد نشر معظمهم قصائد شائقة شديدة التأثير ومن الاتفاق الغريب ان اليوم الذي مات فيه المفتي هو نفسه اليوم الذي مات فيه بانكلترا السير وليم موير الذي قضى حياته كلها محاربا للاسلام فى كتاباته ودروسه

ولنختم القول في هذا الموضوع بان ماذكره عدة من رصفائنا من الاخبار عن خلف المفتي سابقة أوانها فانه لايبت شيء فى هذا الامر قبل عودالجناب الخديوي الى مصر ورجوع عطوفةرئيس مجلس النظار وجناب اللورد كرومر. اه

---

(١) الصواب أمه لااحدى اخواته

جريدة الفارد الكسندري

جاء في عددها الصادر بالاسكندرية باللغة الفرنسية في ١٢ يوليه سنة ١٩٠٥ بعنوان مفتي الديار المصرية ما ترجمته :

نعلن للناس وأسفنا شديد أن مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده كان حضر من بضعة أسابيع الى رمل الاسكندرية على نية السفر الى أوربا تغييرا للهواء فاخترمته المنية أمس فى الساعة الخامسة مساء وهو فى الثامنة والخمسين من عمره وكانت وفاته بمنزل سعادة محمد راسم بك فى صفر بالرمل

توفى الشيخ محمد عبده إثر داء فى الكبد لم يمهله الا مدة قصيرة وقد كان مشهورا في العالم الاسلامي وكان جميع طلبة الجامع الازهر يقدرون معارفه قدرها والمعروف عن هذا الجامع انه يحتوي على أكثر من عشرين ألف طالب (كذا) يفدون اليه من جميع البلاد

وقد تخرج الشيخ محمد عبده نفسه منه فشهره بجدارته ونبوغه وكان تلميذا لفيلسوف الشرق الكبير الشيخ جمال الدين الافغاني شديد الملازمة والاخلاص له وبعد أن ترك الازهر عين محررا للجريدة الرسمية ثم اشترك في الحوادث العرابية فنفي في سوريا فاشتغل فيها بالتعليم ثم عفى عنه الخديوي توفيق باشا وعين قاضيا بالمحاكم الاهلية ثم مستشارا في محكمة الاستئناف ثم انتهى اليه منصب الافتاء

وقد دخل الشيخ محمد عبده مرارا في مناظرات سياسية متعلقة بالبلاد وكتب جملة رسائل ومقالات وتناظر بالكتابة مع الموسيو جبرائيل هانوتو وزير خارجية فرنسا مناظرة كان لها دوي عظيم في العالم الاسلامي

كان الشيخ محمد عبده كما قلنا عالما من الدرجة الاولى فخسر العالم الاسلامي بموته خسارة كبرى وما ذاع خبر وفاته المحزن حتى قدم الى الاسكندرية مساء أمس ألوف مؤلفة من المسلمين بعضهم من القاهرة وبعضهم من الارياف ليشهدوا جنازته

الجنازة

في نحو الساعة العاشرة من صباح اليوم نقلت جثة الفقيد المأسوف عليه من

منزل سعادة محمد راسم بك بمحطة صفر في عجلة مخصوصة من عجلات الترام يصحبها محروس أفندي عبده والشيخ علي عبده أخوا الفقيد وصاحب السعادة مظلوم باشا ناظر المالية وأحمد يحيى بك من أعضاء المجلس البلدي النائب عن مدينة الاسكندرية في مجلس الشورى وعزيز كحيل بك من مستشاري محكمة الاستئناف الاهلية وسعادة محمد راسم بك المستشار بمحكمة الاستئناف سابقا (كذا) وعدة من الاعيان الذين جاءوا من القاهرة ومن القرى لهذا الغرض ولما بلغت الجثة محطة الرمل حملها عدة من الاعيان على أعناقهم في الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة وسلك المشهد شارعي الرمل فالنبي دانيال يتبعه تلامذة مدارس العروة الوثقى ومكارم الاخلاق بموسيقاهم ورجال البوليس تحت قيادة اليوزباشى علي أفندي حمدي وفصيلة من عساكر خفر السواحل تحت قيادة البكباشى استانلي وفريق من عمال الجمارك تحت إمرة مأمور منها وكان يتبع الجنازة فرقة من عساكر البوليس الفرسان تحت إمرة يوزباشي وأمامها علماء الاسكندرية وقاضيها وطلبة جميع المساجد وشيخ العلماء ومن ورائهم أصحاب السعادة حسين فخري باشا قائمقام الجناب الخديوي وریاض باشا رئيس مجلس النظار سابقا وعباني باشا ناظر الحربية ومظلوم باشا ناظر المالية ووراء الجنازة المستر فندلي متولي أعمال الوكالة البريطانية في غياب اللورد كرومر والمسترانس وكيل نظارة المالية وابراهيم نجيب باشا وكيل الداخلية وعزت باشا وكيل الخارجية وصالح ثابت باشا رئيس محكمة الاستئناف الاهلية وحافظ بك محمد وكيل محافظة الاسكندرية وسعادة الميرالاي هو بكنش بك حكمدار البوليس بملابسه الرسمية وقضاة المحكمة الاهلية والمحامون وزكي بك سكرتير مجلس النظار و يعقوب باشا ارتين وكيل نظارة المعارف وموسيو رالى وكيل المجلس البلدي واسماعيل صدقي بك سكرتير البلدية العام وموسيو برند القائم برئاسة مجلس القورنتينا وزنانيري بك سكرتير هذا المجلس وشاهين بك مكاريوس صاحب المقطم ورشيد بك شميل صاحب البصير ووكلاء الجرائد وحسن بك مظلوم السكرتير الخصوصي للموسيو شيتي بك مدير عموم الجمارك الجليل وميشيل أيوب بك مراقب عموم الجمارك وسعادة عبد الحليم عاصم باشا

مدير الاوقاف وسعادة محمود فهمي باشا مدير أقلام المعية السنية (السابق) وشرا باتي بك رئيس قلم قضايا الحكومة وحسين أفندي كامل بالنيابة عن صاحب الدولة جلال الدين باشا

ولما بلغ المشهد مسجد النبي دانيال صعد جميع المؤذنين على المنارات وبرروا روح الفقيد ثم سار المشهد الى محطة الباب الجديد وهناك دخل جميع المشيعين وعزوا أخوي الفقيد الذي لم يعقب ذكورا ثم وضعت الجثة في عجلة مختومة وسار بها القطار المخصوص من الاسكندرية في الساعة الحادية عشرة قبل الظهر الى مصر حيث يحصل الاحتفال الرسمي بالدفن في الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم. اه

وجاء في عدد هذه الجريدة الصادر في ٣ يوليه ما ترجمته

أتانا من مكاتبنا بالقاهرة هذه الرسالة وهي :

القاهرة في ١٢ يوليه سنة ٩٠٥

شيعت جنازة المأسوف عليه الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية بعد ظهر اليوم بحضر من جميع سكان القاهرة الذين عمهم الحزن وفيهم عدة آلاف من أصدقاء الفقيد ومن المعجبين به ولقد ساعد خلو الجنازة من المظاهر التقليدية وبساطة المشهد على جعلها مهيبين وزادها مهابة ما كانت تثيره الجنازة في طريقها من عواطف الحزن والاسى في نفوس الناس

لما بلغت جثة الاستاذ امام الشريعة الاسلامية في القطر المصري محطة مصر في الساعة الثانية بعد الظهر على قطار مخصوص نقلها بعض طلبة الازهر الى قاعة استراحة الدرجة الاولى حيث التف حولها جميع أكابر العلماء يقرؤون ويدعون الى ساعة قيام المشهد الذي لم يتحرك من ميدان باب الحديد الا في الساعة الرابعة بالضبط

كان يتقدم النعش فصيلة من عساكر البوليس مشاة تحت قيادة البكباشي أحمد أفندي عفت وكان النعش خلوا من الزخرف يحمله ستة من طلبة الازهر

ويتبعه جميع علمائه وطلابه يتقدمهم الشيخ الشربيني شيخ الجامع (١) ومعهم طلبة مدرسة دار العلوم والمستشارون والقضاة وأعضاء النيابة والمحامون وحضرة علي بك شاهين عن الجناب الخديوي وسعادة ابراهيم باشا فؤاد ناظر الحقانية نائبا عن الحكومة وسعادة محمد باشا صادق رئيس مجلس ادارة الاوقاف (كذا) وسعادة اللورد سسل باشا وكيل نظارة الحربية والمستر متشل مستشار الداخلية والسير هوراس بتشنج باشا ومنسفيلد باشا حكمدار البوليس والقائمقام كولفيل رئيس أركان حرب جيش الاحتلال ووكيل المحافظة وحداد بك وكيل قسم الضبط وكثير من كبار عمال الحكومة ومن وراء هؤلاء الجم الغفير من رجال الدين وفقراء الجمعية الخيرية التي أنشأها الفقيد وسار بها في سبيل الفلاح

سلك المشهد شارع نوبار فشارع كامل فميدان الاوبرا فشارع البوسته فميدان العتبة الخضراء فالموسكي ثم انتهى الى الجامع الازهر حيث صلي على الجنازة وقد كان مرور الجنازة بشارع الموسكي الكثير الزحام سببا في تراكم الجماهير من الوطنيين الى حد ان حركة التجارة فيه كان يخشى عليها وهذا ما اضطر التجار الى اقفال حوانيتهم ولكن لم يحصل والحمد لله ما يؤسف عليه وبعد ان صلي على الفقيد في زمن قصير نقل جسده الكريم الى المقبرة المعدة للمشايخ والعلماء وهي قرافة المجاورين

وقد كان في توارد الجماهير من سكان القاهرة لتشييع الجنازة ما اخمد أنفاس القائلين بان الفقيد لم يكن محبوبا من الامة المصرية

وقد برهن سكان أكبر مدينة اسلامية في هذا القطر علي أنهم عرفوا أن يقدروا ما كان عليه الشيخ محمد عبده من سمو الادراك وشدة الاستقامة والصلاح وسعة الفكر ورحمة القلب وليس من شأني أيها القراء أن أكتب

---

(١) لعل الكاتب قرر ما كان يجب لا ماوقع بالفعل فان الشيخ الشربيني يومئذ كان مريضاً وحضر الى المأتم بعد الدفن وحلف أنه كان مريضا معتذرا عن عدم الحضور في تشييع الجنازة وان الذي كان يتقدم حضرات العلماء هو فضيلة قاضي مصر ومشايخ الجامع الازهر السابقون

لكم ماخص تاريخه ولكني لا أريد أن أختم هذه السطور قبل أن أؤكد على رؤوس الاشهاد ان موت الشيخ محمد عبده قد فقدت به مصر زعيماً من أجل زعماء الحضارة الاسلامية

جريدة البورصة المصرية

جاء فى عددها الصادر في ١٢ يوليه سنة ١٩٠٥ ماترجمته

« آذنتنا رسالة برقية وردت صباح اليوم بوفاة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في منتصف الساعة السادسه من مساء أمس بالغا من العمر ٦٠ سنة وكان محبوبا عند المسلمين موقرا عند الاوربيين المقيمين بمصر تخرج من الازهر ثم عين محررا للجريدة الرسمية ثم قاضيا بالمحاكم الاهلية ثم مفتيا للديار المصرية

« وقد نشر الشيخ محمد عبده عدة مؤلفات نفيسة منها تفسير بعض أجزاء القرآن ورسالته الحكيمة فى التوحيد

وصلت جثة الفقيد الى محطة القاهرة على قطار مخصوص الساعة الثالثة بعد الظهر »

وجاء في عددها الصادر في ١٣ يوليه سنة ٩٠٥ وصف تشييع الجنازة بمدينتى الاسكندرية ومصر على نحو ما وصفته الجرائد السابقة

جريدة الريفورم

جاء فى عددها الصادر في ١٢ يوليه وصف تشييع الجنازة بالاسكندرية على نحو ماوصفته الجرائد السابقة

وجاء فى عددها الصادر فى ١٣ يوليه سنة ٩٠٥ وصف تشييع الجنازة فى القاهرة مختصرا وهو لايخرج عن معنى ماذكر وقالت إن المشهد كان خلوا من القراء وحملة المباخر وحملة المصاحف جريا على مذهب الفقيد

جريدة الامبرزيال التلبانية

جاء في عددها الصادر فى ١٢ يوليه سنة ٩٠٥ خبر وفاة المفتى وتشييع الحكومة لجنازته كما جاء فى الجرائد الاخرى مختصرا

جريدة الفاردو بورسعيد

جاء في عددها الصادر في ١٣ يوليو وصف تشييع الجنازة بالاسكندرية كما وصفته الجرائد الاخرى

جريدة كايرون اليونانية

جاء في عددها الصادر بالقاهرة في ذلك اليوم بامضاء محررها مسيو كارافيا ما ترجمته

قضى مساء أمس المفتي الاكبر في الديار المصرية بعد ان تراوح أياماً بين الموت والحياة فخسرت مصر بفقده رجلا من أشهر أبنائها وأكثرهم نورا وعرفانا كما فقد العالم الاسلامي بوفاته عالما كبيرا ممتازا ولا نشك في أن المصريين على اختلاف الاديان والمذاهب سيحزنون حزنا شديدا صادرا من صميم الفؤاد على ذلك الرجل الذي شرف في حياته هذا الوطن المصري . ولا غرو فان الفقيد كان في حياته السياسية وحياته الدينية مستقل الفكر نزوعا الى الحرية . واذا كانت مصر قد ارتقت الى بعض مدارج التقدم الفكري فان معظم الفضل في هذا الارتقاء راجع الى الرجل الذي تبكيه الآن . واذا ظهر أناس يسوءهم ما أبداه الفقيد من سعة الفكر واستقلال الرأي وافراغ الجهد للنهوض بمصر الى أعلى قمة الفلاح واذا كان بين أولئك الناس من أراد أن يوقف مجرى التمدن الذي أراده الشيخ محمد عبده فان عددا كثيرا غيرهم في هذا القطر يقدر قدر خطته و يعرفونه رجلا مصلحا محبا لخير بلاده . ولقد كان في جميع المناصب التي تقلب فيها قدوة يجدر بكل مصري ان يضعها نصب اعينه سواء كان في عهده قاضيا أو استاذا أو مفتيا

ولد الفقيد في محلة نصر بمديرية البحيرة وقدم شابا الى القاهرة فدرس في الازهر (و) على جمال الدين الافغاني من أكبر فلاسفة المسلمين في العصر الاخير . ثم عين استاذا في مدرسة اللغات سنة ٧٩ على أن المرحوم اسماعيل باشا شك في اخلاصه له فعزله . ولما شبت نار الثورة العرابية اضطر الى مزايلة مصر والالتجاء بمدينة بيروت حيث علم مدة في احدى مدارسها ونال على شهرة كبيرة ومقام رفيع بين أهلها ثم سافر الى باريس وأنشأ جريدة مع أستاذه جمال الدين . وعاد الى مصر سنة ٨٦ وعين قاضيا في

الزقازيق ثم رقي بأهلية واستحقاق الى وظيفة مستشار في الاستئناف الاهلي ولما خلا منصب الافتاء عين فيه وبقي مفتيا محترم الرأي مستنير الفكر حتى ساعة مماته

٢

جريدة الطان الفرنسية

قالت في عددها الصادر بباريس في ١٢ أغسطس سنة ١٩٠٥ ما ترجمته :

مفتي الديار المصريه

كتب الينا مراسلنا الاسكندري ما نصه :

توفي الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في هذه الايام برمل الاسكندرية حيث كان يتداوى فكان لوفاته تأثير بليغ في نفوس الناس من وطنيين وأوربيين لما كان له فيها من علو المنزلة وعظيم الاجلال

كان الشيخ ابن رجل من المزارعين في مديرية البحيرة حيث ولد سنة ١٨٤٨ وتلقى دروسه في الجامع الازهر الذي قدر له ان يكون استاذه الاكبر وخرج منه في الثلاثين من عمره حائزا لشهادة العالمية

وكان أفضل أساتذته عنده وآثرهم في نفسه الشيخ جمال الدين الافغاني الحكيم الحر النظر الذي كان لافكاره الراقية تأثير عظيم في نفوس من تبعوه من ناشئة المسلمين ولما أبعد الشيخ جمال الدين من الجامع (١) بسبب نشر هذه الافكار تبعه في عزلته الشيخ محمد عبده الذي كان اذ ذاك مدرساً بمدرسة الألسن وعاد الى مسقط رأسه في البحيرة ولما عاد رياض باشا نصير الافكار الجديدة الى الوزارة عفي عن الشيخ محمد عبده وعين محررا للجرنال الرسمي العربي ولكن اختلاطه بالعصاة العرابيين عن كره منه لاعمالهم العدوانية قد طرق اليه الشبهة في نظر الحكومة الانكليزية فأمرت بالقبض عليه ونفيه ثلاث سنين عن مصر فتوجه الي باريس حيث لقي أستاذه الافغاني وحرر معه جرنالا صغيرا يحتج فيه على أعمال الحكومة

ولما عفا عنه الخديوي توفيق باشا عاد الى مصر ثم عين قاضيا بالمحاكم الاهلية

(١) الصواب من مصر وهو لم يكن مقيماً ولا مدرساً في الازهر

ثم مستشارا في محكمة الاستئناف ثم مفتشا في نظارة الحقانية ثم مندوبا للحكومة في مجلس ادارة الازهر ثم انتهى اليه منصب الافتاء في ٢٠ يونيه سنة ١٨٩٩ بعد خلوه من سلفه النواوي الذى استقال منه

وسرعان ماظهر نفوذه في الازهر من حيث حرية النظر فانه أدخل فيه دروسا لبعض العلوم الاوربية كالتاريخ البشري والتاريخ الطبيعي والرياضة والحكمة ونشر رسائل ومقالات في الجرائد والمجلات وتفاسير لسور من القرآن وكتابا في التوحيد ولا يزال الناس يذكرون مناظرته الكتابية المشهورة للموسيو هانوتو عقب مقال له في الاسلام

كان المفتي نير الفكر محبا الاستطلاع فسافر الى تونس والجزائر مختبرا معاهد العلم العربية في تلك الديار وعلى أثر هذا السفر ظهرت فتواه المشهورة بحل أكل ذبائح الاوربيين ولبس ملابسهم فهاج عليه ذلك غضب الحزب المستمسك بالقديم فحصل من الحكومة على عزله من ادارة الازهر فكانت هذه الخيبة قضاء مبرما على صحته (١) وقد كان على أهبة السفر الى كرلسباد ثم الى مراكش لولا ماعراه من أوجاع الكبد المؤلمة فاضطره الى البقاء في الرمل حيث قضى نحبه

وقد كان هذا الرجل جليل القدر يصعب ان تعوض خسارته والمرشحون لمنصبه هم الشيخ حسونه المفتي السابق والشيخ فوده والشيخ سالم بك مدير الجرنال العربي عرفات (كذا كذا كذا)

جريدة التيمس الانكليزية

جاء في عددها الصادر بلندن في ٢٢ يوليه سنة ١٩٠٥ ماترجمته

كتب اليها مراسل من القاهره في ١٣ يوليه ينعي لنا مفتي الديار المصريه فقال:

---

(١) انما استقال الفقيد من الازهر للاسباب التي اضطرت شيخ الازهر الى الاستقالة فهو لم يعزل ولم يكن للحزب القديم يد في استقالته ولا للحكومة ولا علاقة لتلك الفتوى بذلك . ثم ان مرضه قد ظهر في أثناء سفره في السودان قبل حادثة الازهر

توفي الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في ١١ يوليه بمقامه على شاطئ البحر قريبا من الاسكندرية وكان ميلاده في مديرية البحيرة سنة ١٨٤٨ وبعد أن أتم دروسه في معهد التعليم المحمدي بالقاهرة وهو الجامع الازهر عين محررا للجرنال الرسمي ثم اتهم بالاشتراك في الثورة العرابية ونفي من وطنه في سنة ١٨٨٢ فأقام بسوريا حيث استأنف مدارسة العلوم الدينية وفي سنة ١٨٩٢عفي عنه فأعادته الحكومة الى خدمتها بتولية القضاء في احدى محاكم الاقاليم الابتدائية ولم يلبث ان عين مستشارا في محكمة الاستئناف الاهلية بالقاهرة حيث وجد مجالا ملائما لترويض ملكاته الفائقة وفي يونيه سنة ١٨٩٩ اختاره الخديوي لمنصب الافتاء الرفيع وربما لا يوجد في كبار المصريين من يفوق المرحوم المفتي فيما كان يبذله الى اللورد كرومر من المساعدة في سبيل ترقية سياسته الاصلاحية بمصر الاقليلا فقد كان للمفتي تأثير عظيم في نفوس الامة المصرية استخدم مدة وجوده في عمله مع الحكمة والبصيرة

وقد احتفل بتشييع جنازته يوم ١٢ يوليه بالجامع الازهر بمشهد من جمهور عظيم من الامة لم يغب عنه واحد من الكبراء المقيمين بالقاهرة. اه

الديلي كرونكل الانكليزية

وجاء في عددها الصادر بلندن في ٣١ يوليه سنة ١٩٠٥ ما ترجمته:

المفتي

شيخ مصر العظيم وأمانيه

بقلم هارولد سبندر

قالت جريدة « الديلي بيبر » « توفي مفتي الديار المصرية وهو رئيس علماء الدين المحمدي في مصر وشيخ الجامع الخاقان (كذا) وكانت وفاته في مصيفه بالقرب من الاسكندرية بالقطر المصري.»

هكذا مات المفتي ولقد قضيت مع هذا الشيخ المصري الجليل في شهر

مارس الماضي يوما حقيقا بالذكر في مزرعة المستر ولفرد بلونت الانيقة المجاورة للمطرية بالقرب من القاهرة

كان يوما من أيام مصر المحبوبة في أوائل مارس شربنا فيه الشاي تحت شجرة جميز وارفة الظلال في بقعة تعرف بضريح الشيخ وقد تباحثنا في مسائل كثيرة فانساق الحديث الى ذكر الثورة العرابية وأخذ المستر بلونت يصف احتشاد الشبان المتهورين الذين التفوا على عرابي وسقوطهم بانكساره مبعثرين في وهاد النفي والموت واذذاك سألته سؤال الاعمى المتلمس فقلت وهل بقي منهم أحد الى اليوم فكان جوابه نعم يوجد الآن منهم رجل من أشهر رجال مصر وهو جاري وصديق حميم لي ألا وهو مفتي الديار المصرية كان المفتي كالكردينال مانتج يقايض السياسة بالدين وقد بلغ هذا المتصيد من فواقه في الحذق والجدارة مبلغا ألزم الخديوي واللورد كرومر بتعيينه رئيسا لرجال الدين في مصر

الى هنا أمسك المستر بلونت عن الكلام ثم التفت فجأة لسماعه طقطقة حوافر فرس فقال هاهو الرجل عينه فالتفت مثله فاذا أنا بصورة انسان يقول رائيها أنها برزت من كتاب العهد القديم رأيت شيخا حسن البزة جهيرا ممتطيا فرسا عربيا كميتا جميلا مقبلا نحونا على هونه عليه الاردية الطويلة التي لاتزال تمنح الانسان في بلاد المشرق رونقا ورواء وفوق رأسه العمامة الكثيفة التي هي الوقاية الحقيقية من حر الشمس ولما انتهى الينا ترجل وتلطف في تحيتنا وتناول معنا فنجان شاي وأنشأ يحادثنا بالفرنسية الصحيحة

كان حديثه حديث مراقب مفكر وقف يرقب الحوادث من مكان بعيد ونمى فيما سبق أماني كبارا ولكنه تخلى عنها تخليا كاملا وكنت ألمح في عينيه ذلك الابتسام المشوب بالكآبة والرحمة الذي لايرى الا في وجوه من قاسوا كثيرا من الاهوال والشدائد

ومما قاله لنا « لقد طلقت السياسة فلن أشتغل بها بعد » ولقد كان اشتغاله بها مبنيا على مقصد شريف صدق في المحافظة عليه على أنه قد كان من البين أن نيران غيرته القديمة كانت لاتزال مشتعلة في نفسه وقد كان المفتي من المعجبين

المخلصين بالورد كرومر غير أنه كان يبدو من خلال حديثه حينا بعد حين وميض انتقاد لنظام الحكومة كله ناشيء من انبعاث حبه الغريزي للحكومة الوطنية بعد موته

كان الشيخ محمد عبده زعيم أفكار

كنا نتباحث مثلا في سبب كون الحكومة الانكليزية المصرية تقلد ولاية الاقاليم غير الصالحين من المصريين غالبا فبادر المفتي مجيبا عن ذلك بأن العلة فيه هي أن لا شيء أقرب الى الغش والانخداع من حكومة أجنبية

غير أن هذه المعروضات من آرائه كانت نادرة لان عقله في الحقيقة كان قد مر على هذه الافكار وتجاوزها الى ما هو أدق منها من النتائج فانه كان في سني نفيه الطويل دائم الفكر في عيوب الشرق ورجع من منفاه مملوأ حمية جديدة . وكان يريد أن يؤثر في نفوس الناس بما هو أدخل فيها من السياسة فكانت سياسته عبارة عن دعوة الى الحرب الفكرية وقد سألنا وهو من المسلمين المستمسكين بدينهم قائلا : لماذا يديم الاسلام المصري محاربة علم الغربيين ولماذا لا يستمسك أهله بآدابهم الدينية بل لماذا لا يرجعون الى ما كان عليه أسلافهم من التمحص في طلب العلم أعني ما كان لمتنوري المغاربة من حرية الاعتقاد الذي صارت به بلاد الاندلس ينبوع نور وعرفان بل لماذا لا يفكرون في مقصد نبيهم نفسه

ان عملا واحدا من أعمال المفتي يدل على شدة سعيه في بلوغ غرضه وفرط ولعه به ذلك انه كان كثير الاعجاب بالحكيم هربرت سبنسر وكانت نفسه تائقة لزيارته وكان سبنسر اذ ذاك شيخا كبيرا ممتنعا من مقابلة الناس بل جافيا في مقابلة المعجبين به غير ان همة المفتي قد ذللت كل هذه الصعاب فأقنعه المستر بلونت بان يقابل هذا المصري القاصد الى زيارته فقطع له المفتي أجواز البحار الى انكلترا لمحادثته و ياله من اجتماع باهر تلاقى فيه الشرق والغرب

ثم عين المفتي شيخا للجامع الهارون (كذا) الذي هو مجتمع عشرة آلاف طالب وفدوا اليه من جميع أقطار العالم المحمدي واذا كانت أفكاره كالتي عرفتها فكيف كان يمكن أن يعمى عن رؤية قوته في هذا المنصب الجديد فقد كان في

مكانه أن يبث من هذا المجتمع في العالم الشرقي قوة الافكار الغربية من حيث إنها قوة جديدة محيية وقد ملكته هذه الفكرة وأنشأ يعمل لتنفيذها بهمة متقدة وعزم ماض

غير أنه لم يمض عليه الا ثلاثة شهور من يوم محادثتنا حتى عزل من منصبه بسعي العلماء المضادين لمقاصده وأفكاره فاعتزل العمل في مصيفه حيث قضى نحبه وربما كان موته مسببا عن انكسار قلبه وخيبة آماله لأن القلوب قد تنكسر أحيانا.

مستقبل مصر

يحضرني الآن مشهد ثان جلي من مشاهد وجودي مع المفتي ألا وهو اجتماعنا في الحجرة الداخلة المعدة للضيوف في الشيخ عبيد حيث جلسنا تلك الليلة بعد تناول العشاء وتجاذبنا أطراف الحديث فلا يغيب عن ذاكرتي شيء منه فأرى سجاجيد تلك الحجرة النفيسة وجدرانها العارية من الاستار ومواد الزينة وما فيها من الفوانيس الشرقية الغربية التي تدع بقعا سوداء من الظلام في زواياها ومحيا ذلك الشيخ المتفرس مجتلى الطلاقة والوقار وهو يحدثنا عن مستقبل مصر

كان قلبه يصبو الى نوع من الحكومة الشورية في عهد ولاية الحكومة الانكليزية وكان يؤمل أن اللورد كرومر يمن بها يوما على بلاده وقد رسم لنا خطة هذه الحكومة رسما مفصلا أرانا به أنه كان كثير التطلاب لها والتنقيب عنها

على أنه لم يكن مغتبطا مطلقا من سوء أثر اقتداء المسلمين بالاوربيين فمما قاله في ذلك أنهم يرونك تشرب فيقلدونك غير أنهم لا يفهمون اعتدالك في الشرب فاذا شربوا شربوا ليسكروا وقص علينا قصة محزنة عن كثرة شرب الخمر في الوجه البحري.

وآخر عهد لي برؤية ذلك الشيخ البار الكريم اني رأيته جالسا في غرفته الصغيرة بالازهر وهذه الغرفة في برج عال يشرف منه المطل على ذلك السوق العلمي العجيب الواسع الارجاء حيث يتلاقى الطلبة المسلمون من أقصى صحارى الجنوب والطلبة الوافدون من بغداد ويجلسون على بلاط متلاصقين وحيث يختلط

لغط اللغات المختلفة وترتيل القرآن وارشاد المعلمين بما يكون من المكاء الشديد الذي يصدر من الطلبة حال جوس ذلك الكافر المستطلع المسالم خلالهم

كان المفتي يشرف على كل ذلك و يتنفس الصعداء من عمله الموحش الجليل قائلا: «ها أناذا كما تروني وحيدا ليس لي من الاساتذة من يساعدني ولا من دعاة الخير من ينصرني اريد ان اعلم في هذا الجامع شيئا نافعا بدلا من هذه الشروح العتيقة البالية الخالية من المعنى التي هي أضر من كتبكم القديمة المؤلفة في القرون الوسطى — قال ذلك وهو يشير الى عمود من الكتب الضخمة مستند الى جدار الغرفة — ولكن هل اجد من يساعدني على ذلك وان لم اجد فهل أفلح فيه وحدي ؟

لم يلبث ان جاءه الجواب عن هذه المسألة فانه قد افرط في بسالته بمحاولته ما كان يحاوله « لان الارض في غاية الصلابة » على أنه ربما كانت هذه المحاولة غير ضائعة كلها وعلى كل حال فليس الازهر أول مدرسة رجمت انبياءها ١٠ ه

يقول جامع الكتاب ان كثيرا من الجرائد الاوربية المختلفة قد أبنت إمامنا المرحوم أحسن تأبين ولكن لم يتح لنا جمعها بل لم يتح لنا ترجمة جميع الجرائد الافرنجية المصرية وما نشرناه كاف في بيان منزلة فقيدنا عند سائر الامم بالاجمال

اقوال الجرائد

التركية والفارسية

﴿مجلة اجتهاد التركية الفرنسية﴾

جاء في العدد التاسع للسنة الاولى من هذه المجلة لصاحبها الدكتور عبد الله بك جودت ما ترجمته :

﴿الاموات الذين لا يموتون﴾

الشيخ محمد عبده

كنا ذكرنا في العدد السابق عند تعرضنا لسيرة الدكتور كوستاف لو بون مشروع الشيخ محمد عبده العلمي الا وهو نقل كتاب الدكتور المومأ اليه المسمى بمدنية العرب الى اللغة العربية . و بعد نشر العدد المذكور ببضعة أيام أتم الموت عمله المشؤوم ولفظ الشيخ محمد عبده آخر أنفاس حياته في مدينة الاسكندرية

كان الشيخ محمد عبده بلا خلاف أحد النابغين الذين لا يدخلون في طبقات الرجال واللانهاية هي الحد الوحيد الذي ينتهي اليه علمهم . وألهم الساكت تردد صداه هيمات التعاسة البشرية في الاجيال المستقبلة . وقد أسعدنا الحظ بمحادثته وسماع كلامه في جنيف سنة ١٨٩٧ ومن العبث أن نحاول هنا تمام التعريف بحقيقة أمر هذا النابغة المملوء علما وغيرة . ومما انتقش من كلامه في ذاكرتنا قوله « الحقيقة التي تنطق بها وحدك بين أربعة جدران لا بد أن يكون لها نتيجة وتأثير في سير الانسانية العقلي »

كفى بهذه الكلمة تقوية لنفوسنا وتشديداً لعزائمنا

الشيخ محمد عبده كان مسلما حقيقيا على قدم النبي صلى الله عليه وسلم وكان يعرف

أن من أراد نفع أمته يلزمه أن لا يقيد نفسه بقيود وأن يكون حرا في أقواله بقدر ماهو حر في أفعاله .

أهدانا حضرة محمد طلعت بك حرب نسخة من ترجمته الفرنسوية لرسالة الشيخ محمد عبده الشهيرة « أوروبا والاسلام » صدرها بمقدمة سنأتي على ذكرها بخصوصها في محل آخر . وقد ألحق بهذه الترجمة سيرة حياة مفتي مصر الكبير وهانحن نقتبسها بتمامها في مايلي : (ونقل الترجمة وتقدم ذكرها)

وجاء في العدد الحادي عشر من هذه المجلة أيضاً ماترجمته

﴿الاموات الذين لايموتون﴾

الشيخ محمد عبده

مضى حين من الزمن على وفاة الشيخ محمد عبده الذي كان مفتيا للديار المصرية والذي كان أول عالم عامل ذي همة عليا في كل العالم الاسلامي في زماننا هذا وقد كنا نشرنا في القسم الفرنسي من مجلتنا الاجتهاد رسم هذا الراحل الى الدار الباقية مع نبذة من ترجمة حاله . كان الشيخ محمد عبده مسيحاً ثانيا،منح للعالم الاسلامي الذي كان دوي سقوطه يصخ مسامع ذوي الوجدان،ويمزق أحشاء أصحاب الايمان،لم يكتف الشيخ بدرس أحوال الشرق فقط بل درس الغرب أيضاً أكثر مما درسه كثير من علماء الغرب نفسه وقد عرف داءنا وأسبابه ودواءه من العلم . وبالجملة فان الشيخ بدقيقاته واجتهاداته الدينية والدنيوية أظهر وأثبت ماورد في معنى البيت الفارسي الآتي :

طريقت بجز خدمت خلق نيست بتسبيح وسجاده ودلق نيست (*)

كان من أثر صحبة الشيخ محمد عبده لجمال الدين الافغاني وملازمته له أن زادت منه هذه الحكمة البالغة حتى اتخذ ماديداً له وقائداً لفكره ولوجدانه ولذلك

(*) معناه ان الطريقة ليست بخدمة البطن وحمل السبحة ولبس الخرقة والجلوس على السجادة .

كنت تراه عند مايفسر القرآن الكريم في الجامع الازهر يسرد هذه الحقائق من أحكام الشريعة الغراء الكافلة لسعادة لدارين فكان ينير بصائر الناس بما أنعم الله عليه من نور فيضه الصمداني

وحسبنا في بيان مرتبة هذا الامام فى العالم الانساني ان نقول (انه كان مسلما حقاً) . ولا يخفى ان الاسلام يتلاقى مع السلام والسلامة فالمسلم الحقيقي هو الذي يفكر و يهتم دائما فى راحة عباد الله ونعيمهم في الدنيا والآخرة و يمتاز بالخدمة في سبيل سلامة الناس بما يبذله من الهمة العالية المقبولة عند الله . قال سيد أصحاب الهمم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (خير الناس أنفعهم للناس) فهذا الحديث الشريف يثبت هذه الحقيقة الجليلة الاجتماعية

مضى كل عمر المغفور له الشيخ في جهاد أدبيّ مستمر فكان يشتغل باظهار الحق والحقيقة والدفاع عنهما ومقاومة العسف والباطل وردهما . فهذا لا ريب جهاد أدبي سيجعل من يموت في سبيله أفضل الشهداء . واعاظم الناس هم الذين يقضون أوقاتهم العزيزة وحياتهم الثمينة لايقاظ عباد الله من سبات الغفلة ونشر العلوم بينهم كما فعل الشيخ محمد عبده رضي الله عنه هم من نوادر الدهر وهم احياء وان غابوا من هذه الدار لانه (لايموت من يجود بنفسه في سبيل العلم) نسأل الله ان يكثر من أمثال أصحاب الهمم العالية آمين .

﴿جريدة «شوراي امت» التركية﴾

جاء في عدد ٨ من هذه الجريدة التي يصدرها في القاهرة أحمد بك صائب ما ترجمته:

(تأسف عظيم)

بلغنا نبأ وفاة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الاسكندرية فكان أسفنا عظيما .

لم يك المرحوم شيخ الديار المصرية فقط بل هو جدير أن يكون شيخ البلاد

لاسلامية كلها،ان عمره الذي تجاوز الخامسة والخمسين كان مقصورا على التحقيق والتدقيق، وكان أمله أن ينور أفريقيا وغيرها من البلاد الاسلامية الخابطة في ظلمات الجهل، ولقد كان أكابر مشهوري علماء أوربا يرجعون اليه في أشياء من العلوم والادبيات الاسلامية، وكان رحمه الله من خير الناس، ولو ترجمت مؤلفاته النفيسة الى لغتنا لاستفيد منها فوائد عظيمة .. ومنذ مدة نرى العالم الاسلامي غير مستعد أن يخرج مثل الشيخ محمد عبده لان أمراء المسلمين ورؤساءهم لا يروق لهم الا الرياء والنفاق ولا يأخذون الا بأيدي المرائين المنافقين فلا ريب هم يكرهون العلوم وأربابها ولذلك كان فقد الشيخ محمد عبده خسارة عظيمة مؤلمة

جريدة چهره نما الفارسية

جاء في العدد الصادر من هذه الجريدة بالقاهرة في ١٥ جمادى الثانية لصاحبها الفاضل ميرزا ح . م عبد المحمد ما ترجمته «والشعر عربي»

يا أيها الدهر الخئون قتلتنا * لما غدرت بفاضل لا يغدر
قد كان للاسلام أكبر ناصر * والآن مات فمن سواه ينصر
أطفأت نور البلاد وأظلمت * مصر وباتت بالنوائب تعمر

من البديهيات ان كل فرد وجد من العدم فمصيره الى العدم لا محالة ، ولا بد لكل فرد من البشر أن يتجرع كأس المنون قال تعالى (كل نفس ذائقة الموت) فيا طوبى لنفس تسمع الخطاب من رب الارباب بقوله عز وجل (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية) فاذا نظرت الى الرسل والانبياء وغيرهم تراهم شربوا هذه الكاس ولم يكن لهم مفر من الموت وكان عزرائيل يدور معهم أينما داروا حتى أذاقهم من هذه الكأس شراب (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة)

نعم ان الناس وان تساووا في الخلقة من حيث التركيب ولكن منهم اناسا يمتازون عن غيرهم بالعلم والمعرفة ويدركون كنه قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) أي ليعرفون وهؤلاء يتصلون بالعبادة وقوة العلم والمعرفة الى أفق

درجات الملائكة المقربين كما قيل (فمن غلب عقله على هواه فهو أعلى من الملائكة) وكقوله عز من قائل (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون).

فحينئذ ترى ان حيوانا ناطقا صار انسانا كاملا وقاد العباد بصائب فكره وساس البلاد بسديد رأيه وأصبح مصداقا لقوله تعالى (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) فاذا انكسفت بموت أحدهم شمس من شموس الحقيقة وانخسف بدر من بدور الشريعة تنطفئ الانوار وتظلم الآفاق ويعتري الناس الذهول كما وقع عندما آن نعى الناعي (الشيخ محمد عبده) مفتي الديار المصرية عند مالبى دعوة ربه ورفرف الى ملاقاة بارئه،

وكان المرحوم المغفور له علامة دهره، ونادرة عصره، وكان للشرق فليسوفا، وللاسلام سندا وظهرا، وبحراً في العلوم المعقولة والمنقولة، وبطلا مغوارا فى شؤون السياسة، وكم يمر من القرون حتى يربي لنا الدهر عالما عاملا، فاضلا، كاملا تقيا نقيا مثل هذا الفقيد؟

وكان صعود روحه الشريفة الى الحظيرة القدسية في اليوم الثامن من شهر جمادى الثانية سنة ١٣٢٣ في الاسكندرية وأرسلت جنازته الى مصر بقطار خاص مشيعة من الرؤساء والعظماء من العسكرية والملكية والالوف المؤلفة من العلماء والاهالي بهيئة ملوكانية. اللهم اغفر له وارحمه رحمة واسعة..

جريدة حكمت الفارسية

جاء في هذه الجريدة التى يصدرها في القاهرة الدكتور محمد مهدي خان زعيم الدولة ورئيس الحكماء في العدد ٨٥٢ الصادرة في ١٠ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣ ما ترجمته

انا لله وانا اليه راجعون

وكانت في حياتك لي عظات ☆ فأنت اليوم أوعظ منك حيا

أصيب جسم الانسانية بمصيبة ذهبت بقواه، نعم لقد انطفأ سراج المدنية الاسلامية المنير، نعم دك طود العلم والفضل، نعم قد انكسفت شمس البلاغة والفصاحة المنيرة وتوارت وراء الظلام الحالك، نعم قد سدت أرض الجودة المنبتة، نعم لقد

انحلت رابطة الوداد والرأفة ، لقد انصدعت مباني المعاني ، وغدا البيان بغير مبين ، وعقل نطق المنطق ، وغدا الفقه بغير فقيه ، واجتثت أصول الاصول ، وصار التفسير بدون مفسر ، والحديث بدون محدث ، وأغلق باب المنقول ، و بات المعقول بلا معقل ، وتفرقت الحكم والحكميات الاسلامية أيدي سبا ، وأصبحت اليتامى والارامل بغير ملجأ ، وفقد مرجع الخاص والعام ، وأمسى الافتاء والفتاوى بغير مفت ، أعني ان الشيخ محمد عبده رفع الى الجنة

كيف لا وشرحه لنهج البلاغة وجود ، وكتابه في التوحيد مشهود ، كيف لا وتفسيراته للقرآن المجيد حاضرة ، وأعين المسلمين اليها ناظرة ، كيف لا وكان محب آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وزعيمهم وكان مفطورا على حبهم ، كيف لا وقد كان صاحب عزم متين ، وذا حزم مكين ، كيف لا وقد كان عدوا للظلم والاستبداد ، ومحبا العدل والرشاد ، كيف وقد كان أنسا للمساكين ، وغوثا للبائسين والملهوفين ، كيف لا وقد كان مؤسس الجمعية الخيرية ومشيد اركانها ، كيف لا وهذه آثاره في القضاء وفتاويه وقوانينه للجامع الازهر ومجلس الشورى والاوقاف الخيرية والعمومية و المحاكم الاهلية والشرعية كلها ناطقة بفضله ، كيف لا وهو صديق صباي وخلي الوفي لانه في هذه المدة التي تبلغ أربعين سنة لم يجرح لي عاطفة بقول ولا فعل وكان أنيسي في خلوتي وجلوتي ، ومعيني في شدتي ، وكان يتعاهدني في السراء والضراء ، وكان يسوءه ما يسوءني ، و يسره ما يسرني ،

هذا هو الرجل الذى كان أمة في نفسه ، ومفردا علما في أمته ، قد أسلم روحه الشريفة الى باري النسم ومضى يخطر الى جوار ربه باسما

وذلك في أصيل يوم الثلاثاء لسبع خلون من جمادى الاولى برمل الاسكندرية

زمن دن تو عمر دم چه لاف مهر زنم

كه خاك برسر من باد ومهرباني من (١)

فاجأنا نعيه والجريدة قد تم إعدادها للطبع وسنشرح في الاعداد القادمة ترجمة حياة هذا المرحوم الذى كان المجن الذي يتقي به البلاء الاسلام والمسلمون

(١) ترجمة البيت : ياصديق الصبا كيف أدعي حبك وأنا لم أمت لموتك

ثم قال في العدد ٣٩٧ الصادر في ١٥ ربيع الاول سنة ١٣٢٤ ماترجمته

لو أردنا أن نوفي: الشيخ الاستاذ قدس الله سره حق المدح والثناء والتأبين والرثاء لطال بنا المقال فالاحسن أن نشتغل بأصل المطلب ونزيح الستار عن وجه المقصد لعلنا أن نصل الى ذلك الامر المقصود ويصير الشاهد عين المشهود

فأشرعنا انا في ذلك طريقا دليلنا فيه مجلة المنار الشريفة لان اقتفاء أصول وفصول هذه المجلة الصحيحة فى هذا العمل هو — على مانعتقد — عين اقتفاء المذهب المختار على اننا سنجيل الطرف فى غيرها من المجلات والجرائد حتي لانغادر شيأ يعتد به فلنشرع الآن في شرح ترجمة حياة هذا الرجل الذي هو مستودع غايات العظمة ونبدأ ببيان أصله ونسبه ومولده الشريف فنقول اه

جريدة (أدب) الفارسية

جاء في العدد ١٦٥ من هذه الجريدة التي تطبع في طهران لصاحبها أديب الممالك وقد صدرت الترجمة بصورة الفقيد

هـذا الرجل العظيم . والفاضل الكبير الذي يجوز أن نعده مفخر الاسلام والعرب والمصريين ولد في ١٢٥٨ وكان والده من كبار فلاحي محلة نصر لم يكن ذا ثروة معدودة وكان يجبر أولاده على الفلاحة ولكنه كان يرى في جبهة صاحب الترجمة أمارات الذكاء والعقل فلذلك أراد تعليمه دون اخوته فتعلم عشرة أشهر في كتاب بلده ثم طلب العلم في الجامع الاحمدي بطنطا ثلاث سنوات ثم توجه الى الجامع الازهر واشتغل بتحصيل العلوم ولكن لم يصل الى مقصوده وكان ينسب ذلك الى سوء طريقة التعليم في الازهر . على أنه كان بما أوتيه من الذكاء الفطري والاستعداد العظيم كان يستفيد كثيرا من المطالعة وكان دائم الفكر والاشتغال لا يضيع شيئا من وقته حتى جاء الى مصر السيد جمال الدين المعروف بالافغاني الذي هو من أهالي أسد آباد (همدان) وكان الحكيم الأول في فلسفة الاسلام وذا اليد الطولى في الفلسفة المشرقية والعلوم الدينية وفنون الامة العربية فابتدأ السيد يقرأ المنطق والفلسفة والعلوم العالية في

الأزهر (الصواب في بيته) فتبعه قوم من الفضلاء كان الشيخ محمد عبده في مقدمتهم فلم يلبث السيد أن نفخ فيهم روح الفلسفة والعلوم ولكنه كان يخص بعنايته الشيخ محمد عبده و يلقي اليه مالا يلقيه الى غيره لما رآه من كمال استعداده و بتلك لدروس انشق حجاب الجهل الصفيق الذي كان يحول دون العلم الحقيقي وكان صاحب الترجمة مقدما عند السيد على اخوانه من كل جهة وآية ذلك أن السيد جمال الدين قال لتلامذته لما خرج من مصر انني أغادر مصر تاركا لكم الشيخ محمدا فهو حسبكم وحسب مصر

وكان هذا الشيخ الجليل يشتغل بعده بالتدريس والتحرير حتى ظهرت الثورة العرابية فكان رحمه الله يحذر قومه من وخامة عاقبتها فكان دخوله معهم للتمكن من النصيحة ثم كان ما كان مما لاحاجة الى شرحه . ولمكانة الشيخ العالية أخذ في تلك الفتنة ونفي الى سوريا فلما رأى أهلها ما كان عليه من سعة العلم وقوة العقل وكمال الأدب حوموا عليه واختاروه استاذا لبعض مدارسهم .

ثم غادر سوريا الى باريس لملاقاة أستاذه السيد وهناك أنشأ جريدة العروة الوثقى التي كانت مكانتها في الاسلام مما لا يحيط به الحد وكان الشيخ هو المحرر لها

ثم عاد الى مصر وكانت تغيرت الاطوار فيها فكان المرجع العام والكعبة الانام حتى صار رئيسا لمدرسة الجامع الأزهر ومفتي جميع الديار المصرية . وكم تحمل من الايذاء في سبيل الاسلام . وقد صرف معظم همه الى تفسير القرآن المجيد فكان بيانه فيه قائما على دعائم الحكمة والفلسفة والعلوم الحديثة ومجلة المنار في مصر مظهر لخلاصة تحقيقاته وزبدة معارفه

وقد دعي الى ربه في أواسط يوليو الموافق ٨ جمادى الثانية فلبست الجرائد الاسلامية عليه أثواب الحداد، ونشروا نعيه في كل قطر وواد، ورثاه الشعراء بالقصائد البليغة ولبس الرؤساء لفقده أثواب الحزان واعطوا الرثاء والتعزية حقهما رحمه الله رحمة واسعة

جريدة تربيت الفارسية

جاء في العدد ٣٨٨ من هذه الجريدة التي تصدر في طهران عاصمة العجم لصاحبها زكاء الملك مدير المدرسة السياسية (٣ شوال سنة ١٣٢٣)

جواب سؤال مهم

كل من يسمع نعي المعلم الأول والاستاذ الأجل والفقيه الاعلم والحكيم الافضل والفيلسوف الاسلامي الاعظم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية المعظم رضوان الله عليه ولم يبلغ منه الاسف أقصى درجاته فهو يجهل قدر هذا الرجل الجليل المبرور ومقامه العالي في الشريعة الاهلية أو هو .....

سأل هذا العاجز بضعة نفر من كبار رجال الاصلاح وزعماء الاتحاد الاسلامي عن السبب في ترك نشر خبر ارتحال وترجمة حال عالم معالم الحكمة وعارف معارف الحقيقة وكان من اليسير علي أن أجيب كلا عن هذا السؤال برقيم خاص ولكن أردت بنشر الجواب في الجريدة ان أرفع الشبهة من قلوب سائر الناس لكيلا يقولوا انني غافل أو متغافل

إن من الاخبار ما يورث القلب الهم والغم ويبعث في الفؤاد ما لا يطاق من الحزن والاسف والطبيعة البشرية ترغب عن نشر مثل هذه الاخبار التي يضطرب لها قلب الكاتب وترتجف يداه ولكن تدوين المآثر والآثار الجليلة لعظيم ذي عظمة وجليل ذي جلالة ورفعة مثل هذا الرجل الكبير هو نوع من الحياة الابدية اذ به يخلد ذكره الجميل على مدى الدهور وهو أيضاً فريضة محتمة على الكاتب فكتبنا ما يأتي مجملا في جواب السائلين الكرام ليعلم القاصي والداني أننا لسنا بغافلين عن مستحبات امورنا بل واجبات أعمالنا وما فرض علينا.

ومع الاسف اننا عند ما سمعنا بهذه الفائلة الهائلة لم نكن نحيط خبرا كما يجب بتاريخ حياة هذا الاستاذ رضي الله عنه وكنا بفروغ الصبر ننتظر وصول أعداد (مجلة المنار) المعظمة التي هي السند الصحيح لجميع الروايات ولكن أضعنا الوقت ولم

تصل . وفي أثناء هذه المدة كنا نشتغل بنشر قانون حمورابي الذى هو أقدم الشرائع في العالم والآن قد وصلت أعداد المنار وفيها الشرح الكافي في ترجمة حياة هذا المرحوم المبرور المغفور له أسكنه الله في روض السرور فشمرنا عن ساعد الجد وعزمنا على ترجمته ونقله تباعا لان النسبة والمناسبة بيننا و بين المرحوم الاستاذ الاجل الشيخ محمد عبده سقى الله ثراه بجامعة الاسلام أقرب وأكثر من جميع حكماء الافرنج العظام وعلماء النصرانية وغيرهم

ونرجو الله أن يوفقنا لترجمة وكتابة أخبار هذا المقتدى في الاسلام ، والفيلسوف العظيم الشأن ، بأحسن وأوفى من ترجمة غيره من الرجال العظام ولم نترك ولن نترك مثقال ذرة من أخبار هذا الرجل العظيم ان شاء الله تعالى

ثم كتب في العدد ٣٩٦ الصادر في ٨ ربيع الاول سنة ١٣٢٤

تاريخ حياة المرحوم الشيخ محمد عبده رضوان الله عليه (١)

من السوانح المحزنة والمصائب الفادحة التي حدثت في العام الماضي ارتحال العالم المقدم والفاضل المعظم الفقيه الاكرم الاكمل الحكيم الامجد الاجل العلامة الاستاذ المعلم النقاد المحقق الفريد المؤيد الوحيد العالم المقدام سند الاسلام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية رضي الله عنه الذي تألمت وأصيبت روح المعارف والحكم الاسلامية بفقده وألبس ثياب الحداد جميع العارفين حقائق الاسلام

آه على ذلك الاوقيانوس الكبير والقاموس المحيط ، وأسفي على ذلك القلب الواسع والصدر المشروح ، والهفي على ذلك المقام العلي والقدر الرفيع ، واغوثاه لذلك الغبن الفاحش والكسر الذي عز جبره ، واكرباه من هذه الليالي المظلمة والايام المصيبة

فغان أز ين غراب بين و واي أو * كه درنوا فكندمان نواي أو
غراب بين نيست جز پيمبري * كه زود مستجاب شد دعاي أو

---

(١) من اصطلاح علماء الشيعه أن يخصوا هذا الدعاء بانصار آل البيت من الصحابة

قبل أن تصل سفينة آمال الخلق الى ساحل النجاة انكسر بيت ابرتها الصحيحة (قطب نما) وقبل أن ينتظم دفتر حساب القوم اختلط بعض أوراقه ببعض ، ضاع مفتاح قفل الكرامة وتقطعت روابط صحائف المعرفة فتناثرت أوراقها ، وفقد مقياس الاميال لخريطة آمال العالم فجهلت مسافاتها ، غادرنا الظهير الذى كان يبث فينا حرارة الحياة الطيبة فأصبحت القلوب باردة ، قطعت يد الاجل طريق التقدم على القطر ، وغلت الايدي القادرة وقيدت الارجل الساعية للامة ، اذا بكت عيون العقل بدل الدمع دما حق لها ذلك واذا صارت عيون العلم دجلة وفراتا فما أجدرها بذلك

ياللعجب يظهر أن روح الحكيم (خاقاني) الشرواني العظيم كانت تنظر الى هذه الغائلة الهائلة منذ مئين من السنين إذ قالت (*

آن مصر مملكت كه نوديدي خراب شد
وان نيل مكرمت كه شنيدى سراب شد
سر وسعادت أزتف خذلان ز كال كشت
اكنون برآن وكال جكرها كباب شد
هم بيكر سلامت وهم نفس عافيت
أزد يده نظار كيان در حجاب شد

(و بعد اعتذاره عن تأخيره في الترجمة بمثل ما تقدم فى العدد السابق ذكره قال)

ان العلماء والاعلام والفقهاء الاعزاء ذوي الاحترام هم أئمة الدين وعلو مقامهم ورفعة شأنهم محفوظة في جميع القلوب لأنهم حفظة الاحكام الالهية ومدونو أصول العقائد ومظهروا قواعد الفرائض والنوافل وهؤلاء العلماء فريقان أحدهم يرى الانقطاع لعلوم الآخرة التي تقرب الانسان من ربه وترك الدنيا وشأنها والآخر يرى أن الدنيا مزرعة الآخرة وأنه لابد لعلماء الدين من النظر فى العلوم

(* خلاصة مغزاها) اري مصر العلا أضحى خرابا ونيل المكرمات غدا سرابا
وذا سر والسعادة صار جمرا عليه قلوبنا تشوى اكتئابا
نعم وعلي السلامة والعفاء يد المقدور قد القت حجابا

الدنيوية التي ترقي الامم في العمران والاجتماع والاستعانة بها على حفظ الدين والملة ورفعة شأنهما وكان فقيدنا المرحوم الشيخ محمد عبده رضوان الله عليه من حكماء هذا الفريق المهذبين وعلمائهم المحققين لانه رحمه الله كان يرى أن تحصيل العلوم العصرية من ضروريات الحياة في هذا الزمن وكان يقيس بمقياس رويته هذا الامر طولا وعرضا وسطحا وعمقا فلذلك كان باذلا جهده وهمته لتقريب أسباب السعادة للملة والملك ووسائل الرفاهة والامان لآحاد البرية وأفراد الرعية وكان يجاهد جهادا كبيرا عاما في سبيل اسعاد المسلمين عامة والمصريين — ابناء وطنه — خاصة

تارة كنت تراه يسعى الى بلاد الافرنج يستشير محققي الغرب السياسيين في الامور السياسية ، وتارة كنت تراه يبحث وينقب عن مستحدثات العلوم والاعمال العصرية ، وطورا كنت تراه يغشى المجتمعات العلمية ونوادي الفنون، وآونة كنت تراه ممازجا لارباب الحل والعقد ، وكان قصده من ذلك كله كشف الحقائق للامور ذات البال وادراك الكليات واستنباط الجزئيات في الاعمال النافعة كيما تفوز أمته وأهل بلاده فوزا مبينا

ومن أعظم أعمال هذا الاستاذ الحكيم والفيلسوف العظيم بيان الطريقة المثلى لتحصيل العلوم والفضائل فميز بين الصفو والكدر وبين الجوهر والخزف فشيد بناء محكما جديدا للدرس والتعليم حتى سهل الحزن وقرب البعيد بيمن قدرته ونفاذ اشمة بصيرته وسلامة سليقته وصفاء قريحته فبذلك ارتقى ذروة الكمال في المعقول والمنقول وأشرع لغيره من المستعدين منهجا واضحا وطريقا لاحبا

وكان في عزمه رحمه الله أن يذلل جميع العقبات ويقيم للمعارف دعائم لا تقوى عليها فواعل الدهر مدى الدهر ولكن — وا أسفاه أصابته عين الكمال فاقعدته عن المسير وايصال هذا العبء الى منزل السلامة فاطاحت عثرة رجله رأس الحكمة عن بدنها — ولكن لا نزال أهل الاستفادة والاستفاضة يتمتعون بما تركه من الرياض النضرة الى يوم القيامة ويحصدون من مزارع علمه سنابل الخير والبر

كتب ترجمة حياة هذا الاستاذ المعظم والشيخ الاجل قدس سره وحيد

عصره صدر الافاضل وفخر الاماثل محيي رسوم الادب أعلم محرري العرب سند الفضلاء حضرة السيد محمد رشيد رضا محرر مجلة المنار المصرية الغراء فأعطي الترجمة حقها كما ان سائر الصحف المصرية كمجلة المجلات العربية ومجلة الهلال والمؤيد وغيرها كتبت أيضا ولكن ما سطره القلم الاستاذي المنير للسيد محمد رشيد رضا وفقه الله له امتياز وشأن ليس لسائر الاقلام لأن هذا الرجل هو الداعية لذلك الاستاذ الفياض والفيلسوف المرتاض فكان في حياته ولا يزال بعد مماته يقتفي أثر سيرته السنية ويسلك جادة طريقته العلية وآدابه الباهرة ورسومه الفاخرة ويرشد العطاش امين المعرفة والكمال الى عين حياة الحقيقة ويدعو المستعدين الى الاستضاءة من مشرق أنوار الحكمة والعرفان، والاستفاضة من أسرار الفضل والاحسان، والانتظام في سلك محرم الحقائق اللاهوتية والاندماج في مستودع الودائع الملكوتية كما قال الواقفون على رموز حقائق الطبيعة، والكاشفون لأسرار فيوضات الحقيقة

درغرا باشد أكرصد نوحه گر آه صاحب درد را بأشد أثر (١)

وفي الحقيقة ان النائح الثاكل في هذا المصاب هو السيد محمد رشيد رضا .

والخلاصة ان ارتحال هذا الشيخ الهمام سقى الله تربته هو من جلائل خطوب العالم إذ كوى جميع القلوب وتركها حسرى وكتبت جرائد جميع الممالك والاقاليم عامة والاسلامية خاصة عن هذه المصيبة العظمى ما علمت وقالت ما قدرت ولكن من ذا الذي يقدر أن يعلم ما فوق علمه حقيقة وكما وكيفا. كتبوا اما أملاه حسن الظن وصفاء العقيدة أو ما فيه اداء رسوم التحرير والتحبير أو ما فيه أداء حق الصحافة في بيان الوقائع وتدوين الحوادث وان هذا كله من بيان حقيقة المصاب وقدر الرجل على أنهم ساروا بقدم الصدق وخلوص النية ونحن أيضاً نقول من بعدهم ما نوفي به الرثاء حقه على قدر العقل الضعيف والدراية الناقصة والفهم العليل والبصر الكليل

ان قدرهم كر نكويم اي سند شيشهٔ دل أز ضعيفي بشكند «٢»

(وقد بدأ بعد ذلك في ترجمة مطولة نشرت في عدة أعداد فجزاه الله خيرا)

«١» معناه : لو كان في المأتم مئة نائحة لما كان لها تأثير آهة واحدة من الثكلى

«٢» معناه : اذا لم نقل ما نقدر عليه ولو قليلا تنكسر زجاجة قلبي الضعيف

جريدة الديبا الفرنسية

لم نكد نتم تأبين ما وصل الينا من الجرائد التركية والفارسية حتى عثرنا على ترجمة ما كتبته هذه الجريدة التي هي من أشهر وأقدم جرائد فرنسا بل أوربا فرأينا أن نختم به أقوال الجرائد وها كه مترجما من عددها ٢٣١ الصادر في ٢١ أغطس سنة ١٩٠٥

توفي الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية الكبير الذى اشتهرت حياته بأمياله الحرة فى تعاليمه التي كان يلقيها في الازهر . والذى فاز بفضل اجتهاده ومساعيه المتلاحقة على بعض علماء المسلمين ذوي الافكار القديمة فاختط للتعليم في الازهر خطة حرة تخالف أفكار أولئك العلماء فقد ذهبت به رحمة ربه في الوقت الذي بدأت تظهر فيه ثمار اجتهاده وتعاليمه

وقد كان لوفاته رنة أسف عند جميع عقلاء المسلمين المستنيرين بنور العلم الذى علموا أن تلك المدارك الواسعة راغبة فى أن تختط لأبناء دينها خطة تكون أكثر موافقة للمدنية والتقدم الحاليين ولا يخفى على أحد تشوق المسلمين اليوم لمعرفة خليفة ذاك العالم الذى خمدت أنفاسه وجرى له مأتم حافل كبير قام به مشايعوه في الاسكندرية ومصر واشتركت به الحكومة الانكليزية المصرية اشتراكا أرادت به تأدية آخر واجب لهذا العالم الذى خدم الاسلام حقا خدما جليلة فى تغييره خطة مجراه ودفعه اياه الى الامام دفعة نظن انه يسير عليها من بعده

و يود المسلمون ذوو الغيرة على مصلحة الاسلام أن يكون المفتي السابق الشيخ حسونه شقيق الفقيد بأفكاره الحرة خلفا له من بعده . لانه لا يوجد من هو أصلح منه لاكمال ما بدأ به الشيخ محمد عبده أو أقدر منه على انجاح الافكار الحرة التي تطابق روح القرآن وتفيد بهاء الاسلام

(يقول جامع الكتاب) ان الشيخ حسونه النواوي كان مواتيا للفقيد في الأزهر لم يعارضه فى أصل الاصلاح ولكنه كان يرجئ ويسوف فيه ومع ذلك وصل صيته الى أوربا وكان الشيخ عبد الكريم سلمان وسطا بينهما وهذان الشيخان أمثل أهل الأزهر وثانيهما أقرب الى الفقيد فى رأيه واصلاحه

القسم الثاني في التأبين

نشر التأبين الآتى في جريدة المقطم الصادرة في ١٧ يوليو سنة ٥٠٩ وهو

ذهب الذي كانت معلقة به حدق العفاة وانفس الهلاك

تشوقت لدار الآخرة لى عظيم من عظماء الدنيا اعلاها همة واعضاها عزيمة وارقاها فكرا وابعدها رأياً واعلمها بالدين واقضاها بالحق ومن اذا وعظ كان هادياً او ادلى بحجة كان قاضياً لا يظلم الضعيف ولا يضعف عن اقوى امار بالمعروف نهاء عن المنكر لا يخشى فى الحق لومة لائم فبعثت رسول الموت ليختار لها من ارادت و يفرز لها من اختارت فأخذ فى وجهه يضرب في الارض يعدو الاقوام ويخطي الرقاب حتى وضع يده على اشهر مشاهير الاسلام واعظم عظمائها واكبر ائمتها

فلله انت ايها الرسول اما علمت انك روعت اهل العلم وفجعتهم فيه بل سلبت به النفوس وطأطأت الرؤس وقضيت على العلم والسياسة والافتاء واللغة العربية والكتاب والسنة وعلى انفس كانت حياتها معلقة بالرجل . اما رحمت نفوساً تفوات بها الارض وضاقت عليها وشقت جيوبها وعافت حياتها . اما رحمت البائس اما رحمت العاني اما رحمت اصحاب النهم الى العلم اما رحمت من يرجو مستقبلا حسناً وحياة طيبة فكل هؤلاء والله قد ماتوا بموت الامام شلت يداك ايها المرض مالك سادراً في عملك قاسياً اذا لم ترحم هذه الانفس اما وقرت الاستاذ وايم الله انه لرزء مفحم ونبأ مؤلم

فرحمك الله فقيد العلم والدين من علم بليغ اذا قال بذ القائلين ونقع غليل السائلين واذا كان قدر الرجل على قدر همته وحسن نيته ومراجعة فكره وممايخضة رأيه فما بال الثريا لم تكن للشيخ وطاء وما باله ومكانه من العلم والهمة مكان القطر من الرحمة ينحدر عنه السيل ولا يرقي اليه الطير قد تنزل للسائل ولبى الطالب الا ان القدر السابق قد وقع والقضاء الماضي قد ورد وأمر الله يجب ان يقابل بالرضاء والتسليم و يترك لاجله الهلع جانباً اواه على امام ذبلت لمصابه الشفاه وصمتت الافواه وقرحت العيون وسالت الشؤون عبد الرحيم سلام

(ويلي ذلك ثمانية بيوت شعر جيدة النظم مؤثرة) من تلامذة الفقيد

ونشر في العدد الصادر منها في ١٠ يوليو للدكتور محمد افندي توفيق صدقي الطبيب بسجن طره ما يأتي

أردت أن أعزي الامـة المصرية عن ذلك المصاب الاليم فخانني قلبي بالبكاء وقلت في نفسي كيف يعزي الحزين الحزين . اغرورقت العين بالدمع فسال على الوجه وارتعشت اليد وتلعثم اللسان فجاهدت نفسي ولا صبر لي على هذا الجهاد حتى هدأت قليلا ولكنها مالبثت الاهنية فاستحضرت في مخيلتها اعمال هذا الرجل الجليل فاخذتها بالبكاء ثم تجلدت لحظة فاعتقل اللسان وانفطر القلب وصاحت آداه على هذا المصاب الاليم . فقدناه على حين غفلة قبل أن يتم الاصلاح في أمورنا وأحوالنا فالى من نلجأ لتقويم مازاغ من عقائدنا وما فسد من أفكارنا؟ من يرد عنا الشبهات ويدرأ الترهات و يحيط الدين بحصون من الحجج البينات ؟ الى من نذهب لاغاثة المنكوبين واعانة الضعفاء والمساكين من يرأس جمعياتنا ومجالسنا بالحزم والعقل والارشاد والنصح بالقول والفعل ؟ من يرفع من شأننا بين الاجانب حتى يعرفوا أنه لم يزل بيننا رجال علم وأدب وفضل . تركت مجلس شورانا وقد كان لك فيه الفكر النافذ والرأي الصائب تركت اللجنة التشريعية ومجلس الاوقاف الاعلى والجمعية الخيرية الاسلامية والكل في أشد الحاجة الى ارشادك . تركت الازهر من غير مصلح ولا هاد . تركت المحاكم الشرعية والمدارس الاهلية قبل أن يتم نظامها واصلاحها . تركت العلم والادب والانشاء وهي في غاية الاحتياج الى آرائك . تركت الدين وأهله يخبطون فيه خبط العشواء في الليلة الظلماء . تركت التفسير قبل ان تزيل ما فيه من الخرافات والاضاليل والترهات . تركت الفقراء والمساكين ولا معين لهم سواك . تركت مصر والمصريين والاسلام والمسلمين ولا مرشد لهم غيرك فوامصيبتاه وامصيبتاه . لكنني أرجع وأقول تصبري أيتها النفوس الحزينة ولا تيأسي من روح الله فهو القادر أن يعوضنا في مصابنا خيرا و يرزقنا المرشد الرشيد كما دعا لنا قبل أن تركنا . وأنت أيها الجسد الطاهر استرح الآن في قبرك الى يوم بعثك وها أعداؤك قد أخذوا يقرون بفضلك بعد لحدك كما أنبأت به قبل موتك . فامطر اللهم عليه من سحائب رحمتك وأنزل على قبره من غيث فضلك ونعمتك وأسكن روحه جنانا وألهم كل مصاب به صبراً وسلواناً انك سميع النداء مجيب الدعاء

وكتب الفاضل الشيخ محمد القلقيلي في جريدة النيل ما يأتي

يا ساكن اللحد

ويا نزيل الثرى

رحماك يا ساكن اللحد ويا نزيل الثرى يامن تركت قلوب محبيك تتفطر جزعاً ، وأكباد مريديك تذوب حزناً وفزعاً ' رحماك لم يبق لى صبر ولا جلد اقدر بهما على أن أمسك هذا القلم الذى طالما أرهفته لان اطعن به عداتك، وشحذته لان أحارب به خصومك ، لانستطيع يداي ان تقبض على هذا القرطاس الآن لانهما لم تعرفاه الا لذكر فضائلك وكمالاتك ' ونشر مآثرك، والاعجاب بشمائلك، عفوا ان قصرت فى رثائك وعذرا ان سبقوني في تأبينك

ياساكن اللحد ويانزيل الثرى ان بكاك الناس باقلامهم فانا الذى ابكيك بدموعي ' وان وفاك المخلصون بالمقالات فانا الذي أفي لك بتردد الحسرات ' وتصاعد الزفرات ، وان ندبك النادبون بالافواه والشفاه فانا الذي أندبك بفؤاد ملآن بالاحزان، ونفس تحيط بها الاشجان،وان ناح عليك النائحون باللسان، فانا الذى انوح عليك بالجوارح والجنان ،

ياساكن اللحد ويا نزيل الثرى لولا دين كنت عضده ونصيره وظهيره نهانا عن شق الجيوب ولطم الخدود لشقت عليك جيوب الرجال ' ولطمت من أجلك خدود الابطال ' ولكنهم استعاضوا عن ذلك بشق القلوب وتقطيع الاكباد

ياساكن اللحد ويانزيل الثرى اتدري ماذا خلفت بعدك . خلفت عشرات الالوف من العقلاء تبكي علمك وفضلك ومكارم اخلاقك وعلو همتك وغيرتك على هذا الدين الذي امتهن به ايدي الجاهلين، وعبثت بعقائده خرافات الضالين المضلين . تبكي حميتك علي اصلاح هذه الاخلاق الفاسدة والنفوس المنحطة والعادات القبيحة . تبكي دفاعك عن كرامة الاسلام ونضالك عن مصالح اوقاف المسلمين . تبكي تفسير القرآن المجيد و بيان حكمة الله من تعاليمه وارشاداته وهداياته اذ لم يبق بعدك مفسر غير مفسر الالفاظ والحروف ،ولا مبين غير مبين الاختلافات

والمجادلات ، في الاشياء التافهات الحقيرات ، تبكي ذلك الصدر الملآن عقلاً وحكمة ، تبكي تلك الذات الشريفة التي كانت قبلة لجميع الموحدين في مشارق الارض ومغاربها شمالها وجنوبها . تبكي تلك الحجج الدامغة والبراهين الساطعة اللاتي افحمت المعارضين ، واقنعت المجادلين ،

ياساكن اللحد ويانزيل الثرى اتدري ماذا تركت وراءك ؟ تركت مئات الالوف من الارامل والايتام والفقراء والمساكين تبكي احسانك وجودك ، تبكي حنانك وشفقتك ، تبكي برك ومراحمك ، تبكي لانك كنت للارملة خير معين ولليتيم نعم الحنون ، وللفقير افضل مواس وللمسكين اعظم مساعد .

ياساكن اللحد ويانزيل الثرى رحلت عن هذه الدار التي لا تصفو الا لجاهل او ظالم فمن يقف موقفك في مجلس الاوقاف الاعلى ويرد عن اوقاف المسلمين أطماع الطامعين . ومن يقف موقفك في مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ويحفظ كرامتها في عيون الحكومة والمحتلين . ومن يضمن بعدك بقاء الثقة بين الحاكمين والمحكومين . ومن للاقتراحات الساقطة التي يعرضها بعض اعضاء الجمعية العمومية للغايات والاغراض — يفندها ويدحضها ويفضح نيات أصحابها

ياساكن اللحد ويانزيل الثرى رحلت وخلفت بعدك اصلاح المحاكم الشرعية جنينا لم تدب فيه روح ولم يسر في عروقه دم ولا نفس فاذا تكاملت خلقته غدا وأمضى مدة الحمل وخرج من بطن امه الى هذا المعترك الذي اصبح بعدك معتركا للفساد والافساد فمن يكفله ويربيه ويجعله عاملا نافعا يفيد الشريعة في أحكامها والامة في أخلاقها وعاداتها وعائلاتها . آه وأواه كلما تذكرتك — وأنت لا تغيب عن ذاكرتي — وكلما تذكرت مساعيك الخيرية وآثارك الطيبة وهي نصب عيني يغيب صوابي ويزيد حزني واكتئابي لاني كلما أجلت نظري في هذه الامة الاسلامية لا أرى لك مثيلا في دينك ويقينك بربك او شبيها في اخلاقك المحمدية وهممك العالية كنت كالناقش على الماء او الكاتب في الهواء وهناك تزيد نار الحزن استعارا ، وتجري دموع العين مدرارا

ياساكن اللحد ويانزيل الثرى انت تعلم قبل كل الناس اني احببتك

وأخلصت لك المحبة فى السر والنجوى وليس لى غاية غير غاية الاهتداء بهديك، ولا غرض غير غرض الاسترشاد برشدك ، فاذا بكيتك وندبتك ونحت عليك فانما ابكي تلك الفضائل والكمالات واندب تلك الاعمال الصالحات ، وأنوح على تلك الآثار الطيبات المباركات ، فاعرني ثوب الصبر الذى كنت لابسه في حياتك التى امضيتها وانت تكافح نائبات الدهر وتدافع حادثات الزمان بقلب اقوى من الحديد وجأش اثبت من الجبال . لا حشر فى زمرتك يوم البعث والنشور

ياساكن اللحد و يانزيل الثرى ارقد في قبرك مستريحا ونم آمنا مطمئنا وان اتعبت وأقلقت بموتك الاحياء فقد جاهدت فى سبيل الله جهاد الانبياء والمرسلين وأوذيت في هذا السبيل كما أوذي من قبلك من قام بالدعوة الى الله و بذلك سينزلك الله منزلة الابرار ، و يثيبك ما أثاب به الكرام الاخيار ، وهذه الامة سيحفظ لك تاريخها تلك المآثر والفضائل و يبقى ذكرك مرددا بكل لسان ، مرسوما فى الاذهان ، كما ان رسم شخصك لابد وأن يبقى محفوظا فى طيات القلوب ان لم يكن فى طيات الجفون ، ولابد ان تبقى آيات اصلاحك وفضلك وعلمك مرجعا للأدباء والكتاب ومثالا ينسج على منواله المصلحون الى يوم الحساب فرحمك الله ياامام الاسلام والمسلمين وغفر لك يافقيد الملة والدين وأجاب مادعوته به فى قولك

فبارك على الاسلام وارزقه مرشدا رشيدا يضيء النهج والليل قاتم

محمد القلقيلي

هذا ما اخترناه من التأبينات التي نشرت في الجرائد لغير اصحابها وقدمناه على ما يأتي لتقدمه فى التاريخ ويتلوه نموذج مما لم ينشر فيها أوله ما كتبه الاستاذ الشيخ عبد الله دراز المدرس في الاسكندرية وهو

يالله للمسلمين ــ رزء الاسلام فى عميده

كأن المنايا تبتغي في خيارنا لهاترة او تهتدي بدليل

لقد فجع المسلمون بأفول الكوكب المنير ، و بطل العلم الشهير ، ملاذ البؤساء ،

وملجأ الضعفاء ، رجل الهمة ، وعنوان المروءة ، الامام الحكيم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية الذي كنا بالامس شفقة على الناس ورحمة به نتمنى على الزمان محالا ان يرزق المسلمون بمن يدانيه فيساعده على القيام بمهام الناس ومصالح العامة حتى يتاح للمسلمين منتهى السعادتين الذى قضى حياته الغالية في السعى وراءه وجد جده املا في الحصول على ذلك المقصد الاسمى ثم اصبحنا والكل قد ملكته الدهشة واستولى عليه فرط الاسى والحزن بفقده فاكفهر الافق واظلم الجو وغشي الوجوه جلباب الحسرات ، واعشي العيون انهمال العبرات ، فلا انقضاء لزفرات تتردد ، وحسرات تتجدد ، ولا صبر على كارثة اصابت كبد المجد فمزقت فؤاد الفضل ، صاعقة نزلت على ربوع العلم وميادين الادب ، مصيبة آلمت الايتام في مهدها ، والأرامل في خدرها ، خطب اضطربت له مجتمعات السياسة العامة ونوادي النظامات ، رزء دهم مجالس التهذيب والارشاد ، فصدع مستودعات الحكم ، ومجالي أسرار الشريعة فغاض ماء الحكمة بعد ما فاض ، وماذا تغني الاطلال والانقاض ؟

من مميري مصة وشل من بحر بيانه فألم الى طرف من عنوان مقاصده النبيلة ، وأرمز الى شيء من نواياه الجليلة ، لبني دينه واهل وطنه ، من لي بأن أرطب لساني بذكر فهرست أعماله الكبرى ، او احرك قلمي لتلك الآثار الضخمة ، التى قام بها في حياة كلها تعب ، حياة أتى فيها بالمعجز من الاعمال فى الزمن الوجيز ، وميدان الاعمال أمامه ممتلىء بالحواجز ، مسدود النوافذ ، وجو السياسة كله ضباب يكاد يسد عليه هواء التنفس

(يالله للمسلمين) في رجل طالما دافع عن دينهم وحده وهم نيام إلا عن مجالدته مع خصومهم الالداء الاشداء ، خصوم تحمسوا للفتك بالاسلام ، ومست نفثات اقلامهم كرامة أعز عزيز لدينا ، فانتضى عزمه الثابت ، وجأشه الرابض ، واستجمع من غزير حكمه ، وواسع علمه ، ما مزق به جيوش أباطيلهم ، ورد كيدهم فى نحورهم ، وكفى الله المؤمنين القتال بوجوده ، ولم يريقوا فيها دما ، ولا أنفق سراتهم درهما ، (يالله المسلمين) في رجل وجدهم نياما لا يتحرك منهم عصب ، ولا يجري

فيهم نفس ، ولا يرفع لهم طرف ، ولا ينطق لهم لسان ، يتخطفهم الناس من حولهم ، حولهم أعداء أيقاظ مجدون فى حركة الحصار عليهم قد كادت تتم لهم دائرته فصاح فيهم بأعلى صوته : الا فانتبهوا وقوموا من سباتكم العميق . فانتبه لمقصده من سلمت فطرته ، وقوي استعداده ، ولما لم يجد بدا من استعمال منبه الاعصاب مع الباقي حرصا على حياتهم ، واستبقاء لوجودهم ، قاموا فى وجهه : ألا فاتركنا نستكمل نومتنا : فقاوموه على ان يتركهم وان كانت النهاية و بالا عليهم وهو يأخذهم تارة باللين وطورا بالشدة حتى نزع منهم الى اليقظة خلق كثير وعدد عظيم جرى فيهم نفس الحرية في القول والفعل المنبعثين عن الارادة الصحيحة ، تحركت أعصابهم الى العمل لما فيه صالحهم ، نطقت ألسنتهم بل تفصحت فى كل معنى يراد فنظرة واحدة الى ربوع العلم من الازهر (انظر كتاب أعمال مجلس ادارة الازهر المطبوع حديثا) الى أصغر مدرسة أنشأها بابعاث النفوس الخامدة والقلوب الجامدة تكفي لادراك ما قام به فى هذا السبيل سبيل ايقاظ المسلمين من هذا السبات العميق

(يالله للمسلمين) فى رجل رأى البدع والمستحدثات قد تجاوزت الحد وأبعدت الناس عن دين الله (عز وجل) بمراحل وهى آخذة فى الزيادة وأهلها فى النمو و بمقدار ظهورها يستتر الدين في ثناياها ولم يقف ذلك عند حد الافعال والاقوال بل سرى داؤه وطغى تياره على كثير من العقائد وأصول الدين حتى عند بعض من ينتسب الى العلم فهاله الأمر وأخذ يطارد تلك البدع ويهدم فى معالمها بمطارق من حديد حتى أتى على الكثير منها وهو لا يبالي بوقوف هذا النفر من المتفيقهين أمامه يدافعون عن البدع بحجة الدين ، و يتمسكون بالشبه فى مقابلة اليقين ، ولا هم لهم الا تحريف اقواله ، والتلبيس على الناس فى مرامي افعاله ، وقد كان لا يثنيه الخوف على عرضه عن الدفاع عن دينه و بيانه على وجهه ورد البدع فى وجوه أربابها مهما كان لهم من التصدر والمناصب مما أفضى به فى كثير من الاحيان الى الشغب ، ومزيد التعب والنصب ، واليك مثالا من تحريفهم او تخريفهم بشأن تعليماته ودعوته الناس الى عقائد الدين الصحيحة

وهو من أكبر ما لبسوا به على العامة فى شأنه ومالوا ببعضهم عن الانتفاع به نقموا عليه انه ينكر الشفاعة وهى فى كتاب الله والاحاديث الصحيحة مفعمة بها والاجماع قائم عليها وهي من المعلوم من الدين بالضرورة وجعلوا ذلك مقدمة صغرى ان ثبتت على اي انسان والكبرى سهلة الحصول فالنتيجة أشنع شيء والعياذ بالله تعالى وقد تطرفوا بذلك في مجالسهم الخاصة والعامة وتناقلها بعض الاغبياء حتى وصلت بلاد الريف والمدن النائية عن مشاغباتهم وحتى كاد بعض العقلاء البعيدين عن مجالس تعليمه وسماع تقريره تأخذه فيه نعرة النفرة ويرتاب في أمره ومن العجيب ان المجلس الذى قرر فيه هذه العقيدة ولا يقل السامعون فيه عن الالف من كبار الطبقات فى القاهرة وأنجب النجباء من الازهريين بين طالب علم ومدرس كان فى منتهى الاعجاب وهزة الطرب بهذه البيانات الجليلة ، والاستدلالات القوية ' وقد كنت فى مجالسه تلك الليلة كغالب مجالسه فى التفسير (وا أسفاه على مجالس كانت ذات قيمة يستقي فيها من كتاب الله حكمه العالية أعالي الطبقات · مجالس كان يختص فيها بعض رؤساء الديانات الاخرى فيخرج مضطرب الفؤاد متزلزل العقيدة في دينه ولقد جاهد بعض هؤلاء الرؤساء بأحقية الدين الاسلامي والحط من كرامة دينه في الجرائد المصرية وما عهد خريستوف جباره ببعيد)

قلت اني حضرت مجلس الشفاعة الذى استمر يقرر فيه نحو الساعتين على ما كان به من قوة البيان وجودة التعبير وفضيلة التأثير وقد قال فى نهايته : ومجمل القول ان الشفاعة ثابتة لا يسع مؤمنا انكارها بعد الكتاب والسنة والاجماع ولكنا لا نقيسها بالشفاعة اللغوية المعروفة بين الناس (وساطة الشفيع عند من يملك الانتقام ليرجع عما أراده وعلمه من معاقبة مجرم فى نظره مستعملا فى ذلك أنواع التلطف والتخفيض من حدته حتى تنكسر ثورة غضبه او تنطفىء فيخفف العقوبة او يتجاوز عنها) لانها بهذا المعنى محالة على الله تعالى كما قرر في علم الكلام ان ارادته على وفق علمه وانه اذا أراد معاقبة زيد فقد علم ازلا عقابه فلو توسط شفيع بعد ذلك وارجعه عما علمه واراده على قياس ما تقدم فى الشفاعة المعروفة بين

الناس لانقلب العلم جهلا والقول بذلك كفر بالاجماع فلتكن الشفاعة الثابتة لا بهذا المعنى بل على معنى ان الله يعلم ويريد انه لا يعاقب فلانا المجرم بل يعفو عنه بمحض فضله وكرمه ولكن اظهارًا لفضل الشفيع فى يوم القيامة يوقف ظهور العفو عنه على صورة الشفاعة التى تحصل من الشفيع في ذلك اليوم : فقد أثبت الشفاعة ونزه الله عما لا يليق به وفي ظني انه لا يسع عاقلا سمع مجمل قوله الا ان يتضرع الى الله ان يبلل ضريحه بصبيب الرحمة والرضوان لا أن يصغى لهؤلاء الغلاة المارقين عن جادة الصواب ولكن هو الحقد غلت مراجله فى صدور هؤلاء المتحذلقين فشنعوا ولبسوا وقالوا اذ ذلك ما قالوا وطاروا بذلك شعاعاً

ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً منه وما يعلموا من صالح دفنوا

حتى علق باذهان بعض العوام بالنسبة للاستاذ شيء والله يجازيهم على صنيعهم اسوأ الجزاء لأنهم فى الحقيقة ما كانوا يضرونه بمثل ذلك ولا كان يتأذى بسماعه لأن همه وهمته كانا أجل من ان يؤثر عليه القدح او المدح على غير وجهه ولكنهم قد أضروا بكثير من العامة بالقاء هذه الوساوس فى صدورهم ضررا بينًا شوهد الكثير من آثاره

بربك قل لي اذا سمع العامي ممن ينتسب الى العلم ان الاستاذ الكبير الطائر الصيت فى العلم قال بإباحة تحريم او بافساد عقيدة مع كون هذا المتعالم لا يقدر ان ينتزع من قلبه ان القائل بذلك من اساطين العلم وانه فى مقدمة العلماء ماذا يكون حال العامي بازاء هذا المحرم اوهذه العقيدة؟قاتلهم الله انى يؤ فكون

(يا لله للمسلمين) فى رجل جمع بين علوم الدين الصحيحة ادرا كًا وعملا وتوسع فى أصولها وفروعها حتى كان زملاؤه اذا تحككوا معه فى أي فن حسبوه بعيد العهد به تورطوا وحصل لهم مزيد الخجل واطرقوا رؤسهم ربما ينبههم على ما غفلوا عنه فى هذا العلم طول اعمارهم

هذه العلوم التى قطع زملاؤه اعمارهم فيها وعرفت مقدار نسبتهم اليه فيها قد أضاف اليها تلك العلوم الجمة والمعارف الكثيرة علوم الفلسفة المصرية، علوم الكائنات الطبيعية بفروعها الكثيرة،علوم القوانين الوضعية وقد حصل على ذلك

كله بما منحه الله من الاستعداد الفطري الذي شهد له به اساتذته « الطويل والبسيوني وجمال الدين » وكان من الاسباب الواضحة في اظهار آثار مواهبه الالهية اتقانه للغة الفرنساوية حتى درس بها تلك العلوم ووصل بها الى تلك المعلومات التي اضافها الى علوم الدين وفلسفته الاولى فكانت عنده مجموعة العالم الاسلامي والغربي وأمكنه بحذقه ولباقته ان يتصرف في الثاني بما يؤيد به الاول و يظهر قواعد الدين على بياضها الناصع بما كان يطبقها على النواميس الكونية التي خبرها ووقف على اسرارها و بذلك كان الرجل الوحيد في العالم بأجمعه الذي أمكنه أن يكون عالماً أزهرياً وقاضياً قانونياً وحكيماً فلسفياً ومفتياً شرعياً ورئيس كل نظام تدعوه اليه ضرورة الحكومة في نظاميها الشرعي والوضعي ومحاضراً فكاهياً لجلاسه من كافة الطبقات والاقطار .

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

هذا الى سمو مداركه وجودة ذهنه وقوة عارضته واختلاب بيانه وكبير همته وعزة نفسه وتواضعه ولينه وصفاء سريرته لكل انسان حتى ألد اعدائه . لقد كانوا يملكونه بكلمة او بزورة لينالوا من وافر حسناته ، واني لأعرف واحداً منهم كان يتحكك فيه ويريد مناظرته في كل عمل حتى فيما يدرسه من العلوم « وليس التكحل في العينين كالكحل » وكان من المحرفين عليه جاءه وقد زلت قدمه في منصبه العالي وقد تورط ورطة كادت تقضي عليه فتمسح به وتضرع اليه ان يصفح عما كان منه ويخلصه من هذه الورطة والفقيد يعلم ان هذا السائل اثيم وأنه لايلبث ان ينقلب عليه كالافعوان ولكنه ماعتم ان اجهد نفسه عند المقامات العالية حتى استنقذه من زلته وانتشله من ورطته ، وبهذا تقيس مقدار اهتمامه بمصالح العباد الذين كان يخصص لهم وقتا من يومه في كتابة التذاكر الى رؤساء المصالح والدواوين وأصحاب التفاتيش والتجار والعمد بما يرفع الظلم عن هذا و يفتح بيت ذاك و يصل عيش هؤلاء و يحمل الاضطهاد عن أولئك حسبة لله تعالى لقد كان ترى عليه محبة قضاء المصالح للكافة ، من يعرفه ومن لايعرفه فوق محبة غيره للمال والولد يرى أنه ماخلق الا لذلك وهذا في كرم نفس وسخاء

بماله وجود بما تصل اليه يده فى السر والجهر - أعرف أنه عاد مريضا عالما وعند خروجه وضع عشرة جنيهات تحت وسادة المريض - (ولمثل هذا سن الله العيادة) وكم بيتا فى القاهرة كان عالة على ماليته الخاصة فاللهم رحماك بعبادك الذين أخذت منهم عائلهم و بأيتامك الذين حرمتهم مبرة خير أب وباصدقائه الكثيرين الذين أصبح كل منهم يقول

وفقدت اخواني الذين بعيشهم قد كنت أعطي ماأشاء وامنع
فلمن أقول اذا تلم ملمة أرني برأيك ام الى من أفزع

فبأي دمع نبكيه ، و بأي لسان نرثيه الجمعية الخيرية الاسلامية التي وضع عمادها على أساس متين فأ كثر ايرادها ووسع دائرة الاحسان فيها على المعوزين ونظم مدارسها ورفع منارها فى زمن وجيز الى شأو بعيد ؟

من يترأس بعده على كل المجالس الخصوصية التي تنتخب من اعضاء مجلس الشورى ليقرروا مايرونه فى مصلحة الامة أزاء مشاريع الحكومة ؟ من يحسن الفكرة بعده و ينعم النظر فى أحوال الاوقاف تنمية وحفظا وصرفا في أوجه البر الحقيقية؟ لهفي عليك أيها الامام

فمن يسع أو يركب جناحي نعامة ليدرك ماقدمت بالامس يسبق

اللهم لطفا بعبادك ورضاء بالقدر المحتوم ، لقد أزوت الآمال ، وهان انقضاء الآجال ، فانا لله وانا اليه راجعون اللهم انك تعلم ان الفقيد فقيد الاسلام ، فقيد العلم ، فقيد المروءة ، وانه جاهد في سبيلك أشق الجهاد ، وانه لم يدخر وسعا فى نفع عبادك ، ولم يأل جهدا فى سعادة خلقك ، وقد أدى وظيفته فيهم بكل صدق واخلاص ، وصبر وتحمل ، لما كان يلاقيه من مضايقات الدهر ومكايده ، وقد غرس بيننا غراسا كثيرة من أنواع الفضائل وانبت بيننا نباتا من أفضل ما يستنبت . اللهم فاسق نباته واحفظ غرسه حتى ينضج ما أراده ويثمر ماغرسه وقوّ من يقوم بأود هذه الفضائل بعده وسدد آراءهم وثبت عزائمهم وأقدرهم على المحافظة والقيام على آثاره وصبرنا على مالاقيناه في فقده من البلاء الجسيم ، والمصاب الاليم وتغمده بواسع رحمتك وصيب احسانك ونعمتك واشمله بغفرانك العميم ورضوانك العظيم

عبدالله دراز مدرس بمعاهد العلم باسكندرية

(٢٧ ج ٣ تاريخ الاستاذ الامام)

﴿ تأبين جمعية غرس الفضائل ﴾

هذه الجمعية يعقدها أبناء بيت عبد الرازق فى دار عميدهم حسن باشا عبد الرازق ليلة الجمعة من كل أسبوع وكان أول اجتماع لهم بعد موت الفقيد لتأبينه وهذا محضره:

(المحضر الرابع عشر من محاضر السنة الرابعة لجمعية غرس الفضائل)

انتظمت الجلسة فى الساعة الثانية العربية من ليلة الجمعة ١٨ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣ هـ ٢١ يوليه سنة ١٩٠٥ م

وبدأ الرئيس — حسن عبد الرازق بك — ببسم الله الرحمن الرحيم ورتل سورة الفلق الكريمة على جاري العادة

وذكر الامين — مصطفى عبد الرازق — اعمال الجمعية في اجتماعها السالف ثم نهض الرئيس الى مقام الخطابة فقال: أيها الاخوة

لم أقم هذا المقام فى منبت شعبتنا وموطن أهلنا وعشيرتنا من عامين سالفين لانى قضيت عطلة السنة الفائتة في الاسكندرية كما تعلمون كما أمضيت شطرا من عطلة هذا العام فى القاهرة لاعمال حكمت بذلك وها نحن — والحمد لله — اجتمعنا في ديارنا و بين أهلينا هذا وقد كانت عادتي معكم أن اذكر لكم فى نهاية كل عام دراسي مجملا من عملكم في ذلك العام تنشيطا للعامل وتنبيهاً للغافل لكن وقع تلك المصيبة الاليمة التي أصابت مصر فأثكلتها خيرة أبنائها فقيد العلم والاسلام الاستاذ مفتي الديار المصرية قضى علينا أن يكون اجتماعنا الليلة لتأبين الفقيد ورثائه واستمطار الرحمة له وفاء بالذمة وعرفانا للجميل .

اننا نرثي الليلة رجلا عظيما ، وعلما حكيما ، وصديقا حميما ، وأبا بارا رحيما . نرثي الشيخ محمدا عبده صاحب الايادي البيضاء ، والمآثر الغراء ، والاعمال الجليلة ، والمقاصد النبيلة ، نرثي خادم الامة الامين ، وركن الاسلام والمسلمين ، وساعد العلم والمتعلمين ، ذلك الرجل الكريم الذي ماتت بموته آمال واضمحلت عزائم والذي ترك من حسن الذكر ولسان الصدق ما هو حياة باقية واثر لا يفنى . و ياليت لي براعة فى

البيان وحولا وطولا فى القول حتى اوفى الفقيد حقه واقضي واجب الذكر الجميل لاعماله الطيبة وحسناته التى لا تحصى . على اني أترك القول لاخواننا الازهريين طلبة الاستاذ الفقيد وأبنائه فهم أحق بالكلام في هذا المقام وان كانت المصيبة بيننا سواء . واني أسال الله تعالى ان يرحم الفقيد الكريم رحمة واسعة وان يرزقنا على مصابه صبرا جميلا .

ولما أتم الرئيس مقاله دعي الى الخطابة بعده — علي عبد الرازق فقال:

وما أحد يخلد في البرايا　　بل الدنيا تؤل الى الزوال
أطاب النفس أنك مت موتا　　تمناه البواقي والخوالي
وهذا أول الناعين طرا　　لاول ميت في ذا الجلال

ايها السادة

لقد اسودت صحيفة الاسبوع المنصرم بذلك الحادث المشؤم الذي صدم القلوب فصدع أركان الصبر، وهد منازل الجلد، وطير النفوس شعاعا، وقضى على حشاشة ثبات نسيتها في القلوب مصائب الليل والنهار . اغبر أفق الحوادث واضطربت في دورتها الافلاك، واصطدمت النجوم، وانقضت على الرءوس صواعق المنون فغيبت شمسا كان يسطع على العالم لألاؤها، ويشرق في الوجود ضياؤها، واغمدت سيفا كان مسلولا بيد الدين، يقطع ألسنة المتهجمين، ويذود عن حياضه كيد الخائنين،

دفعنا بك الايام حتي اذا أتت　　تريدك لم نسطع لها عنك مدفعا

خطب أصاب الاسلام جسيم ومصاب الله يعلم انه على العلم وأهله عظيم ولكن ما العمل وقد حم القضاء ووقع البلاء وانقطع الرجاء وحال قضاء الله دون كل قضاء وأبت الاقدار الا ان تظفر المنون فتحتكم في النفوس وتلعب بالارواح وتصدع نصالها أكباد من تشاء ويا ليت المنية اذ قبضت على زمام العالم واستبدت بأرواحه فدت ذلك المصاب بمن شاءت، وقبضت اليها غيره من أرادت، ولكن الامر كما قيل

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب　　تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

ما العمل وقد ضاعت الآمال وجلت الخطوب، واشتدت الكروب، وأبت

المنون أن ترمي بسهمها الذي لا يطيش الا سيدا يصدع موته الفؤاد، ويقطع الاكباد، ويدمي العيون، ويجرح الجفون، فانا لله وانا اليه راجعون

محمد لو نفس فدت نفس ميت فديتك مسرورا بنفسي وماليا
وقد كنت أرجو ان أملاك حقبة فحال قضاء الله دون قضائيا
ألا ليمت من شاء بعدك انما عليك من الايام كان حذاريا

مات الاستاذ الامام وما كنت أحسب العلم كله يموت والجود جميعه يضمن في جوف أربع أذرع في خمسة وما كنت أدري كيف يضم اللحد الصغير فى جوفه جبلا اشم كبيرا

فياقبر خبر كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

أنعى اليكم فى هذا المقام الاستاذ الامام وكلكم يعرف من هو الاستاذ الامام، أنعى الى العلم سيده والى الدين مصلحه والى الازهر ظهيره والى الادب نصيره

أنعي فتى الجود الى الجود مامثل من أنعى بموجود
أنعي فتى مص الثرى بعده بقية الماء من العود
وانثلم المجد به ثلمة جانبها ليس بمسدود
فالآن تخشى عثرات الندى وصولة البخل على الجود

أنعي اليكم هذا الامام الذي لفت الى الاسلام عزيمته، ووجه اليه ذكاءه وفطنته، فوجده قد وقع بين شرذمة لا يعون

فمن مشايخ طرق (نعوذ بالله تعالى) ينقضون فى بنيانه ويقربونه ما استطاعوا من ان يكون وثنية لا اسلاما

ومن حملة عمائم يحرفون ما يشاؤن، ويلعبون ما يلعبون، ويقولون انما نحن مصلحون، ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون

وجه الاستاذ همته الى الدين فوجده درة قد غطاها الغبار، وبدرا حجب سناءه الغمام، وجوهرة لعب بها طغام الاحلام، فما زال الاستاذ يكر بجيش بلاغته، ويدافع بفصاحته، حتى أظهر الدين للانام جوهرا لامعا، ونورا ساطعا، وعروسا

جايت فى أفخر حللها وابهى ثيابها فجزاه الله عن الاسلام احسن الجزاء ·

أنعى اليكم رجلا نظر الى الازهر بعين الاصلاح، فأخذ طلابه ليطير بهم الى حيث تكون السعادة والفلاح، وحيث يعمل المرء لدينه ودنياه، وآخرته وأولاه، ولو ساعد الاستاذ القدر، وطال له العمر، لرأيتم الازهر اليوم خير معهد دينى يهذب الافكار ويربي الرجال

سأبكيك مافاضت دموعى فان تغض ... فحسبك منى ماتجن الجوانح
وما أنا من رزء وان جل جازع ... ولا بسرور بعد موتك فارح
كأن لم يمت حي سواك ولم تقم ... على احد الا عليك النوائح
لئن حسنت فيك المراثي وذكرها ... فقد حسنت من قبل فيك المدائح

***

مات الاستاذ الامام ومن ذا يكون بعده للعلم والدين، والازهر والازهريين، اللهم انك قبضت الاستاذ اليك ونحن فى اشد الحاجة اليه فالدين لايزال شبكة صيد عند قوم لايعرفونه والازهر وهو مشرق الاسلام وكعبة الآمال لم تنتظم بعد حاله ولم يستقم أمره · اللهم بمن نستضئ وممن نتعلم وهذا امامنا قبضته اليك بعد ان اتجهت اليه الآمال، ونزلت بساحته الرحال · اللهم انا طلبة الفقيد ظلمنا بمصابنا فيه الدهر، وخاننا الثبات والصبر، وانك سبحانك وعدت بقبول دعاء المظلوم فكلنا نبتهل اليك ونتشفع في استاذنا احب الانبياء عندك، سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فى ان تتجاوز عن زلاته، وتغفر هفواته فانه عبدك وانت مولاه، وانه فقير الى رحمتك وانت غني عن عذابه، فقربه الى جنابك، واجعله فى جوارك، وأسكنه فى مساكن الصديقين والابرار، وارزقنا ذلك المرشد الرشيد الذي يضيء لنا النهج ويبين لنا السبيل وهب لنا من لدنك صبرا

وعلى اثر هذا الخطيب قام الامين فقال

أيها السادة

فى أصيل يوم الثلاثاء لثمانية أيام خلت من شهر جمادى الاولى سنة ١٣٢٣ ه قبضت روح طاهرة وختمت حياة صالحة وغربت فى بلاد المشرق شمس الحكمة

وذوى أنضر غصن فى دوحة الاسلام وطارت الينا الانباء بهذا المصاب العظيم والخطب الجسيم فأستكت الاسماع وملئت الجوانح غما

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالى الى الكذب
حتى اذا لم يدع لى صدقه أملا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

مات الشيخ محمد عبده ومن ذا الذي لا يموت « كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون »

وكل امرئ يوما سيركب كارها على النعش أعناق العدا والاقارب

لم ير أهل هذه البلاد حزنا كاملا، وأسفا شاملا، ومصيبة طارت لها النفوس شعاعا، وانصدعت لها القلوب انصداعا، كارأوا يوم رزئ الاسلام، بموت الاستاذ الامام

عمت فواضله فعم مصابه فالناس فيهم كلهم مأجور

وارحمتاه لهذه البلاد . تنشأ فيها النفوس الزاكية والهمم العالية فلا تكاد تمتد أعناقها الى ما استعدت له من اصلاح شأن الامة و يتمهد لها السبيل حتى يخترمها الاجل و يقطع عليها الموت خط السير . ولقد كان العام الحاضر أشد الاعوام محنة لهذه البلاد وا كثرها لها تماسة وشقاء

يا أيها العام الذي قد رابني أنت الفداء لذكر عام أو لام

قضى في أوائل هذا العام (المنشاوي) وهو وان لم يكن أكثر أبناء هذا القطر نشبا، وأوفرهم فضة وذهبا، لقد كان أكثرهم خيرا، وأوفرهم برا، وأوسعهم ذراعا، وأمدهم فى المعروف باعا

له نار تشب على يفاع اذا النيران ألبست القناعا
ولم يك أكثر الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا

وقفى على أثره (الشنقيطى) وكان رجلا غريبا من هذه الديار ثم حل بها فى آخر عمره وهو واحد عصره فى العلم بالمنقول فانتفعت من معارفه البلاد واغتنم عشيرته من اغتنمها من اهل الفضل

ولم يمض الا قليل بعده حتى أوهقت المنية حبالها بالبارودي صاحب السيف والقلم والذى كان اذا قال انقادت له ازمة القول واذا صال تحاذت الجماجم والرقاب والقائل

من النفر الغرّ الذين سيوفهم لها فى حواشى كل داجية فجر
اذا استل منهم سيد غرب سيفه تفزعت الافلاك والتفت الدهر

ثم جاء بعد ذلك الدهر بالخطب الفادح والرزء الجلل ودهانا بفقد من احتشدنا الليلة نبكيه ونرثيه ونسأل الله أجر المصيبة فيه

كأن المنايا تبتغى فى خيارنا لهاترة أو تهتدي بدليل

من أمارات الانحطاط فى الامم وفقدانها مقومات الحياة ان يموت النابغ من أبنائها فلا يلفى له بدل فيما نبغ فيه ولا يشعب ما انصدع بموته من بناء الامة ومصر فى هذا الدور من أدوار الضعف والانحلال فاذا ثكلت واحدا من بنيها النافعين فقدت معه فضيلة من الفضائل التى لا تحيا بدونها الامم حياة طيبة

والمرحوم الشيخ محمد عبده رجل جمع من مزايا الرجال وصفات الكمال ما لا يحويه رجل واحد اللهم الا أفذاذ متفرقون يشير اليهم الدهر باصابع الاجيال

لو يبعث الناس أدناهم وابعدهم فى ساحة الارض حتى يحرثوا الابلا
كى يطلبوا فوق ظهر الارض لم يجدوا مثل الذي غيبوا فى بطنها رجلا

فالبلاد انما فجعت بمصائب عظمى جمعت فى مصيبة ودهمت بنائبة تهون من دونها النوائب

وكانوا غياثا ثم أضحوا رزيئة ألا عظمت تلك الرزايا وجلت

كان الاستاذ رحمه الله على جانب من حسن الخلق يكاد يعلو به عن مراتب البشر

خلق كمثل الماء لو افرغته يوما لسال كما يسيل الماء

أبعد الناس عن النطق بالفحش واسماع الخنا

يصم عن الفحشاء حتى كأنه اذا ذكرت فى مجلس القوم غائب

كان قريب الخير بعيد الشر

رحيب ذراع بالتى لا تشينه فان كانت الفحشاء ضاق بها ذرعا

يهب الجزيل ويعطى الكثير ولا يضن بالعطاء اذا ضن الاغنياء

أقامت في الرقاب له اياد هي الاطواق والناس الحمام

كان اوفى الاصدقاء وارعاهم للذمة واحفظهم للود

واذا رأيت صديقه وشقيقه لم تدر ايهما ذوو الارحام

كان ذكي القلب حاضر الذهن سديد المرى

بصيرا بأعقاب الامور كأنما تخاطبه من كل امر عواقبه

كان واسع المعرفة غزير العلم يضرب في كل فن بسهم ويجري فيه الى غاية لا تلحق وهبه الله ما وهبه من العلم باسرار الدين والاحاطة بمعاني الكتاب الحكيم

كان خطيبا ينفذ بالقول الى أعماق القلوب ويصيب به مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

اذا قال لم يترك مجالا لقائل بملتقطات لا ترى بينها فضلا

كفى وشفى مافي النفوس ولم يدع لذي اربة في القول جدا ولا هزلا

كان يكتب فيسحر الالباب وينطق بالحكمة وفصل الخطاب

له بواتر اقلام مسددة في حدها الحد بين الجد واللعب

كان اعرف الناس بالله واشدهم مراقبة له ولقد نظر الى ماسرى في عقائد العامة واكثر الخاصة من الشرك الخفي فأراد ان يرجع بهم الى التوحيد الخالص والتنزيه الحقيقي فنفر الناس من دعوته ثم نفذ شعاع الايمان الى قلوب المؤمنين الصادقين فتبين لهم انه الحق . وكان متفانيا في الدفاع عن الدين وتخليصه من الخلط الذي دسه فيه اعداء انفسهم وصيانة مصالحه ودفع كيد الاعداء المعتدين عنه وجمع كلمة المسلمين وتوحيد اهواءهم ومنازع قلوبهم

وفي هذا السبيل اصابه ما اصابه من اذى اهل الشر كافأهم الله

كان محبا للخير لبلاده ساعيا في ترقيتها ورفع منزلتها

ولم يحل بينه وبين ما اراده الا الموت فترك هذه الحياة الدنيا وهو يذكر الاسلام ويدعو له لم تشغله عن ذلك نزوات الالم الوجيع، وبوادر الفناء السريع واي دليل بعد ذلك على قوة اليقين، ورسوخ القدم في الدين

الاستاذ الامام رحمه الله هو ابو تلك النهضة الاسلامية العلمية التي امتد شعاعها في بلاد الهند ومصر ووصل جيش منها الى بلاد المغرب وغير بلاد المغرب

من دول الاسلام ولقد كانت له آمال أسمى وأكبر

فمن يسع أو يركب جناحي نعامة ليلحق ما قدمت بالامس يسبق
قضيت امورا ثم غادرت بعدها بوائق في اكمامها لم تفتق

هذا هو الشيخ محمد عبده الذي واراه بالامس التراب

لعمرك ما وارى التراب فعاله ولكنه وارى ثيابا وأعظما

وماذا يقول فيه القائل وبمَ يمدحه المادح وكل فعاله كرم وخير

يفنى الكلام ولا يحيط بوصفه أيحيط ما يفنى بما لا ينفد

واذا كان الذكر الطيب حياة الرجال بعد انصرام الاجل وانقطاع حبل الامل فان للفقيد الكريم من ذلك أوفر حظ واكمل نصيب

فان تك افنته الليالي فأوشكت فان له ذكرا سيفني اللياليا

واني ذاكر لكم أيها السادة كلمات منظومة جرى بها الخاطر في رثاء الاستاذ الامام على غير سعة في الصدر تحتمل العناية بتهذيبها وتحريرها

رزىء العلم فيك والاسلام يا فقيد الهدى عليك السلام
كنت طودا اذا الخطوب ادلهمت لم تنل همك الخطوب الجسام
رجل كان حيث يسلك فجا تتحامى طريقه الايام
يادفين القلوب قد هابك الدهـر فكيف اعتدى عليك الحمام
ان في قبرك السماحة والفضـل وفيه الثبات والاقدام
كان مغناك للعفاة رحيبا نبتت في رحابه الايتام
لم تكن تحمل الضغينة والحقـد وان نال من أذاك اللئام
طيب القلب لم تهم بشر طاهر الذيل لم يمسك ذام
كنت حي الفؤاد تصدع بالحق فتلوي عنانها الاوهام
كنت سلم الطباع والدهر حرب ساهر العزم والقلوب نيام
كنت ترمي في كل علم بسهم لا تباريه في السداد سهام
أنت خلفت في الانام ثناء تتغنى بذكره الاقلام
جئت دار الحياة والدهر كهل وتوليت والزمان غلام

ان قلبا أصفاك بالود حيا صــدعته بموتك الآلام
كان فى هذه الحياة رجاء فدفناه يوم مات الامام
رحم الله منك نفس كريم وقليل من النفوس الكرام

* * *

وتلا الامين فى موقف الخطابة — عبد الوهاب عبد الرازق — ونص خطابه:

أيها السادة

أصيب الاسلام بهدم عماده ورزىء العلم والمتعلمون بأفول ذلك البدر الذي كانوا به يستضيئون.

هوى من بين أيدي المسلمين بالامس رجل كان نادرة الفلك وواحد عطارد

واذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لاتنفع

لقد حق لكل قلب ان يتفطر من شدة الحزن لعظم ذلك المصاب الذي اضطربت منه القلوب وطاشت الاحلام، خبر وفاة الاستاذ الامام

فقدناه والآمال ترجو حياته وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

مات الشيخ الامام فلله حياة قضاها في رفع شأن دينه وقوة أنهكها فى خدمة أمته وفكر طالما أتعبه فى ترقية أفكار أبنائه المتعلمين

لاحول ولا قوة الا بالله انا لله وانا اليه راجعون

ما كنت أحسب قبل دفنك فى الثرى أن الكواكب في التراب تغور
ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى رضوى على أيدي الرجال تسير
خرجوا به ولكل باك حوله صعقات موسى يوم دك الطور
حتى أتوا جدثا كأن ضريحه فى قلب كل موحد محفور

اللهم اغفر له وادخله فى رحمتك انه كان عبدا شكورا

* * *

و بعد أن كمل مقال الخطيب انبرى للقول وكيل الجمعية — احمد عبد الرازق وقال:

انا لله وانا اليه راجعون. رجل قام بيننا ينير ظلام الليل والليل قاتم و يأخذ بيد الحق يدمغ بها الباطل و يعيد للاسلام وأهله ثوبهم القشيب. حياته كلها

كانت في خدمة الدين وابنائه، والعلم وطلابه، والحق ونصرائه ، والفضيلة ورغابها حتى اذا ما اوشك أن يتم عمله وينمو زرعه سلمت عليه المنيـة فافل من بيننا نجمه اللامع ، ونوره الساطع ، وذهبت بذهابه آمال عظام

يا ليتها اذ فدت عمرا بخارجة　　فدت عليا بمن شاءت من البشر

ولكن هيهات حم القضاء وأصاب السهم فالى الله نهرع والى كنفه الاعظم نلتجى

فما كان قيس هلكه هلك واحد　　ولكنه بنيان قوم تهدما

في غروب ذلك اليوم الذي فارقنا فيه ذلك الروح الطاهر منينا بفقدان علم نافع، ورأي سديد، وجد وعزم، ومروءة وحزم، فما أصعب مصيبته وما أشدها وقعا على النفوس . لله ما اشفق القلب على مصر . ولدت ذلك الرجل وحيـدا وليد الدهر اسلمته . فسبر غوره ووقف على ثمره وخـيره فاذا هو والحق يعمر قلبـه واليقين يثلج صدره و ينابيع الهدى والحكمة تفيض من جانبيه

موحد الرأي تنشق الظنون له　　عن كل ملتمس فيها ومعقود

يلقى المنية في امثال عدتها　　كالسيل يقذف جلمودا بجلمود

يرفع من شأنها وقد قعد بها كل الابناء ،ويهديها الطريق المستقيم وقد عمي عنها الاقرباء والاصدقاء، فاجأه ريب المنون وليس لهافي غيره مطمع وما في النساء وان أخطأهن المد رحم مثله تدفع

هيهات ان يأتي النساء بمثله　　ان النساء بمثله عقم

ولئن فات بعضا من افراد امة الفقيد ان تقدره قدره،وتعرف له حقه، فلقد خلف فينا من الايادي البيضاء والمآثر الغراء ما سنبكيه عليه أبد الابيد ونشيدله به ذكرا يزداد طيبا كلما كشفت لنا الايام عن مقاصده الطاهرة وأعماله الصالحة رحمه الله .

***

و بذلك تمت أعمال الجلسة وختمها الرئيس بسم الله كما بدأها

وكتب حضرة الفاضل محمد الشاملي الفار نجل سعادة عبد الرحمن بك الفار

فقيد الشرق

لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . حم القضاء فلا مرد لحكم الواحد القهار ' مات مولانا المفتي فمات العلم والادب والفلسفة والحكمة والهمة والعمل والرأي والتدبير والشجاعة والاناة وعزة النفس . وفقد الاسلام والمسلمون ركن نهضتهم وحامل علم رقيهم وانطفأ المصباح الذي يضيء الخافقين وحال الموت بيننا وبين القمر المنير في سماء مصر الذي كان يرسل أشعته نورا الى العالمين فيهدي كل سائر في هذه الدنيا . يسترشد به الشيخ ويزداد العاقل تبصرة والجاهل علما والشاب موعظة والحكيم عبرة والرجل خبرة (ولكن قتل الانسان ما اكفره)

عاش مولانا ٥٧ عاما معلما مهذبا مرشدا طبيبا للنفوس مصلحا لاداء العمران فنغصنا عيشه وقتلناه بأعمالنا السيئة

أيها الناس أي عمل قام به مولانا (رحمه الله) ولم نعارضه فيه ؟ أي مشروع أدبي بدأ به ولم نقف أمامه حجر عثرة ؟ أي خير فعله ولم نقل انه الشر والاثم والزور والبهتان ؟ أي تعليم له لم نقلبه عليه بدعوى انه يريد مخالفة ما قرره السلف الصالح؟

ولكنها همة فوق السحاب ونفس كبيرة وأخلاق شريفة رضية وبحر علم خضم لم تؤثر فيه الترهات او تمنع ظهور فضله كثرة الاعادي والحساد فعاش كغيره من الانبياء والحكماء والملوك كثير الاعداء كثير المحبين وهي ميزة كل نابغة عظيم القدر والمقام واذا كان نصف الناس أعداء لمن ولي الاحكام فلا غرابة اذا رأينا ثلاثة ارباعهم مبغضين لمن ولته الزعامة الدينية الادبية علومه ' ورفعته الى أوج الكرامة فضائله ، وداس على رقاب خصمائه بقدم همته ، فكان أينما تحرك تحركت الدنيا وحيثما حل تطلعت اليه الابصار وحامت القلوب ' والناس بين مقدس لتلك الفضائل مدحا ، أو عامل على غمطها ذما وقدحا ' وكلا الاثنين العدو والحبيب كانا في مستوى واحد نحو تلك الحياة الممتلئة بالمفاخر والآثار

كم من العلماء تركوا الازهر واشتغلوا بالقضاء، كم من المصلحين ومحرري الشعوب أقصتهم الحكومة عن البلاد، كم من رجال العلم تولوا الافتاء، كم من الافاضل أنابتهم الحكومة عنها في مجلس الشورى والجمعية العمومية عشرات ومئات تقلبوا في هذه المراكز الخطيرة وأتى بعضهم بكثير من جليل الاعمال ولكن بينهم فردا واحدا كان طالب علم وكان شيخا متنورا طالبا للحقيقة المجردة وكان مدرسا وكان خطيبا بليغا وكان محررا صحافيا وكان قاضيا وكان مستشارا ومات مفتيا وهو في كل مركز من هذه المراكز العضو المتحرك لخير الانسانية والعلم المفرد الساعي وراء ترقية أبناء أمته ودينه والبطل الشجاع الذي لم يخش في حياته وطنيا أو أجنبيا لعلمه أنه يعمل على مايقوي ساعد الملك و يوثق روابط الالفة بين الهيئتين الحاكمة والمحكومة

هو مولانا الشيخ محمد عبده فقيد الاسلام الخالد الذكر

فى ربقي ألهم الله والده بأن يعلمه فبعث به الى الجامع الاحمدي بطنطا حيث كانت الجوامع دون سواها مواضع تلقي العلم والمعرفة فاختلط بشبان وشيوخ يظنون اقوالهم الحكمة وآراءهم فصل الخطاب ويخيل لهم ان كل العلم والدين منحصر فى متن معقد وشرح أكثر تعقيدا وتأويل غامض وتفسير مبهم فاخترق بحاد بصيرته ان علم هؤلاء جهل وصحيحهم غلط فعف عن العلم أياما ثم آب اليه وافترش صحن الازهر طالبا لفائدة عقلية أو نقلية فلم يجد الا مناقشات وجدالا ومغالطات كان يخرج منها على غير هدى ولكن ذلك كله لم يمنعه عن استئناف بحثه وتنقيبه محكما عقله فى الاستدلال والاستنتاج فرماه سادتنا علماء الازهر بالميل عن الصراط السوي وادعوا أنه يذيع بين الطلاب مذهب المعتزلة وكادوا ينشبون به أظفارهم لولا أن قيض الله له من اخذ بيده ونصره عليهم وعلى وقته وهو ذلك الحكيم الشرقي الشيخ جمال الدين الافغاني فتمازجا روحيا وعرف كلٌّ ما يكنه صدر الثاني من صنوف العرفان والميل لهدم صروح الفساد والجهل المستولي على أفئدة المسلمين عموما والمصريين خصوصا ولكنهما لم يبدءا بنشر تعاليمهما حتى كثرت الوشايات وعمت السعاية والنميمة واعتصب ضد فقيدنا علماء الازهر ولولا

ان الشيخ العباسي المهدي أنصفه لما أنالوه درجة العالمية وما كاد ينجو بعلمه من شر الازهر بين وغباوتهم حتى وقع مع زملائه ابطال النهضـة الفكرية فى شرك نصب له فأبعده اسماعيل باشا عن عاصمة القطر الى مسقط رأسه في مديرية البحيرة ولم يعد الا بحسن رعاية الوزير الخطير دولتلو رياض باشا احد العارفين بفضله، الراغبين فى افادة البلاد بواسع علمه، فولاه منصب تحرير الوقائع المصرية وكانت كحالها اليوم عبارة عن اعلانات رسمية مع بعض اخبار ادارية ووقائع محلية ففك قيودها وتوسـع في طرق تحريرها او بعبارة افصح حررها من سجنها الى فضاء الحرية فنقد الاخلاق والعادات واشار بمواضع الخلل في اعمال الحكومة ودوائرها وفتح للكتاب ابواب التحرير التي كانوا لا يعرفون غير اسمها فكانت نهضته في الانشاء هي الخطوة الثالثة من اعماله التي اظهرت مواهبه وخالف بسيره فيها ما كان يظنه البعض اساسا لا ينقض فهدم ابراج خزعبلاتهم وأبان لهم كيف يجب أن يكون العالم وكيف ينبغي ان يكون الامام المصلح وما يفرض على من تلقى اليـه أزمة التحرير لأمة جاهلة وحكومة دستورية اسما مطلقة فعلا

هبت الثورة العرابية وكان فقيدنا فى فجر حياته ومطلع شهرته فلما دعي أجاب وهو يرمي الى غير غرض عرابي وسامي وعبد العال. كان يعتبر هذه الثورة خطوة في سبيل التحرر من رق الاجانب' كان يظن ان ثمار كتابته واقواله قد اينعت فجاهد جهاد العقلاء وقدم الرأي عن شجاعة الشجعان ووضع الحكمة والسداد موضع الجهل والرعونة والتسرع ولكن ذلك كله لم يغنه فتيلا فلا أقنع غفلا لا يعرفون غير السيف والمدفع ولا ارضى فئة كبرى كانت تؤيد سمو الخديوي والحكومـة وكانت نتيجة هذا الموقف الحكيم انه سـيق مع العصاة والمتمردين وحوكم كما حوكموا وصدر الامر بابعاده عن القطر ليس بصفة ثائر مثير بل خوفا من ان يكون لوجوده بعد الثورة تأثير في الاذهان المتأهبة لقبول الآراء الجليلة الحرة لا تلائم الاحتلال وهو في مهده ولهذا كان الامر العالى الصادر بنفيه ممتازا بأنه يجوز له الاقامة فى اي قطر اراد ويجوز له العودة بأمر خديوي وهكذا كان. فحل سوريا حيث لقي القلوب متعطشة لنهلة من بحر علمه واجتمع حوله عدد كبير من الطلاب

فأرواهم من وابله وشرح نهج البلاغة وعني بطبعه ثم انتقل الى باريس وقابل فيها السيد الافغاني وهنالك رأيا أن احسن خدمة تؤدى للعالم الاسلامي توحيد كلمة المؤمنين على اختلاف الملل والنحل فأنشأا معا جريدة « العروة الوثقى » التي صدر منها ١٨ عددا هي نموذج البلاغة وحسن البيان واول ما كتب في اللغة العربية من أساطير السياسة الدينية الدنيوية ولم تشغله هذه الصحيفة عن الاستفادة من مقامه في عاصمة الفرنسيس فدرس لغتهم وترجم بعض كتبهم وقابل كبار وزرائهم فكان هناك سفيرا متطوعا لخدمة المسلمين واظهار عواطفهم نحو أبناء الغرب فعرف علماء أوربا قدره وأنزلوه مكانته وكانوا يودون لو بقي بين ظهرانيهم يبدد عن سماء أذهانهم ظلمات الجهل بحقيقة الاسلام والمسلمين ولكن دعته الحكومة المصرية تكفيرا عن ذنبها واعتقادا بأن البلاد في حاجة له فعين قاضيا بالمحاكم الجزئية ثم المحاكم الكلية ثم مستشارا في الاستئناف فمفتيا للديار المصرية

تولى المنصب الاخير وهو موضع نقمة الاهالى ونقطة دائرة سخطهم بظن الجميع بأن الداء استحكم منه ولا يقدر ان يبرأه منه طبيب فخيب الله ظنهم وعاد للافتاء سابق مجده بحسن عناية الفقيد الذي كلما زادت شهرته اتساعا وشمس فضله نورا كثر مبغضوه وكيف لا يعادي من تفرد بالحكمة والرزانة والمهابة — من كلما أرادت الحكومة او الامة رجلا لعمل لم تر سواه فبينا هو يدير مركز الافتاء تجده العضو العامل في مجلس شورى القوانين لا تؤلف لجنة لعمل اداري او اقتصادي او مالي او زراعي حتى يكون من أعضائها، تجده كبير المستشارين في ديوان الاوقاف لا يتم عمل صغير او كبير دون اخذ رأيه واستفساره تجده مؤسس الجمعية الخيرية الاسلامية جائلا في عواصم المديريات يحث السراة والاغنياء على البذل والعطاء لتشييد دور التربية والتعليم، تجده متربعا في الرواق العباسي يلقي دروس الحكمة والمنطق والبلاغة والتفسير، تجده في منزله بعين شمس وقد التف حوله الراغبون في علمه يفيض عليهم من نوره، تجده في تونس والجزائر يداوي أمراض المسلمين، تجده في اوكسفرد وكمبريدج ينظر في كيف ترتقي الامم، تجده يكتب الفتاوى المصرية التي أقامت الدنيا وأقعدتها فاخرست الاعداء وافحمت المعارضين

وانقسمت لاجلها البلاد قسمين انتصر اصحاب الحق منهما على مدعي الباطل
هذا هو الرجل الذي كان يبتعد عن السياسة و يتحاماها ولكن أبى مركزه الا أن يرغم القابضين على أعنتها على الاحتكاك به والوقوف أمامه موقف الاعداء حيناً والمحبين تارة فلم يخش سلطة أمير او وزير حتى كان ماكان مما فصلته الجرائد في سنتيه الماضيتين من المنازعات والاختلافات التي قامت بين الفقيد ومبغضيه وأهمها فتوى ذبائح الكتابيين وتحليل ايداع الاموال بصندوق البوستة ، ومسئلة العلماء ، ورفع رواتب رجال الاضرحة والمساجد ، وحادثة الازهر الاخيرة التي دوى صداها في ارجاء المسكونة وحملت لنا صحف الهند استياء المسلمين لكل ماصدر ضد فضيلته رحمه الله . ولم ننس بعد تلك التهمة الفاسدة التي عزيت الى فضيلته بينما كان يتقلب على فراش مرضه الاخير وسجن بسببها حموه وكانت سبباً في الاجهاز عليه أثابه الله وعفا عن الظالمين وقد أمضينا الاسبوعين الفارطين مع جم غفير محتاطين بسريره وكلنا ألسنة داعية لفضيلته بعاجل الشفاء ولكن قدر كان فذهب مبكيا على شمائله مودعا من الجميع بالاسى والاسف والكل يرددون ان السعادة التي تنعمت بها مصر في حياة مفتيها وامامها العظيم كانت كالحلم الجميل ولكنه حلم سيبقى اثره في النفوس وتأثيره في العادات والاخلاق والهيئة الاجتماعية المصرية في كل دقائق حياتها كما يبقى اسم مولانا الشيخ محمد عبده الاجيال الطويلة عنوانا للمجد والفخر فنسأله تعالى ان يهبنا نعمة الصبر على فقده ولا يحرم الشرق من ظهور نابغة يحل محله والسلام محمد الشاملي الفار بمحل سعادة عبد الرحمن بك الفار بدسوق غربية

(ويلي هذا أبيات من الشعر حذفناها اختصارا)

وكتب الفاضل الشيخ محمد فراج الازهري ما يأتي

لا غرو ولا عجب . ولا استنكار ولا انكار . في ذلك الخطب الجلل الذي قد وقع بالمصريين عموماً وأسرع الاسلام والمسلمين خصوصاً ولا اكون مبالغاً اذا قلت بالعالم أجمع (فسبحان من يرث الارض ومن عليها) ولو زلزلت

الارض زلزالها ، وأخرجت الارض اثقالها ، لما تلجلج لسان الاسلام هذا التلجلج ولا تزعزع عن مركزه في موقفه ، ولما وقف موقف الحيران لا يبدي حراكا عن نفسه ، ولا يدفع خطبًا اذا وقع به ، ولما أصابه ما اصابه من الجبن والوهن الذي لحقه لفقد الامام العلامة النابغة الاستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده فقيد الافتاء في هذه الديار المصرية . فلقد اقتطفت المنية غصنا مثمرا ، واختطفت جوهرا من الامة جيدا ، وهدمت ركنا من الدين عاملا ، فكم ناداه الاسلام فلباه ، وكم دعاه الازهر فأجاب دعوته ، وكم طلبه الرأي بالشورى فأسرع اليه وأعطاه حقه ، وكم مد الجمعية بنفسه ونفيسه حتى أحياها بعد ان كانت ميتة ، فأي حادث وقع بالمسلمين كهذا

ولو نظرت ايها العاقل الى هذه الحياة لوجدتها لفراقه اياها متلجلجة اللسان متزعزعة الفكر متقطعة القلب باكية العيون ساكبة الدموع لفقدها حكيما كان تعدها بجياد فكره وسعة علمه وقوة جنانه ، فكيف لا تندبه وقد ماتت بموته ، لفقد الامداد عنها بفقده ، خطب قد ألم بقوم فأفقدهم مسماهم ، وحادث قد وقع بهم فأفقدهم مثواهم ، ورزء جسيم ، ومصاب اليم ، قد ادهمهم على غفلة منهم فزعزع اساسهم ، وهدم بناءهم ، فوربك ان اغتيال المنية اياه امر قد صير الخطب بيننا جللا ، والايام بيننا دولا ، فمن لي بعد هذا من يكون من ابناء الدين للدين ناصرا فلقد سقط نجم الاسلام ، وهدمت قوة المسلمين ، واشتد الكرب ، وعظم الخطب ، فالحادث فظيع ولله الامر من قبل ومن بعد وبه الحول والقوة فكم من ضلالة احياها الاجنبي فأماتها ، وكم من صالحة اماتها الغبي فأحياها ، وها هي قضية تلك الغرانيق تشهد له بما قد ابرزه من الحقيقة فيها ومناظرة هانوتو فانظر اليها تراها عروسا بكرا قد زفت الى هانوتو محلاة بضروب الحلي والآداب بعد أن أسس جدارها وشيد بنيانها ورفع اعلامها حتى صارت ولم تزل تنادي له بالفضل والرحمة بكرة وعشيا ثم ارجع الى الازهر وحول النظر ثانية اليه تراه قد انشأه نشأة ما كان ينتظر ان يكون عليها بالامس . فكم خاطب العقل ، واستنهض الفكر ، وحرك الحواس ، حتى اثرت كلمته في القلوب بعد ان اخترقت حجب الاباطيل ، واعدت عددا

عظيما من الافاضل قد اناطوا انفسهم اليوم باستكناه المعقول تارة وكشف المجهول اخرى، خدمة للدين وقياما بحقوق العالمين ، وذلك النجاح ما كان يمكن ان يناله الانسان قبل ، وما كان يخرج التلميذ عن دائرة التلمذة الا بعد ان يبلغ من العمر ارذله وربما كان بعد هذا الشقاء ، لم ينتظم في سلك العلماء ، بل في سلك اولئك الذين فارقوا الدنيا بعد ان خسروها والآخرة « ذلك هو الخسران المبين » ، فيا تعاسة حظ الازهر والازهريين ، ويا خسوف نجم سعد المسلمين فقد الكل رجلا كانت الحاجة اليه ماسة وقضايا الدين اليه داعية ، ومصالح الحكومة له نادبة ، ودعك مما يقوله فيه المشاغبون ، واذا رأيتهم يخوضون فاعرض عنهم ودع أذاهم وذرهم في طغيانهم يعمهون ، فانك اذا رأيت ثمَّ رأيت نعيما وملكا كبيرا فيه تتمتع روحه السعيدة وحسبك دليلا على ذلك ما قد أعقبه للدين من الآثار

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

فكم استغاث به الفقير فأغاثه وكم أنصف المظلوم فيه وأعطاه الحق ، وكم أدب الظالم لاعتدائه الحدود وانذره ، وكم سار في الارض امتثالا لقوله جل وعلا (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين — افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) ولا يسعنا اليوم الا أن نرجو الله تعالى ان يغمره بعميم رحماته ، وأن يهب الاسلام رشيدا بعده ليقوم به حالهم ويصلح به شأنهم ، إنه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير آمين

محمد فراج الازهري
المنياوي طالب علم بالازهر
ومن تلامذة الفقيد

وكتب حضرة الفاضل محمد افندي الهراوي بالمعارف ما يأتي

مات الامام ولم يمت

كأنك اذ علوت اليوم نعشا خطيب ان تؤثر من سكات
وان الناس قد جاءوا لوعظ كما عودتهم حال الحياة

هل مات الامام، هل راح أمير الكلام ، هل قضى حجة الاسلام ، هل توفي حكيم مصر ، هل ذهب فيلسوف العصر ، هل مضى فاعل الخير ، هل انزوى نابغة الشرق ، هل ودع نصير الحق ، هل بلي لسان الصدق ، هل مشى ابن السياسة ، هل قبر أخو الكياسة ، هل دفن أبو الرياسة ، هل عدم شديد الباس ، هل آب عظيم المراس ، هل بعد قوي الحجة على الناس ، هل اختفى الرجل الصبور ، هل فقد الشهم الغيور ، هل ولى الليث الجسور ، هل طوى رب القلم ، هل سار ناطق الحكم ، هل انتقل الرجل المحترم

الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية

نعم مات ، مات وكان للشرق تاجا ، فسقط بموته ذلك التاج ، وفقد وكان لمصر سراجا ، فانطفأ بفقده ذاك السراج الوهاج ، وذهب وكان لدين الله حصنا يرد عنه غوائل المعتدين ، فذهب بذهابه ذلكم الحصن الحصين ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . انا لله وانا اليه راجعون .

من تعاسة الشرق وحظ الغرب في كل شيء انه اذا مات بالثاني نابغة في فن قام بعده الف نابغة في كل فن . وان ظهرت بالاول نادرة ، لا يلبث ان يؤوب الى الدار الآخرة ، ولله في خلقه شؤون

ألم تر اذ ما كان فينا محمد يمثل فضل الشرق والشرق يجهله
وها هو قد ولى لحال سبيله فيارب بعد الشيخ من ذا يمثله

لا أحد والله يمثل بعده فضل الشرق والشرقيين ، ولا رجل يخلفه لينهض بالاسلام والمسلمين ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون

مات حكيم الشرق النابغة ، وله في كل فن يد بالغة ، فكان في اللغات متمكنا ، وفي أصول الشريعة أمكنا ، وفي الآداب متضلعا ، فهو في أحكام الدين أبو حنيفة النعمان ، وفي البلاغة والبيان ، قس وسحبان ، وفي الحكمة لقمان ، وفي الفلسفة ابن رشد هذا الزمان ، وفي الكرم والسخاء حاتم الطائي ، وفي المروءة والوفاء السموأل والطغرائي ، هو الكاتب اذا كتب لو أعطى قلمه أميا لأصبح بفضل الله كاتبا بارعا ، الخطيب اذا خطب لو أعار لسانه أعجميا لاضحى ما شاء الله خطيبا

مصقعا اذا علم فهم، واذا حاجّ أفحم

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وقد مات واحد الدنيا في المسلمين فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون . لو كان ذلك الرجل اليوناني الفيلسوف الذي حمل في يده مصباحا والشمس تكاد تحرقه واخذ يبحث عن شيء في الطريق حتى اذا سأله سائل عما يبحث قال انما أبحث عن رجل ـ لو كان هذا الرجل الحكيم ـ معاصرا لفقيدنا المرحوم لا كتفى بأن يراه في جنح الظلام . رجل في أبهى مظاهر الرجال العظام، أما وقد مات الشيخ محمد عبده ودفن تحت التراب فليحمل الشرق بأجمعه في كلتا يديه الف مصباح ومصباح وليستعن بالشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها ثم ليبحث بين رجاله من بعده على رجل مثله

* * *

اذا صحت دعوى المدعين ، بأن لاولياء الله الصالحين ، من الاجسام أربعين ، فقد صدقت دعواهم على نفس فقيد الامس ، فبينما تراه طيب الله ثراه يدخل حجرته، يرد على هاتونو فريته ، تجده في دار الافتاء ، يفتي بالشريعة الحنفية السمحة ، فاذا بك تلقاه في الجمعية العمومية ، يبدي الآراء الذهبية ، فاذا بك تلقاه في مجلس الشورى يترأس اللجان الفرعية، فاذا بك تنظره في ديوان الاوقاف يسوي كل خلاف ، فاذا هو في الداخلية، له يد في الامور الادارية، فاذا هو في الحقانية، له الفصل في الامور القضائية، وترتيب المحاكم الشرعية، فاذا هو في نظارة المعارف العمومية ، لاصلاح المعاهد العلمية ، فاذا هو في مجلس الازهر يدخل فيه العلوم العصرية، فاذا به وهو في دار الجمعية الخيرية الاسلامية، يفكر في خيرها من الوجهتين المادية والادبية، فاذا بك تراه يفسر آيات الله تفسيرا ما أحلاه واجلاه، فاذا انت تبصره في قرى الاقاليم ، يحتفل بافتتاح معاهد العلم والتعليم ، وانك لتعلم أنه بعدائن القطر، يوالي دعوة سراة بني مصر ، لاغاثة منكوبي الجر بميت غمر ، فاذا أنت تسمع أنه عضو لجان المحكمين لتسوية الخلاف بين الاهلين ، وبالجملة فانه ما راح أو حضر الا وله في كل واد أثر . أفما خسرنا في فقد هذا الرجل الف رجل ورجل فلا حول ولا

قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون

***

تولى القضاء فحكم بين الناس بالعدل، وولى الاحكام فقضى بما يرضى الله والعقل، فتمسكت القلوب به وتعلقت بحبه، وقدره العارفون حق قدره، وشهدوا له برسوخ قدمه في الفضل والنبل ولم ينفر منه الا الحاقدون عليه لعلمه وفضله وعلو مرتبته أو على رأي المثل

ان نصف الناس أعداء لمن ولي الاحكام هذا ان عدل

وتجاهلوا فجهلوه، وعرفهم فلم يعرفوه، والفضل يعرفه من الناس ذووه، وأحسن اليهم فأساؤوه، وبعلمه أحبهم وبجهلهم عادوه، والجاهلون لاهل العلم أعداء

كان يتواضع كثيرا وهو عال علوا كبيرا، ويعمل المروءة بقصد المروءة ولا يبغي عليها جزاء ولا شكورا

مررت على المروءة وهي تبكي ... فقلت علام تنتحب الفتاة
فقالت كيف لا أبكي وأهلي ... جميعا دون خلق الله ماتوا

نعم ماتوا ودفنوا تحت الطين فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون محمد الهراوي بالمعارف

وكتب الفاضل الشيخ توفيق ابو خليفة ما يأتي

اكتب هذه الاسطر بدمع عين ملؤها الحزن والكآبة، عين زاغ منها البصر وما طغى، لقد رأت من آيات ربها الكبرى. فسحت سحابتها الملتفة بالويل فسقت حطيم الآمال التي التوى غصنها، وجف غضها، وانصرم قويها، وبعد مزارها، واتسع خرقها، وطحنتها صروف الدهر طحنا، ومزجتها بكأس من حميم، وجعلتها صورة سوداء مكتوبا على جبينها آية الاستحالة، ووضعتها في جيب الارض. (اجل) انها وضعت تحت امامنا الاكبر وتحت ساعده الايمن سيد المفسرين وملاذ العالمين، وملجأ المشتبهين، رضوى زمانه، أبو حنيفة اوانه،

شيد كل عليم ، وامام كل فهيم ' من لا يسمني أن أصرح باسمه ، حيث استنار العالم بخواصه ورسمه ، ذلك المقدام الذي تدكدك لهوله الطور ، وغاض منه البحر المسجور ، ونكست رأسها الاقلام ، وخرس له كل لسان ، وبكت عليه السموات والارضون ، واظهرت حدادها ' وانقلب كيانها ' وهدأ دويها ' وكثر صريخها ' وندب مريخها ' وبكته الثريا وتفرق شملها ، وانفصمت عروتها ، حيث كانت معلقة بذيله ، وخادمة انيله ، وطوع اشارته وامره ' وانخسف القمر ' واقتربت الساعة ' وكرت علينا أحزاب الهموم زمرا ، وأخذنا نريق غرب الدموع عبرا ، كما أراقها على يوسف يعقوب ، ونشق الجيوب بباتر الاسى ' والقلوب تتلو سورة الانشقاق ' والصدور كتبت في طيها سورة اللهب ' والجسم عصفت عليه أعاصير النحول الذاريات وتوالت عليه مرسلات البؤس المغيرات ، فعبس جيش الصبر وتولى ، وتركه أسير الاخوان وولى ، فتبا لدهر كسف منا هذا البدر ، وجعل موعد لقائه الحشر ،

دهر ان صفا يوما تكدر أعواما ، وان أضحك شهرا أبكى دهرا ، فها هو قد وقف بالمرصاد ، وعضنا بأنياب حداد ، واستلب منا ما كان نجلا في عينه ، ولعسا في شفته ، وعقدا في جيده ، وعبيرا تتأرج الارجاء عندهبته ، وروحا لجسم المجد ، وانسانا لعين الرفد ، وزندا لكف الدين ، وواسطة لعقد المتقين ، وحرما للآمال ، أبيح فيه صيد المال ، فان انت لامسته لامست شهما ، وان مارسته مارست ضيغما ، وان جالسته جالست امثلا ، وان هاديته هاديت أجدلا ، وتالله كان يومه ينافس فيه امس ، والعالم تفخر به كما فخر عصام بالنفس ،

أهًا وآه رحمك الله ياعليم الاقطار فلئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك ' ولنعم الروح روح تضمنه بدنك ، ولنعم الجسد جسد تضمنه كفنك ، ولنعم الكفن كفن تضمنه لحدك ، ولنعم الروضة روضة ضمت ضريحك ، ولنعم الجنة جنة فيها فسيحك ، ولنعم الحور حور تلقتك بكأس دهاق من الكوثر فطبت حيا وميتا وعشت جليلا ومت جليلا فلنعم الجليل ، فلتهنا بك الجنان ، وليبكك الزمان فهذه الارض قد اشفقت عليك من الاعداء ، فوضعتك في الاحشاء ، فترافق ابها

الجدث فقد نزل بجرعائك القطر ، اللهم الهمنا والامة الصبر . واجعل له بهذا الفادح خير اجر

توفيق ابو خليفة
الجرجاوي بالازهر

وكتب الفاضل عز الدين افندي صالح ما يأتي

انا لله وانا اليه راجعون

لقد ذوى غصن البيان . وهوى نجم العرفان . على أثر مرض أعيي الاطباء وروع الاوداء . فياعيون تفجري ، و يادموع تحدري ،

و يامهجتي ذوبي أسى وصبابة   ويا كبدي عز اللقا فتفتتي

فقد هامت القلوب ، وتفاقمت الخطوب ، وتزايدت الكروب ، وضعف الطالب والمطلوب ، وبلغت الروح التراق ، اذا انفصمت عرى التلاق

وقد ماتت الفتيا بموت (محمد)   واوحش دين الله وازور جانبه
وأظلم هذا الكون بعد ضيائه   فقد كان من لفظ (الامام) كواكبه

فنزل بنا ما لو نزل بالجبال لمادت رواسيها ، وبالارض لدكت أعاليها ، و بالبحر لغاض ماؤه ، و بالبدر لذهب سناؤه ، و بالشمس لم تظهر و بالنجم لم يسره

والصبر يحمد فى المواطن كلها   الا عليك فانه لا يحمد

لا كان قلب لا يستصغر جمر الغضا لفراقك أيها المفتى ، ولا عين تبخل بهواطلها ، ولا تجود بهواملها ، ولا كان اليراع ان سطر غير مراثيك ، ولا اللسان ان نطق بغير ذكرى معاليك .

سكنت رمسا و ياليته كان بين جوانحنا ، وتحجبت عنا بالتراب ، وعهدنا بالبدر التقنع بالسحاب .

وقد كان بطن الارض يغبط ظهرها   عليك فأمسى البطن يحسده الظهر

يبكيك الافتاء ولا نبكيك ، و ينعيك الاسلام ولا ننعيك . وتشجر رؤوسها

الاقلام حزناً عليك ولا نموت جزعا ' ونرى الشورى في ضجة ' وطلبة الازهر في صيحة ' ولا تأخذ نار جفة الفراق

شمس فضل مال بها الزوال الى النزول ، و بدر أدب جنح به التمام الى الافول ' و بحر جف ' وطود خف . تحمل على الاعناق ' والى ر بك يومئذ المساق

ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى رضوى على أيدي الرجال تسير

والله لو ان الموت يقبل الرشا ' او يسمح بالفدا ' لفديناك بأرواحنا وأموالنا أو كان يسمع أو يعقل لافحمناه بحجج دامغة ' وبراهين ساطعة ' حتى لم يجد اليك سبيلا ولكن

الموت داء لا دواء له يمحو من الدنيا امانيها

وطبعه نقص المعالى لذا أفنى محمدها ومفتيها

الهمنا الله وآلك صبرا واسكنك جنات تجري من تحتها الانهار وعوض الاسلام فيك خيرا . ماقال الصابرون . انا لله وانا اليه راجعون

عز الدين صالح

تلميذ بمدرسة رأس التين

بالاسكندرية

وكتب الفاضل الشيخ احمد مختار الحنبلي

عظة الدهر برجل العصر

من كان يعلم ما بأمسه . ورآه أصبح كفين رمسه . علم ان الدنيا كدرة مبغوضة . وانها لا تزن عند الله جناح بعوضة . غرارة ميالة . وحلوة فتانة . خطوبها كثيرة . وحادثاتها عديدة . ولا خطب فيها اكبر مما دهانا . ولا سهم منها اشد مما رزانا رزانا بوفاة العالم النحرير . والفيلسوف النقريس . ارسطاطاليس زمانه . وافلاطون اوانه . من له من سحبان بيانه . روح هيا كل المعارف والآداب . وسويداء القلوب ونقطة عين أولى الالباب شيخنا العلامة

الشيخ (محمد عبده) مفتي الديار المصرية وناموس أسرار الشريعة الاسلامية

مولاي نعيك ، ولكن بأي لسان ام باي قلم ؟ نبكيك قدر ما آثرته علينا ، وبما قد اخلفته الينا ، من طرق التربية والنهضة العالية واوقفتنا على كثير من العلم والحكمة ، وارشدتنا الى مطالب الحياتين . فنال كل فريق بك مأربهم ، وشرب كل اناس منك مشربهم "اذ أنت بحر العلوم وقنطرة الوصول" ولدتك أمك فسلمت فطرتك وكملت فطنتك . وعلت همتك ' فكنت اماما محققا . ذليقا مدققا . كاتبا مقنعا . وخطيبا مصقعا .

تسنمت حتى عجب منك أخوك المصري ' وبهت منك الهندي والتركي ' وهرع لك البدوي والزنجي . وشهد لك المسلم والافرنجي ، شهادة معاصرين لمعاصر ، عجبت منك الآباء والابناء بل والامهات ولا عجب (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) شيخ ولكن تقلدت وسام القضاء الاهلي . وامام بك ارتفع المقام الشرعي ، تزين بك مجلس الشورى والمجلس الاعلى ' وأقيمت بك الجمعية الخيرية الاسلامية والجامع الاسنى ' ففتحت بيوت البائسين ، وضربت على أيدي الظالمين . فالتجأ لك عداد الفقراء والمساكين . فمن لهم بعدك . فوالله لولا التدين لقلت انك خير من سلف ، واعظم من جاء وأفضل من خلف ، قاومتك الليالي فقاومتها حتى ناجتك المعالي فساعدتها . فضربت بهمتك الامثال ، وكنت للفضائل خير مثال

مرضت فأمرضت القلوب وابكيت العيون . والناس كما يصبحون يمسون . ولكن جاء قضاء الله ولا راد لقضائه . وفاجأك الموت فلا محيص من لقائه . الا انه لحياتك ارتجت الارض واوتك اهتزت . فبكاك الاذربي ونعاك الالمعي والقلوب انفطرت . لفراقك أذنت المساجد . ودقت النواقيس في الكنائس اشعارا واعلاما بانك رجل الدنيا وواحدها . تطاير اسمك وعلا ذكرك ورفع شأنك . فنعتك جرائد الشرق وصحف الغرب ببعض ما فيك من شيم . رحمك الله فأنت الذي بمشهدك امشيت المسلم والكافر والرجل المطيع والآخر الفاجر . ذلك المشهد الذي عبر عنه بمشهد افتتاح الاسلام ثانيا واختتامه . أو (أول مشهد رتباط جديد في الخلق) ماسبقت بمثاله فيه رجال الدين والدنيا . كيف وأنت

الذي مهما يكن لا تقدر حق قدرك . وهذا بيننا بقلمك وهذا من عملك . وان آثارك خير مدح وأجمل عزاء . يا عالما لم تجاره العلماء . مت ولم تمت فمن بقيت آثاره لم تمت حياته فرحمك الله ورحمك الله

احمد مختار الحنبلي
أحد طلبة العلم الشريف

وكتب الفاضل الشيخ محمد موسى الاجرب ما يأتي

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون . لقد نكس الاسلام أعلامه ، وعض بنواجذه بنانه ، وابيضت عيون المناصب حزنا ، وتفطرت قلوبها شجنا ، والكل بلسان الحال ، يندب الاطلال ، وينعي البلاد والابطال ، أسفا على من بموته مات العلم والفضل ، و بفقده فقد القسط والعدل .

الا وهو فقيد الملة والدين ، وحكيم الامة وطبيب المسلمين ، فيلسوف زمانه ونابغة دهره وأوانه ، امام الامة والعلماء ، وشيخ المشايخ والعظماء ، استاذنا الاكبر الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ، تغمده الله برحمته المرضية ، وأسكنه فسيح جنته العلية آمين . فمجلس الاوقاف الاعلى كان يود ان يخلد حيا ، والآن يندبه ويقول (ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) ومجلس الشورى يدعو اله العالمين (اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين) والمحاكم الشرعية تبكيه بدمع غزير (فالحكم لله العلي الكبير) ومنصب الافتاء يندبه على فقد نظره العميم (وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) وأهل الازهر يبتهلون الى الله من الويل المبين (يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) والجمعية الخيرية تنادي الا لا تهضموا حقوقهم (وآتوا اليتامى أموالهم) ورده على مسيو هانوتو ينادي بأعلى صوت شديد (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) والمحاكم الاهلية تبتهل لماضي مستشارها الكبير (اني لما أنزلت الي من خير فقير) وجميع المسلمين يرجون اتمام النساء (١) واحكامهن (و يستفتونك في النساء

---

(١) يشير الى ان الفقيد لم يتمم تفسير سورة النساء

قل الله يفتيكم فيهن) وجامعة الاسلام اصبحت تتلو على المؤمنين (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) ومدرسة القضاء الشرعي تتضرع الى الله بكرة وعشيا (رب هب لي من لدنك وليا) وزيد وزينب يتبرآن مما ينسب الى نبيكم(١) (ذلكم قولكم بأفواهكم) وتأسيس المساجد يدعو له والمنابر (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) وحادث ميت غمر(٢) قد لباه انه العالمين (انا لا نضيع أجر المحسنين) وعلوم التوحيد أصبحت تلبي الها واحدا (فلا تدعوا مع الله احدا) وعلوم البلاغة أقامها من وهدة لانحطاط فكان لها من الحافظين (ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين) وعلوم الحكمة أنقذها من رتبة الجهل فسرت به سرورا (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا) وعلوم الرياضة تطلب من الله جزاءه وما أراده (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) هذا ـ وان مشهده الاعلى يتلو في الوجود (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وملائكة الرحمة قد احتفوا به فرحين مسرورين (ادخلوها بسلام آمنين)

قد مات الاستاذ الامام وما هو الا مصير الاولين والآخرين ولكنه قد أرشدنا الى طرق الصبر وعلمنا كيف نتسلى ونتصبر نعم انه قد مات ولكن لحياة علومه ومعارفه وعموم نفعه للمسلمين هو حي بتلك الآثار (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) واني لم أزل أكرر آية الصبر لي ولعموم المسلمين ممتثلا قول الله تعالى (و بشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون) ومتمثلا بقول الشاعر

ولو شئت أن أبكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر اوسع

فعوضنا الله والمسلمين خيرا في عظيم مصابنا ورزقنا وآله الصبر والمسلمين على ما ألم بنا آمين

محمد موسى الاجرب مجاور بالازهر
من محلة فرنوى بحيره.

---

(١) يشير الى رده الشبهات في مسألة زيد وزينب (٢) يشير الى جمعه المال لاعانة الذين اصيبوا بالحريق في ميت غمر وغيرها

حفلة التأبين والرثاء

عند القبر

جرت العادة عند الازهريين بأن يرثي كل عالم عند الصلاة على جنازته في الازهر بقصيدة تنشد على دكة المؤذنين في الجامع وكان الاستاذ الامام عليه الرحمة والرضوان أبطل هذه العادة وقد حاولوا أن يعودوا اليها برثائه فمنعهم صديقه الاستاذ الشيخ عبد الكريم سلمان وتقدم ذكرذلك فى تأبين الجرائد وجرت عادة الفضلاء من كل أمة بأن يؤبن بعضهم من يموت من أهل الفضل وأصحاب المكانة عندهم عقب الدفن وقد أراد العمل بهذه العادة بعضهم عند دفن الامام فرأى صديقه حسن باشا عاصم كثرة ازدحام الناس وما هم فيه من الحزن والكرب مع شدة الحر والتعب من طول المسافة التى مشوها من محطة مصر الى القرافة فقام في الناس فقال ما معناه: ان أصدقاء الفقيد ومريديه استحسنوا أن يرجئوا التأبين الى اليوم الاربعين لوفاته فانصرفوا أيها الناس مأجورين مشكورين

وقبل مجيء الموعد علموا أن الذين يريدون التأبين والرثاء من العلماء والادباء كثيرون وان تقديم بعض على بعض أو الاذن لبعضهم دون بعض فى القاء ما أعده لا يليق ولا يحسن فكان الرأي ان يعين المؤبنون والراثون وأن يكونوا بحيث يستغرق ما يلقونه الوقت الذي يجتمع فيه الناس للاحتفال بذلك فاتفقوا على ان يكون المؤبنون والراثون خمسة ـ حسن باشا عاصم بذكر ملخص تاريخ حياته لا سيما عمله في الجمعية الخيرية في مدة رئاسته لها وقبل ذلك اذ كان الفقيد عضوا مؤسسا وعاملا ـ والشيخ أحمد أبو خطوة القاضي فى المحكمة الشرعية الكبرى وأحد علماء الازهر الاعلام وان يكون أخص ما يذكره خدمته للازهر وللمحاكم الشرعية ـ وحسن باشا عبد الرازق أحد أعضاء مجلس الشورى وأن يكون من أخص ما يذكره خدمته للحكومة والامة في المجلس ـ وقاسم بك أمين المستشار فى محكمة الاستئناف والعالم البارع في علوم الاخلاق والاجتماع وأن يكون أخص ما يذكره أخلاقه وفضائله واصلاحه فى الامة ـ وحفني بك ناصف القاضي فى محكمة مصر الاهلية وأحد

الادباء المتخرجين على الفقيد في الازهر ودار العلوم ـ وحافظ افندي ابراهيم أشهر شعراء مصر واعرفهم بمزايا الامام كل منهما يرثيه بقصيدة

هذا ما اتفق عليه الاصدقاء والمريدون وأذاعوه في الجرائد ولما جاء اليوم الموعود وكان يوم جمعة اجتمع الالوف عند القبر حتى ضاق بهم الحوش الذي هو فيه والفضاء الذي بجانبه حتى كدنا نظن انه لم يبق في القاهرة احد من علمائها الا وقد حضر بل حضر أيضا كثيرون من وجهاء الاسكندرية وسائر جهات القطر ولما حانت الساعة التي عينت في الجرائد للبدء في الاحتفال تلا بعض القراء آيات من القرآن العظيم خشع لها الحاضرون ثم ألقى كل واحد من المؤبنين ما يأتي عنه

﴿ تاريخ حياته ﴾

لسعادة حسن باشا عاصم

ولد الفقيد في سنة ١٢٦٦ للهجرة الشريفة من ابوين متوسطي الحال ووالده من بلدة (محلة نصر) في مديرية البحيرة ووالدته من بيت عثمان من بلدة (حصة شبشير)بمديرية الغربية و ينتمي بيت والدته الى بني عدي من العرب و يقال انهم من ذرية سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكانت أخلاق والديه الفطرية سليمة يغلب على والده الكرم والشجاعة والوقار وتعرف والدته بالبر والرحمة بالمساكين فله في أخلاقه الكريمة أصل يرث عنه و يزيد بحسن التربية التي صادفها ماشاء الله ان يزيد رفعة وكمالا

بدأ في تعلم القراءة بعد ان جاوز العاشرة من سنه فأتم حفظ القرآن على حافظ مخصوص ثم أرسله والده الى طنطا لاجل تجويد القرآن في الجامع الاحمدي فجوده

وفي سنة ١٢٨١ هـ شرع في طلب العلم بذلك الجامع فأقام سنة ونصفا لم يفهم شيئا مما يلقى اليه لوعورة طريق التعليم ومفاجأة المعلمين للطلاب بما لا يعرفون من الاصطلاحات وصناعة الاعراب فسئمت نفسه وترك الطلب وعزم على الاشتغال بالزراعة وتزوج على هذه النية فكان هذا اول برهان على سلامة فطرته وذكائه اذ لم يرض باضاعة زمنه بما لا فائدة منه لكن والده ألزمه بالعودة الى الجامع الاحمدي لطلب العلم كأنه تفرس فيه الذكاء والاستعداد فلم يرض له باضاعتها فأركبه فرسا وأرسل معه رجلا شديد البأس ليوصله الى محطة ايتاي

البارود حيث يركب القطار الى طنطا فاشتد عليه الحر في الطريق ففر من رفيقه يعدو بفرسه الى قرية تسمى (كنيسة اورين) بمديرية البحيرة وانما فر الى حيث يقرع باب العلم والتربية الصحيحة التي كانت السبب في سعادته كما كان يقول تحدثا بنعمة الله تعالى . ذلك انه كان في الكنيسة رجل عالم فاضل مستعد لارشاد غيره ولكنه كان يشتغل بالزراعة لا بالارشاد فكأن الله تعالى خلقه لاجل ان يربي فقيدنا اذ لم يرب احدا سواه

ذلك الرجل هو الشيخ درويش خال والد الفقيد وكان قد ساح في الارض فوصل الى طرابلس الغرب فأخذ العلم والطريقة على السيد محمد المدني وتربى على طريقة الصوفية الحقيقية وعني بتفسير القرآن وحفظ الموطأ وكتبا أخرى في الحديث

فلما نزل الفقيد ضيفا في داره رحب به وكلفه أن يقرأ له جملا من كتاب خطي جاءه به فأبى عليه فما زال يلح عليه مع التلطف به حتى قرأ أسطرا فلما قرأها اندفع الشيخ يفسرها له ثم عاد اليه يكلفه القراءة فيقرأ فيفسر له ثم يتركه يلهو ويلعب مع شبان القرية فما جاء عليه اليوم الخامس الا وقد عشق القراءة ومقت اللعب واللهو وهذا دليل على ان تركه أولا لطلب العلم كان لعدم الفهم لا لضعف الاستعداد

لم يكن ذلك مرغبا له في العلم والقراءة فقط بل كان مرغباً له في العمل بالعلم وتربية نفسه وتهذيبها به . فقد كان ذلك الكتاب مجموعة رسائل كان السيد محمد المدني أرسلها الى بعض مريديه يأمرهم فيها بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويرغبهم في تصفية النفس وتحليتها بالكمال . فسأل الفقيد الشيخ درويشا عن طريقتهم مظهرا له الرغبة في سلوكها معهم فقال طريقتنا الاسلام قال الفقيد وما هو وردكم قال هو القرآن مع الفهم والذكر مع الحضور ثم فرض عليه أن يقرأ كل يوم أربعة ارباع مطالبا نفسه بفهمها وكان هو يفهمه مالم يفهم . فأخذ الفقيد ذلك بجد واجتهاد وانقطع للقراءة والذكر وبعد اسبوعين ذهب الى طنطا لطلب العلم ففتح عليه حتى كان الطلاب يجتمعون اليه ليطالع لهم الدروس التي يحضرونها وبعد ذلك انتقل الى الازهر في شوال سنة ١٢٨٢ هجرية فكان يطلب العلم مع الاشتغال بالتصوف . فنهاره تعلم واستفادة وليله تلاوة وذكر وعبادة .

واعتزل الناس فلم يكن يكلم أحـدا الا لضرورة . وكان يعرض كلما يعرض له من احوال الصوفية على الشيخ درويش في مدة بطالة الازهر وكان هذا الشيخ ينتظره فى بلدة (محلة نصر) يدارسه القرآن والعلم

كان الشيخ درويش يرغب الفقيد فى أن يتعلم كل علم فكان يسأله هل تعلمت الحساب والهندسة هل تعلمت المنطق هل تعلمت كذا فلذلك كان رحمه الله يبحث عن العلوم التي لا تقرأ فى الازهر ولم تمض عليه أربع سنين فى الطلب حتى رأى نفسه قد حصل كل العلوم الازهرية وطفق يبحث عن غيرها لاسيما العلوم العقلية والرياضية . وكان من عناية الله تعالى به أن ساق اليه ذلك العلامة الحكيم السيد جمال الدين الافغاني فأخذ عنه الكلام والتصوف والاصول والحكمة والعلوم الرياضية والاخلاق والسياسة وتخرج على يديه فى الكتابة والخطابة ولم يكن شيء من هذا فى الازهر وانما قلنا ان الله ساقه اليه لانه لم يحضر عليه جميع ما قرأه سواه على كثرة الذين كانوا يترددون على السيد جمال الدين رحمه الله

وقد عرض الفقيد نفسه فى سنة ١٢٩٤ ﻫ على مجلس الامتحان طالبًا شهادة العالمية من الازهر فنال الشهادة رغما عن تشديد اكثر المشايخ عليه لحضوره على السيد جمال الدين فهذا دور التعلم والتربية وأما دور العمل والاصلاح فقد بدأ به في أثناء الطلب . كان يقرأ دروسا في التوحيد والمنطق وغير ذلك يحضرها الجم الغفير من الازهريين فيرون كتبا جديدة من كتب سلفهم وأسلوبا جديدا يتدفق فصاحة وبلاغة وفتح لهم باب المذاكرة والبحث فكانوا يسهرون لذلك حتي مطلع الفجر

وبعد أن صار مدرسا رسميا زادت عنايته بذلك وكاد الازهر لذلك العهد ينهض نهضة تحيي العلم والدين ولكن حال دون ذلك اضطهاد المرحوم الشيخ عليش للفقيد لوشاية مكنها من نفسه حضور الفقيد علي السيد جمال الدين

كان يدرس فى الازهر وفي بيته فبدأ بكتب العقائد وهو اول من قرأ علم الاخلاق للازهريين في هذا العصر لما له من العناية بتربية النفوس وتخريج الرجال العاملين وقرأ درسا خاصا في السياسة

وكان غرض السيد جمال الدين الاصلاح الاسلامي بواسطة الحكومة لأنه

اسرع فائدة وأينع ثمرة لو تم . وقد مهد له السيد بتلاميذه ومريديه حتى كاد ينجح بعد عزل الخديو اسماعيل وتولية الخديو توفيق الذي كان متصلا به قبل ذلك . وكان هو المأمول لتنفيذ الاصلاح ولكن ما كاد يستقر على كرسي الخديوية حتى أوغر الوشاة صدره على السيد وعلى تلميذه الاول ويمينه فى العمل أعني فقيدنا رحمهما الله فنفى السيد الى خارج القطر وذهب الشيخ الى بلده (محلة نصر) وكان ذلك في رمضان سنة ١٢٩٦ هـ

كان الفقيد قبل ذلك عين معلما للتاريخ فى مدرسة دار العلوم واللغة العربية فى مدرسة الالسن فجرى في التدريس على طريقة جديدة كانت مبدأ الاصلاح والنجاح وكان يقرأ في مدرسة دار العلوم مقدمة ابن خلدون ولم تقرأ قبله درسا في مصر وكان يسلك في تدريسها مسلك الاستاذ المجتهد فى علم الاجتماع والعمران ولو طال الزمان على درسه هذا اربى رجالا وأحيا آمالا

وفى سنة ١٢٩٧ هـ عينه صاحب الدولة رياض باشا محررا فى الجريدة الرسمية ثم جعله رئيس التحرير فيها ورغب اليه فى سن قانون للمطبوعات ففعل . وكان من أحكام ذلك القانون انه يجب على جميع مصالح الحكومة ان تخبر قلم المطبوعات باعمالها واحكامها ومشروعاتها وان لرئيس التحرير حق الانتقاد على مايراه منتقدا منها كما انه له حق المراقبة على الجرائد التي تنشر فى البلاد المصرية ومعاقبتها حتى بالتعطيل الدائم . ومن أحكامه ان ينشئ رئيس التحرير فى الجريدة الرسمية قسما أدبيا تنشر فيه المقالات فى التربية والآداب والتدبير وغير ذلك من الامور النافعة فى الاخلاق والعادات

بهذا القانون صار الفقيد رحمه الله تعالى كالمسيطر على عمال الحكومة والمربي للامة وقد قام بالامرين حق القيام فكانت الجريدة الرسمية تنتقد ماتكتبه مصالح الحكومة حتى اضطر رؤساء الكتاب الى تلقي دروس فى العربية وأنشئت لذلك مدارس ليلية كان الفقيد تبرع بالقاء دروس فى بعضها وتنتقد الاعمال حتى كان ذلك عونا على اصلاحها لما يتوقاه العمال من الانتقاد والتشهير بل من المؤاخذة بعد ذلك اذ المنتقد انما ينتقد بلسان الحكومة — بل كان من القانون ان لرئيس

التحرير الحق فى مطالبة الحكومة بالتحقيق عما تقوله الجرائد المحلية في عمال الحكومة فان ظهر صدق طعن فى احد فعلى الحكومة ان تؤاخذه وكان يؤاخذ الجرائد بفساد عبارتها حتى انذر بعض الجرائد بالتعطيل اذا لم تأت بمحرر بارع يصحح عبارتها بعد أيام حددها ففعلت فكان وجوده فى المطبوعات مبدأ النهضة القلمية فى القطر المصري بعد أن أعده السيد جمال الدين وأفرادا آخرين لذلك. وقد كان من أثر انتقاده على الحكومة انشاء مجلس أعلى لنظارة المعارف هو أحد أعضائه والغرض منه ترقية التربية والتعليم فى البلاد

بعد ذلك جاءت الثورة فاوقفت سير هذا الاصلاح في اللغة والاعمال والآداب كما أوقفت غيره مما كانت الحكومة شرعت فيه بهمة رياض باشا

لذلك كان الفقيد رحمه الله تعالى شديد الانتقاد على العرابيين قولا وكتابة ولكن الوشاية اتهمته فحكم عليه بالنفي ثلاث سنين

اذا أراد الله بعبد خيرا أهله للاستفادة من كل شيء ولقد كانت تربية الفقيد تحتاج في كمالها الى السياحة فى الارض واختبار الامم فتم له ذلك بهذا النفي

ذهب الى سورية وأقام فيها نحو سنة ثم سافر الى أوربا وأقام نحو عشرة أشهر التقي فيها باستاذه وصديقه السيد جمال الدين على موعد وأصدرا جريدة العروة الوثقى التى كان لها أعظم تأثير فى العالم الاسلامي ولكن لم يطل عليها العهد اذ منع دخولها في مصر والهند وهما القطران المقصودان بها اولا و بالذات ثم عاد الى سورية مارا بتونس فأقام فيها عدة سنين

كان في بيروت يدرس العقائد الاسلامية فى المدرسة السلطانية ويقرأ درسا فى التفسير فى الجامع الكبير ودرسا آخر فى جامع آخر وكانت داره ملتقى العلماء والفضلاء من جميع الطوائف

وكان يكتب فى الجرائد بعض المقالات النافعة والنصائح الدينية وقد اختبر حال المسلمين وغيرهم من الطوائف أتم الاختبار

وفى سنة ١٣٠٦ عاد الى مصر وتسابق العظماء الى الشفاعة فيه لدى الخديوي السابق فتكلم بعض امراء الاسرة الخديوية وصاحب الدولة الغازي احمد مختار باشا

وجناب الورد كرومر فعفا عنه وأمر بأن يعين قاضياً في المحاكم الاهلية فلما علم بذلك استاء وسعى في أن يكون معلما في دار العلوم قائلا اني خلقت لان أكون معلما لا قاضياً على انني ارتقي في القضاء ولا ارتقاء في التعليم فلم يقبل الخديوي الا ان يكون قاضياً فرضي رحمه الله بالقضاء وعزم على ان يجعله وسيلة للتعليم ولاصلاح الازهر

ارتقى في القضاء الى أعلى مرتبة فيه وكان فيه قاضي العدل والانصاف لا قاضي القانون والرسوم فقد كان لا يحكم بنص القانون اذا لم ينطبق معه على العدل والانصاف بل يعمد الى الصلح وكان يتوخى التربية في أحكامه حتى طهر بعض البلاد التي تولى القضاء فيها من دنس التزوير

منذ اكثر من ثلاثين عاما فكر بعض عقلاء هذه الامة في طريقة لارتقا علماء الدين الى درجة ينفعون بها العالم الاسلامي كما نفعه سلفهم فكان رأي البعض أن لا سبيل لذلك الا بايجاد مدرسة تدرس فيها علوم الدين والعلوم الاخرى وكان من وراء ذلك إنشاء مدرسة دار العلوم سنة ١٢٩٠ ﻫ والبعض الآخر كان يرى ان أقرب الطرق للوصول الى هذا الغرض هو اصلاح الازهر. وكان الفقيد رحمه الله على هذا الرأي ولذلك ما كان يجد فرصة الا انتهزها لتحقيق امانيه حتى انه لما اتصل بسمو الجناب الخديوي عباس الثاني في أول ولايته ونال الحظوة عنده تعين عضوا في مجلس ادارة الازهر وتمكن من العمل في اصلاح التعليم والتربية الدينية فيه لاعتقاده انه اصلاح اسلامي عام ينتشر نوره في جميع بلاد الاسلام وفي سنة ١٣١٧ قلد سمو الجناب الخديوي فقيدنا منصب افتاء الديار المصرية فكان به لهذا المنصب الشأن العظيم حتى كاد يكون مرجع الافتاء في العالم الاسلامي

وكان من مقتضى منصب الافتاء ان كان رحمه الله عضوا في مجلس الاوقاف الاعلى فكان نبراسا للمجلس يستضيء برأيه في تطبيق أعماله على أحكام الشرع الشريف وفي حل المشكلات ومن اقتراحاته المفيدة أن تشكلت لجنة تحت رئاسته وضعت نظاما للمساجد لو عمل به كما هو لعمرت بيوت الله وبيوت خدمتها ولكانت عونا على احياء علوم الدين

عقب تقلده منصب الافتاء عين عضوا في مجلس شورى القوانين فكان

للمجلس على عهده من الخدمة النافعة والاحترام مالم يكن له من قبل فقد كان رحمه الله عامل التوفيق بين المجلس والحكومة وكان أهم غرض له من التعب الشديد في المجلس تعويد الامة على دقة البحث في أمورها وتربية الرأي العام فيها ولا ننس من خدمته للعلوم الاسلامية رئاسته لجمعية أحياء العلوم العربية فقد أسست هذه الجمعية في سنة ١٣١٨ لاحياء كتب سلف هذه الامة وأفاضل علمائها وكانت فاتحة أعمالها طبع كتاب المخصص لابن سيده في اللغة وهو كتاب لا نظير له في موضوعه . وقد تولى رحمه الله تصحيحه مع علامة اللغة المرحوم الشيخ محمد محمود الشنقيطي وان الفضل في خدمة الشنقيطي لهذا الكتاب راجع الى فقيدنا فانه لولاه لما أقام فى هذه البلاد . وقد شرعت الجمعية بعد طبع المخصص فى احياء مدون الامام مالك رضي الله عنه وللفقيد من الخدمة في استحضار نسخها من تونس وفاس وغيرهما من البلاد ما لولاه لم يكمل لنا استنساخ الكتاب كله

كان رحمه الله يعتقد انه لا يرجى خير لامة الا اذا دبت فى أفرادها روح الاعتماد على النفس بعد التوكل على مسبب الاسباب وعلى التعاون على خدمة العامة الامر الذي لا يتأتى الا بالتربية والتعليم . ولما كان رحمه الله يرى نفسه مخلوقة لتربية الامة وتعليمها فقد كان من المؤسسين للجمعية الخيرية الاسلامية فى سنة ١٣١٠ هجرية وله من العمل فيها ما يجعله فى مقدمة اعضائها فانه كان يحض الامراء والعظماء والسراة على الاشتراك فيها ويحصل قيم الاشتراكات بنفسه اذا اقتضت الحال ذلك ويعمل كل ما فى جهده لارتقائها واتساع نطاقها. وكان يرى ان الفائدة الكبرى من هذه الجمعية هي تعويد المسلمين على الاجتماع لاجل التعاون واشعار قلوب الاغنياء عاطفة الرحمة والاحسان على الفقراء كما كان يصرح بذلك فى الاحتفال السنوي من كل عام وله فوق ذلك كله خدمة جليلة فى الجمعية ذلك ان ذوي الغايات وشوا بالجمعية عند اولي الحل والعقد لدرجة كادت تقضي عليها لولا انه دافع عنها حتى أزال سوء الظن فيها وحلت محله الثقة التامة بها وقد ترأس عليها من سنة ١٣١٨ لغاية وفاته رحمه الله

اما نجاح الجمعية فى عهد رئاسته لها فيظهر من المقابلة الآتية

	سنة ١٣١٧		سنة ١٣٢٢
الايراد	٤٤٣٠	جنيها	١٠٣٩٥
عدد المدارس	٠٠٠٤	مدارس	٠٠٠٠٧
عدد التلاميذ	٠٣١١	تلميذا	٠٠٧٦٦
عدد الاطيان التى تملكها الجمعية	٠٢٨٠	فدانا	٠٠٥٣٣

هذه هي حياة المرحوم الشيخ محمد عبده وقفها على خدمة دينه ووطنه وامته. فطيب اللهم ثراه واجزه عنا افضل ما جازيت به ناصحا فى دينه أمينا على مصلحة قومه. ووفقنا اللهم لاقتفاء اثره فى هذه الحياة. انك سميع مجيب الدعوات يارب العالمين آمين

﴿ مكانته واشتغاله في مجلس الشورى ﴾

لسعادة حسن عبد الرازق باشا

خطب جسيم، وفاجع أليم، انقض على صرح الامة الاسلامية فهدم ركنا من أركانها وأودى بطود من العلم والحكمة كان مفزع الموحدين، وموئل المسلمين، فأي نفس لم تتصدع، وأي حشاشة لم تتقطع، وأي جفون لم تقرحها العبرات، وأي زفرات لم تصعدها الحسرات — ليس على وجه البسيطة ولا بين ارجاء العالم من لم يدم هذا المصاب فؤاده و يندب سوء تأثيره على الاسلام والمسلمين

الناس مأتمهم عليه واحد   فى كل دار أنة وزفير

فما بالكم بمن عاشر الفقيد رحمة الله عليه عشرة الصديق وأصفاه الوداد واخلص له الولاء وعرف من كمالاته وفضائله وجميل مزاياه وجليل شيمه مايزيد ألم المصيبة فيه و يضاعف الحزن عليه حتى أخذ الاسى بمجامع قلبه وعقد لسانه ومزق درع اصطباره فلا غرو ان رجوتكم ايها السادة ان تقنعوا مني بما استيسر من القول في مآثر الفقيد وهو قليل في جنب ما ينبغي ان يقال في تأبين رجل

كانت حياته كلها خيرا لامته ودينه - ما كان فقيدنا رحمة الله عليه من الرجال الذين ينبغون في كل جيل، او ينشأون من كل قبيل، ولكن من النوابغ الذين يأتي بهم الدهر آحادا وتحلى بهم العصور في احقاب متفرقة فينشأون وقد أعدهم الله لجلائل الاعمال وعظائم الامور ومنحهم فطرة تمتو على سائر الفطر وميزهم بسداد الرأي ورجاحة العقل و بعد المرمى وسعة الصدر وقوة القلب فاذا نبت امثال هؤلاء في ارض صالحة ووجدوا في أمم مستعدة للرقي طامحة الى ادراك المعالي عرفت اقدارهم ووزنت اعمالهم واهتدت بهديهم فساروا بها في سبل السعادة ورفعوا مقامها على هام السماك سيما اذا طال بهم الاجل واتسعت لهم مدة العمر وكان نصيب بلادهم واهلها منهم خير نصيب . هؤلاء الرجال العاملون لخيرامهم يجدون من قومهم في البلاد الحية ما يزيدهم اقداما وثباتا و يملأ صدورهم ثقة ورجاء فيعيشون ما يعيشون مؤيدة كلمتهم مكرمة رتبتهم محفوظا لهم الجميل و بذلك يشتد ساعدهم وتنمو ملكة الاصلاح فيهم وكلما زادهم قومهم قبولا واقبالا زادوا رغبة في العمل ولا تجد أنشط للعامل من ان يرى لعمله عند امته قبولا

أما اذا قضى الله لاولئك النابغين ان يكونوا بين أمم فسدت اخلاقها وتمزقت روابطها و بعد ما بينها و بين الحياة القومية وتمكنت منها الغفلة وساد فيها الجهل فانهم يجدون من قومهم حربا عوانا كلما أرادوا بهم اصلاحا لانهم يريدون ان يزحزحوا الناس عن ملكات فاسدة رسخت في نفوسهم واطمأنت لها قلوبهم و يعملون لتحويل وجوههم الى الرشاد بعد ان انصرفت الى الغي وأنست به وما اصعب نقل الطباع في الامم من الفساد الى الصلاح وما اشد مدافعة الجاهلين عن اهوائهم وشهواتهم ولكن قد يوجد في تلك الامم الميتة بعض افراد يوفقهم الله لتمييز الصواب من الخطاء ومعرفة النافع من الضار فيقبلون على اولئك المصلحين بوجوههم و يصغون لندائهم فان مد الله لهم في حبل الحياة أثمر غراسهم وتركوا من يخلفهم في أعمالهم أما اذا أسرع اليهم الحمام كان نجاح عملهم بطيئا

ولا يخفى عليكم أيها السادة حال امتنا المصرية وما لاقى الاستاذ الفقيد رحمه منها ابتداء من مناصبتها له ووضعها العقبات في سبيله ولولا ما منحه الله من سعة

الصدر وقوة الصبر ما استطاع ان يقاوم تلك المصاعب او يصبر على هاتيك النوائب وان يعيش حياته في جهاد مستمر ثم لا يزيده ذلك الا ثباتا على الحق والدعوة اليه

أبعد الاستاذ رحمه الله عن بلاده بزعم ما لأنه للقائمين بالثورة العرابية و يعلم الله انه لم يكن من جناتها ولقد كان بينه و بين القائمين بها من الخلاف في الرأي ما بين الحق والباطل على ان هذه الغربة وان نالته ببعض الاذى بالضرورة فقد انتفع منها واستفاد خيرا لنفسه ولأمته فتعلم هناك ما تعلم من لغة الفرنساو يين وخبر احوال الفرنسيين ظاهرهم و باطنهم وعرف ما عندهم من العادات الطيبة والخصال الذميمة وكان اكبر غرضه من ذلك ان يحمل قومه على الطيب و ينفي عنهم الخبيث ولم تصرفه الشواغل في غربته عن العمل لدينه وأمته فكان لا يدع فرصة للنداء بما ينفع المسلمين الا انتهزها على ألسنة الصحف و بطون الكتب

وهذه رسالة التوحيد وغيرها من الكتب النافعة التي الفها في غربته وما كتب من المقالات في العروة الوثقى وغيرها أيضا تشهد له بالعناية الكبرى بالدين وتحسين الآداب وتهذيب الاخلاق بين المسلمين

ولما عاد الى مصر مشرق شمسه ومنبت غرسه كان قومه قد فطنوا لبعض حسناته وتنبهوا للقليل من فضائله وكانت الحكومة ايضا قد عرفت شيئا من شأنه واذ ذاك كانت أنشئت المحاكم الاهلية فعين فيها قاضيا ابتدائيا ثم قاضيا في الاستئناف وكان في كل منصب يشغله مثال الجد في العمل والحكمة في الرأي وكان يملأ المناصب حرمة ووقارا ونورا و بهاء وترك في كل وظيفة تولاها ذكرا جميلا وأثرا جليلا ولم تذهله كثرة الاعمال عن العناية بحال الامة ولا شغلته عن النظر في شأن الاسلام وتخليصه من دسائس المفسدين واوهام الجاهلين. ثم ندب لوظيفة افتاء الديار المصرية فوجد منفذا لسوق الاصلاح الى المسلمين باديا ظاهرا واتسع له المجال وعظمت عنده الآمال . بذل وسعه في جمع كلمة المسلمين على الحق واصلاح ذات بينهم وتعهد معاهد العلم وتطهيرها من ادران النقائص والمعايب ولم يبال بما قام بين يديه من العقبات ولم يحفل بما ثار امامه من غبار الترهات

لان الحق كان فى جانبه وعند ذلك اتجهت اليه وجوه المسلمين فى جوانب الارض وجعلوه مفزعهم فى كل شبهة وملجأهم عند كل ملمة فلقد كان يهرع اليه المسلمون المهضومون فى الممالك النائية فيتوسل الى دولهم بالرفق واللين حتى يرد منهم ظلم الظالمين فازدادت منزلته علوا بين المسلمين وغير المسلمين وعرف الاجانب من فضله أكثر مما عرف قومه وعشيرته

وان رجلا هذا مركزه فى الهيئة الاجتماعية وهذه مكانته من الفضل وعلو الشأن فى النفوس لا يستطيع القائل ان يوفيه ما ينبغي له

ولكني ارى من الواجب علي أيها السادة ان اذكر لكم مجملا من مآثره الغراء وأعماله الجليلة فى مجلس شورى القوانين لاني رافقته فيه فى أغلب أوقاته وشاركته فى معظم أعماله وعرفت من حسن نيته وصدق عزيمته ما لا يعرفه كثير من الناس

اختارت الحكومة الاستاذ رحمة الله عليه عضوا فى المجلس وتعين بأمر عال فى ٢٥ يونيو سنة ١٨٩٩ واول جلسة حضرها كانت يوم الخميس ٢٩ منه وكان اذ ذاك بين اهل الحل والعقد فى الحكومة و بين رجال الشورى شيء أشبه بالخلاف فى الرأي أدى الى ان الحكومة نفذت كثيرا من المشروعات التي كان المجلس يرى الخير للامة فى عدم العمل بها وصرفت النظر ايضا عن كل اوجه التعديل فى المشروعات التي كان يرى ان الصلاح والنفع للامة فى تعديلها فلما جاء الاستاذ الى المجلس ونظر فى الامر نظرة الحكيم البصير وعرف ان ليس هناك ما يدعو الى هذا الانفراج وانما هو سوء التفاهم باعد ما بين المشارب على تقاربها سعى رحمه الله فى أن يزيل أسباب هذا الخلاف فكان ما اراد وعرفت الحكومة ان المجلس انما يطلب ما فيه السعادة للامة ويبتغي الخير لها وان ليس له غرض فى مصادمة آراء الحكومة ومطالبها ما دامت تتفق مع مقصده وعلم المجلس أيضاً ان الحكومة لا تقصد الى شيء وراء ما يقصده لمصلحة البلاد و بذلك اتفقت الكلمة فى الغالب ولم يعد بين الهيئة الحاكمة والهيئة النيابية من الخلاف ما يتعسر حله

كان الاستاذ رحمة الله عليه واسطة العقد في مجلس الشورى فالتفت حوله

القلوب وعرف الكل مكانته من قوة الحجة وسداد الرأي وطهارة النية وكان اخوانه من رجال الشورى يلجؤون اليه اذا اشتبه الامر وخفي الصواب فينطق بالحكمة وفصل الخطاب وكان مع هذا أسرع الناس قبولا الى الحق واوسعهم له صدرا فاذا سقت اليه الحق هشت له نفسه وقرت به عينه ولم يصرفه عنه تمسك بالرأي ولا تعصب لمشرب

وكثيرا ما كنا نباحثه في أمر اختلف النظر فيه بيننا و بينه فيرجع الينا ويوافق رأيه رأينا ولم نر مثله فى احترام الآراء ما دام مصدرها شريفا لم يشبه الغرض

ولقد كنا نختلف معه في رأي ويجاهر كل منا برأيه ويدعو اليه اعتقادا منه انه الحق ولا نزال بعد ذلك اخلص الناس سرا واصفاهم ودا

كان رحمه يتألم كثيرا لما عليه المحاكم الشرعية الآن من عدم كفاءة العمال وخلل النظام فى الاعمال ونزارة رواتب القضاة والموظفين وقلة العناية بشؤونها حتى في محال مراكزها التي لا تليق ان تكون مستقرا لاصدار احكام الشرع الشريف . وكان منذ تقلد وظيفة افتاء الديار المصرية لا يزال يلفت الحكومة ويلح عليها بتلافي هذا النقص فعهدت اليه ان ينظر في الامر ويبين لها كل ما في نظام المحاكم الشرعية من الملل وما يلزم لاصلاحه فقام بالامر خير قيام وطاف لذلك كل المحاكم فى الوجهين القبلي والبحري ودقق البحث فى احوالها واعمالها وقد أودع ذلك في تقرير بين فيه بالتفصيل حقيقة الداء وما يجب له من الدواء وقدمه للحكومة وها هو لا يزال في محفوظاتها كما ان صداه لا يزال يقرع الاسماع الى الآن

وكان الشعور باحتياج المحاكم الشرعية الى الاصلاح قد امتلأت به نفوس أعضاء الشورى ايضاً وانتشر بين اعضاء الجمعية العمومية حال انعقادها فجاهرت به وطلبته من الحكومة واحيل هذا الطلب على مجلس الشورى لبحثه وهو احاله على اللجنة التي كان يرأسها الفقيد رحمه الله وفوض لها مخابرة الحكومة فيما ترى لزومه و بعد ان بحثته وقررت ما رأته فيه عرضته على المجلس وهو اقره ايضاً فانتهز الفقيد واخوانه اعضاء المجلس هذه الفرصة واظهر للحكومة بأقوى حجة واوضح دليل

ان الضرورة قاضية باصلاح المحاكم الشرعية وجعلها فى مصاف المصالح الاولى للحكومة فاقتنعت بما تقدم من البراهين وشكلت لجنتين تحت رئاسته الاولى مركبة من نخبة أفاضل العلماء وكلفتها بجمع ما يلزم لعمل القضاة من الاحكام الشرعية والثانية مؤلفة من أكابر رجال العلم والعمل ايضاً وكلفتها وضع مشروع لمدرسة القضاء الشرعي وجعل نظامها كافيا كافلا لايجاد العمال الا كفاء فكان رحمه الله مع ما فيه من شدة ألم المرض يواصل العمل في ذلك ليله ونهاره حتى أتمه وقدمه الى الحكومة قبيل قيامه الى الاسكندرية ببضعة أيام والله يعلم ما سيؤول اليه بعده امر هذا المشروع الخطير

ان تفصيل أعمال الاستاذ ومآثره فى مجلس الشورى لاتتسع له هذه الفرصة ومجمل ما يقال انه لم يعمل عمل فى المجلس مدة وجوده الا كان له فيه الرأي الرشيد والقول السديد فما انتخبت لجنة فى مشروع الا كان أول المنتخبين ولم يتألف وفد لمفاوضة الحكومة فى أمر الا كانت له الصدارة وهو في كل ذلك عضو عامل وعليم متبصر

كان رحمه الله واسع الاطلاع نير البصيرة فى كل ضرب من ضروب الاصلاح فاذا عرضت المشروعات القانونية كان بها خبيرا بصيرا واذا قدمت اللوائح الادارية لم يكن أقل من أهلها علماً بدقائقها وأسرارها، واحاطة بمنافعها ومضارها، واذا جاءت المسائل المالية رأيته ماهرا بأساليب الحساب، عارفاً بفنون الاقتصاد، فكنا نجد منه فى سائر الابواب علما جما، ومعرفة وفهما، ورأيا صائبا، وذهنا ثاقبا، ولم يزل هكذا يعمل وهكذا يجاهد حتى عجزت قواه عن العمل، وحال بينه وبين مراده الاجل،

قضى هذا الفقيد الكريم مدته بيننا وهو كالقطر حيثما وقع نفع وانا لنعلم ان البلاد ثكلت بموته رجلا لا تعوضه الرجال وانثلم بفقده بناء الاسلام ثلمة جانبها ليس بمسدود

نسأل الله تعالى ان يجزل حظه من الرحمة وأن يبوأه دار الكرامة وان يعوض الامة والاسلام فيه خيرا

﴿ اشتغال الفقيد باصلاح الازهر والمحاكم الشرعية ﴾

لحضرة القاضي الفاضل الاستاذ الشيخ أحمد أبي خطوة المدرس بالازهر
والقاضي بالمحكمة الشرعية الكبرى

بسم الله الرحمن الرحيم . لا اله الا الله محمد رسول الله . لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . انا لله وانا اليه راجعون

اجتمعنا اليوم هنا حوالي هذا القبر المجلل الموقر الذي انتهى اليه أمر الامام الكبير الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ليذكر كل منا ما عرفه من مزاياه رحمه الله وهي كثيرة متفرقة يعرف البعض منا مالا يعرفه الآخر منها وهي عادة وان كانت مستحدثة لاعاظم الرجال الا انها لا يأباها الشرع بل ربما ندب اليها اذا أدت بالاحياء الى الاستكثار من الحسنات والاستزادة من الخيرات ليذكروا بها بعد الممات وها أنا ذاكر ما عرفته من أيادي المرحوم على الازهر والازهريين بعد ذكر اشتغاله بالعلم والتعليم لانني واحد منهم ومخالط له فيه

ولد المرحوم في سنة ١٢٦٦ هجرية وأكمل حفظ القرآن الشريف في سنة ١٢٧٩ هجرية وقصد الجامع الاحمدي في طنطا سنة ١٢٨٠ هجرية لتلقي العلم فيه ثم جاء الى الازهر في اخريات سنة ١٢٨٢ ه واشتغل بتحصيل العلوم المتداولة فيه فما لبث غير قليل حتى صار شريكا لأكابر اساتذته في العلوم سواء في ذلك فهم العبارات بمنطوقها ومفهومها وما اشتملت عليه من الاحكام والحكم مع تمييز الصحيح منها من السقيم واشتغل بالبحث عن مآخذها وراجع كثيرا من كتبها الصحيحة القديمة التي تركت وأهملت مراجعتها حتى وصل الى جواهرها الحقيقية مبرأة من علل الاوهام . وكان جل اهتمامه موجها الى العلوم الشرعية والعربية خصوصا ما يتعلق بمتن اللغة وفقهها وآدابها وتاريخها ثم ارتفعت به تلك الهمة العالية الى الاشتغال بالعلوم العقلية من الطبيعيات والرياضيات والالهيات والامور العامة على ما اصطلح عليه اهلها القدماء ثم طلب أرقى من ذلك لمعرفته ان العلوم لا تزال تتزايد بتجديد الافكار فحصل اللغة الفرنسوية ليطلع على ما يتجدد من تلك العلوم ففاز منها بالقدح المعلى وحاز قصب السبق بين أهلها شرقيين وغربيين

فأقروا له بعلو المنزلة بعد ما كانت له معهم في ذلك الوقائع المشهورة

كان شغله الشاغل لاوقاته هو الازهر وأهله لعلمه ان في صلاحه صلاح المسلمين ولقد نقل عنه وهو بالشام أنه لا يرتاح ولا يهدأ خاطره الا اذا صلح هذا المكان . وانه لا بد أن يجهد نفسه و يعمل فكره و يعمل فى صلاحه وانه ان مات فى هذا السبيل مات قرير العين . ولهذا كان دأبه السعي فى مصلحته وهو غير مكلف به الا من نفسه . فلما ان كلف به من الحكومة المصرية في ١٧ رجب سنه ١٣١٢ وصدر الامر العالي بتعيينه عضوا في مجلس ادارة الازهر رأى انه سيصل الى ضالته المنشودة وأخذ فى كل ما يرقيه من كل جهاته ووافقه وساعده على ذلك بعض كبراء مشايخ الازهر وأعضاء مجلس ادارته خصوصا عضده وصديقه الشيخ عبد الكريم سلمان

ابتدأ بالبحث عن أهل الازهر وسيرهم وأخلاقهم ومعيشتهم ومساكنهم والعلوم المتداولة بينهم وطرق التعلم والتعليم . فعلم أنهم يستوجبون العناية والالتفات خصوصا فى امر معيشتهم لان أكثرهم من الفقراء الضعفاء . وليس لهم الا قليل من خبز الجرايات يقدر بنحو خمسة آلاف رغيف في اليوم وقليل من مرتبات النقود لا تزيد عن ٣١٠ جنيهات مرتبات شهرية و ٣٦٧ جنيها مرتبات سنوية وهي المعروفة بدل الكساوي وان مساكنهم عتيقة ضيقة فرأى ان من اول الواجبات ان يتقدم الاصلاح المعنوي اصلاح الماديات فاجتهد مع من بيدهم الامر فى الحكومة حتى زيد فى المرتبات الشهرية المرتبة من المالية ألفا جنيه فى السنة ووعدوه بالمزيد الى عشرة آلاف جنيه متى ظهرت فائدة الاصلاح ثم استمطر فيوضات الجناب العالي الخديو حفظه الله فأفاض ما أوجب على الازهريين شكر اياديه واصدر أمره السامي الى ديوان الاوقاف بترتيب ثلاثة آلاف جنيه وثلاثمائة وأربعة وسبعين جنيها في السنة وزيد فى خبز الجرايات مبالغ وافرة وعم هذا الخير الجهات الملحقة بالازهر كالجامع الاحمدي والدسوقي وعلماء دمياط والاسكندرية حتى بلغ الآن مجموع مرتبات الازهر وملحقاته نحو أربعة عشر الف جنيه وسبعمائة وخمسين جنيها بعد ان كان فوق الاربعة آلاف بقليل وذلك غير ما زيد لبعض اشخاص

منهم وغير ما زيد فى رواتب الخدم والموظفين وقد بلغت الجرايات العمومية والخصوصية فى اليوم بخصوص الازهر نحو ١٥٠٠٠ رغيف بعد ان كانت ٥٠٠٠ رغيف كما قدمناه وذلك غير ما رتب من الجرايات للملحقات المذكورة . وأما ما يتعلق بالمساكن فانه رحمه الله قد عرض أمرها على الجناب العالي الخديوي فصدر أمره السامى بشراء الاماكن المجاورة للازهر من جهته الغربيه ليجعل مكانها أماكن لسكنى المجاورين واستتبع هذا هدم كثير من الاروقة المعدة لسكنهم وتجديدها فكمل هذا وذلك على أحسن مثال مراعى فيه النظامات الصحية ثم توجهت الفكرة الى نظافة الازهر بتمامه فبعد ان كان يفرش في السنة مرة واحدة صار يفرش في العام مرتين و بعد ان كان يضاء بالزيت القليل الضوء حسب العادة أصبح يضاء بمصابيح الغاز التي تكفي القاريء والكاتب فسهل على الطلبة الاشتغال ليلا و بعد ان كانت المياه المستعملة فيه معينة مالحة راكدة قذرة لا توجد إلا بمزيد التعب والمشقة ادخلت فيه حنفيات شركة المياه فأصبح ماؤه يتجدد كل يوم نقيا صالحا للاستعمال

كان أمر الصحة في الازهر مهملا بالمرة وكانت الامراض المعدية منتشرة فيه فعين له طبيب يعرض عليه كل من يريد الالتحاق بالازهر من الطلاب ويعالج المرضى ويراقب تنفيذ الامور الصحية وأنشئت له أجزاخانه بالرواق العباسي ومحل لعيادة المرضى وصرفت لهم الادوية مجانا فأصبح ولاهله عناية تامة بالصحة من أنفسهم . ولما كان هذا المحل المعد لعيادة المرضى لا يسعهم اشتغل رحمه الله في ديوان الاوقاف حتى تقرر انشاء مستشفى فسيح بجوار الازهر في شارع الشنواني أعد لاقامة المرضى ومعالجتهم فيه خصوصا في زمن الامراض الوبائية دفعا لحدوث مثل حادثة رواق الشوام المشهورة وسيفتح قريبا ان شاء الله وناهيك بأمر صيانة نظام الضبط والربط فى الازهر فقد زيد عدد خدمته وملاحظيه بنسبة عدد المجاورين فيه . فامتنع بذلك حدوث كثير من الوقائع والمشاجرات ونيط ببعضهم المبيت فى الازهر منعا لحدوث الحوادث الليلية وكل ذلك كان بمساعيه رحمة الله عليه .

كانت مشيخة الازهر تداراعمالها بمنزل من يكون شيخا له يتحمل أهله مشقة الذهاب والاياب على اختلاف ابعاد المسافات بين الازهر و بين بيوت مشايخه وكان له كاتب واحد يجلس في الازهر حيث شاء . وكانت سلطته عامة طامة لترك شيخ الجامع التصرف له وعدم مباشرته لشيء من أشغاله الا ما يرجع اليه لاخذ رأيه فيه من المهات . فكان من عمل المرحوم وسعيه ان أنشىء فى المباني الجديدة مكان للمشيخة والادارة . وتبينت كثرة الاعمال وان كاتباواحدا لا يكفيها فزيد فى عدد الكتبة خمسة ووظف لمجالس الادارة العدد الكافي من الخدم حتى صارت الادارة ديوانا كبيرا واستراح العلماء والطلبة من قطع المسافات وتضييع الاوقات فى الذهاب الى بيوت المشايخ ونجزت الاعمال فى أوقاتها

كانت المرتبات في الازهر مبعثرة مشتتة لا ضابط لها سنوية كانت أم شهرية كانت تمنح لاناس دون آخرين فكان لبعضهم نحو الستة عشر قرشا فى الشهر وللكثير منهم الحرمان ولبعضهم ما فوق الستمائة قرش وكان لاولاد العلماء بعض هذه المرتبات يعطونها بلا شرط ولا قيد حسبما يراه شيخ الجامع وحده فجاء نظام المرتبات الذي اشتغل به الشيخ المرحوم اول الامر ودفع كل هذه الاستشارات فجعل العلماء درجات علم كل منهم درجته ومقدار مرتبه فكان يأتيهم بدون كد ولا رجاء وكذلك صار الحال فى المرتبات السنوية التى هي بدل الكساوي فكان لكل نوع من هذين النوعين ضوابط استوفى بها كل واحد مرتب درجته وانتفع به بلا حاجة الى الرجاء والاستجداء وأما اولاد العلماء فقد جعل لهم فى استيلائهم المرتبات المنحلة عن آبائهم شروطا وقيودا الغرض منها استدامة اشتغالهم بطلب العلم ليخلفوا آباءهم فيه و بسبب هذا النظام استقال كثير منهم من طلب العلم لما عرفوه في أنفسهم من الضعف عنه فحرموا من المرتب بمقتضى هذا القانون . ولكن الشيخ رحمه الله قد رثي لفقرهم وجمع لهم من أهل البر والخير صدقة واسعة ها هي مودعة في خزينة الازهر ليصرف عليهم منها كل شهر مقدار ما كانوا يأخذون من الازهر تقريبا وربما زاد

أما نظام الجرايات فكان من الهمجية بمكان لا يتصور ما هو عليه ولا كيف

رضي به اهلوه فلم تكن الا منبع ثروة للنقباء ومشايخ الاروقة والحارات وسببا للتخاصم والتحاسد بين أهليه ولذلك رأى الشيخ رحمه الله أن يجعل لها نظام عام واشتغلت بذلك مشيخة الازهر ومجلس ادارته وانتهى الامر بتشكيل لجنة للنظر فيها ووضع نظام يعم جميع الاروقة والحارات على اختلاف مقادير الجرايات فيها وجهات ورودها مراعى فيه شروط الواقفين ان كان لها شروط معينة والا فيرجع الى قواعد الشرع الشريف فشكلت تحت رئاسة الاستاذ الشيخ الرافعي وأطالت البحث في سجلات الازهر والوقفيات المقيدة بها ورجعت في معظم أعمالها الى النصوص الشرعية حتى أكملت المشروع على الوجه المشروع مستوفى جميع ما يحتاج اليه في هذا الموضوع ثم قدمته الى مشيخة الازهر في أواخر سنة ١٣١٦ ولكن قد طرأ على المجلس امور كثيرة عاقته عن النظر فيه واصدار القرار بتنفيذه

وكذلك وضع لكساوي التشريف نظام حتى لا تكون في اعطائها والحرمان منها موكولة الى رأي واحد وحتى لا يدخل فيها من ليس من أهل العلم كما كان جاريا من قبل فصار استحقاق الكسوة العلمية مشروطا بشروط مقيدا بقيود الغرض منها أن لا تمنح الكسوة الا لمن وضح نفعه في التعليم مع مراعاة الاقدمية عند التساوي وبذلك انتقل الحال فيها أيضا من الهمجية الى النظام

هذا ما وجه اليه المرحوم فكرته من اصلاح الماديات الذي جعله مقدمة لاصلاح المعنويات وبعد الفراغ منه وجه فكرته الى وضع نظام للتدريس والامتحان فكان كذلك واشتغلت مشيخة الازهر ومجلس الادارة بوضع قانون عام لذلك بينت فيه مقاصد العلوم ووسائلها وما يجب لعلوم المقاصد من العناية وتوسيع الزمن وبينت علوم المقاصد بأنها هي التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصوله والاخلاق الدينية وبينت الوسائل بأنها هي المنطق والنحو والصرف وعلوم البلاغة الثلاثة وعلم مصطلح الحديث وضم اليها الحساب والجبر وتاريخ الاسلام وصناعة الانشاء ومتن اللغة وآدابها ومبادىء الهندسة وتقويم البلدان وألزم طالب الامتحان للحصول على شهادة العالمية بأدائه في المقاصد وبعض الوسائل والحساب والجبر ثم حتم القانون على معلمي العلوم الآلية خصوصا علوم البلاغة ان يدربوا الطلبة على تطبيق

العالم على العمل وأن يتجنبوا في السنين الاربع الاول قراءة الحواشي والتقارير صيانة للوقت من الضياع وغير ذلك من الاحكام الكثيرة التي ترجع كلها الى تحصيل جواهر العلوم الدينية في زمن معلوم بطريقة سهلة التناول والتحلي بمحاسن الاخلاق الشرعية والاقتدار على الانتفاع بما حصلوه من العلوم . وبهذا تحول الازهر من فوضى التدريس الى نوع من النظام ولقد كانت العادة ان لا يتجاوز عدد الممتحنين من طالبي الامتحان الكثيرين عن ستة أشخاص في السنة وقد يكونون في الغالب ثلاثة أشخاص لا غير فوصل عدد الممتحنين بعد وضع هذا النظام وتنفيذه الى خمسة وتسعين في السنة ربما نجح منهم ما فوق الثلث و بذلك سار الامتحان في طريق التقدم وتجددت عزائم الطلبة وتكاملت رغباتهم في التحصيل وكانت المدة التي يشتغل فيها الطالب في السنة قبل وضع هذا النظام في الازهر لا تزيد عن أربعة شهور مقطعة في السنة كلها فصارت الآن بعد تحديد أيام العطلة بمقتضى هذا النظام تزيد عن الثمانية شهور

هذا ما يتعلق بأصول العلم والتعليم وقد اشتغل رحمه الله بافكار تكميلية لهذا النظام كان يعرض كل ما سنح له منها على مشيخة الازهر ومجلس الادارة فاشتغلوا جميعا بوضع قرارات تكميلية لهذا النظام صارت قواعد أساسية الى اليوم منها ما يرجع الى كيفية تعليم المعلم ومنها ما يبين الواجب على المشايخ في أثناء التعليم وان يكونوا قدوة للطالب في مكارم الاخلاق ومنها ما يتعلق بسير الطالب وآدابه مع الاستاذ واخوانه من الطلبة المتعلمين معه ومنها ما يتعلق بتبيين الطريقة المثلى في تعليم العلوم الآلية حتى يتوصل بها الى المقاصد وتستثمر بها الحكم التي قصدها الشرع الشريف من الاحكام فأقبل العلماء المعلمون والطلبة المتعلمون على عملهم بالجد والنشاط واشتغل الكثير من المدرسين بتبيان الحكم التى أودعها الشارع في كلامه وفى أقوال وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم واستعان مجلس الادارة بما زيد فى نقود المرتبات على هذه الابنية خصوصا فيما يتعلق بالعلوم الحديثة فانه خصص منها ستمائة جنيه لمعلمي تاريخ الاسلام والحساب وتقويم البلدان وانتخب لتعليمها في الازهر معلمين كانوا تخرجوا في الازهر الى مدرسة دار العلوم حتى لا يكون معلموها اجانب عن

هذا المكان وخصص كذلك ثلاثمائة وستين جنيها لتعليم الخط فأصبح هذا الفن مع سابقيه منتشرا فى الازهر بين كل الطلبة واستفاد اهلوه من ذلك فائدة عظيمة فأصبحوا فى هذه العلوم على حال لم تكن لتنتظر منهم فانه يوجد فيه الآن خمسة عشر عالما يدرسون الحساب على احسن ما يكون فى تدريسه بالمدارس الاميرية وثلاثة يدرسون علم تقويم البلدان وواحد يدرس علم الاملاء والكثير من الطلبة قد ادى الامتحان فى الحساب والجبر العالي وحصل على الشهادة باكمال دروسهما ومن بينهم عدد كبير تقدموا فى امتحان الاساتذة بالمدارس الاميرية ومدارس الاوقاف والمدارس الاهلية وحازوا قصب السبق فيه على المتخرجين من تلك المدارس وأحرزوا وظائف الاستاذية فيها باستحقاق وهذه احدى النتائج الحسان التى ربما كانت لا يحلم بها ولا تخطر على البال

ولما افرط اللاغطون فى ان هذه العلوم الحديثة ربما حالت بين الطالب وبين العلوم القديمة المتداولة فى الازهر رأى المرحوم أن يعمل احصاء عن الطلبة الذين يتقدمون لامتحان المكافآت فى كل عام يقصد فيه تبيان حال من اشتغل بهذه العلوم الحديثة مع العلوم القديمة ومن لم يشتغل بهذه العلوم الحديثة واقتصر على العلوم القديمة فكان كذلك ووضع رحمه الله طريقة لهذا الاحصاء فظهر من بعد البحث الدقيق والتحري السديد الشديد ان نسبة الناجحين فى العلوم القديمة المتداولة المقتصرين عليها أقل بكثير من الناجحين فيها من المشتغلين بالعلوم الحديثة معها وتلي ذلك في مجمع من العلماء يوم توزيع المكافآت على الناجحين بحضور شيخ الجامع وأكابر العلماء وظهر من ذلك ظهورا جليا ان العلوم الحديثة العقلية تثقف الطالب وتقويه في فهم العلوم الشرعية وغيرها من العلوم المتداولة فى الازهر

وقد رأى المرحوم ان الوسيلة في تدريس كل العلوم وتلقيها هي الكتب فلذلك وجه همته الى جمع ما تشتت من كتب الازهر وجعله فى مكان واحد ليمكن منها الانتفاع وقد كانت الكتب موزعة مشتتة فى خزائن الازهر الموضوعة فى بعض الاروقة والحارات وبعضها كان فى المساجد القريبة من الجامع الازهر كجامع الفاكهاني وجامع العيني نيط حفظها باشخاص يقال لهم المغيرون .

وحقيقة أنهم مغيرون لأنهم غيروا وضع الكتب وشتتوا جمعها ومزقوا جلودها وأوراقها وتركوا ما لا عناية لهم به منها يأكله العث ويبليه التراب وباقيها تصرفوا فيه تصرف الملاك وصار في أيدى باعة الكتب يباع على نفاسته بالثمن البخس وما وصل منها الى خزائن كتب الغربيين بهذا الطريق كثير وبالجملة فلم يكن ليعرف لتلك الكتب قيمة حتى اجتهد رحمه الله فى استدرار فيض ديوان الاوقاف من لدن المكارم الخديوية وأعد فى الازهر رواق الابتغاوية مكتبة يجمع فيها ما تفرق من تلك الكتب وعين لها العمال اللازمون فجمعوا الكتب ورتبوها تحت ملاحظته فكان يؤتى بتلك الكتب من خزائنها محشوة في الغرائر والمقاطف . ثم تفرغ تلالا بينها الاتربة والجلود البالية ليس بينها كتاب مستقيم الوضع الا ما لا يكاد يذكر واستخلص من بين تلك الدشوت والاوراق المتفرقة كتب معتبرة فى كل الفنون ثم اشتغل العمال بعد ذلك فى توحيد الفنون واعد لكل فن موضعا مخصوصا فى المكتبة فعرف بذلك ان فى الازهر دار كتب فأقبل عليها أهل البر وأعانوها بهدايا من نفائس الكتب وأهم اهدية كتب المرحوم سليمان باشا أباظه فان ورثته لثقتهم بالشيخ المرحوم قبلوا اشارته وقدموا كتب أبيهم رحمه الله الى مكتبة الازهر مشترطين أن يفرد لها خزائن مخصوصة فكان كذلك وجاءت هذه الهدية باحسن زينة لدار الكتب الازهرية

ولم يكتف رحمه الله في أمر الكتب بهذا القدر من العمل بل رجع الى الاروقة الشهيرة فى الازهر وهي أروقة الترك والشوام والصعايدة والمغاربة وجعل الكتب التي بقيت فيها تحت مراقبة أمين المكتبة الازهرية . وطلب من ديوان الاوقاف مبالغ جديدة لترتيب كتبها وتنظيمها فأجيب الطلب وتعينت العمال واشتغلوا فى تلك الاروقة على الطريقة التى كان العمل عليها فى انشاء المكتبة . وبعد مراجعتها وترتيبها وضعت فى خزائن جديدة صنعها ديوان الاوقاف على نفقته وجعل مقرها أروقتها تحت مراقبة ذلك الامين . وقد اشتريت كتب كثيرة من كثير من التركات حتى ضاقت عنها دار الكتب على سعتها فاضطر المجلس الى أخذ رواق الطيبرسية وأصلحه ديوان الاوقاف وأقام فيه الخزائن وامتلأت بمعتبرات الكتب

ونفائسها ما يتجدد شراؤه كل حين من المبالغ المقررة لذلك

كان رحمه الله شغوفا بنشر العلم وتوسيع دائرته في القطر المصري على ان يكون مركز هذه الدائرة هو الجامع الازهر وأن يمتد سلطان اصلاح العلوم في جميع القطر من هذا المنبع المنيف فجاء فى فكره ان الجهات البعيدة عن الازهر التي يدرس فيها علومه كالجامع الاحمدي والجامع الدسوقي ودمياط والاسكندرية والمنصورة وغيرها من بنادر الوجهين البحري والقبلي يجب أن تكون ملحقة بالجامع الازهر وتابعة له يمتد نظامه اليها فيحفظ فيها التعلم والتعليم فاشتغل لذلك بهمته المعروفة المشهورة وعاونته فى ذلك مشيخة الازهر ومجلس ادارته ووقع هذا الطلب من الجناب العالي موقع القبول لتحققه من فائدته ومحبته لايجادها وصدرت اوامره العالية فى تواريخ مختلفة بحسب مقتضيات الظروف والاحوال بالحاق تلك الاماكن الشهيرة السابق ذكرها بالجامع الازهر وفوض لمجلس ادارته أن يضع لها النظامات والقوانين وسعى الشيخ رحمه الله سعيه السابق ذكره في ايجاد المرتبات كما تقدم فسار التعليم فيها سيرا حسنا وأقبل العلماء والمتعلمون فيها على التعلم والتعليم على أحسن وجه يناسبها وأرسل الى بعضها علماء أزهريون لتوسيع دائرة العلم فيها وأجريت في بعضها امتحانات التدريس فكانت النتيجة ولله الحمد أحسن ما ينتظر وتواردت عليها الطلاب من البلدان القريبة والنائية وأنشئت فيها دور للكتب على نظام دار الكتب الازهرية وعين لها موظفون ومبالغ لشراء الكتب في كل عام . والتعليم فيها الآن سائر من حسن الى أحسن بعد ان لم يكن له أثر يذكر — ويمكنني هنا أن أستلفت سامعي قولي هذا الى مجموعة ظهرت حديثا جمعت أعمال ادارة مجلس الازهر جمعاً حسناً تاريخياً مبرهناً بالرسميات من اول تأسيسه من اول سنة ١٣١٢ الى ان استقال منه الاستاذ المرحوم هو وزميله فى أواخر سنة ١٣٢٢ يظهر ان بعض الواقفين على الحقائق الازهرية ألفها لتكون تاريخا للاخلاق فى الازهر ولما أجملناه من هذه الاعمال الجسام وهي مطبوعة تتناولها الايدي

كان للشيخ المرحوم وجهة خصوصية لم يشتغل بها أحد كاشتغاله بها وذلك فيما يتعلق باللغة العربية وانتشارها واستعمالها فاشتغل بهـا من اول صباه ومارس

قولا وكتابة قولا فى المجامع العمومية وكتابة فى الجرائد السيارة خصوصا زمن وجوده في الجريدة الرسمية فانه اشتغل باصلاح الكتابة فى كل دواوين الحكومة اذ جعل قسما كبيرا من هذه الجريدة خاصاً بانتقاد كل ما يصل اليها من رسائل الحكام والدواوين والمصالح ومجالس الاحكام واصلاحه بعد تلخيصه ونشره فيها ليكون مثالا لمعشر الكتاب ولما جاء الى الازهر ووجده على حال لا يليق به من التأخر فى اللغة العربية التي هو شديد الاهتمام بها المحب لانتشارها حتى لقد كان يود ان لا يحصل كلام ولا كتابة الا بها خصوصا في التعليم ومذاكرات العلم اجتهد فى طبع كثير من معتبرات كتبها كالمخصص وقاسى كثيرا من المتاعب في تصحيحه مع الاستاذ المرحوم الشيخ محمد محمود الشنقيطي ثم انه عمل على ذلك فى دروسه التى كان يلقيها فى الازهر وفى محادثته مع علمائه وطلبته ليفهمهم ان اللغة العربية هي أساس الدين وقوام اصوله التى هي تفسير القرآن والحديث . ومن العار ان يكون الازهر وهو منبع العلوم الدينية خلواً من المتضلعين في هذه اللغة وآدابها وتاريخها حتى تقرر ذلك في أذهان الكثير منهم ورجعوا الى تحصيل مادة اللغة وتطبيق العلم على العمل فيها وتوقي كثير منهم الغلط الفاحش عند الكتابة . واهتدى البعض الى كيفية مراجعة المعجمات بعد ان كانوا يجهلونها وراجع معظمهم ما يعرض فى كتب النحو من الشواهد العربية حتى يخلص من التخبط فى قراءتها وأحب رحمه الله أن يزيد رغبتهم في هذا العلم فاقترح أن يطلب من ديوان الاوقاف مبلغ لترقية التعليم في علوم اللغة العربية واجيب هذا الطلب وقرر مبلغ مائة جنيه سنويا لهذا الغرض وتعين احد علماء الازهر للتدريس فيها فقرأ كتاب الكامل للمبرد وهذه من غريب مزاياه رحمه الله

وفوق هذا فقد كان رحمه الله يحب للازهر ان يبلغ به الغاية القصوى من الكمالات العلمية والاخلاق الدينية يرمي بذلك في مخالطتهم في محل الادارة وفى بيته أو أي مكان أثناء كلامه معهم وكان دائما ناصحا أمينا مبينا مكارم الاخلاق والآداب الدينية مظهرا مقاصد الشرع واسرار التشريع وصلاحية الشريعة المطهرة لكل زمان ومكان خصوصا فى هذا الزمن الذي انتشرت فيه الافكار

والمدنية الغربية معلماً ان الشريعة الاسلامية تنطبق على كثير من العلوم والمعارف والصنائع العصرية وان جوهر الشريعة يطلب من المسلمين المؤمنين الكمالات من كل وجه وانه يجب على المسلم ان يكون متحلياً بالفضائل متخلياً عن الرذائل وكان شديد الحرص على ذلك في كل مجالسه ومحادثاته سواء كانت مع الازهريين أو مع أي طبقة من طبقات الناس وكان شديد التحذير من المؤلفات التى شوهت وجه محاسن الشريعة وأحات محدثات البدع محل الآداب الشرعية

وكان رحمه الله كثير الحث والتحريض على الاشتغال بالقرآن والحديث والسير الصحيحة حتى يتبين مقصد التشريع وروحه وتعرف كيفية استخلاص الاحكام ومكارم الاخلاق من الشبه والبدع العامة فكان الرائي اذا رآه في أي حال من احواله كأنما يرى خطيبا يعظ الناس بما يفيدهم في أمر المعاد والمعاش ولما رأى ان الازهر والازهريين اهم الذين يمكن ان ينتشر بسببهم ذلك الفكر بين العامة اشتغل بتدريس بعض ما كتبه فى التوحيد و بتدريس بعض كتب المنطق وكتب الشيخ عبد القاهر في البلاغة لتكون مقدمة للازهريين في استفادة العلوم الاخرى التى اشتغل بها رحمه الله فى آخر الامر ومنها تفسير القرآن الكريم فلقد كان يستخرج من درر الكتاب العزيز ما شاء الله ان يستخرج من العقائد والاحكام وأسرار التنزيل وكيف تنطبق هذه الاحكام والاسرار على كل زمان وحال وكيف اشتملت الشريعة على أحكام الناس مع بعد ما بين أحوالهم من الصلاح والفساد فكان رحمه الله فى درس التفسير ينبوع كل العلوم اذا جاء ذكر السموات والارض والشجر والدواب والسحب والمطر والرعد والبرق ينهمر سيل معارفه بالفلكيات والمواليد وعموم المادن والنبات والحيوانات والتركيب والتحليل واستخراج اسرار حكم الله من الآيات فى المكونات واذا جاءت آيات العبر والنصائح تفجرت ينابيع حكمه فى الاخلاق ومكارمها والضار منها والنافع والحث على اجتلاب النافع ودرء الضار الى غير ذلك من ضرب الامثال وتبيين ما للامم الغابرة والامم الحاضرة من الاحوال وما يستوجب سخط الله وما يستجلب رضوانه ليعمل و يحذر الناس و بالجلة فقد كان رحمه الله فى هذا الباب مثال الصدق والاخلاص للاسلام والمسلمين ولطالبي

الحق الراغبين فيه

أما معاملته رحمه الله لاهل الازهر فقد كانت أكبر من معاملته لعامة الناس لعلمه أنهم أقرب الناس اليه وأولى من ينتفع به فقد كان شديد الرأفة بفقراء الطلاب والعلماء وضعفائهم يصرف عليهم جزءا كبيرا من امواله وجراياته الخاصة به وللكثير منهم في دفتره الخصوصي مرتبات شهرية وكان يصرف عليهم كل ما وصل اليه من مرتبات الاوقاف التى تولى أمرها كوقف المرحومة زينب هانم ووقف رستم افندي رسا ووقف خليل أغا اللالا وسليم باشا الوزير وهي مبالغ ذات قيمة ومن أجل ما نفعهم به فكرة مشروع المساجد فانه رحمه الله سعي فى وضع لائحة يجملها ديوان الاوقاف نظاما للائمة والخطباء والوعاظ والمدرسين فوضعت على حال يحمل الامام والخطيب من المدرسين فى الازهر ويكلف الامام بأن يدرس في الجامع الذي يوظف فيه درسا لعامة الوافدين عليه والمصلين فيه و يكون مرتب الامام والمدرس من ثلاثة جنيهات الى ثمانية في الشهر . ومع ما لاقاه هذا المشروع من الصعوبات الكثيرة المعروفة أراد الله ببركة الاخلاص في العمل تنفيذه بمعناه ونفذ فى كثير من المساجد والوجهة الآن متجهة الى تنفيذ باقيه وهو مع اشتماله على منفعة اهل الازهر اشتمل كذلك على نشر الدين بين طبقات الامة من طريقه الصحيح

ومن شفقته باهل العلم الفقراء انه كثيرا ما حمل أهل الخير من الموسرين على ترتيب المرتبات وانشاء الاوقاف والصدقات معونة للمحتاجين من أهل العلم حتى لقد مات رحمه الله وفى خزانة الازهر من الصدقات ما يكفي مرتبا لكثير منهم نحو سنتين .ولا تنكر مدافعته عن أهل الازهر اذا عرض لاحدهم ما يستوجب معونته ودرء الظلم عنه فقد كان رحمه الله يجهد النفس و يتكلف الذهاب الى الحكام لدفع ما يصيب الواحد منهم من الشر ظلما وعدوانا

و بالجملة فان مقاصده بالازهر والازهريين كانت خيرا محضا لا يشوبها شائبة وكانت كلها لوجهه تعالى وابتغاء ان يرقى أهل هذا المكان المنيف الى ما يحبه لهم من كمال الاخلاق وعلو المكانة بين الناس والحمد لله لم يجعل الله اتعابه

سدى بل قد أثمرت وهو حي وأنبتت نباتاً حسنا فنجب من شبان الازهر ومن علمائه من يقدرون العلم حق قدره ويعملون بعمل الاستاذ وفكره وسيكونون ان شاء الله فى المستقبل قدوة حسنة لغيرهم ويصل ثواب ذلك ان شاء الله الى من بذر هذا البزر الحسن وتعهده بالتربية والتغذية

هذه بعض أعماله الناشئة عن كامل اخلاقه في الازهر ومنها يعلم انه رحمه الله كان يحب أن يترقى كل المسلمين الى الحد اللائق بهم من الكمالات كما كان دأبه في كل حركاته وسكناته وفى كل محادثاته في جميع مجالسه الخاصة والعامة وانما خص الازهر لعلمه انه هو منبع سعادة الامة اذا صلح فاهتم بتربية أبنائه ليكون نفعهم عاماً لكل المسلمين — أما قيامه فى وجه كل من تكلم فى الاسلام وحاول المساس بمعتقد المسلمين فهو أشهر من نار على علم ومقدرته على ذلك دون سواه أجل من أن تبرهن ورسالته الرادة على هانوتو وكتابه فى الاسلام والنصرانية قد طبقا مشارق الارض ومغاربها وحازا عند الله والناس أكمل القبول

ولما ان ولي الاستاذ رحمه الله منصب افتاء الديار المصرية فى أوائل سنة ١٣١٧ هجرية الموافق لشهر يونيو سنة ١٨٩٩ افرنجية لم يجعل هذا المنصب قاصرا على اعطاء الفتوى على ما يرفع اليه من الاسئلة فى الحوادث بل نظر فيه الى ما هو أرفع من ذلك وأول فكرة عرضت له هي التفتيش على المحاكم الشرعية ليتحقق بنفسه حال من فيها من القضاة والعمال وكيف يسيرون فى الفصل بين عباد الله بمقتضى شرع الله فعاونته عليها نظارة الحقانية وذهب الى التفتيش فى كل أرجاء القطر ولم يدع محكمة مديرية أو مركز الا شاهدها بنفسه وبحث أعمالها بحثا دقيقا وتعرف حال قاضيها من قوة أو ضعف وضبط العمل أو الاهمال فيه ثم عاد ووضع تقريره المعروف عن المحاكم الشرعية وطلب فيه ما طلبه من الاصلاح وحجته فى ذلك انه شيخ الحنفية من جهة وانه من اعضاء المجلس الذي ينتخب القضاة من جهة أخرى فلا بد ان يعرف حال الموجودين منهم فى الوظائف وان يهيء لها فى الازهر من يخلفهم عند انفصالهم منها وقد تضمن هذا التقرير كل وجه من أوجه الاصلاح سواء كانت متعلقة بجوهر القضاء أو بترقية حال

القضاة واحترامهم فى نفوس المتقاضين أمامهم

ولما وصل تقريره هـذا الى الحكومة أحلته من الاهتمام بشأنه المحل اللائق به وشكلت فى نظارة الحقانية لجنة للبحث فيه . وتقرير ما يمكن تقريره مما فيه من أوجه الاصلاح

وبعد هـذا صار عضواً فى مجلس شورى القوانين فوجه فكرته الى هـذا الغرض المهم عنده وهو اصلاح المحاكم الشرعية وساعده على هذه الفكرة رجال من عقلاء الامة وأكابرها ورفعوا الصوت جهرة بطلب هذا الاصلاح وحصروه في أمور بينوها رسميا للحكومة فاهتمت الحكومة لذلك وكلفته رحمه الله بأن يؤلف لجنة تحت رئاسته للبحث فى كل طرق الاصلاح . وعرضها على الحكومة لتنفيذها واشتغلت هذه اللجنة بالفعل ببعض الشغل وقدمه الى الحكومة للعمل بما فيه

وقد كان رحمه الله شديد الحرص على ان تكون هذه المحاكم محترمة موقرة فى أعين الامة بتمامها رفيعها ووضيعها وأن تكون محفوظة الحق لا يتعـدى عليها غيرها من الجهات القضائية وحادثة الحكم فى قضـية وقف المرحوم راتب باشا التى حكمت فيها محكمة الاستئناف الاهليـة لدولة بهيه هانم بانها ناظرة لذلك الوقف بعد حكم المحاكم الشرعية فيها أصدق شاهد على ما قلناه . فانه رحمه الله جزم ان حكم محكمة الاستئناف الاهلية فى هذه المادة جاء من غير جهة مختصة فاشتغل بالامر حق الاشتغال حتى صدر الامر العالي بتشكيل هيئة تحت رئاسة ناظر الحقانية كان هو من اعضائها للفصل فى الخلاف الذي وقع بين المحاكم الاهلية والمحاكم الشرعيـة فى هـذا الموضوع وقد جاء حكم هذه الهيئة موافقا لرأيه . فقضى بان الذي ينفذ هو حكم المحكمة الشرعية دون حكم المحاكم الاهليـة . وبهذا انتهى الخلاف وحفظت كرامة المحاكم الشرعية حفظا لا خفاء فيه

ولما استقال رحمه الله من ادارة الازهر لم تقعـد به تلك الهمة العالية عن النظر فيما يصلح الازهر والازهريين خصوصا ما يتعلق بانجاح المحاكم الشرعية وايجاد العمال الذين يكونون امام الناس مثال التوقير والاحترام فاشتغل مع الحكومة السنية في انجاز المشروع القاضي بفتح مدرسة يتخرج منها القضاة والكتاب والمحامون

الشرعيون فرضيت منه الحكومة بذلك . وشكلت لجنة تحت رئاسته لتضع نظاما لهذه المدرسة يبين فيه ما يصرف عليها كل سنة وما يعلم فيها من العلوم . والمدة التي يمكنها المتعلم فيها وكيفية ادارتها . ومراقبة سير التعليم فيها . فكمل ذلك في أقرب وقت على أحسن ما يكون من الوضع وقدم المشروع الى الحكومة قبل سفره الى الاسكندرية بايام قلائل وقد علمنا ان الحكومة تقبلته أحسن قبول ولم تلاحظ عليه شيئا لا في مبناه ولا في معناه ولا نظنها الا عاملة به ان شاء الله

لم يبق لنا الا ان نستهمي رضوان الله ورحمته الى ساكن هذا القبر الامام الجليل ونسأله سبحانه وتعالى ان يجعل للاسلام والمسلمين أجمل العزاء على مصابهم فيه وأن يثيبه على عمله هذا بما هو أهله انه نعم المجيب

اخلاق الفقيد وفضائله وامامته

لحضرة القاضي الفاضل قاسم بك أمين المستشار بمحكمة الاستئناف الاهلية

سادتي

اذا أصيبت أمة من الامم الغربية بفقد رجل من رجال العلم أو الادب أو السياسة كانت تعتمد عليه في اصلاح شأن من شؤونها قال قومه ليس في الوجود انسان لا يعوض ووجدوا في الحال بين أهل طائفته أو صناعته من يسد الفراغ الذي تركه ويأخذ مكانه

أما الحال عندنا فليس كذلك . مهما قلبنا النظر ودققنا في البحث والتفتيش فلا نجد في أمتنا من يعوض علينا ما خسرناه بفقد استاذنا الشيخ محمد عبده لا أقول ذلك محاباة لصديق كانت محبته من أسباب الشرف والسعادة لشخصي ولا موافقة للعادة المتبعة في رثاء المتوفين حيث يحسن غض النظر عن عيوبهم ومنحهم صفات وفضائل لم يعترف لهم احد بشيء منها مدة وجودهم بين الاحياء

وانما هذا هو الحق الذي يجب اعلانه اعترافا بالفضل لمصري وصل الى اسمى مقام لا يمكن ان يناله انسان في هذه الحياة . مقام لم يستمد وجوده من

منصب عال فى الحكومة ولا من رتبة رفيعة ولا من ثروة طائلة ولا من نسبة الى بيت قديم ولا من شيء آخر من القاب الشرف المعروفة التي اخترعت لتحل محل شرف النفس ، مقام اهتدى اليه بشعوره واكتسبه بجده وعمله وحافظ عليه بقوة ارادته وحسن سياسته وخدم فيه بعلمه وعمله ، مقام مكنه من ان يمسك بيده زمام أمة بأسرها ويحركها نحو الخطة التي رسمها ويسوقها الى طريق المستقبل الذي هيأه لها ، مقام الامامة باوسع معناها ، تركه الشيخ محمد عبده ولا يوجد في مصر واحد يجرأ على ان يدعي فيه استحقاقاً بعده

لهذا رأينا مدة مرض الامام ويوم وفاته حركة في شعور الامة لم يسبق لها مثيل في تاريخ حياتها

تتذكرون يوم السفر الى الاسكندرية حيث كان المئات من اصدقائه ومعارفه وزملائه وتلاميذه يودعونه في المحطة وجميعهم في سكون وقلق وخوف على حياته وتتذكرون اقامته في الرمل والزائرون من جميع طبقات الامة ومن جميع جهات القطر يتوافدون عليه أفواجاً في كل ساعة من النهار وهم يترددون بين الامل واليأس ، يسألون عن صحته ويرسلون اخباره الى محبيه الكثيرين الذين كانت تمنعهم اشغالهم عن زيارته ، وتعلمون الاحتفال الجليل الذي قام به سكان الثغر والعاصمة بعد موته

رأينا كثيرا من العلماء والذوات والامراء مرضوا وماتوا فكانوا موضوعاً للمظاهرات الرسمية ولم نشاهد ان عددا يذكر من الامة غير اقاربهم وأصحابهم اهتم لحادث من تلك الحوادث واظهر شيئاً من شعوره

ذلك لان أولئك العلماء والذوات والامراء انما عاشوا لانفسهم لكن امتنا قد شعرت فى هذه الدفعة بحسن غيرتها انها فقدت رجلا كان عائشاً لها أكثر من كونه كان عائشاً لنفسه ولعائلته

هذا هو سر الشعور الجديد الذي رأينا لاول مرة فى الامة المصرية — شعور الاتحاد في الكدر والحزن لحرمانهم من امامهم المحبوب

فكأن هذا الحادث العظيم مبدأ الاتحاد والتضامن بين عدد كبير من الامة

المصرية جمعهم احساس واحد . وهذه خطوة في سبيل التقدم الادبي الذي هو في نهاية الامر عبارة عن ترقي الاحساس الى درجة يميل معها الى الجميل وينفر من القبيح في جميع اشكالها ومظاهرها

سادتي : ان كل نفس بشرية لها نصيب من الجمال والقبح . والكمال المطلق لا يوجد في هذا العالم ولكن بعض النفوس الممتازة تقرب من الكمال أكثر من غيرها فتنمو زهرة الجمال فيها نمواً عجيباً وتتكاثر فروعها وتمتد طولا وعرضاً ولا تترك محلاً اسواها فيضعف ويذبل كل نبات خبيث بجانبها

ومن هذا القسم الممتاز كانت نفس إمامنا العزيز . نفس خلقت على أحسن شكل . زينها صاحبها بالفضائل حتى صارت مثالا في الجمال يجب ان نضعه دائما أمامنا لنعلم منه مقدار مايصل الجهد في العمل عند رجل اقترب من سن الستين وكان يطالع ويتعلم ويعلم ويفتي ويجلس فى جلسات مجلس شورى القوانين ومجلس الاوقاف الاعلى ويترأس على الجمعية الخيرية الاسلامية ويضع المشروعات للازهر وللمحاكم الشرعية ويمتحن طلبة العلم وتلامذة المدارس ويؤلف الرسائل الدينية وينشر المقالات الفلسفية ويدافع عن الدين اذا طعن عدو عليه ويراسل علماء المسلمين فى جميع الاقطار التي يسكنونها ويتخابر مع رجال الحكومة لتنفيذ مقاصده وكان مع كل ذلك يجد وقتاً ليزور أصحابه ويشاركهم في جميع افراحهم وأحزانهم

ونتعلم منها أيضاً مبلغ ارتقاء الخلق في انسان أجهد نفسه وهذبها وربّاها حتى أرسلها الى أقصى ماتصل اليه نفس بشرية من الجمال والكمال

بلغت فيه طيبة النفس الى درجة تكاد تكون غير محدودة كان يجذبه الخير كما يجذب المغناطيس الحديد فيندفع اليه ويسعى الى كل نفع للغير عام أو خاص . كان ملجأ الفقراء واليتامى والمظلومين والمرفوتين والمصابين بأي مصيبة وأهل الازهر الذين هم أكثر الناس احتياجاً الى المساعدة لانهم في وسط المدنية الحاضرة المتأخرون العاجزون عن الدفاع عن أنفسهم في ميدان حياتنا الجديدة . يبذل اليهم ماله ويسعى لهم عند ولاة الامور بهمة لا تعرف الملل كأنما كان يسعى لاعز إنسان لديه — يسعى مرة ومرتين وثلاثا إلي أن يقضي حاجتهم وهم جميعهم

في نظره مستحقون سواء كانوا كذلك في الحقيقة أم لا. بل كان يسعى الى صاحب الحاجة وهو يعلم أنه أساء اليه وقدح فيه وتحالف مع خصومه في ترويج عبارات القذف والنميمة التي لم تنقطع عنه يوما مدة حياته

لا يصل الانسان إلى هذا الخلق العظيم الا اذا ربى نفسه على أن تتغلب على الغرائز القبيحة الملازمة للطبيعة البشرية وصار حاكما عليها يحاسبها على كل عمل أو نزعة أو فكرة أو خاطر مما يرد عليها. كان الاستاذ يرى أن الشر لا فائدة منه مطلقا وان التسامح والعفو عن كل شيء وعن كل شخص هما أحسن ما يعالج به السوء ويفيد في اصلاح فاعله كان متفقا مع فلاسفة العصر على ان الخير لا يتولد الا من الخير والشر لا ينتج الا من الشر

نعم كان للامام الكبير الذي فرض على نفسه اصلاح أمته خصوم واعداء كثيرون وهم جيش الجهل المركب من عامة الناس الذين لم ينالوا من التربية والعقل ما يؤهلهم لان يدركوا مقاصده ويفهموا مباحثه فيقتصروا على التمسك بما وجد عليه آباؤهم من قبل — وعلى جوانب هذا الجيش يحرض على الطعن عليه الحاسدون الذين يتألمون اذا ارتفع واحد من الناس عنهم فلا يجدون راحتهم الا اذا أنزلوه من مكانه ووضعوه في مستوى واحد معهم — وفي مقدمة هذا الجيش كقواد له أرباب الغايات الذين يسيرون بسفينة مصالحهم من حيث تأتي الرياح. فكان الاستاذ يقاوم ويحارب هذا الجيش الطويل العريض بقوة وعزيمة يحار العقل فيهما ولكنه كان يدافع بقدر الضرورة ولا يتعداها ويحارب حرب الشجاع الكريم الذي لا يطعن من الخلف ولا يخدع ولا يغش وكان فضلا عن ذلك لا يكره خصومه ولا يبغض أعداءه وانما يناقش أفكارهم ويطعن على أوهامهم ويهدم معتقداتهم الباطلة ويرجو لهم الهداية ويرشدهم الى الصواب

كان الكثير من أصحابه ينصحونه أن يجتنب أسباب العناء ويترك إدارة الأزهر والدروس التي كان يلقيها فيه ومجلس الأوقاف ومجلس الشورى والافتاء ويعود الى مركزه في الاستئناف براتب أعظم مما كان يكسبه وعمل أخف مما يكابده فيعيش كغيره خاليا مستريحا مطمئنا ولكنه لم يسمع قول نصوح. وأقول

انه كما عرفته كان من المستحيل عليه أن يعيش عيشة أخرى

وكان الكثير من الناس يعترضون عليه قائلين: ماهذا الشيخ الذي يتكلم باللغة الفرنساوية و يسيح في بلاد الأفرنج و يترجم مؤلفاتهم و ينقل عن فلاسفتهم و يباحث علماءهم و يفتي بما لم يقل به أحد من المتقدمين و يشترك في الجمعيات الخيرية و يجمع المال للفقراء والمنكوبين – ان كان من أهل الدين فليقض حياته بين الجامع والبيت وان كان من رجال الدنيا فانا نراه يعمل فيها وحده أكثر من جميع الناس.

كان الاستاذ يسمع ذلك ولا يلتفت الى أقوال المتقدين حسنت نيتهم أو ساءت

من يرى ان الحياة لهو وزين له أن يعيش ليأكل و يشرب و يسافر و ينتقد أفكار الباحثين وعمل العاملين. أولئك لا يعلمون ان امام مصر كان محركاً بقوة فوق الاعتيادية وان عقله كان ملآناً بالفكر الى حد انه ما كان يسعه كله فكان يفيض منه بالرغم عنه. وان قلبه كان ملتهبا بحب وطنه فلا يستريح الا وهو مشغول به و بسعادته ومستقبله وانه كان مثل جميع نوابغ الرجال لا يبالي بالألم الذي يأتيه بسبب أمنيته التي كان يعزها بل كان يجد الألم فيها لذيذا كما يلتذ العاشق بما يقاسيه من العذاب في هوى من يحبه

كم من مرة سمعته يؤكد بانه صمم على ان لا يتداخل في شيء من هذا القبيل ثم رأيته في الغد منغمساً فيه أكثر مما كان

ذلك لأنه كان بعكس ما يراه عموم المصريين في أنفسهم عنده أمل لا يزعزعه شيء في اصلاح امته. كان عنده اعتقاد متين في أن البذرة الطيبة متى ألقيت من أرض بلادنا الخصبة نبتت وأزهرت وأثمرت كما نبتت وأزهرت وأثمرت بذور الفساد فيها

لهذا كان يلقي بملء يديه كل ما جمعه في حياته من الأفكار الصالحة والعواطف الشريفة والتعاليم المفيدة – كأنه كان يشعر ان حياته ليست طويلة وكان يعجل ببذل جميع ما كان عنده

وهل كان مخطئاً في آماله؟ كلا وانما يخطيء من يقنط و ييأس من مستقبل أمته ان لم تسمح القدرة لامام مصر باتمام مقاصده جميعها فلا ينكر أحد أن تعاليمه قد أثرت في عموم الامة وفي أهل الازهر على الخصوص تأثيرا حسنا

ولكن ينبغي أن لا يغيب عن فكرنا أن الامم التي تستفيد من الاصلاح
هي التى تستحقه أي تدركه وتفهمه وتحبه وتطالب به وتكرم رجاله وتحترمهم وتعزهم
والا فكل اصلاح فيها مصيره الزوال السريع

انه يجب علينا أن نضع يدنا على بناء الاصلاح الذي وضع الامام أساسه
نحافظ عليه وندافع عنه ونضيف اليه ان أمكننا حتى نتركه الى ذريتنا كميراث
نفيس ننتفع منه ونزيد عليه ثم نتركه الى من يأتي بعدها وهكذا ينمو الاصلاح
فينا كلما مرت الايام والاجيال كما هو الحال عندالامم الحية .

سادتي : نحن اليوم في عصر توفرت فيه ظروف عديدة تساعد على ارتقاء بلادنا اذا
نحن عرفنا أن نستخدمها نحن في عصر النظام والحرية التي لا تقف الا عند حد القانون
أرى المفسدين منا تجارتهم رابحة يتكلمون بصوت عال وينشرون ما يوافق مصالحهم
يختلسون ثقة الجمهور ورضاء ولاة الامور . أراهم بالاجمال ينتفعون من الحرية
التي منحها المصريون وأرى بعكس ذلك أن الطيبين منا الصادقين الذين يريدون
الخير لبلادهم لا يستعملون حريتهم ولا ينتفعون منها بشيء يتكلمون بصوت
منخفض أو لا يتكلمون ولا ينشرون أميالهم وآراءهم ويبتعدون عن ولاة أمورهم
يترفعون عن المناقشة والجدال ولا يميلون الى الجهاد في سبيل الحق والعدل والمنفعة
العامة فكان ضعف هؤلاء وجراءة أولئك من أهم العوائق التي صادفها الامام فى
طريق الاصلاح

اذا دام هذا الحال كان نصيب ما شيده من البناء الخراب والسقوط

أما اذا عدل محبو الاصلاح منا عن خطتهم وجاهروا بأفكارهم ودافعوا
عن آرائهم وتركوا ما اعتادوا عليه من الافراط في الحرص على راحتهم والمسالمة
الزائدة عن حد المعقول وساروا فى الطريق الذي رسمه لهم امامهم ملهمين بروحه
مهتدين بنوره مقتدين بسيرته معجبين بما أظهره في حياته من علو النفس وشهامة
الخلق وشجاعة الرأي وثبات العزيمة . فلا ريب أن البناء يكمل والاصلاح يتم
ويحقق ما كان استاذنا وامامنا العزيز يريده وما يتمناه كل مصري من الشرف
والمجد والسعادة لامته

رثاء حفني بك ناصف

لِمَ لا تجيبُ وقد دعوتُ مرارا يكفي سكوتك أربعين نهارا
كثر التخبُّطُ والحقائق حُجِّبت عنا وأمسى المسلمون حيارى
يتساءلون وقد عرتهم سكرةٌ عما عراك وما همُ بسُكارى
فاجلُ الصواب لنا كما عودتنا يققاً ومزّق دونه الاستارا
ما كان عهدي حين يقصدك الورى عند اشتداد الخطب أن تتوارى
فيم احتجابك في فلاة بلقعٍ لا دارة فيها ولا ديّارا
الكون عن مسعاك ضاق نطاقهُ فعلام تتخذ المقابرَ دارا
للمسلمين اليك أكبرُ حاجةٍ فاذا قضيتَ فما قضوا أوطارا
من ذا يناضل عن شريعة أحمد ويذود عن أكنافها الاخطارا
ويصون دين الله من شُبه العدا ويرُدُّ غارة من به يتمارى
ويذب عن آي الكتاب بحكمة ويذيق من باراه فيه تبارا
ويجيء في تفسيره بعجائب ويُذيع من مكنونه الاسرارا
ويطهّر الاسلام مما شابَهُ ويزيل عن غُدرانه الاكدارا
ويذكر العلماء أن لا يُغمِضُوا عما اقتضاه زمانهم أبصارا
ويجادل الاشرار بالحسنى ولا ينفك حتى يصبحوا أخيارا
ويجدد العربيـة الاولى وقد صارت بغفلة أهلها آثارا
ويعيد للانشاء سابق مجده ويشيد في أنهاره ما انهارا
ويرد أعواد المنابر جذلةً لا تحسدُ الاعواد والاوتارا
ويبث بين الخلق غر خلائق بعظاته وينبه الاغرارا

ويحث أهل المال أن يتوسطوا ... في البذل لا سرفاً ولا إقتارا
ويرود مرعى الجود في وزرائنا ... ليحط عن فقرائنا أوزاراً
يقضي حوائج سائليه فلا يرى ... في نفسه سأماً ولا استكبارا
ويعلم الناس الأمانة والوفا ... والصدق والاخلاص والإيثارا
ويظل بالاصلاح مغرى كلما ... وجد السبيل الى صلاح سارا
حتى كأن عليه عهداً للملا ... أن يصلح الاخلاق والافكارا
ان كان فينا مرشد يقوى على ... ذا العبء أوسعنا لك الاعذارا
أولا فأولى أن تفيض نفوسنا ... هلعاً ونسعى للمنون بدارا
مات الامام فيا سماء تفطري ... فلذاً وطيري يا بحار بخارا
وتصدعي ياأرض وانضب فجأة ... يانيل وامطر يا سحاب حجارا
وقفي مكانك يا كواكب واسقطي ... كسفاً وخري ياجبال نثارا
وذري رحاب الجو تبعث صرصرا ... ياريح واسري بيننا إعصارا
لاخير بعد محمد في العيش ان ... كانت نفوس الخالفين صغارا

رثاء حافظ افندي ابراهيم

سلام على الاسلام بعد محمد ... سلام على أيامه النضرات
على الدين والدنيا على العلم والحجى ... على البر والتقوى على الحسنات
لقد كنت أخشى عادي الموت قبله ... فأصبحت أخشى أن تطول حياتي
فوالهفي والقبر بيني وبينه ... على نظرة من تلكم النظرات
وقفت عليه حاسر الرأس خاشعاً ... كأني حيال القبر في عرفات
لقد جهلوا قدر الامام فاترلوا ... تجاليده في موحش بفلاة

ولو أضرحوا بالمسجدين لانزلوا ... بخير بقاع الارض خير رفات
تباركت هذا الدين دين محمد ... أيترك في الدنيا بغير حماة
تباركت هذا عالم الشرق قد قضى ... ولانت قناة الدين للغمزات

* * *

زرعت لنا زرعا فأخرج شطأه ... وبنت ولما نجتن الثمرات
فواهاً له أن لا يصيب موفقا ... يشارفه والارض غير موات
مددنا الى (الاعلام) بعدك راحنا ... فردت الى أعطافنا صفرات
وجالت بنا تبغي سواك عيوننا ... فعدن وآثرن العمى شرقات
وآذوك في ذات الآله وأنكروا ... مكانك حتى سودوا الصفحات
رأيت الاذى في جانب الله لذة ... ورحت ولم تهمم له بشكاة
لقد كنت فيهم كوكبا في غياهب ... ومعرفة في أنفس نكرات
أبنت لنا التنزيل حكما وحكمة ... وفرقت بين النور والظلمات
ووفقت بين الدين والعلم والحجى ... فاطلعت نورا من ثلاث جهات
وقفت (لهانوتو) و(رينان) وقفة ... أمدك فيها الروح بالنفحات
وخفت مقام الله في كل موقف ... فخافك أهل الشك والنزغات
وكم لك في اغفاءة الفجر يقظة ... نفضت عليها لذة الهجعات
ووليت شطر البيت وجهك خاليا ... تناجي إله البيت في الخلوات
وكم ليلة عاندت في جوفها الكرى ... ونبهت فيها صادق العزمات
وأرصدت للباغي على دين أحمد ... شباة يراع ساحر النفثات
اذا مس حد الطرس فاض جبينه ... باسطار نور باهر اللمعات
كأن قرار الكهرباء بشقه ... يريك سناه أيسر اللمسات

فياسنة مرت بأعواد نعشه لأنت علينا أشأم السنوات
حطمت لنا سيفاً وعطلت منبرا وأذويت روضاً ناضر الزهرات
وأطفأت نبراساً وأشعلت أنفسا على جمرات الحزن منطويات
رأى في لياليك المنجم مارأى فأنذرنا بالويل والعثرات (١)
ونبأه علم النجوم بحادث تبيت له الابراج مضطربات
رمى السرطان الليث والليث خادر ورب ضعيف نافذ الرميات (٢)
فاودى به ختلا فمال الى الثرى ومالت له الاجرام منحرفات
وشاعت تعازي الشهب باللمح بينها عن النير الهاوي الى الفلوات
مشى نعشه يختال عجباً بربه ويخطر بين اللمس والقبلات
تكاد الدموع الجاريات تقله وتدفعه الانفاس مستعرات
بكى الشرق فارتجت له الارض رجة وضاقت عيون الكون بالعبرات
ففي الهند محزون وفي الصين جازع وفي مصر باك دائم الحسرات
وفي الشام مفجوع وفي الفرس نادب وفي تونس ماشئت من زفرات
بكى عالمُ الاسلام عالم عصره سراج الدياجي هادم الشبهات
ملاذ عاييل ثمال أرامل غياث ذوي عدم امام هداة
فلا تنصبوا للناس تذكار عبده وان كان ذكرى حكمة وثبات
فاني لأخشى أن يضلوا فيومئوا الى نور هذا الوجه بالسجدات
فياويح للشورى اذا جد جدها وطاشت بها الآراء مشتجرات

(١) يشير الى ماجاء في تقويم عن احداث هذه السنة (١٣٢٣) وهو
ألا يارحمة الرحمن صبي على قبر حوى جسم الامام
ويااذا الازهر اندب ليث غاب فمن يفتي اذا الأستاذ نام

(٢) يشير الى موت الامام بداء السرطان إذ كانت الشمس في برج السرطان

وياويح للفتيا اذا قيل من لها ... وياويح للخيرات والصدقات
بكينا على فرد وان بكاءنا ... على أنفس لله منقطعات
تعهدها فضل الامام وحاطها ... باحسانه والدهر غير موات
فيامنزلا في عين شمس أظلني ... وأرغم حسادي وغم عداتي
دعائمه التقوى وآساسه الهدى ... وفيه الايادي موضع اللبنات
عليك سلام الله مالك موحشا ... عبوس المغاني مقفر العرصات
لقد كنت مقصودا الجوانب آهلا ... تطوف بك الآمال مبتهلات
مثابة أرزاق ومهبط حكمة ... ومطلع أنوار وكنز عظات

(يقول جامع الكتاب) قد استعاد الناس كثيراً من أبيات هذا الرثاء لما كان لالقائه من شدة التأثير ولا تسل عما جرى عنده وعند سابقه من انحدار العبرات: وتصعد الزفرات؛ الذي اشترك فيه جميع الطوائف والطبقات، وما كاد يتم الرثاء حتى آذنت الشمس بالغروب فوقف حموده بك عبده فشكر للناس جميلهم ودعا لهم بعبارة بليغة لائقة بالمقام وآذن حسن باشا عاصم رئيس الحفلة الناس بالانصراف مأجورين مشكورين، بعد ان ختمت كما افتتحت بتلاوة آيات من الكتاب العزيز

وقد كان هذا الاحتفال مجدداً لتحريك أقلام الكتاب بالثناء والدعاء كما حرك الالسنة والقلوب. ولو أردنا ان نثبت ذلك كله لأعدنا نحو ما بدأنا به ولكن نذكر جملة وجيزة من جريدة كنا أضعناتاً بينها وهي جريدة العصر الجديد المصرية لاسكندر بك شلهوب قالت:

« كانت حفلة التأبين التي أقيمت أمس فى قرافة المجاورين إحياء لذكرى إمام الشرق الاوحد ونابغته الفريد المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقاً بالغة حد النهاية في المهابة والوقار حضرها عدد عظيم من كبار الأعيان والموظفين وأصحاب الحيثيات الرفيعة والمقامات العالية من الأمراء والكبراء ورجال الصحف وأرباب الأقلام والخطباء والشعراء الذين انتدبوا لرثاء الفقيد وقد تصدر الحفلة سعادة الفاضل حسن باشا عاصم بصفته نائب الجمعية الخيرية الاسلامية وكان عدد الحاضرين لا يقل عن الخمسة آلاف نسمة غير الذين منعوا عن الدخول منعاً للزحام ولكن السكون كان سائداً والهدوء شاملاً وكان الناس كأن على رؤسهم الطير » الخ ما كتب وهو زهاء عمودين

التعازى

لقد كان الاستاذ الامام عليه الرضوان آية في حياته وآية فى مرضه وآية في موته وآية في التعزية عنه فما رأينا ولا سمعنا قبل موته أن أحـدا من العلماء أو الأمراء أو الزعماء مات فرأى جميع الطبقات من أمتهم ان مصابهم فيه كمصاب أهله فأنشأ يعزي بعضهم فيه بعضاً ذا كرين ان مصابه مصاب الأمة والدين في كل قطر . هكذا كان شأن الناس في تعزية بعضهم بعضاً عن الاستاذ الامام. واننا نذكر نموذجاً من تعازي أهل هذا القطر وغيره من الأقطار مبتدئين بتعزية بعض المصالح ثم بتعزية بعض المصريين الذين كانوا فى خارج القاهرة ثم ببعض تعازي أهل المشرق فتعازي بعض أهل المغرب

تعزية محكمة الاستئناف الاهلية بلسان رئيسها

الى حضرات المحترمين أعضاء عائلة المرحوم الشيخ محمد عبده

لم يكد يتصل بنا خبر ذلك المصاب الجلل خبر وفاة زميلنا الفاضل العـلامة الاستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية حتى شملني أنا وحضرات زملائي المستشارين الكدر العظيم والحزن الشديد لما كان عليه المغفور له من أجمل الصفات وأحسن المزايا

خدم رحمه الله تعالى القضاء خدمة جليلة وأقام بيننا طول مدته عنوان الاستقامة ومثال الفضيلة

تركنا وقد خلد له بيننا ذكرى حسنة الى وظيفة الافتاء حافظا لمركزه في محكمة الاستئناف وقضى هذا الفقيد العظيم رحمه الله تعالى وهو على هذه الحالة فكان من الواجب علينا أن نظهر على وفاته بعض ما شملنا من الحزن فأوقفنا جلسة المحكمة صباح وفاته حدادا عليه وشيعه رجال قضاء هذه المحكمة والمحكمة الابتدائية

وقد رأينا أيضا اتماما لما يجب علينا ان نحرر هذا لحضرتكم اظهارا لأسفنا العظيم وكدرنا الشديد على فراقنا لهذا العالم الكبير ونسأل الله تعالى أن يشمله بواسع رحمته وان يسكنه فسيح جناته و يمطر على جدثه صيب الرحمة والرضوان و يلهم آله وزملاءه ومحبيه جميل الصبر وخير السلوان انه تعالى سميع مجيب

تحريرا بمصر فى ١٧ يوليه سنة ١٩٠٥ (محل الامضاء والختم)

تعزية الجمعية الخيرية الاسلامية

بلسان سعادة حسن عاصم باشا وكيل الجمعية

مصر بتاريخ ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٢٣ نمرة ١١١

حضرات المحترمين أعضاء أسرة المرحوم الاستاذ الشيخ محمد عبده

ما كان للمرحوم الاستاذ الفاضل الرئيس والعالم الكامل الحكيم الشيخ محمد عبده رئيس جمعيتنا الخيرية الاسلامية من الأيادي البيضاء في توطيد دعائم الجمعية وتشييد أركانها جعلها اليوم من أكبر عضو لاصغر طالب فى حزن اليم وألم عظيم لفقد عضدها القوي وركنها القويم

ولذا قد حق علينا نحن أعضاء مجلس إدارة الجمعية بالاصالة عن أنفسنا والنيابة عن اخواننا أعضائها وأولادنا طلبة مدارسها أن نعقد مجلس إدارتها خاصة لنشترك جميعا في العزاء على الفقيد الكريم ونسأل الله له خير الجزاء على حسناته وان يسكنه فسيح جناته

وقد تقرر في جلستنا هذه تحرير هذا الكتاب لحضراتكم قياما بواجب العزاء لاسرته الكريمة و بيانا لكدرنا الشديد وحزننا الأليم على فقد هذا الاستاذ الحكيم والله يلهمكم وايانا جميل الصبر و يعظم لنا فيه الاجر انه هو الرحمن الرحيم

تعزية الامير محمد بك ابراهيم

وكتب صاحب الدولة الأمير محمد بك ابراهيم أحد أعضاء الاسرة الخديوية الى حموده بك عبده كتابا من باريس في ٢٤ يوليو هذا نصه بعد رسم الخطاب

انتقال الشيخ محمد عبده الى دار الفناء هوى عليّ مثل الصاعقة وتمزق قلبي من هذه الداهية الشنيعة فاني كنت للمرحوم وليّ حميم واثق زكاءه الساطع واتبع نصائحه الطاهرة وابتغي مجالسه الشريف

حينما أظلم الموت عينيه احتجبت أيضاً في السماء الكواكب وانتفت العلم معه وأضاع مصر أفخر رجاله فارتدى فؤادي بأزر الحداد وتبكي عيوني دمع الشؤون فما في طاقتنا استرداده فاللهم يكنف قبره برحمته العزيزة ويدوم ذكر محمد عبده في مصر كالنجم في الآفاق

أدعو الله بأن يماطل كربكم و يعطي لعائلته الشريفة الصبر والسلوان

(الامضاء)

تعزية ابراهيم بك الهلباوي المحامي
والمستشار القضائي بديوان الاوقاف

من بروكسل فى ٢٣ يوليو

حضرة الاستاذ الشيخ عبد الكريم

ماذا أكتب لك والخطب اذا عظم يبلبل الخواطر ويجرح القلب و يمسك اللسان عن الكلام ثم إذ استطيع القول فماذا عسي أن أقول و بأيّ عبارة أعزي؟ ان كان شئ من هذا فلمن يوجه العزاء فى هذا الفقيد؟ ألعائلته (ز وجته و بناته واخوته) مع انها لم تكن أكثر حظاً وفائدة من كثير من الطبقات الاخرى التى كانت مغمورة بفيوضات الاستاذ رحمه الله

ألعشيرته من رجال العلم والدين بالجامع الازهر المعمور على حرماتهم من رجل قضى فوق الار بعين عاما بين طالب ومدرس وموظف وهو يجتهد في تحسين حال أهل هذه الطبقة أدبيا وماليا وان المرتبات التي توالت عليهم من نظارة المالية أو من مصلحة الاوقاف كانت من نتائج مساعيه. أللناشئة الجديدة من المدرسين والطلبة وقد كان شغوفا ولوعا بالعناية بتربيتهم و بث روح الدين الخالي عن الخرافات والأوهام في نفوسهم وقد كان تفاني المرحوم في الاشتغال بتثقيف

عقول هذه الناشئة الجديدة من الازهر يين واعدادهم للقيام بواجب الدعوة في الناس الى نبذ ماعلق بنفوسهم من الفساد والخول والكذب حتى يكونوا أمةعاملة صالحة تشبه رجال السلف الصالح من الامور التي أوشكت أن تتجاوز حدالاعتدال كان بالرغم عن متاعبه وأشغاله المتعلقة بوظائفه العديدة اليوميـة لا ينقطع عن الذهاب الى الازهر لإلقاء دروسه في أوقاتها المعتادة فضلا عن كونه كان فاتحا بيته في عين شمس ومحـل ادارته في الازهر لجميع الطلبة على اختلاف مذاهبهم ليلقنهم و يغذي نفوسهم بحكمه العالية . وقدلا أخطأ اذا قلت أنه اذا كان الازهر محل شروق الاستاذ ومنبت علمه وحكمته فيجوز أن يكون هوأيضا من الاسباب الكبرى لعلته وغروب شمس علومه ومن حوادث الازهر الاخيرة من عهد حادثة رواق المغاربة الى وقت استقالة شيخ الازهر السابق الاستاذالشيخ على الببلاوي الى استقالتكم واستقالة الفقيد من مجلس ادارة الازهر عبرة لمن اعتبر

ألأهل القضاء والموظفين بالمحاكم الشرعية وفى التقرير الذي تقدم من الفقيد لنظارة الحقانية المتعلق باصلاح المحاكم الشرعية و بيان وسائل الاصلاح مايدل على أن إصابة المحاكم المذكورة بوفاة المرحوم ليست أقل من مصاب الجهات الاخري

أرجال القضاء الأهلي على فقدهم رجلا كان لا يزال حافظا مركز القضاء بمحكمة الاستئناف على الخدم الجليلة التى أداها فى المحاكم الاهلية مدةالاحدى عشرة سـنة التى لبثها موظفا بها بين نائب قاض وقاض بالمحاكم الابتدائية ومستشار بمحكمة الاستئناف . ان ماعرف به الفقيـد في تلك المحاكم من الذمة والاستقلال والكفاءة العالية أقام برهانا للحكومة على أنه يمكن الاعتماد على رجال فى الوظائف الكبرى القضائية مع أنهم لم يتعلموا في مدارس الحقوق علم الحقوق وعلى أثر ذلك دخل في وظائف القضاء الأهلي عدد عظيم من هذه الطبقة وكان أول فاتح للطريق الاستاذ الشيخ محمد عبده بكفاءته وعلمه

أم نعزي على هذا المصاب مجلس الشورى ورجاله وهم يعلمون كما يعلم الجميع أنه من عهد دخول الاستاذ فى عضويته والمجلس في حالة أعز وحسن الظن والثقة به

تضاعفت من جانب الحكومة وصارت المداولة في المشروعات بين مندوبي الحكومة والمجلس كالمناقشة بين متكافئين وجهتهما واحدة وهي الاصلاح ودرء الضرر .

أم نعزي مصلحة الاوقاف الذي كان المرحوم عضوا في مجلسها الاعلا .

كان عضوا عاملا مثابرا على العمل ملتفتا لكل صغيرة وكبيرة تعرض على المجلس فتنال من رأيه وانصافه ماتستحقه والناس تعلم أنه في المسائل الكبرى التي لا بد وأن يدونها التاريخ لهذه المصلحة في عهدها الاخير كان الشيخ من أكبر عوامل المدافعين والمحافظين على كيان هـذه المصلحة . وبسبب هذ المصلحة أيضا قد أضاع الشيخ وضحى كثيرا من منافعه الشخصية وزاد في هياج أعدائه

أم نعزي فتوى الديار المصرية . ما من وظيفة دخلها الشيخ الا وألبسها ثوبا جديدا من الرفعة والجلال . كان معظم الذين سلفوا الشيخ في هـذه الوظيفة الكبرى يظن أنه انما تعين مستشارا دينيا لمصالح الحكومة فلا يكتب ولا يفتي الا عن المسائل التي تحال عليه من تلك المصالح وكل طلب يعرض له من الافراد عن أي مسـئلة يطلب فيها معرفة حكم الله فيها يضرب به عرض الحائط . فلما تولاها الشيخ رفع بقدرها الى الدرجة التي يجب أن تكون عليها وفتح أبوابه لافادة الافراد كما فتحه لافتاء الحكومة لانه بتعيينه في هذا المسند الجليل صار المرشـد والمفتي الاكبر لكل قاصد له في هذه البلاد

على هذا المبدإ عم الآفاق اسم مفتي الديار المصرية بعد أن كانت الوظيفة أشبه شيء بالتقاليد القديـمة التي لا عمل لها وصار يقصدها القاصي والداني من مشارق الارض ومغاربها وكان أهم هذه الفتاوي بيان أحكام الله في الاحوال الجديدة التي نشأت عن اختلاط أمم الاسلام بالامم الاخرى ودخولهم تحت أحكامهم من الاحكام التي تطلب العلم بأصول الدين وبيان الغرض من أصول الاحكام .

أم نعزي الجمعية الخيرية الاسلامية ومدارسها والفقراء والايتام الذين يلتجئون لما أصابهم من نوائب الزمان لابوابها ؟ ليس فضل الشيخ فقط أنه كان رئيسا لهذه الجمعية وخدم فيها كثيرا بهذه الصبغة بل فضله الاكبر أنه كان من أول المؤسسين لها وأول الناشرين لدعوتها بين الأمراء أعضاء العائلة الخديوية وكبار

الأعيان والوزراء . لم يكن همه وعمله فيها قاصرا على فرع من فروع الاعمال بل كنت تجده الاول في كل فرع منها . اذا التفت الى باب الحث على الاشتراك في عضوية الجمعية رأيت الشيخ أول العاملين أو الى تحصيل الاشتراكات أو المساعدات كان الشيخ كذلك أو الى انتقاء الموظفين للمدارس والاشتغال بامتحانهم أو امتحان تلامذة تلك المدارس كان الاستاذ أول العاملين أو الى حضور جلسات مجلس الادارة كان الشيخ من أول المواظبين أو الى دفع الاشتراك الشخصي الذي يجب على كل عضو كان الشيخ من أول المنجزين

أم نعزي العائلات المنكوبة في رؤسائها حيث كان الشيخ لمثل هذه العائلات والد من لا والد له أو عائل من لا عائل له خصوصا العائلات التي كانت ترتبط روساؤها بالفقيد قبل وفاته كأنه خلق بين البؤس والبؤساء والتعاسة والتعساء اذا رايته في دعوة فرح فاعلم أنه انما توجه لداعي المجاملة وسنة اجابة الدعوة ولكنك تراه مقابل ذلك مئة مرة مشيعا للجنازات ومواسيا للمصابين فى المآتم .

كان أول مثال الوفاء مع أهله وأصدقائه غير متغير في أميالهولا مباديه الذين اتخذهم في أيام شبيبته الاولى أصدقاء وأصفياءهم الذين بقي معهم الى الايام الاخيرة من حياته . كان من أولي الهمم الشماء والمروءة الكبرى كان كما كان مقصودا لكل قاص ودان لحاجة العلم كان مقصودا للمساعدة على حاجات هذه الحياة الدنيا من مال أو توظف أو أي مساعدة أخرى

ان رجلا كانت حياته لكل الناس كرجلنا الفقيد انما نعزي فيه الامة بأسرها وحيث كنت أيها الاستاذ منه بمنزلة هارون من موسى عضده ومعينه ورفيقه الاول من عهد الطفولية الى اليوم وجهت كتابي هذا اليك معزيا في شخصك كل الذين أصيبوا بوفاته والله يوفقك الى إتمام مابدأ به المرحوم ويرزقنا واياك الصبر والسلام م

ابراهيم الهلباوي

وكتب الى حموده بك ما يأتي

في كتابي الذي كتبته للاستاذ الشيخ عبد الكريم بعض ما ينبغي أن أقوله لك لمناسبة المصاب فى شيخنا الاكبر رحمه الله

وغاية ما أقول لك ان فزعي من هذا المصاب أقلق راحتي وسود الدنيا في وجهي حتى تركت أولادي في فرنسا وصرت هائماً أنتقل من بلد لأخرى ولما استطعت أن أمسك القلم كتبت اليوم الى الشيخ عبد الكريم ثم كان جوابي الثاني هذا الخطاب اليك أرجو به قبول عزائي وتبليغه أيضاً للسيدة عائشة وبقية أخوتك آل الفقيد والله يعوضنا فيه خيرا ويبقيك سنداً للعائلة والسلام م؟

الاحد ٢٣ يوليو سنة ٩٠٥ ابراهيم الهلباوي

تعزية الشيخ مصطفى عبد الرازق

وكتب الاديب الفاضل الشيخ مصطفى عبد الرازق نجل سعادة حسن عبد الرازق باشا الى جامع هذا الكتاب

حضرة أخي السيد الكريم

إن نبأ المصيبة العظمى بوفاة الأستاذ الإمام قد صدم القلوب صدمة زلزلت أركانها ، وصدعت جوانبها ، وأخذت منافذ الصبر عليها

(ايت الجبال تدكت يوم مصرعه دكاً فلم يبق من أركانها حجر)

خان العزاء وضاق الصدر ، وجل الأمر ، واشتد ساعد الجزع ، وهرمت عزيمة النفس ، وعثر جواد الأمل

(وفاضت دموع العين من كل عبرة إذا وردت لم تستطعها الأضالع)

وكيف لا يعظم الخطب ، ويشتد الكرب ، وتطيش الاحلام ، وتشيب النواصي ، وتميد الرواسي ، وقد نزلت الفاجعة وفجعت النازلة وكان ماخفت أن يكونا

(دفعنا بك الايام حتى إذا أتت تريدك لم نسطع لها عنك مدفعا)

فقد الدهر غرته ، والفضل جبهته ، وغربت شمس الحكمة ، ورزئت هذه الامة

(وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما)

تداعى جدار الدين ، ومات إمام المصلحين

(وانثلم المجد به ثلمة جانبها ليس بمسدود)

(فالآن نخشى عثرات الندى وصولة البخل على الجود)

فجع طلاب العلم النافع ورغاب الفضيلة الصحيحة والمستعدون لوعي الحكمة في مشرق ضيائهم، وموضع رجائهم، وأشدهم بأساً على أعدائهم

(فاذهب كما ذهبت غوادي مزنة أثني عليها السهل والاوعار)

(سلكت بك العرب السبيل الى العلا حتى إذا سبق الردى بك حاروا)

غلبت على النفس فورة الهم حتى أنكرت كل ما عرفت من شأن الصبر واسترسلت مع الا كدار واستعصت على الناصح ونسيت وعد الله للصابرين

(سأبكيك لا مستبقيا فيض عبرة ولا راجيا بالصبر عاقبة الصبر)

ولقد خشيت أن تجمح في بيداء الجزع فلا يردها راد، ولا يصدها صاد، ولا يدفعها عن الغي رشاد، لكن أبت عزيمة الاسلام، وأبي يقين ورثناه عن الاستاذ الامام، إلا أن يؤب الرشد من غيبته، ويصحو العقل من سكرته، على عظم الرزية، وشدة البلية

(هممت بأن لا أطعم الدهر بعده حياة فكان الصبر أبقى وأكرما)

فرضينا بحكم الله واستسلمنا لما جرى به القدر وقلنا ما يقول الصالحون، إنا لله وإنا اليه راجعون

(وقد فارق الناس الاحبة قبلنا وأعيا دواء الموت كل طبيب)

وإنا وإن أخذنا بالحزم ورزقنا الصبر فما نحن بغافلين عن عهده ولا ناسين من أبوته

(وكيف أنساك لا نعماك واحدة عندي ولا بالذى أوليت من قدم)

نسأل الله تعالى أن يهب الفقيد الكريم من رحمته ورضوانه خير ما يهب عباده الشاكرين

رحم الله منك نفس كريم وقليل من النفوس الكرام

ونرجوه جل شأنه أن يمهد لك السبيل ويرزقك الثبات ويعصمك من الزلل ويسددك إلى الحق ويحيي بك آمالا كان يخشى الاستاذ أن تموت بموته، ونفوت بفوته، وأن يوفقنا لنصرتك، وتأييد حجتك، والسلام عليك ورحمة الله

أبوجرج - في يوم الثلاثاء ١٥ جمادي الاولى سنة ١٣٢٣

وكتب الفاضل الموحد محمد أفندي عارف الذى لم يلبث أن لحق به (رحمهما الله) الى جامع الكتاب

من حلوان في يوم الجمعة ١٠ جمادي الآخرة سنة ١٣٢٣

حضرة صديقي العلامة السيد محمد رشيد رضا الأفخم

السلام عليكم تحية مسلم لمسلم و بعد فأخبر حضرتكم أنه قد جف قلمي وماجفت دموعي من البكاء المتواصل والحزن الكامل على سا كن سويداء قلبي وغذاء روحي المرحوم الموحد الاستاذ فقيدنا أسكنه الله فسيح جنانه حتى لقد اعتراني من أفول شمس حياته مرض مصحوب بحمى شديدة كادت تلحقني به عقب نو بة حزن ببكاء وعويل حيث اعتبر المرحوم انه هو الجوهر الفرد وهو القمر المنير لذوي العقول الدراكة وآلت نفسي ان لا ينفك حزني عليه حتى القى الله ويجمعني الله واياه فتأخري عن مقابلتكم ومشاركتكم شخصيا في الحزن والأسى كان بسبب المرض قوانا الله واياكم على احتمال فواعل هذا الحزن والكمد الشديد انه فعال لما يريد وانا لله وانا اليه راجعون

ولا يعزب عن فكركم السامي شدة حرصي على الحصول والوصول لكل مؤلفاته رضي الله عنه وكل شيء قيل و يقال فيه ممن قدره حق قدره ومقداره العظيم مع صورته رضي الله عنه فساعدوني ولا تحرموني من تلك الآثار النفيسة واني مستعد لبذل النفس والنفيس في هذا السبيل ومنتظر أمركم والسلام

وكتب الفاضل الذكي عبد الحميد أفندي زكي الضابط بالجيش المصري الى جامع الكتاب ما يأتي

الخرطوم في ١٧ يوليه سنة ٩٠٥

سيدي العزيز

أزعجني خبر وفاة المرحوم وأنا في طريقي عائد من مصر ففقدت صوابي وحزنت كما حزنتم وحزن جميع من هنا لهذا المصاب العظيم نسأل الله أن يتغمده برحمته و يسكنه فسيح جنانه و يعوض الاسلام والمسلمين عنه خيرا وان يكون لنا في وجودكم خير تعزية لهذا المصاب العظيم والفاجعة الكبرى وأن تكونوا لنا وللمسلمين خلفه الرشيد (الامضاء)

وكتب الفاضل الأديب أبو المجد افندي من الخرطوم الى جامع الكتاب

حضرة الفاضل المحترم السيد محمد رشيد رضا

أخي أني أسأل الله ذا الجلال ان يلهمك صبراً جميلاً وعزاء جزيلا على المصاب العام والخطب الجلل بفقد محيي السنة ومميت البدعة وباثّ روح الحياة العلمية في هذا العصر الاستاذ الامام رحمه الله رحمة واسعة من عنده لأن هذا الرزء وان كان عاماً الا اني أعتقد ان لك منه الجزء الأكبر من التأثر لما كان بينك وبين الاستاذ من الروابط والصلات التي كادت أن تكون كصلة الأهل والعشيرة بل ربما ساوتها ولا أبالغ اذا قلت بل فاقتها والارواح جنود مجندة والنفوس لها استعدادات مخصوصة وفقك الله لاعلاء منار الدين ورفع معالم الهدى

محمد أبو المجد بكلية غردون

نموذج من التعازي البرقية

كانت البرقيات ترد كل يوم بالعشرات على حموده بك عبده أخي فقيدنا وعلى أشهر أصدقائه ومريديه لاسيما الاستاذ الشيخ عبد الكريم وهذا الفقير وهي على بنائها على الاختصار لا يخلو شيء منها عن تعزية الاسلام والامة كلها عنه كما نرى في المثال الآتي

أرسل الينا الاستاذ الفاضل الشيخ حسين والي أحد علماء الشافعية المدرسين في الأزهر البرقية الآتية من كفر سليمان وكان هناك :

السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار بمصر

بشارع درب الجماميز

أعزي نفسي وأعزيكم وأعزي الأمة الاسلامية (الامضاء)

وجاءتنا البرقية الآتية من الفاضل المخترع عبد اللطيف أفندي فهمي مأمور مركز شربين :

الشيخ رشيد صاحب المنار بمصر

تحسرت جدا والله لفقد ساكن الجنان امام الاسلام ومقر الحكمة وعم الحزن جميع الامة ألهمكم الله وإيانا الصبر الجميل (الامضاء)

وجاءتنا البرقية الآتية من الافاضل المشار اليهم فى أولها من دنقلا (السودان)

المنار بمصر

المدرس الأول والثاني والامام وعبد الله وعبد اللطيف يشاطرونكم الأحزان وعموم المسلمين بأنحاء المعمورة والخضري واسماعيل خليل بوفاة الاستاذ الحكيم.

نكتفي بهذه المثل من تعازي البريد والبرق التى كان يرسلها أبناء هذا القطر الذي يفخر بالامام على سائر الأقطار الى العاصمة وقد فاتنا كتاب بليغ أرسله أحمد فتحي بك زغلول رئيس محكمة مصر من أوربا الى حسن باشا عاصم فقرأه في حفلة التأبين فكان له من التأثير ماينتظر من مثل الكاتب فى شدة اخلاصه للمرحوم ومكانته من مريديه و بلاغته في القول والكتابة. وقد ضاع الكتاب نفسه فلم نر بدا من التنويه به في ختام التعازي المصرية

نموذج من تعازي الاخيار في سائر الاقطار

نبدأ ببعض ماجاء من سوريا لقربها فغيرها من بلاد المشرق ثم ببعض ماورد من بعض بلاد المغرب

كتب الكاتب البليغ صاحب السعادة الأمير شكيب ارسلان من بيروت الى الاستاذ الشيخ عبد الكريم سلمان مايأتي

مولاي الاستاذ أيده الله

والله لاأدري ماذا أقول ولا أجد كلاما يشفي مابي من غليل الحزن ولا عبارة تفي بهول هذه المصيبة والله لاأكاد أصدق ان الاستاذ الشيخ مات بدون أن أراه وهو في الليل والنهار امام ناظري كأنه يعاتبني على تركي زيارته كل هذه المدة حتى فارق هذه الدنيا وأنا أؤجل وأسوف وأعلل النفس بالآمال. أيها الاستاذ منذ عقلت على نفسي لم أدر مصيبة عظمت علي مثل هذه المصيبة حتى لو قلت ان مصابي بوالدي لم يكن أعظم عندي لصدقت مع اني يوم وفاة والدي كنت شارخا وأنا الآن قد نفت على الخمس والثلاثين وصرت كهلا وألفت نفسي المصائب ومايوازي حزني

على ارتحال الاستاذ الاندمي على تأخير زيارته حتى مات ولم أره وكتبه عندي وهو يستدعيني و يستنجزوعدي . أيها الاستاذ أحس ان الدنيا قد فرغت بالنسبة لي وما فرغت هي ولكن فقدت منها من كان ملء قلبي وعيني ومن كان ذخري في الشدائد فالآن كأن الموجود غير موجود ومع كثرة الأعوان والأحباب أرى نفسي وحيدا واأسفاه هل الأحباب بكثرة العدد وهل في كل يوم صاحب كالشيخ محمد بل في كل عمر بل في كل دهر . قد فقدته مصر بل فقده الاسلام بل فقده الشرق ولكن خصنا نحن من مصابه مالم يخص غيرنا وفقدناه مع الناس وفقدناه في أنفسنا انا لله وانا اليه راجعون . منذ بلغني هذا الخبر ما قويت أناملي ان تمسك القلم وهاأناذا الآن اكتب لك هذه الاسطر تعزية وأريد أن أشكو اليك بثي وحزني لأنك كنت أقرب الناس الى المرحوم فصدري ضائق والى من أفيض بما فيه من الحرقة والوجد ان لم تكن أنت . حقا عادت الدنيا في عيني أحقر من النواة واستوى عندي الماء والخشب وهان فما أبالي بالرزايا نعم أزداد حبا لمن كان يحب الأستاذ وأشعر نوعا اني اذا خاطبتك فكأني خاطبت روحا ثانية له لم تزل في الحياة واسأل الله أن يجعل العوض في سلامتك وهو تعالى المسؤول أن يجعل مقام استاذنا في أعلى عليين وان يجزيه خير ماجزى عباده الصالحين وأرجو منك أن تجاوبني لأتسلى بكلامك وان لاتعاملني على جفائي والله لو عرفت واني لي أن أعرف أن أجل الشيخ قريب لتركت وطني ولازمته حتى ارتويت من مشاهدته وسماع حديثه أهد سلامي الى الاخوان وما أشك أن ذكر الاستاذ حي وان الزمان لايزيده الا خلودا ولكن غيبة وجهه عنا لايسدها شيء لاحول ولاقوة الا بالله . سأحرر الى حموده بك وأقبل وجهك الآن عن بعد ودمت

لمحبك

تحريرا في ١٦ تموز سنة ٥ ٦

شكيب أرسلان

وكتب العلامة الفاضل والانسان الكامل الشيخ ع . ب أحد علماء دمشق الشام الاخيار الى جامع هذا الكتاب رقيما قال فيه بعد رسوم الخطاب : وأتذكر الايام الماضية ، وما شاهدناه من عنايتكم الوافرة الوافية ، وفي حينها كانت شمسنا طالعة وضيئه ، وأيامنا بإمامنا وضيئه ، وفرحنا به متزايدا ، ودهرنا

لنا موازرا ومعاضدا ،فحسدنا الدهر عليه وغيبه عنا، وعوضنا عنه مدى العمر حسرة وحزنا ،وستر الثرى تلك الذات المصونة عن العيون ،وان كان ذكرها الجميل قد ملأ السهول والحزون، وأعلن بأنه فرد الزمان، ورب المعاني والبيان ،فلا حول ولا قوة الا بالله، ولا كان الا ماأراده الله،فهذا الذي شهد له فضله بأنه مليك الفضائل وقوله بأنه مورد البراهين والدلائل، فكيف لا تكون دموعنا عليه ممزوجة دما،وقد أصاب عين الدهر به مرض العمى ، فلا عجب أن شق الزمان عليه فؤاده وقلبه، عوضا عن ان شق عليه جلبابه وجيبه ،أبقى الله ذاتكم وعوضنا خيرا ،وألهمنا عنه رضىً وصبرا   غرة رمضان سنة ١٣٢٣

وكتب الاستاذ الكامل والعالم العامل ... أحد علماء طرابلس الشام الى جامع هذا الكتاب رقيما قال فيه

سيدي الأخ الحميم ، أدام الله به النفع العميم ، وأيده بروح منه ... وبعد فإني لا أحصي لك ماحصل لي من عظيم الحزن والأسف وانصداع القلب لذلك المصاب الفاجع الأليم والرزء الفادح العظيم الذي أصاب كبد الاسلام وتلاشت دونه المصائب الجسام

أي ثلم في الدين أي انصداع   في سما الفضل أي خطب مهول

بوفاة الامام مرشد هذا ال   عصر شيخ الاسلام والتأويل

أسف يصهر الجسم ويذيب العظم ويفني مهجة الصبر بل * حزن مع الدهر لا يبلى و يبلينا * فانا لله وانا اليه راجعون ولهذا المصاب عنده محتسبون فأعزيك وجميع المسلمين والشرق والغرب والعلم والدين والاصلاح بهذا المصاب العميم وأسأل الله تعالى أن يتغمد الاستاذ الامام برحمته ورضوانه ويجزيه عن الاسلام والدين ماهو أهله وأن يجعلك خير خلف له تنشر علمه ورشده وتتبع هديه وجده وتنهج في الاصلاح نهجه فلقد أصبحت بفضل الله عليك موضع الرجاء ومطمح الآمال اذ كنت وارث علمه وخازن سره ومنتهى رجائه وثقته (وكان فضل الله عليك عظيما) إذ جعلك علما من أعلام الدين وإماما من أئمة الهدى ونورا يستضاء به * وانا لنرجو فوق ذلك مظهراً *

وكتب العالم الضليع والكاتب البليغ السيد الشيخ عبد الحميد الزهراوي من حمص الى جامع الكتاب

عن حمص في ٣ جمادى الثانية سنة ١٣٢٣

الى الولي الحميم الرشيد الحكيم

إنا والحزن يساورنا لفي دائرة ضيقة اذا لمسنا الرّوح فيها لم نكد نحسه فكن لي عاذرا اذا رأيتني قطعت هـذه الرسل المرقومة لأن سبيلها من القلب والفكر والقلم وحالة البريد مقطوع وطم هذا السيل اذ فاجأتنا تلك الفاجعة العظمى ·

فاجعة لاأجد فيها قولا ،ولاأجد فيها عن الهلع حولا ،فمن كافني البيان فيها كلفني مالا أطيق ولن يجـد لدي لطاعته سبيلا · كنا والامام يفيض على الدنيا سواطع أنواره في فسحة من الامل بانتشار الأصلاح الذي نعشقه وفي عزاء عن ضيق دائرتنا بسعة سلطانه فما حال رجائنا وقد طارت تلك الروح القدسية الى عالمها الأسنى ·

نعم إن في قيام الولي الرشيد في هـذا الامر لعزاء لمن كان نظره شاخصاً الي الأرواح دون الأشباح ولكن ذلك لا يدفع عن الولي (أطال الله بقاءه) ولا عن سائر الاخوان ألم هذا الفقيد العظيم ، وحسرة هذا الفراق الأليم · وما حال محب كان يرجو ان يرى طلعة ذلك الحبيب الكريم عما قريب فحال بينهما برزخ المنون ؟ قد والله ملئ الحشا حزنا وان كنت من الصابرين · واني لالتفت يمينا وشمالا فلا أجـد الا من هو الجدير ان نعزيه بهذه الخطب ولكن كيف يعزي المصاب مصابا · سامحني حفظك الله بأبطائي عن تعزيتك فعندي مثل ما عندك في هذا الامر وأنا أخوك في السراء والضراء وأخوان آخران هما لكم وارثان معنا هذا الاسف ،ومحافظان على آثار هذا السلف ،عنيت بهما الرفيق الكريم والصديق الحميم، ولقـد تشابه عليّ الامر فان أدري أبدأ بتعزيتهما أم بمباركة هذا الاخاء وتحبيذ هذا اللقاء ، أم بتعزية نفسي لاخذي سهمين أليمين العام بفقد الامام والخاص ببعدي عنكم ايها الاولياء وتعوق هذا الرجاء ، أم بتعزية العموم أصابهم من ذلك السهم العام · لأترکن هذا کله الآن فالبيان لا يواتيني اليوم وأبدأ

بأمر واحد غير هذين ذلك استمرار الشوق ولكن العوائق تترى ونحن اليوم في حال حرج كما أسلفت بيانه ولكننا لم نزل في موقفنا من الصبر والاناة والثبات حتى يفل جيش هدانا جيش ضلالهم والله مع الصابرين

هذا وقد رأيت من الواجبات أن أعلن الاسف لفقد الامام لما لمثل ذلك من الفوائد العائدة للاحياء ولما ان ذلك بعض ما يجب في مكافأة الاحسان فعمدت الى موحيات الشعر وأخذت نصيبي من لدنها كلمات تدل على ما أحس به فان لم ترزق رونق الصبغة الشعرية كغيرها فقد أغناها الله بسلامة الضمير الذي أملاها وأعاذها من كُلف تلك الزينة التي لامحل لها في هذا المقام فان رأى الوليّ رأيي في اضافتها لغيرها (من المقبولات التي سينشرها في دفتر خاص) فذاك وإلا فرأيه الاولى والأعلى . ولك التفويض بما ترى الأصلح في أمر التوقيع رمزا أو تصريحا ولا رأي لي معك في هذا ولكن لي ان أقول ان التصريح أقرب نفعاً في إباء الضيم الذى يسومنا إياه اناس لم يرعوا فينا معنى الانسانيـة ولا أخشى في اباء الضيم من مناقشات الحساب ، ولا أرجو في محادة الاثرة الا دار السلام . اللهم أرزقنا السلام وسلم و بارك على الاخوان الكرام م

تعزية من الهند

وكتب الامير السري والجواد الأريحي صاحب السعادة الشيخ محمد باشا عبد الوهاب أمير دارين رقيماً من بمبي (الهند) الى جامع الكتاب وكان قد أرسل يسألنا عن صحة الامام بالبرق ودارت بيننا الرسائل البرقية بذلك وهذا نص رقيمه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من بمبي الى مصر في ٢٥ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣

الى جناب الأجل الأمجد الأفخم الأخ العزيز العلامة الفاضل مدير مجلة المنار الاسلامية الغراء السيد محمد رشيد رضا المحترم

أحييكم تحية زكية والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته وحال محبكم من فضل الله في خير وعافية لا زلتم بهما لقد انحلت العزائم وتغلبت الكآبة وتحكم الحزن

واشتد الالم وجل الخطب وعظم الرزء وكبرت المصيبة بورود البرق الخصوصي من حضرتكم لنا والبريد بعده ينعيان فقيد العلم والحلم فقيد الاسلام فقيد أهل الفضل من موافق ومخالف له في القول والاعمال فقيد اليتامى فقيد مصر فقيد الصدق والوفاء فقيد النصح والاخلاص فقيدنا الخاص شيخ الاسلام ومفتي الديار المصرية المرحوم الشيخ محمد عبده تغمده الله برحمته الواسعة ورضوانه العظيم ونسأله سبحانه وهو أكرم مسئول أن يعزينا به ويرزقنا وآله ومحبيه الصبر الجميل والاجر الجزيل ويعيض الامة والعلم والعرفان عنه عوضا نافعا واننا نعزي حضرتكم بذاك الفقيد العظيم تعزية خاصة لان حضرتكم من أعز أبنائه وعرفائه وأخص المقربين من فنائه وكذلك نعزي حضرة أخي الفقيد الشيخ حموده عبده وجميع عائلتهم وذويهم وألهمنا واياهم الصبر والسلوان محبك

محمد عبد الوهاب

﴿ تعزية من البحرين ﴾

وكتب التقي الفاضل والخير المخلص الحاج مقبل عبد الرحمن الذكير من وجهاء العرب في جزيرة البحرين الى جامع الكتاب

الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

جناب الاجل الامجد الافخم سيدي العزيز السيد محمد رشيد رضا دام وجوده آمين

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام أولا السؤال عنكم ثانيا بلغنا ما كدر الخاطر وأدمع الناظر وفاة المرحوم المبرور المنتقل الي الجنان الحور مفتي الاسلام ومصباح الظلام العالم العلامة والحبر الفهامة الشيخ محمد عبده فلقد عظمت المصيبة وضاقت البسيطة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عظم الله لنا ولكم الأجر وألهمنا وإياكم جميل الصبر هذا حال الدنيا ومصير الاحياء لا لنا ولكم الا الرضا والتسليم على قضاه وقدره نسأل الله له الغفران ولمن يعزى به الصبر والسلوان، الحقيقة ان الفقيد ركن من أركان الاسلام رحمه الله رحمة الابرار، وأسكنه جنة تجري من تحتها الانهار، صلى الله على سيدنا محمد الخ (الامضاء)

﴿ تعزية من سنغافوره ﴾

وكتب النابغة الفاضل والاجتماعي الكامل الرحالة النبيل السيد محمد بن عقيل رقيما الى جامع هذا الكتاب من سنغافوره هذا نصه :

من سنغافوره الى مصر فى ٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٣

الحمد لله على كل حال وفي الله عوض عن كل هالك وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله أهل الصبر والاتباع وسليلهم العلامة الجليل أخي الناصح السيد محمد رشيد رضا المحترم أسبغ الله نعمه عليه ووفقه لما يحبه منه وأعانه على كل خير آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وقد بلغنا نعي مجدد القرن الثالث عشر الاستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده أمطر الله عليه شآبيب رحمته وأسكنه بحبوح جنته وأخلفه على ذويه وخاصته والمسلمين أجمعين بخلف صالح وانا لله وانا اليه راجعون فعظم الله أجركم وأحسن عزاءكم وألهمكم ما هو الاحرى وكان لنا ولكم في الدنيا والاخرى واقد عم الاسف أفئدة جميع المسلمين ومن عرف الفقيد من عقلاء الطوائف الاخرى والى الله المشتكى ولقد صدق شيخنا ابن شهاب في قوله

رزئت مصر لا بل الاسلام   وأرتنا اقتدارها الأيام

ربنا يلهمنا إعداد أحسن زاد للمعاد بمنه وحررت هذا لاداء مسنون العزاء داعيا لكم بطول البقاء محرضا لكم على الجد فى نصر الشريعة المحمدية والله يتولاكم وبعين عنايته يرعاكم ولا قوة الا به وهو حسبنا ونعم الوكيل

ثم كتب الينا كتابا آخر في ٨ من هذا الشهر قال فيه :

« وقد تقدم اليكم كتاب تعزية في المصاب الجلل والخطب العظيم ولا قوة الا بالله وقد صلي على الفقيد بالمسجد السلطاني هنا بعد الجمعة جبر الله مصيبة الاسلام بمنه ثم اني رأيت في بعض الجرائد اقتراحا لبعض محبي مجدد العصر فى عمل صورة للاستاذ الامام الخ فلم يعجبني ذلك » الخ ثم اقترح هو طبع آثاره ونفثات يراعه وضمها الى ترجمته وكذلك كان

﴿ تعزية من جاوه ﴾

وكتب الفاضل الغيور الحسيب النسيب السيد محمد بن عبد الله الشاطري من بيتنزغ (جاوه) الى جامع هذا الكتاب رقيما قال فيه بعد كلام :

وهذا اليوم وصلت الجرائد المصرية معلنة بوقوع المصيبة العظمى والداهية الظالمة الظلما هو اخترام حكم القضاء بفقيد الاسلام والمسلمين وامام أئمة المصلحين المغفور له الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية رحمه الله رحمة الابرار وجعل قبره روضة نعيمه وأنزله من جنانه المنازل الكريمة عظم الله أجركم وأحسن عزاءكم وغفر له وألهمكم الصبر الجميل وجبر القلب العليل بالثواب الجزيل والامر لله إنا لله وانا اليه راجعون

يا رب واجمعنا وأحبابا لنا جمعا في دارك الفردوس أطيب موضع
فضلا واحسانا ومنا منك يا ذا الفضل والجود الأتم الاوسع

وعظم الامر على المسلمين في (بتاوى) و (بيتنزرغ) وصلوا عليه صلاة الغائب بعد أداء فريضة الجمعة »

﴿ تعزية من ايران ﴾

وكتب رب الفضل والعرفان أحد فضلاء ايران ميرزا جعفر بن الحاج علي أكبر رقيما الى جامع هذا الكتاب من تبريز هذا نصه :

تبريز ٢٥ شهر جمادى الثانية سنة (١٣٢٣)

حضرة الفاضل المعظم والعالم الكامل السيد محمد رشيد رضا صاحب (المنار) المحترم

نعب الغراب (ياللأسف) مصاب الحبر الجليل الشيخ النبيل العلامة النحرير الحكيم الشهير ركن العلم والادب وقوام المكرمة والحسب ذي الفضل الهمام الاستاذ الامام الشيخ (محمد عبده) عظيم مصر فأودع خبر وفاته في القلوب حسرة وكآبة وسلب من العقل رشده وصوابه أوقع محبيه في لوعة الغم والتأساء فاسترسلوا الى الحزن والبكاء

كيف لا وقد قضى رجل عظيم صاحب المآثر . (وقد كان للأسلام أكبر ناصر). كان يدافع عن الاسلام بالتحرير واللسان ويخدم الملة فى السرّ والعيان مات (وكل نفس ذائقة الموت) ولكن (هيهات أن يأتي الزمان بمثله الخ) مات وان يموت ذكره ، ذهب وباق في صحائف الزمان اسمه ، قال عز من قائل (كل شيء هالك الا وجهه) . ونعم ما قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام

الموت لا والداً يبقي ولا ولداً هذا السبيل الى أن لا ترى أحداً

فنلتمس من الحي القديم أن يعزي آله الكرام ويعزيكم على فقده ويلهمكم وإياهم جميل الصبر من بعده طالبين من حضرتكم ترجمة حاله في مجلة (المنار الغراء) وفقك الله لما يحب ويرضى

جعفر بن الحاج على أكبر خامنه

﴿ تعزية من روسيا ﴾

وكتب العالم المصلح والغيور المفلح قاضي قضاة المسلمين وعضو الجمعية الخيرية العامل في أوفا (روسيا) رقيما الى جامع هذا الكتاب هذا نصه :

حضرة السيد محمد رشيد رضا سلمه الله تعالى وعافاه . قد كنا من زمان كثير نتوقع تشريف الامام الاستاذ مفتي الديار المصرية الى هذه الديار الروسية ولكن أبى الله الا حرماننا من تلك النعمة الكبرى . ومات ذاك الرجل العظيم وما قدر الله كان . جعل الله مقره الجنة وصب عليه مغفرته الجمة ولا حول ولا قوة الا بالله . وموصل هذا المكتوب من تلاميذي الخاصة زكى أفندى وهو من مخلصي المنار هذا . ٢٤ شعبان سنة ١٣٢٣

رضاء الدين بن فخر الدين

﴿ تعزية من تونس ﴾

وكتب الاستاذ الفاضل والعالم العامل الشيخ طاهر بن عاشور من علماء تونس المصلحين رقيما الى جامع الكتاب هذا نصه

المرسى فى ٢٣ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣

الى الاستاذ العلامة النقاد أخينا الشيخ سيدي محمد رشيد رضا

أقاسمك الاسف والغم على مصيبتنا ومصيبة الاسلام والعلم والحكمة بمفارقة استاذنا الذي كان علمه نزهة أبصارنا وذكره أنس نفوسنا . أقاسمك الاسى وان كنت أوقن أن ملازمتكم له وتمتعكم السنين بمشاهدة ذاته الشريفة التي هي مثال الفضائل والحكمة تجعلكم أشد شوقا اليه ولكني أرى نفسي من جهة تعطشي الى ما كنتم منه تشربون أشد منكم حسرة على ماعدمت وفاتني من مجالس الاستاذ والانتفاع بعلمه وحكمته وكلا ذينك سبب أسف وحزن فلا بدع أن يكون أسفنا متوازنا متساويا .

عرفت الاستاذ الامام معرفة شهود بتونس في سنة ١٣٢١ فعرفت من ملاقاته الاولى رجل العزم والارادة والفكر وبلاغة القول وشدة الفراسة وتكافؤ القوى العملية والفكرية حتى لقد كان من سكون نفسي اليه وإلفتها به واعتلاق صداقته في أمد وجيز مايكون مثله في السنين الطوال فصارت ذكراه تفعل في نفسي فعل ذكرى والد رحيم فلا تسل عن أسفي وآلامي التي رماني بها بريد منعاه فبقيت يوما كاملا لا أستطيع حركة فكرية تسبح بي الكآبة فى بحار من الفكر الساذج وتهيم بي فى أودية من الحزن واليأس ولقد كنت من جلالة الخطب كمن لم يصدق بذلك الخبر الأبتر ثم ثاب الي بعض الرشد ففكرت في حال الاصلاح بعده ولم أملك عبراتي عن التساقط عند ما قرأت أبياته الاخيرة الدالة على أنه كان يفكر في الاصلاح في ساعة لا يذكر فيها المرء غير نفسه

يكون الاسف في عادة النفوس على المصائب جديدا فاذا خلق المصاب رث الاسف ولكن ذلك الاسف عن الشوق الى ذات فاما أسفنا على الاستاذ

الامام فلا شك أنه يجد كلما حارت الافهام في المشكلات وخارت القوى في مقاومة البدع وجراثيم التأخر

يقابلني تمثال الاستاذ الامام في منزلي مرات وأذكر كلماته وتفاسيره مهما قرأت سورة في صلاتي فكان ذلك يهزني فخرا ويجدد فيّ روح النشاط والعزيمة فصرت الآن يزيدني ذلك كله أسفا على أسفي وغماً بعد غمي حتى سئمت الحياة وصغرت في عيني الدنيا بأسرها .

أردت مشاركة المشجيين على الامام وأنتم منه بمنزلة الابن البار من الوالد النصوح ولذلك عزمت على البدار بمراسلتكم لابوح لكم بمقدار أسفي ويأسي ومرارة الحياة في فمي ولكني شغلت عن ذلك (أولا) بعجزي عن إعمال شيء ما لامتلاك المصيبة جميع قواي (وثانيا) بشغلي في تحرير ترجمة الاستاذ مع كلمات تأبين تعرب عن بعض مقداره لمن كان بعيدا عن استكناه عظمته وأنفذت ذلك لينشر في صحيفة . . . ليعلم الناس أن أهل الاصلاح والنصيحة لا يعدمون نصيرا يعترف بمقدارهم ويقتبس من أنوارهم ولقد تم لي ذلك في يوم وسترونه في هاته الجريدة . رأيت هذا المصاب العظيم قد اهتزت لنبإه نفوس الاحياء من أصحابنا التونسيين فطفق متنوروهم ومحبو الاصلاح منهم الى نظم تأبين للاستاذ الامام وكان غالبهم يسلمه اليّ . . . . .

ولقد اقترحت في آخر ما كتبت على من له انتساب الى الاستاذ الامام (رحمه الله رحمة واسعة) أن يسعى في جمع آثاره وأنتم أول مريديه والمنتمين اليه فلهذا أكرر بلسان الاخوة عليكم هـذا الاقتراح وأرجو أن تسمعوا بالقرب في طبع جميع تآليفه وآثاره ورسائله الادبية والعمرانية العليا ولو باكتتاب عمومي كما يفعل أهل أوروبا في تآليف وآثار عظمائهم

وأن تفصلوا لنا في المنار تاريخ حياة الاستاذ ومهام أعماله وتعددوا لنا تآليفه ما عرفنا منها وما لم نعرف وأن تتفضلوا بإعلامي خاصة هل توجد أعداد جريدة العروة الوثقى التي كان يحررها الاستاذ الامام فاني لا أملك منها الاعددا واحدا

زادني شوقاً الى جمع قرنائه اليه وأن تخبروني هل كتب الاستاذ شيئاً في رحلته الى الجزائر وتونس والاستانة وغير ذلك من البلاد

وفي ختام قولي أرجو للمنار تقدماً ولجنابكم عمرا طويلا فإن بحياتكم وتقدم المنار تحيا مبادىء الاستاذ الامام وأرجو من الله أن يجمع كلمة المنتحلين الاصلاح وينبههم برزية امامهم الى وجوب التفافهم حول مباديه عسى أن يصلوا الى ما كان يزجيهم اليه وتقبلوا أطيب التحية وأزكى التسليم من حليف أخوتكم

طاهر بن عاشور

﴿ تعزية من صفاقس ﴾

وكتب العالم النير الذهن البصير القلب الشيخ محمد شاكر من علماء صفاقس الى جامع الكتاب ما يأتي

بسم الله الرحمن الرحيم — ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم : ما أعظمها رزية رزئ بها الاسلام والمسلمون فإنا لله وإنا اليه راجعون

سلام أيها الأخ الكريم، وعزاء في هذا الخطب الجسيم، خطب ينفد معه الصبر والجلد، ويتضاعف به الاسى والكمد،

كل الخطوب وان تفاقم أمرها هانت وهذا ما أراه يهون

كيف يهون وهو نعي ذلك الامام العظيم، والاستاذ الحكيم، والمصلح الكبير، والعالم الخبير، ذلك الذي كان الاسلام يرجو أن يرتفع به مناره، والعلم يأمل أن تسطع في الخافقين أنواره، ذلك الذي زحف بجيش إقدامه على البدع والأوهام، وفتح ميادين حصون أسرار لم تسبق اليها الافهام، ولا غرو فقد جرت سنة العناية الالهية أن تختص من شاءت بالاختصاصات العلمية ولذلك يأتي الآخرون، بما لم يأت به الأولون، ولقد أتى هذا الفقيد المقدس من الأقوال والأعمال الجليلة، بما أجمع به القوم انه رجل الدنيا وشمس الفضيلة، لسان بالحكمة ناطق، وعزم في احياء الدين صادق، وثبات فى تأييد الحق، وكمال في صبر على أذاية الخلق، فهو القائم بوظائف الوراثة النبوية، والحريص على دينه

وأمته حتى في آخر أدواره الحياتية ، كسا الله تلك الروح الزكية خلع الرضوان والشرف ، وعوض المسلمين من ذلك الكوكب النير خير خلف ، وأفاض صبرا جميلا على المعاهد العلمية والخيرية ، وعلى الآل والاصحاب وكل من عرف مرتبته الكمالية ، (الامضاء)

﴿ تعزية من الجزائر ﴾

وكتب الينا أحد فضلاء الجزائر (ع . ز) ما يأتي :

الحمد لله واليه المآب

انا لله وانا اليه راجعون ، قد أصاب العالم خطب عظيم ، وحزن جسيم ، فبكى الانسان واستبكى ، ولبس ثياب السواد الحلكى ، لوفاة الفاضل الاكمل ، والكمال الأجل ، من أعاد المكارم فأحيا رفاتها ، وأنشر أمواتها ، فيلسوف الاسلام ، وعلامة الأنام ، أستاذ الاساتذة ، المغفور له مولانا الامام مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده أسكنه الله فسيح الجنان ، وألبسه حلل سندس الرضوان ، آمين آمين آمين

وعليه بعد تقديم التحايا والسلام لحضرة المحترم الزكي الشيخ محمد رشيد رضا مدير مجلة المنار الاسلامية فاننا ندعو لكم ولحضرة اخوان المرحوم وأبنائه وأحبائه بالصبر الجميل ، وأقوى الثبات الجزيل ، وأن يجعلكم الباري تعالى خلفاءه قائمين مقامه في سلوك طريقته التي كان رحمه الله قاصدا بها احياء الاسلام و بث العلوم ونشرها . وها نحن حامدون الله حمدا لا غاية لحده ، ولا حصر لعده ، على ان منّ الله علينا برؤية حضرته الغراء ، وطلعته الزهراء ، في السنة الماضية في أيام الراحة في فصل الصيف ومكث عندنا عشرة أيام وحاضرناه وشافهناه ، وظللنا معه في تلك الايام كل يوم وسامرناه ، ومسارح الاشباح نابغة بالفرح والسرور ، ومخارف القلوب يانعة بالابتهاج والحبور ، ونلنا منه في تلك الايام القلائل ماشاء الله ان ننال . وخاطبنا بخطاب أشهى من طعم الضرب ، بأفصح كلام العرب ، ترى الدر يقطر من عذبة لسانه ، فيبرىء الانسان من أحزانه ، وكشف لنا عن

دقائق المسائل ، والناس حوله بين مصغ وسائل » — الى أن قال —

« وبالجملة قد أصبنا في هذا السيد العظيم حتى كاد يقع لبعض الجزائريين ما وقع لسيدنا عمر بن الخطاب في موت خير الأنام حيث قال للناس من قال منكم مات محمد أضرب عنقه » — وساق الحكاية وذكر أن بعض العلماء لا يزال ينكر موته الى وقت ارسال الكتاب — ثم اقترح « نشر محرراته وجميع مافاه به في حياته لتتم فائدة الجميع »

﴿ تعزية من أوربا ﴾

وكتب العلامة الطويل الباع . الواسع الاطلاع . الدكتور أدورد برون الانكليزي المدرس في مدرسة كمبردج الجامعة كتابا باللغة العربية التي يتقنها الى حموده بك عبده هذا نصه

في ١٦ آكست سنة ١٩٠٥

سيدي الفاضل المكرم : لا أعلم بأي لسان أعزيكم وكل المصريين بل كل المسلمين بل كل العالمين على هذه المصيبة العظمى التى عمت الناس كلهم أجمعين وخصت المصريين ومنذ ورود هذا الخبر الهائل رب يوم أردت أن آخذ القلم بأصابعي لكي أعرب عما في القلب من الحزن والغمّ الشديد ووضعته يأسا وعجزا لان هذه المصيبة وراء الكلام

خبرٌ مّا نابنا مصمئلّ جلّ حتى دق فيه الأجل

ياسيدي فى مدة عمري رأيت كثيرا من البلاد والعباد ومارأيت مثل الفقيد المرحوم قط لا في الشرق ولا في الغرب فوالله كان وحيداً في العلم وحيداً في التقوى والورع وحيداً في البصيرة والاطلاع على ظواهر الأمور وبواطنها وحيداً فى جميل الصبر وخلوص النية وحيداً في البلاغة والفصاحة عالماً عاملاً محسنا ورعاً مجاهداً في سبيل الله محباً للعلم ملجأ للفقراء والمساكين

شامساً فى القرّ حتى اذا ما ذكت الشعرى فبرد وظل

كيف أصف بهذا اللسان العاجز هذا الرجل الوحيد الفقيد الذي كنت

أفتخر بان أحسب من أقل تلامذته انما أرجو من سيدي أن يقبل مني تعزيةمن قلب حزين غير قابل للتسلي على هـذا الفقدان العظيم، أريد ان شاء الله أن أكتب شيئاً باللغة الانكليزية في ترجمة حال الفقيد وقد جمعت كل ما وجد في الجرائد العربية في هذا الباب وأرجو من حضرتك أن تعينوني في ذلك بارسال الترجمة الموعودة في المؤيد اذا طبع على حدة لكي أستفيد بما فيه من المعلومات فتقبل ياسيدى المكرم في الختام اخلص تعزيتي وأذكى السلام المخلص

ادوارد برون

(أقول) لما اطلعت على هذا الكتاب أرسلت الى هذا الفاضل ما كنت نشرته في المنار من ترجمة الإمام (والمؤيد لم ينشر ترجمته) ووعدته بإرسال ما سأكتبه بعد ذلك فكتب اليّ ما يأتي :

في يوم الخميس ٢٨ دسمبر سنة ١٩٠٥

حضرة العلامة المفضال

لقد تشرفت منذ أسابيع بجوابك الكريم ونسخ المنار الثلاث المشتملة على ترجمة حال فقيدنا العديم المثال وقرأت ما كتبت في هذا الموضوع الشريف وفرحت كثيراً بما رأيت ان هذا كلام شاف واف كاف صادر من ضمير منير يطلع على كل ما يتعلق بالمطلب ظواهره وبواطنه ونيتي ان شاء الله اذا رأيت حضرتك ذلك وسامحتني في ذلك أن اجعل ما كتبت بقلم الصدق وبنان الاخلاص أساساً وأصلاً لما أريد أن أكتبه في ترجمة هذا الرجل العظيم التي أريد أن أكتبها باللغة الانكليزية فوالله ما رأيت في جرائدنا في هذه الواقعة العظمى والمصيبة الكبرى الا ما استحيي عن نقله الى حضرتك بسبب عدم كفايته وقلة اطلاعه على بطون الأمور كأنهم زعموا أن هذا الاستاذ الاكبر الذي كان في زماننا مثل الاكسير عديم النظير كأن كاحد السياسيين القشريين ولكن من حيث ان حضرتك طلبت مني كل ما كتب في هذا المطلب في جرائدنا فأني مرسل اليك بمقالتين ما رأيت في الجرائد الانكليزية غيرهما يعني مقالة مأخوذة من جريدة التيمس المؤرخ يوم

السبت ٢٢ يوليو سنة ١٩٠٥ ومقالة كتبها المستر هارولد اسپندر في جريدة الديلي كرونيكل واما سائر الجرائد الفرانسوية وغيرها فليس عندي شيء الا مارأيته عند صديقنا المستر ولفرد بلونت

أشكرك ياسيدي على حسن التفاتك الىّ وأرجو أن يحصل بيننا ملاقاة عن قريب ان شاء الله تعالى فانا دائماً اطلب فرصة لزيارة مصر مع ان نور مصر قد انطفى عن أنظارنا . أتمم هذا الجواب في كمال العجلة ، سلم كثيرا على كل أصدقائي

الداعي الحقير

ادوارد برون

هذا واننا نختم فصل التعازي بما كتبه أخونا الاعز حموده بك عبده في الجرائد شكراً للحكومة ولجميع المعزين وهو :

شكر للحكومة والامة

ان أكبر عزاء لنا عن فقيدنا هو مارأيناه من مشاركة الامة لنا في المصاب من جميع الطبقات وافصاحهم لنا عن ذلك بالمشافهة ممن حضروا المأتم و بالرسائل البرقية والبريدية من الغائبين في مدن القطر وقراهُ ودعائهم لانفسهم ولنا بالصبر على هذا الرزء العام وان يعوض الله الامة الخير و يجزل لها الاجر فلا ندري لمن نشكر والناس يعزي بعضهم بعضاً و يدعو بعضهم لبعض حتى بواسطة التلغرافات ولا على أي شيء نشكر سوى انهم جعلوا دارنا أجمع محل لاظهار شعورهم وابداء تعازيهم ليكون حظنا من العزاء أكبر كما ان سهمنا في المصاب أوفر

واننا رأينا الامة شاكرة للحكومة السنية مشاركتها لها في الحزن والاسف وقيامها بالاحتفال بالجنازة في الاسكندرية ومصر على أتم وجهٍ وأكمله ونقلها جثة الفقيد في قطار خاص واستقبالهِ في محطة مصر فكان من الواجب علينا أن نعلن هذا الشكر للحكومة بالنيابة عن الامة على لسان الجرائد التي تفضلت بتأبين الفقيد خير تأبين والله يجزي الشاكرين حموده عبده

مراثي الشعراء

تذكر مرتبة على حروف الهجاء

حرف الهمزة

رثاء الامام فقيد القطر

الشيخ محمد عبده مفتي مصر

لحضرة الأديب الفاضل محمد أفندي أبو طالب من الاسكندريه

رحلت وما للمبغضين بقاء ومت وعيش الحاسدين فناء

وما الموت الاحلة في غضونها يغيب من يسعى اليه قضاء

وعنك أخذنا علم ان نفوسنا خوالد بعد الموت ثم جزاء

فللطيبات المحسنات لنوعها نعيم واما عكسها فشقاء

وأنت على مايشهد العلم والهدى نصيبك في دار النعيم هناء

وذكرك في الدنيا يدوم مخلداً يجدده في البائسين ولاء

لقد قمت فينا للهداية مثلما أقام لنا من راحتيك عطاء

فبينت ان الجود للعلم صاحب وذلك مالم ترضه الفقهاء

فلم نرمنهم قبل جودك محسناً يجاب به للسائلين نداء

فمن لفتاة مات ذخر حياتها وما ضاع منها في نداك رجاء

ومن لامرئ أخنى عليه زمانه فساعدته حتى استقام بناء

ومن لبلاد كنت فيها حياتها أحاطت بها من بعدك البرحاء

ومن لكتاب الله يتلوه شارحاً بما فيه للقلب السقيم شفاء
لئن سكبت عين الاماني دموعها فقد فاق عنها في البكاء سخاء

دمع الحزن على فقيد الوطن

لحضرة الفاضل الشيخ محمد زناتي الأزهري أحد تلاميذه الامام

أي شيء به يرد القضاء حسبك الدمع لا يفيد البكاء
ياعيون الاسى كفى بك حزناً قد نزفت الدموع وهي دماء
صبر قلبي علمت عهدك تصبو للبقا كيف نال منك الفناء

(ومنها)

أم نعي الحبر من به رزئ الديـ ن وسارت بنعيه الانباء
منبع العلم معدن الفضل من كا نت تشير النهى له والعلاء
هو بدر العلا محمد المفـ تي اليه انتهى الحجا والذكاء
رزئ الدين فيه رزءاً عصيباً عطلت منه بيننا (الافتاء)
ليته كان في الحياة وتفنى قوم جهل حلومهم أهواء
حسبه في العلا فخاراً اذا ما فخر القوم عزة واباء
من لنا بعده بحلم وعلم كان يروي ماليس يرويه ماء
ليت شعري من ذاك مثل امام شاد قدراً كما يشاد البناء
كنت إن أشكلت لديَّ أمور جئته حلها وزال الغطاء

(ومنه وهو خاتمها)

قد أتاه مبشراه وقالا لك في جنة النعيم الهناء
نلت ما نلت عزة أرخاها نلت في جنة العلا ما تشاء

سنة ١٩٠٥ ٧ ٤٨٠ ٩٠ ٤٥٣ ١٣٢ ٤١ ٧٠٢

خطب الاسلام بوفاة الامام

مرثية لصاحب الامضاء الفاضل قال فيها بعد أبيات

فعلينا نوائب الموت هانت اذ ألمت بسيد العلماء
واكتست مصر نابفقدامام ال مصر ثوب الاقذاء والاكداء
كافل يلتجى اليه بركن شامخ مانع رفيع البناء
مرجف كل معتد بيراع يتراءى كصارم في مضاء
مرشد المعتفي بشمس بيان أوضحت في العلوم كل خفاء
كان فينا اذا دجى ليل لبس صاحب البينات والآلاء
يتمت مصر بعده ثم ضلت عن سبيل الهدى بموت الرجاء
وغدت وهي عاطل من سنا ال علم وجرت مطارف الظلماء
وعجيب تغتاله سطوة المو ت وكانت من بأسه في التجاء
فلعمري هذا مصاب جليل أورث المسلمين كل عناء

مرسي شاكر

وقال معدن الاخلاص والفضل الاستاذ الشيخ محمد بن القائد على الامام بالجامع الجديد في مدينة الجزائر

غاض بحر العلوم أين العزاء وعيون الانام سحب دماء
فبكى المسلمون حزناً عليه وبكى الدين والتقى والحياء
وبكى الفضل والفضائل طرا عن امام الورى يحق البكاء
عبده الفيلسوف أحيا قلوباً ميتات اماتها العلماء
حجة الله والرسول بعصر جاء يهدي أقوامه فأساؤا

فسر الذكر الحكيم بفهم عجزت عن أدائه البلغاء
وكتاب التوحيد فهو لدينا مغنطيس القلوب بل كهرباء
طالما كان ساعياً في صلاح المـ سلمين حتى اضمحل الرجاء

ومنها

عبده كنت بالجميل تربي صبية العلم والعلوم غذاء
عبده كانت المحافل تزهو والنوادي وأنت فيها سماء
عبده أين من يروم صلاحاً لاناس غووا وعز الدواء

وقال في آخرها مشيراً الى زيارته الجزائر

قد سعدنا بزورة منه جاءت بسعود يفر منها الشقاء
كم سهرنا ومنه نلنا علوماً ما سمعنا بها ولا الآباء
لم تحط ألسن الرثاء بفضل لم تسعه الغبراء والخضراء
رب أنزل عليه وبل رضاء في رضاء فنعم ذاك الرضاء

﴿ حرف الباء ﴾

خطب الاسلام بوفاة الاستاذ الامام

للأستاذ الفاضل الشيخ حسين أبو علي محرر مجلة مكارم الاخلاق الاسلامية بالاسكندرية

نفوس بأيدي الحادثات تقلب وأقضية تأتي عليها وتذهب
تضللنا الآمال يلمع برقها وبرق الاماني لا أبالك خلب
فزعنا الى الآسي نداوي كاومنا فكان الردى البرء الذي نتطلب
وما زال باسم الطب في يد جاهل سلاح المنايا بالدماء يخضب

سكتنا وصم الدهر عن بث ما بنا | وقام على هاماتنا الموت يخطب
أجدك لا ينفك جيش عرمرم | لعزريل يغزونا فنبكي وننتدب
وكيف وإن الشر بالشر يتقى | نلوذ باطراف الشعاب ونهرب
فأين العتاق الجرد فوق متونها | كماة ببيض الهند تسطو فتغلب
وأين الانوف الشم والخلق الذي | نفل به حد الخطوب ونشعب
غدا كل هـذا في يدينا كأنه | مخارق طفـل في يديه تقلب
أجل ليس للسيف اليماني مضرب | اذا ما بدا للموت ناب ومخلب
ولا للشجاع القرم عنـد نزوله | بكلكله مما يحاول مهرب
ولا لجموع الاهل والصحب حيلة | يرد بها سهم القضاء المصوَّب
برغمك مأفون يعمر سالماً | وأحزم في سن الفتوة يعطب
واعلم وثاب الى كل غاية | من المجد لا يلوي ولا يتنكب
يثير عليه الدهر حرباً فتية | فيقضي ويبقى أخرق او مذبذب
وكم مرة ناواه جيش جهالة | فأرداه لا يخشى ولا يتهيب
وما بالحسام العضب كان يفله | ولكن بسيف الحق والحق أغلب
دهتنا الليالي السود فيه ولم يكن | يضيء الليالي السود لولاه كوكب
وخلفنا حزبين حزب على هدى | وآخر في تيـه الغواية يدأب
فياليت شعري هل يثوب مضلل | الى الرشد أم يعدي السليمين أجرب
بلى سوف يبدو الحق أبيض ناصعاً | ويدنو منار الدين منا ويقرب
ويطلع من ذاك (المنار) مؤذن | الى الله يدعو جاهداً ويثوب
فيسمعه من لم يصخ لندائه | ويمحى من الاذهان ذاك التريب
(محمد) ان الله يختار (عبده) | وليس امرؤ في الله مثلك يرغب

قضيت فما للموت بعدك مأرب ... وما للرزايا بعد رزئك مطلب
وقد كنت فينا أي شمس مضيئة ... بها انجاب عن وجه الشريعة غيهب
كأن الردى دهقان يبتاع أنفساً ... فأكرمها خيما اليه محبب
كأن عيون الناس يوم نعيه ... جداول تجري أو سحائب تسكب
كأن الغفير الجمّ حول سريره ... خضمٌ كأن النعش يعلوه مركب
كأنا وقد شقوا له اللحد شققت ... أضالعنا أو أضرمت تلهب
وكدنا عليه وهو في القبر نرتمي ... فنتبعه حياً وميتاً ونصحب
كأنا وقد أبنا عن القبر جحفل ... تقهقر مذ أودى الرئيس المجرب
الا في سبيل الله روح سما بها ... الى الله من جند الملائك موكب
(فالقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عيناً بالاياب المغرّب)
لها هللت أهل السماء وكبرت ... وظل غراب البين في الارض ينعب
محمد لا يحزنك اعراض معشر ... محضتهم النصح الصريح فكذبوا
أقمت لهم نهجاً الى الله واضحاً ... يسيرون فيه راشدين فنكبوا
لهم اعين لا يبصرون بنورها ... وافئدة كالصخر او هي اصلب
ضلال قديم لا يريم صدورهم ... فسيان منهم ذو شباب واشيب
وجهل مقيم خيمت بعقولهم ... عناكبه والجهل للعقل يحجب
وأخلاق سوء سلمتهم زمامها ... قديماً فكل فوق عشواء يركب
وما هم سوى قوم لمجدك حسد ... اذا زدت قدراً أو علا بك منصب
حلمت وقد خفت عليك حلومهم ... فما كان الا ان نصرت وخيبوا
لئن مت يا محيي النفوس فلم تمت ... مآثر تبدو للعيون وتكتب
اذا رام يحصيها على الدهر حاسب ... قضى عمر نوح وهو لا زال يحسب

أزحت ظلام الجهل عنا فأشرقت ... سماء بلاد نجمها كاد يغرب
وخلصت دين الله من كل فرية ... وترهة كانت الى الدين تنسب
فأنت امام الناس غير مدافع ... وأنت حكيم الشرق حين تلقب
عليك سلام الله مالاح بارق ... وجادك هتان من الغيث صيب

حسين أبو علي أحد تلامذة الفقيد

مرثية الأديب الذكي الشيخ أحمد ابراهيم أبو السعد البلقاسي الازهري

أيهذا المحب للاعجاب ... هل رأيت المآب غير التراب

ومنها بعد أبيات

غير أن الهداة مات ضلالا ... عند موت (الامام) عالي الجناب
كامل العلم شامل الحلم ندب ... علم الدهر همة الانجاب
راقب الله كيف كان فأعطا ... ه آله الانام فصل الخطاب
وتحلى بحكمة وعفاف ... لا بفضل الثياب والجلباب
وحمى الدين حقبة وتولى ... فبكى الدين بعده بانتحاب
أيها الحتف فت قشراً غليظاً ... واقتطفت الغداة لب اللباب
كيف يا حتف لا يروعك منه ... هيبة الليث بين خيس وغاب
أأراك ابتسامه لمفاة ... كابتسام البروق بين السحاب
أم له كنت بالجنان بشيراً ... غب ما جزت زمرة الحجاب
ان تكن مت يا حكيم فما الذكر ... ر بميت كميتة الهياب
أو يكن أوجز المؤبن قالا ... فصفات الحكيم في اسهاب
فلئن مت حقبة فسميري ... فكر شيخي الحكيم لا احبابي
ولئن مت حسرة فبكائي ... غسل جسم ومهجة في التهاب

﴿ رثاء الشرق ﴾

لأحد تلاميذ المدارس النجباء ص٠ ق

رأيتك يادهر تبدي العجب ... بفعلك إما ونى أو وثب
تدير المنية في ذا الوجو ... د فهي الكؤوس ونحن الحبب
تمزق أكبادنا فجأة ... بأنباء حزن تشب اللهب
الا حسبنا داؤنا جهلنا ! ... فحتى م تصدعنا بالنكب ؟
وتفجعنا برجال الصلاح ... رجال هم المصلحون الشعب

(ومنها)

رزئنا بفقد حكيم الورى ... رزئنا بفقد عليم العرب
امام عظيم أقام سنين ... يهدي أناسا بعزم الدأب
اذا بث قولا لدى العالمين ... غدا لفوائده في نهب
وتجعله سائر الحكماء ... سميراً لها أينما تنقلب
ويروونه حكماً أودعت ... صحائف علم وصحف الكتب
وتدرس في كل قطر وفي ... بلاد بها النور لا يحتجب

(ومنها)

فيا كوكب الشرق أبدى سناً ... وما كاد يهديهم أن غرب
ويامنبع الفضل للمسلمين ... ما كاد يحييهم أن نضب
لقد أودعوك ببطن الثرى ... ولو أنصفوا أودعوك الشهب

﴿ عزاء الامة والشرق ﴾

للشاعر الاديب الشيخ ابراهيم الدباغ صاحب مجلة الانسانية

أردنا لهذا الدهر غفر ذنوبه ... فجدد ماضيها بأدهى خطوبه

وسدد سهما ما تخطى فؤاده وأصبح لم يقنع بشق جيوبه
أصابت صروف الدهر خير رجاله ولا زال دأب الدهر حرب أريبه
ورب قناة لا تلين لغامز حمتنا فأرداها القنا بكعوبه
وما الدهر في حال السكون بساكن ولكنه مستجمع لوثوبه
فلم يرم الا هضبة العلم والتقى ويفجع الا غصنها بكثيبه
اناخ على ذاك الامام لانه تنزه عن زلاته وعيوبه

(ومنها بعد أبيات كلها درر)

اذا ما مضى صرف الزمان بليثه على غرة منا فويل لذيبه
أأمضى حسام يقرع الدهر كلما تلألأ نور الله بين غروبه
فرى قلب (هانوتو) وأوهى دليله ورد الى (رينان) مكر خلوبه
وماذا ولولا أنت للدين لاكتست عمائمه الكبرى بعار معيبه
وأركبته المتن الذي هو مأزق تفضل دوس الجردون ركوبه
دوى صوته في الغرب والشرق زاريا علينا وأعلى منه صوت مجيبه

(ومنها)

لفقدك فقد للعلى وسبيلها وموتك موت للهدى ودروبه
تود دراري الأفق لو أن دارها ضريح يضم المجد بين جنوبه
نعاك لنا الناعي وبات غرابه يقطع أوصال الورى بنعيبه
تعاظم رزء الدين فيك وساءه شماتة أهليه بموت نقيبه
فكم منبر شيدته لهداية تماثل للاقواء بعد خطيبه
وكم جاهل بالدين عالجت داءه فأصبح لا يؤسى لفقد طبيبه
تركت الربوع الآهلات دوارسا واجفاننا كالغيث عند سكوبه
فلم يفقد الاسلام غير نصيره ولم يصطف الرحمان غير حبيبه

﴿ حرف التاء والثاء ﴾

﴿ فيض الأسى رثاء الاستاذ الامام قدس الله روحه ﴾

(بالمطرية — دقهلية)

لحضرة الاديب حسين أفندي عبد الفتاح الجمل من وكلاء البريد

ما للعيون دمعت مثل السماء أمطرت
ما للجموع ازدحمت هل النفوس حشرت
أم السماء انفطرت أم النجوم انكدرت
أم الاراضي زلزلت أم الجبال سيرت
أم البدور أفلت أم الشموس كورت
أم الامام قد قضى شهيد حرب كبرت
حرب العلوم والجها لات التي قد كثرت
نعم قضى فغربت شمس علوم بهرت
شمس تود الشمس ان تكونها لو قدرت
كان المعد للعدا وحربها ان شهرت
فمن لها ان أقبلت كالاسد اما زأرت
وكان للدين حمى اذا الرماح اشتجرت
يفعل بالآراء ما عنه السيوف قصرت
بالامس عزت دولة الاقلام حين انتصرت
كانت قبيل عصره مكسورة فجبرت
كانت مصابيح الهدى مطفأة فنورت
كانت ينابيع الندى غائضة ففجرت
كانت مغاني العلم في غنى به فافتقرت

كانت به معرفة بموته قد نكرت
فأصبحت تبكي فتى بمثله ما اشتهرت
يبكي عليه الشرق والـ غرب بعين فترت
هل في بني العلم فتى دموعه ما انحدرت
لو أنصفته النجم(١) من حزن عليه انتثرت
وجاملته الشمس اكـ راماً له ما سفرت
فأظلم الكون حدا دا لمعال دثرت
كان حياة أنفس لولا الرجاء قبرت
من الأيامى واليتا مى ويلها قد خسرت
لولا نهى الله عن اليـ أس النفوس كفرت
ليت الردى كان افتدا ه بالوف كثرت
فلو جرى لرضيت به وما تأخرت
يا أمة قد صبرت على اصطبار أجرت
الصبر حق والاسى فرض على من صبرت

رثاء الامام فقيد القطر (٢)

بفقدك بات الحزن للقوم ديدنا فلسنا نبالي من تغول الحوادث
وفيك رمانا الدهر فانهد ركننا ولاحت على دين النبي الكوارث

(١) النجم: الثريا وهو اسم علم لها

(٢) هذه المرثية لحضرة محمد أفندي أبو طالب الاسكندري وهو من عشاق المرحوم على انه لم يرد وقد نظم مراثي كثيرة أراد أن ينشرها في ديوان مستقل فرأينا من الشكر له أن ننشر له غير واحدة منها

ألم تك الاسلام سيفاً على العدا تحز رقاب البغي ان جد حادث
وتدفع عنه كيد كل مفاجيء فانت له عند الشدائد حارث (١)
فمن لذوي الحاجات والبؤس والعنا اذا مادعا يوما الى الجود باعث
ومن لكتاب الله يحسن فهمه فيقنع منه بالتفاسير باحث
ومن يتصدى المشكلات يحلها وتفحم تأويلاته والمباحث
خسارة أهل القطر فيك عظيمة وحزنهم من بعد بعدك ما كث
سيلبث فيهم مادعا الله سائل كما أنت في دار الكرامة لابث

حرف الجيم والحاء

رثاء الامام فقيد القطر

نختار من مرثية الفاضل محمد افندي أبو طالب الجيمية ما يأتي

مالي أرى دمع عيني بالدم امتزجا هل مات من منه كنا نأمل الفرجا
لا والذي أسكن الاستاذ جنته مامات غير أناس أسلموا المهجا

(ومنها)

فدع قشور مقال الحاسدين وخذ من لب اصلاحه الاسلام ماوهجا
من رد كيد (هنوتو) وهو في لجج من الضلال على الاسلام قد خرجا
ومن يداني امام الشرق فى همم وكل ذي فطنة أمسى بها لهجا
فالله يرحمه تعداد أنعمه ويرزق الدين من يهدي به النهجا

رثاء الامام فقيد القطر

(مرثيته الحائية)

كان الامام لدين أحمد حجة سطعت وكان فؤاده المصباحا

(١) يقال للأسد الحارث وأبو الحارث

لو يفتدى ميت لتحيا أمة لفدا الفداء لشيخنا الارواحا
ما أصبر القلب الذي من بعده يحيا ولا يغني عليه نواحا
فمصيبة الاسلام فيه جسيمة اذ كان للدين الحنيف سلاحا
فلطالما سلب العداة نفوسهم وأعادهم من حربه أشباحا
من ذا الذي ينسى (هنوتو) بعدما ملأ الفضاء بما افتراه صياحا
والله لولا الشيخ لم يك عالم ممن تراهم يستطيع كفاحا
أنسيت اذ شط اليراع بكاتب ظن ابن رشد جاحدا وأباحا
فمن انبرى للذود عنه بقلبه الا الامام فرده مرتاحا
هل كان قبل امامنا جمعية تهب اليتامى المسلمين صلاحا
ومن الذي بذل المساعي جمة لينال أزهرنا الرقي فلاحا
فلو ان ربي مدّ في أيامه لم تلق أفئدة الورى أتراحا
ولبان للسفهاء سوء فعالهم اذ يعلمون الحق منه صراحا
لكن قضى المولى بأن نحيا على حسد لمن يبغي لنا الاصلاحا
فجزى الاله الشيخ بالحسنى على تعب واسكنه العلى وأراحا

﴿ حرف الدال ﴾

قال الشاعر المطبوع الشهير أحمد افندي الكاشف

هل بعد خطبك أستفيق فانشد لا هيم وجداً أو تعود محمد
فارقت قومك والليالي صارم دان الى أعناقهم يتهدد
وتركتهم في الخطوة الاولى الى ما كنت تأمل فالقطيع مشرد
أين الضياء لهديهم أين الزلا ل لريهم لمساقهم أين اليد

ياويحهم والبر قفر شائك … متزلزل والبحر مرغٍ مزبد
كنت الامام ومت مكبوداً فما … يدوى من الاحياء الا الاكبد
ما كنت تخشى عائقاً غير الردى … لك في سبيل الله عما تقصد
تفتي بدافعهم الى تقاعهم … فتعينك الفتوى عليه وتسعد
وتكون عدتهم ليوم جهادهم … ان خانهم هذا الزمان الانكد
وتفسر القرآن تسترعي به … أبناء دينك عصرهم وتزود
وتجادل البلغاء عنهم بينما … يخشى الجريء ويهمد المتوقد
وتروج اللغة الصحيحة فيهم … من بعدما عشقوا الركيك فأكسدوا
وتقوم بالشورى اذا طاشت بها … الاحلام توترها لهم وتسدد
وتؤلف الكتبا الثمينة للورى … تجلو قرائحهم بها وتجدد
ما كنت ترضى في الحكومة منصباً … الا لتظهر كيف يقضى السيد
من للرئاسة والسياسة والعلى … ان كان فيها ذو التجارب يزهد
لم تعطك الالقاب الا همة … ملء الوجود وأنعم لا تنفد
فأريت أهل الشرق أن صلاحهم … بنفوسهم لا بالملوك مؤكد
وأبنت للمغلوب علة عجزه … ومراس غالبه فهم يتلد
من بعد ما أمضى الليالي خائفاً … مترقباً أو ذا شكاة يحقد
وأضله نفر يرون نجاته … في أن يسبوا من بغى ويعربدوا
وفقت بينهما فذو غرس كما … ترجو وذو رزق يطيع ويحصد
ذكروا نصيحتك التي لو صانها … زعماؤهم من قبل لم يستأسدوا
لولاك لا تبعوا العناد فقاتلوا … واستهدفوا أو أذعنوا فاستعبدوا
فلو احتذى منهم مثالك خمسة … عاد الفخار اليهم والسؤدد

يتطلب الدستور أقوام ولو ... وليت حكم شعوب قيصر أخلدوا
وغدا بود غلاته وحماته ... لو أطلقوا لك أمرهم وتقيدوا
وقضيت فيهم مستبداً عادلا ... لجمعت شملهم وأنت المفرد
وكسبت مالا يكسبن متوج ... صعب الشكيمة بالجيوش موئيد

* * *

ولقد تغالى الناس في الشهوات لا ... يعنيهم في الكون الا المسجد
رانت على ألبابهم شبهاتهم ... في الدين فاتهموا اليقين وفندوا
وتوهموه مقعداً للناس عن ... علم وعن مدنية وتشددوا
وجروا سراعاً في فسيح ظنونهم ... وشكوكهم متخبطين فألحدوا
حتى اذا بلغوا المدى جادلتهم ... فأعدتهم مستسلمين فوحدوا
هل بعد ما حكمت عقلك فيهم ... يبقى من العقلاء من يتردد
أنصفت حتى ما يسر لمسلم ... متنصر حقداً ولا متهود

* * *

ما قمت بالاصلاح الا بعد ما ... قدرت قوة من يكيد ويفسد
وجعلت عفوك عن عداتك سنة ... للقادرين بها اليهم تعهد
ما الحرب تقتيل العدى لكنها ... نزع الحكيم من الورى ما عوّدوا
ما أنت في الهيجاء خصما فاتكا ... تسقي المنية كل من يتمرد
ما عذر ذي الثقة الكبيرة نفسه ... ان لم يجد عذراً لديه الحسد
وبأي طب يستطاع علاج من ... يستنكر البرهان وهو مجسد
ويرى التنقل فى الممالك بدعة ... حين ارتحالك ناقداً تتفقد
من بات غيرك والخطوب محيطة ... بالمغرب الأقصى رقيباً يرصد

لو طال عمرك حقبة وصنعت ما أزمعت صفت ولاية تتبدد
أتهم بالاعباء عنهم ثم لا يرضيهم الا الخمول المقعد
ماذا يضرك ان أبيت النفع لو حجبتك دار عنهم أو مسجد
ما كان يبرد غلهم ياسيفهم حتى تبيت وأنت فيهم مغمد
ونطقت بالشعر الصراح مودعاً فتركته وهو الأجل الامجد
أيضيعه أحد وتلك وصية لذويه بالحق الذي لا يجحد
هذي حياة الجد في القوم الأولى هزلوا وجد سواهم يتصيد
يا مكبرين محمداً سيروا على آثاره ان الطريق ممهد
اليوم يجلو الشعر عبرة أمسكم فاستجمعوا لغد يكن لكم الغد

رثاء المفتي

لحضرة الشاعر الاديب حسن أفندي صبحي (من طنطا)

مضى قضاء الله في عبده فما احتيال الناس في رده
لا حول للمرء ولا قوة تعصم فاه من ردى ورده
الموت سيف فوق هاماتنا آجالنا تجري على حده
كم آمن يخطر في أهله وحتفه يخطر في برده
وبارق أفرحك الدهر في ايماضه والحتف في رعده
قد احتسبناك أباً راحماً زعزع ركن الدين من فقده
على الذي الارزاء من عنده ونائبات الدهر من جنده
لنا بموت المصطفى عبرة مثلى وبالفاروق من بعده
فأنت مذ واراى حجاب الثرى جسمك ماس غاب في صلده

أو درة دررت الى لجة — أو صارم رد الى غمده
رب رجال بل ذئاب عوت — من زمن كنت أبا أسده
واستعبدوا الشرع لخرته — حين أتى يرسف في قيده
عز عليك الدين اذا هان في — قوم قضوا عمداً على مجده
عضوا على القشر بانيابهم — كأجرب عض على جلده
وأفلتوا اللب فما أفلحوا — وابتعدوا بالشرع عن قصده
هم أطاعوا أمر أحلامهم — فأخرجوا الحق الى ضده
وطاعة الجهل على غيه — معصية للعقل في رشده
فبعدك الفقه هوى ركنه — وانفرط التوحيد من عقده

***

وقائل فسر لنا آية الـ — موت فيالله من حقده(١)
اما كفاه ان خير الورى — فسرها قبلك في لحده
مات كما مت فلم تفده — رسالة الله ولم تجده
وان تمت بالداء مستعصياً — فالداء لم يردك عن عمده
وليس في عزمك من حطة — تزريك في عجزك عن رده
فالبحر لا يملك من نفسه — في جزره شيئاً ولا مده
وحيلة العاجز في دفعه — للموت كالمفرغ من جهده

(١) يشير الى أبيات ثلاثة نظمها أحمد شوقي بك شاعر الخديو أنكرها الناس عليه وهي

مفسر آي الله بالامس بيننا — قم اليوم فسر للورى آية الموت
رحمت مصير العالمين كما ترى — وكل هناء أو عزاء الى فوت
هو الدهر ميلاد فشغل فمأتم — فذكر كما أبقى الصدى ذاهب الصوت

ما اكفر الشامت والدهر لا ... يترك من شيء على عهده
من غره العمر فلا يغره ... بالناس ان الموت لم يرده
ما أسرع الدهر الى دأبه ... في نقضه المبرم من عهده
ايعاده أصلح من وعده ... وهجره انفع من وده
وبعده أقرب من قربه ... وقربه أبعد من بعده
جانبت داراً ظلها زائل ... وبت جار الله في خلده

وقال الاديب حسين أفندى عبد الفتاح الجمل

ياراحلا اجدى ترحله الاسى ... ومضى كما يمضي الغمام حميدا
ماذا تركت لمعشر عزب العزا ... عنهم نخلد حزنهم تخليدا
هل غير علمك في البلاد تعلة ... للنا هجين سبيلك المحمودا
ومن اتخذت على العلوم خليفة ... اني لأرجو أن يكون «رشيداً»

لسان الصدق

لحضرة الاستاذ الفاضل الشيخ حمزة الفقي

أرقت ولذ لي فيهم سهادي ... وهمت وقد تهنوا بالرقاد
سألت الوصل قالوا يا معنى ... معاد وصالنا يوم المعاد
وناديت القبور وقد أجابوا ... أهذا الحشر أم يوم التناد
رجعنا للرماد وكل حي ... وان بلغ السها فالى الرماد

(وقال عن لسان الفقيد)

رجعنا للتراب وقد تركنا ... لطلاب العلا سبل الرشاد
ومارسنا العلوم وقد أبنا ... لمن يرجو الهدى عين السداد

وقـد قمنا بجـد واجتهاد | وأوضحنا الحقيقـة للعباد
وعممنا المعارف في البرايا | وما قصرت في نفع البلاد
وقاومت الجهالة فاستكانت | ولي في أهلها أجر الجهاد
فللنا حدها بحسام عزم | يرد الخصم مفؤود الفؤاد
(فهانوتو) رأى رجلا كريماً | يذب يراعه عن خير هاد
ودين محمـد أقوى وأرقى | من التضليل أو نزق المعادي
وكنت أود لو جدلا تمادى | وكنت أريكمو عقبى التمادي
فملة أحمـد بالحسن تجلى | يرق للطفها قلب الجماد
واضمرت الصلاح لأهل عصري | فما فهموا وقد جهلوا مرادي
وحاربني الزمان ولن أبالي | ودست بأخمصي شوك القتاد
ومذ رمت الفلاح تناوشتني | بسهم اللوم ألسنة الاعادي
فيا مصر الا سيفة جاملينا | وجري بعدنا ثوب الحداد
فلو دمنـا لدام العـلم يسمو | ولو عشنا لأصبح في ازدياد
وعار ان يسود الجهل بعدي | وأنتم نخبتي وذوو اعتقادي
فلا تهنوا فسيف العلم ماض | ليوم كريهة أقوى عتـاد
وروحي بينكم كالضوء تسري | فلا يوهي عزائمكم بعـادي
لجثماني بترب قد توارى | وسري بينكم كالشمس بادي
تركت لكم علومي فادرسوها | فمنها يستقي من بات صادي
وقابلت الاله بخير فعل | وحسن بضاعة وجميل زاد
وفلت حدتي وشبا لساني | فويل للطروس وللمداد
وعزت عن الفضائل اجتليها | فيا لهفي وما كان اعتيادي

وبات عكاظها يبكي وينعي عميد الفضل أوقس الايادي
وبين جوانحي كنز ثمين أقول القول لا أخشى انتقادي

* * *

محمد كنت فينا خير داع لدين الحق زينة كل ناد
عليك سلام ربك ماتباكت كرام الناس من حضر وباد

وقال المؤرخ الاجتماعي والكاتب الشهير رفيق بك العظم

ان الأسى بعد هذا الخطب لمفقود والمبكيات وان جلت أناشيد
مابعد خطبك خطب نتقيه وهل يحس يوما بوقع السهم مفؤود
ياغرة الشرق ان الشرق في هرج وكل أهليه مذعور ومزءود
لمانعاك لسان البرق واضطربت لفقدك الارض واهتزت بنا البيد
وقيل هذا عميد المسلمين قضى والقوم من حوله باك ومعمود
لو ساومتنا المنايا فيك ماظفرت بأعليك وفي الانفاس ترديد
لكن من عادها خطف الرجال فما يغني النضال ولا تغني المناجيد
من للارامل والايتام بعدك من لابن السبيل اذا أنبتّتْ به القُود
من للمشاكل ان مرت وليس لها الاك حين يقال اشتد تعقيد
أحييت قومك والاسلام واعجبي محيي يموت وميت الامس موجود
وكافحتك الخطوب الدهم فانقلبت وكل ذي شوكة ناواك مخضود
فما لعزمك فلته المنون وما لعلمك الحي وهو اليوم موؤد
وما لهمتك الشماء قد وهنت وغاض فيضك عنا وهو مورود
لله رزء أصاب الدين حين قضى مفتيه وانهد ركن منه معدود
قضي محمد والاسلام في دعة منه وكل رجاء فيه معقود

قد كان يصدع بالحق المبين فما … يثنيه عنه من الاعداء تنديد
حتى جنى ثمر الاصلاح مغتبطاً … فتح من الله أوتيه وتأييد
وناط بالله آمالا فأدركها … كأنما هو بالتحقيق موعود
فاين منه شيوخ العلم قاطبة … وأين من عزمه الصم الجلاميد
شجاعة وترامي همة لمدى … هيهات تبلغه في فسها الصيد
وحكمة نفثت في صدره فغدا … يمدنا منه تفسير وتوحيد
ياراقدا في الثرى اوحشت قومك من … علم وجود فلا علم ولا جود
أنبتَّ فينا نباتاً للهدى حسنا … وسوف يأتي زمان وهو محصود
وجدت بالنفس تفنيها لتنفعنا … كأنما أنت للاصلاح مرصود
فنم طويلا بعفو الله مغتبطا … فأنت والله في الاحياء معدود
ومن يغادر ما غادرت من أثر … حياته أبداً ذكر وتخليد
أحسنت في الدين والدنيا فنم وعلى … جلال قبرك ظل الله ممدود

وقال الفاضل عبد الرحمن افندي عزمي بادارة بوستة الاسكندرية

عزاء على فقد الامام محمد … عزاء على طود العلوم المشيد
عزاء على ركن من الدين قد هوى … وبحر بأمواج المعارف مزبد
عزاء على حصن حصين ومعقل … منيع وسيف للاآله مهند
تبدات الايام حتى كأنها … من الحزن في ثوب من الليل أسود
وحالت فمن ذا نرتجيه لغارة … تطيش لها الاحلام في كل معهد
ومن ذا (يضيء النهج والليل قاتم) … ويرشدنا للحق ياخير مرشد
رحلت وللعلم المبين مدامع … تسيل وللاسلام لوعة مكمد
وردت حياض الموت جذلان باسما … فأوردتنا حوض الانين المردد

توسدت أطباق الثرى لك مضجعاً فكم في الثرى من كل قلب موسد
وهل أنت الا كوكب يهتدى به اذا ضل عن نور الحقيقة مهتد
وهل أنت الا آية أرسلت لنا تبين آيات الكتاب المجدد

(ومنها)

فديتك هل ألفيت غير حشاشة تذوب أسى أو غير جفن مسهد
وغير زفير قد أكنته أضلع تراوح ما بين البكا والتنهد
دعوت اصطباري حين ولى نخانني وجدت بدمع كاللآلي منضد
وناديت قلبي والدموع غزيرة (رويدك لا تهلك أسى وتجلد)
فيا راحلا عنا الى خير منزل لساحته الابرار تهفو وتغتدي
حباك آله العالمين بفضله عن العلم خيراً أو شريعة أحمد
سنبكيك ما الشمس المنيرة أشرقت وما غيبت في الغرب عنا الى غد
وما صال ابطال اليراع وسددوا سهامهم في كل ناد ومشهد
وما لاح في الشرق الضئيل تطلع لنيل علاء في طريق ممهد
سنبكيك ما في الغرب قام معاند وأشهر نحو الشرق كل مهند
سكبنا دموع العين وهي عزيزة وكم من عزيز هان بعد محمد

يوم وفاة الامام نظم الابيات الآتية الوجيه عبد الله بك شريف عمدة صهرجت الكبرى بالدقهلية ثم طبعها ووزعها

أبا حنيفة لا دمعي بمنقطع حزناً عليك ولا همي بمحدود
قد مزق الموت ثوباً كنت لابسه من نسج حمدك لا من نسج داود
وقبل موتك لم نندب على أحد واليوم بعدك لم نحفل بموجود
وليس بعدك من يرجى لنازلة فانما أنت مفقود بمفقود

لو رتل الدهر آيات أتيت بها لم نلبس الحزن من آياته السود
مازلت تدعو الى الرحمن مجتهداً حتى دعاك اليه خيرُ معبود

وقال الفاضل علي أفندي السيد بورشة العنابر بالاسكندرية

أسفنا وهل يغني التأسف أو يجدي وقد فجع الاسلام في العلم الفرد
اذا ماقضى الله القضا فهو نافذ وان حمت الاقدار فالحر كالعبد
مصاب دهى مصراً بفقد حكيمها وأستاذها المشهور بالحزم والجد
فقدنا اماماً كان والله شاهد اذا عاش أغنانا عن الجيش والجند
هوى كوكب من مصر فاعتل جسمها وعم الاسى حتى على الصين والهند

(ومنها)

كفاك افتخاراً انك اليوم آية ولست بذي نِدّ وذ كراك كالند
محمد قد ماتت عداك ولم تمت لان لك الافضال جلت عن العد
عرفناك لما ان نبغت وفقتهم وفت الورى والشيء يعرف بالضد
لئن جحدوك اليوم والقوم حسد ففي غدهم لا يقدرون على الجحد
وبعد قليل يعرفونك مصلحاً فنم آمناً حتى ينادوك في اللحد
لبست لهم برداً يخالف شكلهم وكان الحجى والله في ذلك البرد
لقد نقموا جهلا عليك وما دروا بأن لباس الحر من حلل المجد
تصدرت للافتا فكادت صدورهم تشب بها النيران من شدة الحقد
وناصبك الجهال حتى عمائم كبار ولكن ليس فيهم أخو رشد
وهل فيه من لوم عليك وأنت قد بذلت لارشاد الورى غاية الجهد
دفعت عن الاسلام كل ملمة وأنت قوي البطش في الاخذ والرد
لقد كنت لا تخشى سوى الموت نازلا وحقاً فلم يفقدك شيء سوى الفقد

أضاعوك والاسلام في فاقة الى … نهاك وكتب العلم تحتاج للنقد
تلاقي العدى بالحلم حتى اذا طغوا … هجمت عليهم هجمة الاسد الورد
فان رمت فعلا كان فعلك ماضياً … وان قلت قولاً كان كالصارم الهندي
اذا ما رميت الخصم بالحجة التوى … وأصبح ميتاً لا يعيد ولا يبدي
تعبت وأصحاب العمائم فى هنا … وناموا وقرحت الجفون من السهد
وضعت لاعلام الشريعة مبدءاً … قويماً وبات اليوم يخفق كالبند
فمن أنت موصيه فقد حار فكرنا … ومن منهم يدعى وليك في العهد
فيا أيها المفضال هل أنت سامع … وهل مصر بعد اليوم تظفر بالقصد
ويا فيلسوف الشرق ما أنت صانع … وقد مت والاعلام كالطفل فى المهد
ترحلت والآمال فيك كثيرة … وما ان لها من بعد بعدك من عود
سيذكرك التاريخ من بعد موتنا … ويثني عليك الناس بالشكر والحمد
اذا ما رثتك الطيبات فانما … رثاؤك شعري وهو أفضل ما عندي
عليك سلام المخلص الود والوفا … فانك بعد الموت أخلص للود
هجرت شقا الدنيا وفارقت أهلها … فلا زلت جار الله في جنة الخلد

وقال مؤرخاً

الله قد رفع الشيخ الامام الى … جواره وحباه منتهى القصد
لما رقى قلت مما بي أؤرخه … محمد عبده قد صار في الخلد

سنة ١٣٢٣ … ٩٢ ٨١ ١٠٤ ٢٩١ ٩٠ ٦٦٥

وقال الشاعر الناثر الاديب فؤاد افندي سليم

لا تعذلاني اذا ما بت مفؤوداً … فالخطب صير مني القلب معموداً
وخلفاني كسيف البال مكتئباً … أبكي أسى وأقضي الليل تسهيداً

أبعدموت (امام الدين) يسمح لي دهري وأبصر عقدالانس منضوداً
أبعد ماقد ثوى في قبره ومضى أروم عيشاً وأبقى فيه مجدودا
مات الامام وفخر الدين فانقلبت أضواءُ ايامنا من بعده سودا
من للمعارف والفتيا وربهما أضحى بحكم قضاء الله مفقودا
من لليتامى ومن للبائسين وما لغيره نسبوا الاحسان والجودا
من للمجالس والشورى وقد فقدوا من كان فوق رجال العلم تسويدا
قدكان سيفاً بكف الحق منصلتا فكيف أصبح في الارماس مغمودا
قد كان ركناً لدين الله يعصمه فكيف أصبح هذا الركن مهدودا
جرى القضاء بأمر لا مرد له وكان قبل قضاء الله مشهودا
فقدس الله روحاً منه طاهرة وزاد ذكراه بين الناس تخليداً

كتب الينا الفاضل فؤاد أفندي مغبغب باشكاتب مديرية أعلى النيل بالسودان كتاباً وصف فيه حزنه على الامام وقال انه لسوء حظه لم يره ولكن قرأ له في مجلة المنار ما قرأ ثم قال « وقد بلغني الخبر المحزن وأنا أطالع كتاب الاسلام والنصرانية الذي لايمكن لاديب أن يقرأه سواء كان مسلماً أو نصرانياً بدون أن يعترف بفضل الامام الكاتب ويعجب من قوة براهينه وحجته . وقد كتبت الابيات المدونة بالورقة المرسلة مع هذا واني مقر بأنني لست شاعراً بل هذه أول أبيات نظمتها في حياتي » ثم خيرنا في نشرها واننا ننشر منها مايأتي شكراً لاخلاصه قال

وقع القضاء فخاب منا المقصد وقضى الآله بأن يغيب الفرقد
فلذا ترى شمل الأسى كل الورى ولطرف أهل العلم جاء المرمد
والكون قاطبة رثى لمصابنا ومناقب المفقود بات يردد
بكت المكارم ربها وكذا النهى وبكته كل الأرض حتى الجلمد

رب المعارف والفضائل والتقي وامام كل الشرق كان محمد
لولا اتقاء الكفر والاشراك بالو حمن كان له يخر ويسجد

وقال الفاضل محمود افندي خيرت احد معاوني الادارة من قبل وطلاب الحقوق الآن وقد حذفنا قليلا منها

خطب دهانا راع كل فؤاد واضاع في الاسلام كل رشاد
فانهل محمر الدموع من الاسى يحكي انهمال السحب وهي غواد
ولرب رزء يستخف به الفتى فيمر مثل الطيف عند رقاد
لكن رزءاً مثل رزء محمد كنز الفضائل ليس رزأ عادي
فلقد يكون بفقد فرد واحد فقد يحل بسائر الافراد
يا أيها السمح الذي ضنت به ايدي المنون وانهن عوادي
انا لنذكر ذلك الجهل الذي دارت رحاه فساد كل فساد
حتى بعثت لنا لتهدينا الى خير السبيل بحكمة وسداد
فقضيت أدوار الحياة مجاهدا في محو ليل الجهل خير جهاد
ونشرت أنوار المباديء بيننا نختال في حال من الارشاد
وأعدت للاسلام سالف عزه فغدا بفضلك شامخ الاطواد
وتبسمت أعلامه خفاقة في حين أخفق سعي كل معاد
يا أيها السند الذي خسرت به في مصر روح العلم خير عماد
قد كنت هادينا الى سبل الهدى ولقد ذهبت فما لنا من هاد
انا لنؤثر فيك أنفسنا فدى لو ان داعي الموت يقبل فادي
ونصيح فوق ثراك ماعشنا المدى لو كنت تسمع صوت كل منادي
ونذيب أكبادا عليك سليمة لو رد روحك ذائب الاكباد

جفت مدامعنا عليك من الاسى | وكذاك بعدك جف كل مداد
ورثتك أقلام بكفك لم تكن | الا قذى في عين الاستبداد
ونعتك سوق العلم تندب حظها | لما كساها الحزن ثوب كساد
وبكتك آيات الكتاب وقد قضى | حامي معانيها من الاحقاد
ياقبر انك لم تضم محمداً | جسداً لديك كسائر الاجساد
لكن ضممت الدين والدنيا وأخـــلاق الكرام وصولة الآساد

﴿ مرثية للمرحوم العلامة الامام الشيخ محمد عبده ﴾

لحضرة الفاضل محمود فؤاد أفندي الجمالي بمجلس النظار نلخص منها ما يأتي

الروح تنأى ويقبر الجسد | ونحن نمشي وبيننا الحسد
والناس قسمان ضل بعضهمو | وبعضهم يصلحون ما فسدوا
ياراقد الجفن هل أمنت غدا | قم نبه الجفن فالحمام غد
ان غدا بيننا لحاملة | في الحي هلا علمت ما تلد
كنا وكان الامام سيدنا | مابا له سار وهو منفرد
قد طبق الافق ذكر حكمته | وهو على الله عاش يعتمد
فلو شكونا الزمان من نوب | اليه بات الزمان يرتعد
يكفيه ان الاله فضله | والعدل فيما يقول والرشد
فليس للعلم بعده أحد | وكيف يرجى من بعده أحد

وقال بعد تنويه باصلاح الدين واللغة وتعريض بمن عبثوا بهما

فارجع الى ربك الذي وسعت | رحمته الناس قادر صمد
لجنة الخلد منك في جذل | وان للمتقين ما وعدوا

رثاء الامام فقيد الشرق

وقال الشاعر المجيد محمد افندي امام العبد الشهير

فداك أبي لو يفتدى الحر بالعبد … لان حياة الآل بعدك لا تجدي
نقمت على الايام بعد محمد … وقد غدرت بي بعد ما حفظت عهدي
وكيف يطيب العيش للمرء بعد ما … تلاعب ذاك الدهر بالاسد الورد
ذهلت فلم اعلم اماء غمامة جرى … ام دموع العين فاضت على خدي

(ومنها)

منى النفس ان تبقى لترشد أمة … ابى الجهل ان تهدى الى منهج الرشد
خلقت لها فاستعصمت بظنونها … وسارت الى قصد وسرت الى قصد
فمن لكتاب الله اذ غالك الردى … وغادرته كالفكر يسري بلا حد
ومن للهدى والعقل كالليل مظلم … ومن للمعالي والفضائل والمجد
خرجت الى الاولى ببرد من السنى … وعدت الى الاخرى ببرد من الحمد
ولو عرفتك الناس بعد محمد … لما زعمت ان الهداية للمهدي
وكنت ذكاء ما اهتدوا بضيائها … لانك كنت النور للاعين الرمد
تحارب أرباب الضلالة بالهدى … لتبدل ذاك النحس في مصر بالسعد
وتركب متن الصعب من غير جحفل … كأنك بالاقدام والرأي في جند
فيا دافنيه ما دفنتم محمدا … ولكن دفنتم آية الله في اللحد
سئمت حياتي بعد موت محمد … ولو أنني بشرت في الدهر بالخلد
فيا ثاويا في قلب كل موحد … عليك سلام الله في القرب والبعد

وقال الاستاذ الفاضل الشيخ محمد جوده أحد علماء دمياط والعضو بالمحكمة الشرعية الكبرى بمصر

هنيئاً لمفتي الديار بمصر بدنيا وأخرى سما القوم مجده
قضى عمره في أشد جهاد وما الجاه او نضرة المال قصده
ولكن يناضل عن خير دين ويدفع عنه الردى ويرده
وما بارزته الاجانب الا تكلل بالنصر والفوز جنده
به ازهر العلم طاب جناه وفاح شذاه وازهر ورده
وكان به مجلس الوقف أعلى ومستخدموه اتى الكل رفده
له في القوانين منشور عدل فقوق اللوائح يخفق بنده
له صائب الرأي والامر شورى له باهر النصر والدهر ضده
له همم ترهب البيض منها فكم صارم ظال يخفيه غمده
له شيم كالحدائق لطفا حلت مشربا راق للذوق ورده
فتاريخه كله حسنات على صفحة العصر يقرأ حمده
أقام سعيدا ومات حميدا وراح شهيداً فلله سعده
دعاه آله كريم فلبي سريعا بفرط اشتياق يمده
فان ودعته الالوف فحدث عن الملا استقبل الروح وفده
فكم من ملائكة في انتظار وكم من وصيف تهلل خده
بمقدار ما اشتد حزن البرايا تبسمت الحور وانسر لحده
سيلقى بدار الخلود جزاء ويشهد مالم تقدمه يده
رأيت الخلائق تهدي اليه من الاجر ما ليس يحصر عده
فمنهم أخ يسأل الله رحمى عليه وللذكر يشتد وجده

وآخر يهديه من حسنات ويحمل امرا فيضعف جهده
نفائس تأتي اليه جزافا فيشرق منها على الجيد عقده
على انه كم عفا عن مسيء وسامح عن قدرة من يصده
ويا ربما اغدق الخير فيهم ووافاهم بالمبرات جده
فيا ربنا اغمر ثراه ببر فكم سار للبر واهتز قده
وعوضه عن عين شمس مقاما بجنات عدن يطب فيه خلده
اجاب نداك وقد أرخوه مضى لكريم (محمد عبده)

٨١ ٩٢ ٣٠٠ ٨٥٠

سنة ١٣٢٣

مرثيتان بتاريخين

نظم الفاضل صاحب التوقيع قصائد ومقاطيع في الرثاء في كل منها تاريخ أو تاريخان فاخترنا منها ما يأتي من قصيدتين وهو

الكون ممتلئ سوادا والشرع قد لبس الحدادا
والناس من هول المصيبة كلهم فقدوا الرشادا

(ومنها)

كيف التصبر والمنـ ـية خانت المفتي العمادا
مفتي الديار وقطبها علما وفضلا واجتهادا
بل عالم الدنيا الذي انقادت له الدنيا انقيادا
بل حجة الدين الحنيـ ـف اذا تكلم أو أفادا
بل آية الله التي حج الاله بها العبادا
من للشريعة بعده يرجى اماما واعتمادا

أو من لوحي الله يظ ـهر من بواطنه المرادا
أو للفتاوي كلما زادت مشا كلها انعقادا
أو للتقى والوعظ والار (م) شاد لا يألوا جهادا
أو للعلوم يحل من معقول معناها القيادا
خلت الديار فليس بعـ ـد (محمد) نرجو عمادا
من قال لا فليأت بالـ ـبرهان أو يذر العنادا
من ذا يطاوله وكا ن يطاول السبع الشدادا
ولقد أتى تاريخه في بيت شعر لا يحادى
طاف الردى بمحمد بسكندرية في جمادى

٩٠ ٢٤٥ ٩٤ ٧٤٦ ٩٠ ٥٨

سنة ١٣٢٣

مالقلبي عن السرور تجرد واستبد الأسى به وتفرد
قد دهي الناس هول يوم عصيب مس فيه الردى حياة {محمد}
ذلك المرشد الامين الذي اطـ ـلق بالهدي كل لب مصفد
ذلك المصلح الذي دأبه الرأ ب لما أنشأ الفساد وأوجد
ذلك العالم الامام فقيه الـ ـكون طرا ملاذ من يتشهد
الامام الجليل حجة أهل الـ ـعلم ذو الاجتهاد في دين أحمد
الامام العليم مظهر سر الـ ـوحي مفتاح كل علم مؤصد
الامام الحكيم من كان للار واح طبا وللبصائر اثمد
فيلسوف الاسلام آية اعجا ز النهى مرجع الكلام الاوحد

التقيّ النقيّ محيي لنا الد (م) ين بروح من الاله مؤيد
صاحب الوقت حجة الله في اله المرب الهدى السراج الموقد
لهف نفسي عليه اذ حملوه وهو في نفسه مسجى ممدد
حملوه على الرقاب يسيرو ن بطود من الرواسخ مفرد
حملوه وسار من خافه النا س حيارى حسراتهم تتردد
حملوه الى مقام كريم ونعيم لدى الاله مخلد
كيف لا وهو قد أقام لدين الله (م) في الناس بيت عز مشيد
أيهذا الحكيم مالك في صم ت وعهدي بك القؤول المسدد
كنت فينا طلق اللسان جليل ا فعل عف المقال في كل مشهد
كنت فينا أبا اليتامى ومعوا ن الايامى وذخر كل موحد
كنت فينا اذا هممت بأمر ماضي العزم كالحسام المهند
كنت فينا من الوقار مهيباً طيب النشر بالجلال مقلد
وحمام الامام خطب جسيم مطلق في الوجود غير مقيد
ليس يبلى ولو تقادم عهداً فهو فينا مدى الحياة مجدد
لا تأسي لنا ولو أرخوه في نعيم الخلود قرّ محمد
سنة ١٣٢٣ ٩٠ ١٧٠ ٦٧١ ٣٠٠ ٩٢

محمد فاضل

صاحب جريدة المطالب

وقال الاستاذ الاديب الشيخ مهدي أحمد خليل من معلمي المدارس الاميرية

هوى فوق هام الفضل عرش من المجد وغاضت من الدنيا بحور من الرفد
هو الدهر يطوي كشحه عن ذوي النهى ويفتح حضنيه الى القمدد الوغد
وددناه أزماناً فعادى ومثله يجازي أعاديه على البغض بالود

وهـذي الليالي ما رمتنا وأنمـا ... رمت نفسها بالسهم في موضع الحقد
وما نحن غيبنا امرأ في غيابة ... من القبر بل علما دفناه في اللحد
خذوا قودا للفضل من بنت دهره ... فقد قتلت نفس المكارم عن عمد
فياليتني عوجلت بالموت قبله ... ويا ليت صرف الدهر أمهله بعدي
فهذي خطوب الدهر سدت مسالكي ... وذي نوب الأيام قد كدرت وردي
تنازعني في فقـده عامـلا أسى ... فجسمي في سقم وروحي في جهـد
ولي كبد محروقة من لظى الأسى ... ولي مقلة سالت دماء على الخـد
تولى فأجفان الأباطيل في كرى ... طويل وأجفان الحقائق في سهد
أذا ما بكى باك بمصر لفقـده ... أجاب صداه في الشآم وفي الهنـد
أذا الشرق لم يجزع لموت إمامـه ... فقد آثر الشرق الضلال على الرشد
فكيف نرجي بعـده صفو عيشة ... بدار عـلا فيها الشقاء على الجـد
رجوناه للجلى فعاجـله القضا ... وقد ينبت الحرمان في غيضة الكد
رمينـا به الأيام فارتاع ابهـا ... وباتت أكف الحادثات بلا زند
تطيش نواحيه اذا سئل الجدى ... وتثبت أن أوفى على الأسـد الورد
حبته علوم الدين حمـدا وأنما ... يضوع بجو الجود عرف من الحمد
فمن بعـده الاوقاف تندب حظها ... ومن بعده الفتيا تنوح من الوجـد
وفي مجلس الشورى كآبة واجد ... على رجل الاصلاح والبطل الفرد
وجمعية الاسـلام تذرف دمعها ... على كعبة الآمال والنائل الجعـد
وذا الكون مذ سارت للحد ركابه ... تدثر في ثوب من الحزن مسود
لئن أرجع الرحمن للخلد عبـده ... فان مآل العاريات الى الرد
حياة المعالي في حياة محمـد ... وفي موته موت الفضيلة والمجـد
الى ساحة الرحمن سار مكرما ... ونحن بدار الهون نرسف في قيد
تباعـد في قـرب المزار فأنه ... هو البدر يدنو وهو في منتهى البعد
أقام (بعين الشمس) فاشتاق بعدها ... الى منزل أعلى فسار الى الخلد
على قـبره غيثان غيث ترحم ... وغيث دموع فاض من مقلة (المهدي)

مرثية لفقيد الاسلام المرحوم الشيخ محمد عبده

من نظم الاستاذ الاديب الشيخ احمد الاسكندري من معلمي المدارس (ناظر مدرسة معلمي الكتاتيب بالفيوم الآن)

من الموت لا ينجو مسود وسائد ... فياشامتا في الموت هل أنت خالد
وهل أنت يا ابن الميتين تعاف ما ... تجرعه من قبل أم ووالد
بلى انه الانسان ينبت للردى ... فما ذاك محصود وذلك حاصد
وذو الروح بين الحل والعقد دائر ... من الطين يأتي وهو للطين عائد
ولو ان عبد المال بالعيش عهده ... لقام له من دون ربك عابد
لنا في رسول الله أحسن أسوة ... وفي آله الاطهار للصبر قائد
لئن بك مفتي مصر قابل ربه ... وآهل منه الرمس أروع ماجد
لقد كان يجلو الخطب والخطب دامس ... وقد كان ينكي الخصم والخصم حاقد
وقد كان بالاسلام يقترن اسمه ... ويقصد بعد الله والله واحد
وقد كان عضباً لا يفل غراره ... اذا ثوّب الداعي وعز المساعد
وكان اذا ما صاح بالدين صائح ... وطافت عليه البارقات الرواعد
ونالت يد الاعداء منه وفوقت ... الى ابه منهم سهام صوارد
فما هي الا نفثة من بيانه ... يجيش بها صدر على الزيغ واجد
فكل فؤاد بين جنبيه واجب ... وكل لسان بين شدقيه جامد
فأسفر دين الله أبلج ناصعاً ... وشبهات أهل الافك عنه شوارد
عزائم أغنتنا عن البيض والظبى ... على حين أبلسنا ونام المجاهد
فمن لمريد الحق بعد محمد ... اذا خانه في الحق دهر مناكد
ومن لليتامى والارامل بعده ... ومن يتولى أمرهم ويساعد

فيا راحلا عن أمة لم يكن بها ... سواك يرامي عنهم ويجالد
لئن جهلوا بالامس قدرك بينهم ... وفيك سعى منهم غشوم وحاسد
لسوف يرون النائبات تنوشهم ... ولا دافع اذ ذاك عنهم وذائد
وسر حيث يرتاح الكرام فطالما ... جهدت وما يجدي المناحيس جاهد
وسر أنت مبكياً عليك من العلا ... باحسن ما يبكي حبيب مباعد

وقال الاستاذ الاديب الشيخ محمد عبد المطلب المدرس في المدارس الاميرية

الى الله في رضوانه سار (عبده) ... مجداً فأبكى أعين المجد فقده
بكى الشرق لما قيل أودى (محمد) ... بجفن من الاحزان أدماه سهده
بكت مصر من ابنائها بحر حكمة ... اذا مد يغشى سائر الارض مده
بكته السحاب الغر كان يمدها ... نداه الذي عم الانام ورفده
بكته الايامى والارامل من لها ... سواه اذا واراه في الترب لحده
بكته اليتامى والمساكين حسبهم ... أسى بعده ريب الزمان وجهده
بكت حلقات الدرس كانت مآبا ... يشار بها أزري الكلام وشهده
بكى القلم الفياض جف مداده ... وقد كان من سحر البيان يمده
فيالبني الاسلام دعوة واجد ... بحر الأسى أفني الجوانح وجده
أعيروه قلباً لا يذوب لحادث ... أصيب به الاسلام واندك طوده
هوى كوكب العلياء غيبه الثرى ... ويا أسفي لا يرتجى بعد عوده
هوى بدر تم كان نوراً لقومه ... وسيفاً لدين الله واراه غمده
فكم من يد للدين أسدى وموطن ... تبين فيه للذي ضل رشده
وما نسي الاقوام موقفه الذي ... به رد (هانوتو) وقد ضل كيده

وكان يظن ابن الفرنسي انه ... أتى بالذي لايمكن الناس جحده
ويوم رمى الافرنج دين محمد ... بمنكر قول أعجز القوم رده
وقالوا ضلالا دين ظلم وقسوة ... قضى بهما فيه حسام وحده
تجرد فيهم مقولا ذا ذؤابة ... صقيلا بنور الحق يزهو فرنده
وصال عليهم صولة رجعوا بها ... يعافير دو تقتفيهن أسده
ومهما تعالى باطل بين معشر ... وأيده جهلا على الحق جنده
فللحق سيف لو نضاه مدافع ... عن الحق في صلب الحديد يقده
ولكن اذا لم يحمل الامر ناصح ... خبير بسبل الرشد لم ير زنده
سقى الله قبراً حل فيه محمد ... رضاء يظل الدهر ينهل جوده
وأنزله في حضرة القدس منزلا ... يطيب له فيه نعيم وخلده
تولى وأكباد المعالي قريحة ... عليه وحزن المكرمات أشده
وخلى الندى والعلم هذا مودعه ... غزار وهذا ينفح الارض نده
فلم يرث أهل الدين والعلم مثله ... اماماً ولم يخلفه في الناس نده
فياثاويا في لحده وهو روضة ... يضوعه فيها عبير ورنده
يحييك ذو حزن عليك ولوعة ... اليك بما يسطيع في القول جهده
تحييك بالرضوان والفوز أمة ... لها منك ارشاد النصوح ورشده
ويامعشر الباكين حول ضريحه ... سلاماً له يستغرق الحصر عده
فديناه لو أنا ملكنا فداءه ... ولكن حكم الله ماض ووعده

﴿ حرف الذال ﴾

﴿ رثاء الامام فقيد القطر الشيخ محمد عبده مفتي مصر ﴾

من مراثي الفاضل محمد افندي ابو طالب الاسكندري

عم المصاب فكلنا أمثال مذ غيبت أيدي الردى الاستاذا
سلبت به مصر أجل ذخيرة اذ كان فيها للعفاة ملاذا
قد كان يطمع في الحياة لكي يرى مصرا تفوق بعلمها بغداذا
فأبى عليه الجاهلون مراده ولكم تصداه السفيه وآذى
لكن بحسن تدبر وروية راحت قلوب معانديه جذاذا
من مثله أمضى الحياة مدافعاً عن دين أحمد هادياً ومعاذا
من مثله قرأ الكتاب مفسرا وعلى القلوب استحوذ استحواذا
من مثله في المكرمات وكفه أحيا نداها من به قد لاذا
ياليت شعري هل لذلك وارث يدعو فينقذ مصرنا انقاذا
ياليت شعري هل أرى من أمتي حبرا يكون فؤاده فولاذا
والله بعدك يا محمد لا نرى شيخاً لسيف عقولنا شحاذا
فعلى ضريحك يا امام سحابة تهمي عليه وابلا ورذاذا

﴿ حرف الراء ﴾

نظم الفاضل صاحب الامضاء هذه المرثية فاخترنا أوائلها وهي

يا نائيا بالله صبرا كيما تمتع منك مصرا
روعتها بالخطب إذ فاجعتها وأفلت قهرا
خلفتها في مهد عز (م) عم في الآفاق ذكرا

بين الحواضر كالعرو س تفوق أعلاهن قدرا
كم من يد بيضاء منـ ـك بسطتها وكشفت ضرا
بالجد كم أذخرتها من كل كنز فيك ذخرا
في الدين كم جاهدت اذ آتيتها بالعلم فخرا
هذا كتاب الله يز منك بالتفسير قدرا
أظهرت فيه حقائقا خفيت عن الابصار دهرا
بالحزم كم أجريت في مجرى السياسة منك بحرا
وقد ارتوى من فيضه قوم براح الذل سكرا
نهضوا ولكن ما البثـ ـت اذ المنون دهتك غدرا
فتركتهم والغرب يضـ ـحك اذ أتته اليوم بشرى
والشرق يندب حسرة بغزير دمع سال نهرا
يا مصر كفي عنك لا يجدي الحزين الحزن أمرا
الا انحطاط عزائم كانت لعين (الحمر) سحرا
لكن (امامك) فيك أو لح حيث انبت منك نضرا
خلفا له عونا على التـ ـحرير والأقلام أحرى
فالناس بث العلم فيـ ـهم روح ذاك النهج عمرا
حتى بدت فيهم بشا ئر نهضة الاسلام بكرا
لله من أثر أضا ء بمصحف التاريخ شطرا
لك يا اماما كنت قبـ ـل اليوم للتمهيد صدرا
فلقد أتاك الأمر من أعلاك واستدعاك سرا

ليت الكن في قلو ب الناس قد أضرمت جمرا
أسفاً عليك فكل از سان اتربك صب قطرا

أحمد شكري

بميت أبو الحسين (دقهليه)

﴿ رثاء الاستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ﴾

لحضرة الاديب حسن افندي السفطي بجمرك بور سعيد

لا تسل عن مدمعي كيف جرى فوق خديّ يجاري الانهرا
ودع الاحزان لا تبقي على مهجة حرا عراها ماعرا
واطرح الصبر فقد حال الاسى دونه حتى غدا مستنكرا
أي صبر بعد خطب لم يزل جمره في مهجتي مستعرا
أي صبر بعد ان مات الذي لم يكن للدين (الاعمرا)
كان للاسلام منه ملجأ أقبل الدهر به أو أدبرا
كان للعافين جوداً صيبا وذوي البؤس سحاباً ممطرا
ما سمعنا قبل هذا الرزء ان تدفن الحكمة في بطن الثرى
من لنا بعدك هاد مرشد يرأب الصدع ويحي (الازهرا)
من اليه تسند (الشورى) ومن يكسب (الافتاء) حظاً أوفرا
ماعهدنا قبل ان حل الاسى ان نرى بدر العلا مستترا
كنت للشرق حياة وهدى كنت في العصر تباهي الاعصرا

* * *

يا أبا الطيب إما شعرا وابن زيدون اذا ما نثرا
وابن ادريس بشافي فقهه وابن عباس اذا ما فسرا

أوقع الدهر بنا فانفطرت ... مهج سالت نجيعاً أحمرا
غالك الموت اماماً مصلحاً ... فغدا قلب التقى منكسرا
ليت شعري هل رأوا بعدك من ... يحسن السير ويحيي السيرا
في اعتقادي انهم لن يجدوا ... ولعمري كل حي سيرى
أمة قد فقدت واحدها ... فبمن تأمل ان تستنصرا
فقدت فيه شعوراً طاهراً ... بين جنبيه وقلباً أطهرا
فقدت فيه صلاحاً ظاهراً ... ونجاحاً في المساعي أظهرا
كم رأى الاسلام منه نصرة ... يوم لاقاه العدا فاستظهرا
عزمة وجهتها الحق اذا ... وجهت تعنو لها أسد الشرى
همة كم حاولوا اقعادها ... فأبت ذاك الجمود المنكرا
وعلا لو نسب النجم له ... كان في جانبه مستصغرا
كيف أودى ذلك المجد الذي ... ملأ الآفاق حتى اشتهرا
كيف يقضي الحلم والعلم معاً ... رزئ الشرق فعاد القهقرى
تلك حال الدهر ما أبقى على ... أمة الا بها قد غدرا
قد ظننا العيش صفوا سائغاً ... وحسبنا الدهر يغشاه الكرى
فجع الاسلام في ناصره ... كل صفو بعده قد كدرا
طيب الله ثراه بالرضا ... قدر ما خلف فينا أثرا
يا بني مصر عزاء انني ... لا أرى الأيام الاعبرا

وقال الفاضل حسين افندي شفيق المصري

ترد بثوب الصبر ان أمكن الصبر ... ومرني اذا بالصبر تم لك الاجر
وانا وقد أبصرت دمعك جارياً ... يحور بخارا كلما اشتعل الصدر

وكل امرئ يدعو ثبورا ونفسه تذوب فلا نهي علي ولا أمر

وقال في آخرها

فان حياة المرء بعد محمد عناء وبعد اليسر يستصعب العسر
لقد كان سباق الرجال الى العلى بحق ولا فخر هناك ولا كبر
اذا قال قال الناس قال امامنا وابطلت الآراء وانحسم الامر
ستندبه الفتيا اذا ضاق ذرعها وتندبه الشورى اذا مسها الضر
وتندبه العلياء والمجد والندى وتندبه الاقطار لا سيما مصر
فان نضب الدمع الغزير تحولت كبود الورى ماءً هو الادمع الحمر
ولو كان للاستاذ ند لخف ما نلاقي ولكن ليس كالجدول البحر
وهل يستوي الراوي الحديث بربه وهذا له قول وهذا له فكر
سلام على الاستاذ رضوان ربه عليه وان نهلك أسى فلنا أجر

وقال الشاعر الفياض خليل أفندي نظير المصري

أيود طرفك أن يبيت قريرا هيهات كلفت الزمان عسيرا
يا خاطب الدنيا حذارك انها تلد الخطوب عشية وبكورا
دارت على دارا وكم هي دمرت للملوك تدمر أربعاً وقصورا
وعدت لى عاد سوابقها التي تركت سنابكها الديار دثورا
كسرت لكسرى الصولجان وغالت سيف بن ذي يزن فعاد كسيرا
وتتبعت أثر التبابعة الذين تفيؤوا ظل الجلال دهورا
قصرت لها أيدي القياصرة الأولى كان الفخار عليهم مقصورا
قد أنذرت بالمنذرين وحذرت بابني ربيعة بعدهم تحذيرا
أمسى مهادهم الرغام وطالما تخذوا السماك أريكة وسريرا

ورضوا المنام على الهوان وقبله عافوا النمارق أن تكون حريرا
عرضت لهم سنة فلما استيقظوا كان الممات لحلمهم تفسيرا
سل عنهم هذا الصعيد فانه يدري الجواب ويحسن التعبيرا
كم ساورتني الحادثات ونفرت عن ناظري ذود الكرى تنفيرا
فوقفت وقفة اصمعي قلبه ندبا على كيد الزمان صبورا
حتى نعى الناعي الامام فلم يزل نبأ بتصديع الكبود جديرا
يا يوم قيل قضى وجاور رمسه لازلت يوما بالاسى مذكورا
كم عبرة أجريتها وحشاشة شذبتها أسفا وهجت زفيرا
ودت نفوس أن تكون فداءه مختارة لو تملك التخييرا
أهون بكل مصيبة من بعده تدع الجليل من الخطوب حقيرا
يا جابرا كسر العفاة بسيبه اليوم أصبح جبرهم مكسورا
أمحمد مالي دعوت فلم تجب حتى الكلام رأيته محظورا
ما ندرعيني في الجمود وقد عرت نكباء تدع يذبلا وثبيرا
أبكي عليك بكاء ثكلى فوجئت بوحيدها وأراه فيك يسيرا
من لليتامى والايامى أصبحت تدعو على عظم المصاب ثبورا
ومن نقوم في الشريعة أمرنا ان أحدثت غير الزمان أمورا
كم مجلس عطلته من هيبة وجلالة تدع الكبير صغيرا
كم موقف لك في الخطابة زانه لفظ يفصل لؤلؤاً منثورا
كم غمرة من بعد أخرى خضتها وخرجت منها فائزاً منصورا
لم يحسدوك وانما هم ضاعفوا لك شهرة بالفضل لا تشهيرا
لا تأس على عمائما نبهتها تصحو فتسمى سعيك المشكورا

ان يتبعوك فلا المفاسد نتقي في ديننا أبداً ولا التأخيرا
شهدوا وقالوا صالح والله يع لم أنهم لا يشهدون الزورا
لولا التقى لتخذت قبرك قبلة ولكان حجي نحوها مبرورا
ولطفت سبعاً حوله أشكو الذنو ب وأكثر التهليل والتكبيرا
ان كنت فارقت الديار فانما عوضت عنها جنة وحريرا
أو كنت غصناً صوحته يد البلى فهناك تلقى نضرة وسرورا
والصبر أجمل بي عليك من البكا لو كان أمر الصبر لي ميسورا

وقالت الأديبة الفاضلة زينب فواز

يا للرجال أرى المدامع تمطر خطب دهانا فالمصيبة أكبر
تبكي المحابر والقلوب تفطرت اذا مات مولانا الامام الأنور
حتى كأن الافق أظلم نوره والراسيات لهوله تتفطر
حتى كأن الشمس يوم مصابه وجلت وهذا الوجه منها أصفر
طود هوى والجمع صاح كأنه في يوم بابل والمرائر تفطر
ما كنت أعلم قبل موت (محمد) ان الثرى فيه بدور تقبر
فعجبت من تابوته حمل الندى (وتراه لا يخضر منه ويثمر)
وعجبت كيف الماء راق لغسله والمجد يبكي والمدامع تمطر
هلا تغسله دموع أذرفت لمصابه وهو التقي الأطهر
تبكي الجموع وطالما أضحكتها بجميل أعمال تجل وتكبر
أمفصل الآيات هل من عودة تعلو على نور الصباح وتسفر
أسفي عليك وهل يرد لآسف مافات من يوم الحياة وينشر

طوقت بالتأييد دين محمد — مننا على مر الزمان تكرر
قد سار نعشك والمحاجر خلفه — تجري سيولا حيث ضج الازهر
ورأيت وجه الحق أغبر آسفاً — حزناً عليك وكيف لا يتكدر
أرجو من الرحمن يجزي (عبده) — عنا بما أسدى وربي أقدر

خير الكلام لفقيد الاسلام

من نظم الشاعر الأديب الشيخ صادق عمران

حياتك آي والقضا الآية الكبرى — أمات وأحيا العلم والحزن في مصرا
دعاك من الرحمن أفضل دعوة — اذل بها الأولى وعز بها الاخرى
فتلك عظات ان أعش بعدأ وأمت — أذكر بها دهري وأنى له الذكرى
وما المرء الا قصده بيد انه — وديعة غيب ان قضى قدم العذرا
وان الذي يبني الفخار لأمة — تربت على جهل غدا نجحه نزرا
اذا هز فرع المجد يجنيه أنكروا — وقالوا جنى أو رام في أمره امرا
فيقضي فيقضون الغداة بأنه — لا فضل هاد ميز الخير والشرا
فياساكن الجنات انى تركتنا — سراحاً بلا راع وكنت لنا ظهرا
حشا الله لم ترغم بروح سلبتها — ولكن رأيت الخير انجازك الامرا
على ان ما أحدثت أفنى طلابه — ملوكاً رأوه من عزائمهم عسرا
كفاك من الآيات انهضت أمة — رأت ربها كانت بتقليدها سكرى
كفاك من الآيات ما بينت به — غوامض وحي الله من حكم غرا
كفاك من الآيات أن شدت عنوة — ذرى حجج الاسلام اذ تهدم الكفرا
كفاك من الآيات فتيا هديتها — مع العدل والشورى وقد أودياد هرا

رأينا بك المهدي في طي حكمة تطهر أرواحا وتحيي لك الذكرا
فتبكيك دار العلم والخير والقضا وتبكيك ايتام رأوا بعدك الفقرا
وطافت بك الارواح مثل طوافنا بقبرك شعثا تبتغي عندك الاجرا
حنانيك روحنا بروحك أوفر نفوس الورى تقضي فقد نعت الصبرا
لقد كنت نعمى يسعد الناس شكرها فردّت ليشقوا اذ اسرّوا لها الكفرا
وكنا جدادا حليـة الناس فانبرت حلانا ونشريها فصرنا لها نشرى
نعض على بعض الحديث وطالما اضعنا حديثاً ما قدرنا له قدرا
محمد تدري ان آل محمد رأوا بعدك الويلات فاعتنقوا القبرا
وطافوا سراعاً بالمراثي وجلدهم بكى بكية الخنساء اذ فقدت صخرا
فمن (صادق) فيها مجيد و(ناصف) ومن (حافظ) ابكى بتأبينك الشعرا
عليك من الرحمن يا عبـد رحمة وان نلت في الفردوس ماشئت أو أحرى
لقـد ألبستنا الحين فيك غلائلا من الحزن لاتفنى وتفني بها العمرا
ولـكن صبرا للمنون فعودها الينا وان أوفى بآجالنا دهرا

وقال العالم الفاضل الاستاذ الشيخ طنطاوي جوهري المدرس بمدارس الحكومة

أمانيّ طاشت في المهامـه والقفر وأرزاء بؤس مرسلات على مصر
فحلّ عراها واستبان صغارها وراح الاولى شادوا المعالي كالقصر
فما ثاكلات كللت بقتادها بوائس من أم شفوق ومن ظئر
اذاما رأين الطير في وكناتها شجون على المقبور في بلد صفر
يجاوبنها بجواب يأس وحسرة يتابعن بالآلام يهطلن كالقطر
أبأس من مصر افقد محمد وهل ينفع المفئود أدوية الصبر

سواك بكته الباكيات وقد بكت عليك رجال الدين والعلم والعصر
وكانت تلام النادبات لنعشها ولولاه لم تحسب من الانجم الزهر
ألم تر ان النعش فوق رءوسنا نجوم عليها القطب في فلك يجري
ولولا التقى والدين قلت تفزعت لمصرعه الافلاك والكوكب الدري
وشابت ذؤابات الدراري في الدجى فتندبه الشعرى وتلطم بالنسر
جوامدان لم تذرف الدمع أعين عليك الا أن الجوامد في خسر
خليلي اما شمتما المزن ليلة تروح وتغدو هاطلات على النهر
فقولا لها يمن قبر امامنا وأسقينه سقي النعيم الى الحشر
فديتك قل لي هل نزلت من السما لنا ملكا آخى البشائر بالنذر
تهيمن أوقافا وتنشي مدارسا وتكفل ايتاما وتبذل بالبشر
ومصبية مصرية قد عهدتها بكتك بجنح الليل أو مطلع الفجر
وشاعر آفاق ومفت مثقف ومغتبط التأليف والرجل المثري
ومجلس شورانا وقاضي ديارنا وواعظ اخرانا ومصطنع البر
وأنت لهم روح وأنت لهم نهى وانت لهم نور لموهبة الفكر
الا يالحى الله المنايا فانها ترد الاماني البيض سودا على الاثر
وكان مرجى في الحياة فقد مضى ذهبت أناجي الروح في روضة القبر
فياقبر هذا عالم وسع الورى فكيف وسعت الملك في مأزق الشبر
وياقبر هذا البحر يبدي عجائبا ولم ار بحرا قبل في مهجة البر
وياقبر هذا عالم الشرق كله أأفتاك ان تختص بالعالم الحبر
وياقبر هذا صفحة الكون كله فكيف كتبت اللوح اجمع في سطر
هنالك لاحت نحو سري نفحة وآيات عرفان ووحي الى السر

الا يانجي اليوم شأنك والعلى وسابق لنشر العلم في السر والجهر
ولا تبتئس يوما بكارثة ولو فرتك الاعادي بالمثقفة السمر
فدونك هذا الموت راحة عالم مضى نصبا في سعيه امد العمر
وما هذه الدنيا سوى البرق لامعا فهذا به يلهو وذا رائد القطر
وماهذه الدنيا سوى الروض يانعا واثماره حسن الاحاديث والذكر
وقل لبني الدنيا سلام عليكم سلام اب في كل صالحه بر
وقل لهم قوموا لنشر فضيلة وترقية الابناء بالعلم والصبر
فاني رأيت المجد عندكم به وعند بني الاخرى لدى عالم النشر
وقل لبني مصر سلام عليكم وسلم على أهل المعارف في مصر
وقل لهم اني نشطت من العنا وكنت على امر فدوموا على امري
فقلنا قبلنا النصح فاقبل تحية وعش رغدا في جنة امد الدهر

وقال الفاضل صاحب التوقيع

مصاب ولما استطع معه صبرا ألم وقد أجرى من الدمع ما أجرى
ففي كل قلب جذوة قد توقدت ومن كل عين قد جرى ماؤها نهرا
ولولا التأسي ذاب قلبي من الاسى لعمرك هذا الخطب قد قصم الظهرا
لقد افلت شمس المعارف والهدى لموت امام كان أعلى الورى قدرا
(محمد) رب العلم والحلم والتقى ورب النهى والجرد والايدي الغرا
اذا عد أهل الفضل فهو امامهم وأفصحهم نطقاً وأعطرهم ذكرا
وأطيبهم نفساً وأسمحهم يدا وأرشدهم رأيا وأصوبهم فكرا
وأصدقهم وعداوأحفظهم عهدا وأغزرهم علماً وأوسعهم صدرا
حكيم له أتى الكلام قياده ودان فلا يعصي له ابداً امرا

على حبه كل الخلائق اجمعت ... فكل فؤاد في محبته مغرى
فقل للذي يبغي يعدد فضله ... مناقبه لا تستطيع لها حصرا

ثم أنشأ هو يعد منها ما هو مشهور وقال في الختام

فمن بعده نرجو لاصلاح حالنا ... فموت امام العصر فادحة كبرى
ومن للفتاوي والتفاسير والهدى ... ومن للمعاني والبلاغة في مصرا
ترى الناس حول النعش يمشون خشعا ... ينوحون كالخنساء اذ فقدت صخرا
ومر وكل الناس ما بين آسف ... عليه وباك صدره يقدح الجمرا
وما حملوا الا العفاف مجسما ... بل المجد والمعروف والفضل والطهرا
وما دفنوا الا السماحة والندى ... وما ودعوا الا الذي فاقهم طرا
فطوبى لقبر قد حوى جسدا له ... ولم تر عيني ان قبرا حوى بحرا
سقاه وحياه الحيا كل ساعة ... ورحمة مولاه على قبره تترى

عبد الحميد راشد قباني — بالجمالية بمصر

رثاء المفتي

للفاضل محمد أفندي توفيق جانا من عكا (سوريا)

صبر جميل فمن ذا يدفع القدرا ... أمر المهيمن فلنرضى بما أمرا
تبكي الامام عيون المسلمين فلا ... قلب لذا الخطب الا ذاب وانفطرا
تبكي الشبيبة شمس العلم اذ أفلت ... فمن لها اليوم من يبدي لنا القمرا
من للديانة من يبدي فضائلها ... وللشريعة من يقضي لها الوطرا
وللبلاغة من يعلي منارها ... وللفصاحة من يدرأ لها الخطرا
محمد وكفى المشرقين به ... فخر اذا الغرب في ابنائه افتخرا
عار على الشرق ان لم تجر أدمعه ... بحرا يخفف عن اخلافه الكدرا

﴿ مرثية الجزائر ﴾

من نظام الاستاذ الفاضل الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجه المدرس بجامع سفير بمدينة الجزائر وصاحب التصانيف الشهيرة

مصاب جسيم عم كل العشائر ... واسلمنا قهرا لحكم القادر
رمينا بخطب لا يقاس بغيره ... فجعنا برزء ماله من مناظر
واكبادنا ذابت اسى وكآبة ... واعيننا مثل العيون الهوامر
على موت مفتي المسلمين وفخرهم ... ومن كان للاسلام نور البصائر
بكت مصر والدنيا جميعا لفقده ... وابناؤها من كل باد وحاضر
وابدى جميع الناس حزنا وحسرة ... وأجروا دموعا كالغيوث المواطر
واثنوا عليه بالذي هو أهله ... ثناء جميلا طيبا كالعنابر
على مثل ذا كل الجرائد اجمعت ... وما شذ عنها غير خاس وخاسر
يحاول نقص البدر ليلة تمه ... باظهاره الممقوت في كل عامر
فقل لحسود الشيخ قد ذهب الذي ... تهاب محياه فحول القساور
وتعنو له طوعا أئمة وقته ... ويلقاه بالتبجيل كل الاكابر
فطب وانشرح صدراً اذا كنت خالداً ... ولكن ستلقى في حفير المقابر
ولا تحسبن الله عنك بغافل ... فان لم تتب تصلى بنار النهابر
وما مات من قد كان في الكون آية ... أوائله محمودة كالاواخر
تآليفه تنسيك ما حيك قبلها ... وتغنيك عن جل الطروس الكبائر
افادت من التحقيق كل يتيمة ... تقاصر عنها كابر اثر كابر
وحلت بتدقيق عويصا ومشكلا ... بحيث غدا كالبدر يبدو لناظر
عليك بها ان رمت تجني هداية ... وتصبح استاذ العلوم الغزائر

وانشاؤه قد زاد حسنا وبهجة على الدر بل زهر الدراري السوافر
اذا خط اعيا الكاتبين وكم اتى بسحر بيان في معان زواهر
فعروته الوثقى تريك بلاغة يدين لها قس وعبد لقاهر
فواها على شمس المعارف والتقى وواها على التذكير فوق المنابر
وواها على التدريس في كل مذهب وواها على الاقلام بعد المحابر
وواها على التوحيد الفقه واللغى وواها على التفسير أصل العناصر
وواها وواها الف الف ولن أفي ولو انني نمقت كل الدفاتر
واني لنا الصبر الجميل وقد هوى منار الهدى واندك طود المفاخر
وروض الاماني والمكارم قد ذوى وقد كان للعافين أجدى الذخائر
وغيض عباب العلم والجود في الثرى كذا فليكن غيض البحور الزواخر
فمن لكتاب الله يكشف سره ويشرحه وفق الفنون الحواضر
فقدنا اماما كان حجة عصره وقدوة أرباب النهى والمظاهر
حكيما سما فوق السماك بهمة هماما جليل القدر حر الضمائر
فيأمر بالمشروع في كل محفل وينهى عن المحظور طبق الاوامر
ويصدع بالقول الصحيح نصيحة ولا يرهبن في الحق اقسى الجبابر
وكم ذب عن دين النبي محمد ودافع عنه بالردود البواتر
فضائله سارت الى كل جهة واخلاقه مثل الرياض النواضر
وما دأبه الا اتخاذ صنيعة وكسب معال وابتناء مآثر
وانفاق مال في سبيل مبرة واسداء معروف لبر وفاجر
وارشاد ضليل واصلاح فاسد وابداء مستور واحياء داثر
وتقويم مناد وتوضيح منهج موارده مأمونة كالمصادر

مناقب لم يبلغ مداهن ناثر فصيح ولم يستوفها نظم شاعر
عليه سلام الله ما عبرة همت وما فاه بالتأبين عبد جزائري
فيارب قابله بعفو ورحمة وعامله بالغفران ياخير غافر
واحسن اليه وارض عنه وارضه بكل نعيم لم يجل في الخواطر
وبالحور والولدان آنسه منة وانزله في الفردوس دار الاخاير
وارو صداه من رحيق ختامه هو المسك يزري عرفه بالازاهر

وقال من مرثية طويلة الفاضل الشيخ محمد حسن مرسي الدمياطي بمدرسة روضة العلوم الاسلامية في ميت غمر

وكيف لنا صبر وان محمداً امام الهدى للناس غيب في الثرا
امام حوى لا ريب كل فضيلة ومن مثله قد طاب أصلا وعنصرا
فكم كان للارشاد والخير داعياً وما عن دعاء الخير يوماً تأخرا
وكم حث ميسورا الى البر والتقى وبين فضل الله فيه وأظهرا
فلباه مذ ضاءت سماء فؤاده وأثر فيه الوعظ منه وأثمرا
وجاد ببذل المال عن طيب نفسه وأوقف ماينمو دواماً ليؤجرا
وكان كثيرا ما يجول بفكره الى حال اصلاح الورى متبصرا
فحين رأى حكم الشريعة عاطلا أجاد بمشروع النفوذ مدبرا
فياحزن أحكام الشريعة بعده فقد كان للاحكام والدين ناصرا
وصبي أيا (ميت غمر) كل عشية دموعك حزناً واجعلي الدمع أحمرا
فهذا الذي أحيا معالمك التي أزال وأفناها الحريق ودمرا
فلولاه ما فقت المراكز رونقاً وما عاد منكوب الحريق ميسرا

﴿ مرثية لفقيد الوطن والعلم الاستاذ الفاضل والملاذ الكامل العلامة الأوحد والفهامة الامجد الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية رحمه الله ﴾

من نظم الفاضل صاحب التوقيع

على مثل هذا الخطب عز التصبر ... فكيف يعزي القلب أم كيف يصبر
فما كل شيئ يستعاض بغيره ... وما كل عبء حمله متيسر
ولكنما الايام لادَرّ درها ... تحملنا مالا يطاق فنصبر

(ومنها)

وما كل خطب مثل فقد محمد ... امام الهدى من فضله ليس ينكر
فمذ بارح الاحياء مفتي ديارنا ... قد اشتدت البلوى وعيل التصبر
فمن مثله يلفى لكل ملمة ... ويسهر للخيرات وهو يدبر
ومن مثله للرأي ان حل طارق ... به ارتجت الدنيا وحار المدبر
ومن مثله للقول فى كل معرض ... ومن مثله للصالحات ميسر
خبير بكنه الحادثات مجرب ... يطالع أحوال الزمان ويخبر
هو الفرد في مصر بل الفرد في الدنا ... وأوصافه كالشمس بل تلك أشهر

(ومنها)

لقد كان في المنقول ثبتاً وحجة ... كذلك في المعقول أعلى وأشهر
ولولا تلاميذ له بعد موته ... تقوم بنشر العلم ما كان ينشر
ولولا تآليف بحسن عبارة ... لما كان در اللفظ في الكون ينثر
ولولا رجال هذبتهم علومه ... لما كان نور العلم في الكون يظهر
ولولا تقارير أراد بنشرها ... صلاح الورى من كان للحق ينصر
ولولا ردود ما سمعنا بمثلها ... لكانت نبال الطعن في الدين تكثر

ولولا تدابير بثاقب فكره ... لما كان روض العلم ينمو ويثمر
فللرأي أقوام وللخير عترة ... وللعلم انصار وللحق معشر
وما كل رام يستفيد برميه ... وما كل من قدحاول الامر يظفر
وما كل ذي لب مثال محمد ... فان مثال الشيخ لا شك ينـدر

محمد غنيم المدرس بالمدارس الاميرية

﴿ رثاء الاستاذ الامام ﴾

للاديب الفاضل (م . غ) من احدى مدن القطر السوري

رويدك ما هذي الخلائق يادهر ... فانت خؤون العهد رائدك الكبر
رأيتك تعتام الكرام من الورى ... وترفع مخفوضا وتخفض من يسرو

ومنها في خطاب الموت

كأن الملا ملك ليمناك ماتشا ... فعلت فلا نهي عليك ولا أمر
وتغتال اهل الجود والندب تصطفي ... ويدفع في تيار اهوالك الحر
وتبقي على اهل النفاق وحزبهم ... ولو كان من عمالهم يهضب الشر
وتمهلهم والكون يشكو فعالهم ... وان وفرت ارهاطهم ونما الوزر
فهل لكرام الناس عندك دمنة ... فتطلبها ام ذلك الخنق الوتر
في كل يوم منك هول يخيفنا ... وذا اليوم خطب شبه اهواله الحشر
نضوت علينا فيه تبغي قراعنا ... بواتر من أغرابها يهمع الضر
مصاب به عم الاسى الكون كله ... واضرم في الاكباد مادونه الجمر
وقطع أصلابا ونكس ارؤسا ... واجرى دموعا لا يقاس بها البحر
وأهلك اجساما تفانت بحبه ... كأن اقصدتها في الحشا قضب بتر
واخرس أفواها حبسن لمدحه ... يفوح لها في كل مجتمع نشر

فيالك من رزء عظيم لوانه اناخ باصلاد الصفا هالها الامر
وواأسفا ياموت كيف تغوله وتترك هذا الكون ادمعه غزر
فهات من الارزاء ما شئت بعده فصار سواء عندي الحلو والمرّ
فقد كان للاسلام حصنا وموئلا وسيفا صقيلا ان سطا حادث نكر
وكان لنا في كل مشكلة صوًى وبدرا ينير النهج ان نقد البدر
فاما عويص العلم عسعس ليله اتاح له من شمس افكاره فجر
بتفسيره الشافي شفى الروح والحجا فزالت به حجبٌ اظلتهما كثر
فكم آية اعيت ازال لثامها فهانت لدينا وهي من قبله بكر
ومن بعد للفتيا يقوم بعبئها ويفتي كفتياه ولو نحر النحر
فياويحها بعد الحكيم معينها اذا ماذيول الجهل في الدين قد جروا
ومن بعده للمشكلات ينيرها اذا ما ادلهم الخطب أو أغطش الامر
ومن يصدم الاخطار ان نزلت بنا وفي صدرها الرحب الضغينة والوغر
ومن بعده للدين يعلي مناره اذا ما بنوه بالغواية قد أثروا
اذا ما عن النهج القويم تنكبوا وفي لجج الاوهام سفن الهوى أجروا
اذا ما شيوخ ران فوق عقولهم تقاليد ترديهم ولو كرم النجر
فقد خاف أن يقضي على الدين بعدما أشيدت صياصيه وينتغر الثغر
ويهدمه اهل العمائم ضلة فويلهم في تلكم الدار الخسر
اجل كان ما يخشى الامام وقوعه فهم هدموا دينا دعامته الدهر
وكان لهذا الدين قطب شؤونه ومرشده والامر مشتبه وعر
فقام به خير القيام بهمة مضت أين منها العضب والتكة البكر
وقاوم أرباب الضلال خططهم الى درك الخذلان لم يثنه غمر

وجاهد في الرحمن حق جهاده ... ولم تله دنيا وما راقه نضر
فطوبى لارض مس جسمك تربها ... وضمت بها اعضاء جثمانك الطهر
فانك سيف الله ياعبده الذي ... بك الدين يزهى والفضائل والفخر
وأنت لدين الله ترس يصونه ... وأنت له فينا انامله العشر
بنيت مباني عزها بعد هدمها ... وقمت بعبء الامر رائدك الصبر
فكم لك يامولى العظام وبدرها ... مناقب جلت ان يحيط بها الفكر
اذا اشرقت في حندس الليل افزعت ... كتائبه كالورق طاردها النسر
مناقب اين الصبح من نور وجهها ... وأين السهى والشمس والانجم الزهر
فلو رام حساب البسيطة حصرها ... لاعجزهم في عشر معشارها الحصر
ويكفيك مما نلته من فضائل ... مهابة ذكر لايطاوله ذكر
وحلم وحزم واقتدار وحكمة ... وفرط بيان لايقاس به السحر
وكم لك فينا من اياد طويلة ... سيحملها من فوق عاتقه الشكر
ونرسمها في صفحة القلب بالثنا ... ونذكرها بالمدح ما بقي الدهر

ونظم الفاضل الشيخ حامد محمد مدرس العربية بمدرسة الجمعية الخيرية بطنطا مرثية طويلة منها

اياموت موتّ الجميع بموته ... وصلت على الآداب والدين والطهر
فياضيعة الاسلام من بعد فقده ... ويا ظلمة الايام بعد اختفا البدر
قضى فانقضى عصر المروءة والندى ... ومات فماتت دولة المجد والفخر
مضى وله الذكر الجميل مشيع ... وقد شاع عنه كل مكرمة بكر
مضى فرأينا العلم أول نادب ... وأول مفجوع بذا العلم الحبر
مضى وقلوب المجد حرّى لفقده ... واكبده شقت على ذلك الحر

بكته عيون كالعيون سوائل وكالسحب تبكي في الرياض على الزهر

(ومنها)

مآثرك الغراء اضحت كأنها نجوم أضاءت في الدياجي لمن يسري

ألست الذي قد جمل الدين بعدما تشوه بالالحاد في الاعصر الكدر

اقمت بناء العدل بعد انهدامه وقمت بامر الله في السر والجهر

وكنت لنا بحرا يفيض بدره وكنت لنا عونا على نوب الدهر

﴿ حرف السين ﴾

رثاء حكيم الشرق

من نظم الشاعر الاديب السيد حسين وصفي رضا شقيق جامع الكتاب

ماتت لموتك يا امام الناس في شرقنا وتزلزلت آساس

كنت الرجاء لأمة منهوكة أودى بها التقليد والوسواس

كنت الزعيم ومصلح الشرق الذي ألقت اليه رجاءها الأجناس

كنت الذي إمّا أخذت يراعة شخصت لتعرف ماتقول الناس

أنت الذي أوجدت فينا نهضة لو أنها دامت لزال الباس

أنت اقتلعت اليأس من ألبابنا حتى اذا مازلت عاد الياس

أنت الذي لا يرتجى خلف له أو من برب المصلحين يقاس

بل أنت فرد فيك قد جمع الورى وحكيم أهل الشرق والنبراس

كم أيم لولاك ساءت حالها وبيوت مجد هاضها الافلاس

حاولت أن تحيي شعوباً غالها ما فرّط العلماء والسواس

وانتشت قوماً من براثن صيلم لخبوا وكادت تخمد الانفاس

ودلت مثرينا على طرق الهدى ... وحثثهم أن يرأفوا ويواسوا
نازلت (هانوتو) فآب وقدنسي ... ما هاجت اللورين والالزاس
ورددت (رينان) الجحود مغاضباً ... متمنياً لو مزق القرطاس
لولا فئات أخطأت سبل الهدى ... لنما أغراسك بل ذوت اغراس
نصبوا الحبائل يبتغون لك الاذى ... فزجرتهم لم يثنك الايجاس
زعموا بأن هداك لا يجديهم ... ما دام اجماع لهم وقياس
فتنكبوا النهج الذي أشرعته ... ولهم من الخزي المشين لباس
جاسوا خلال الدار يبغون الاذى ... ثم انثنوا يرجون لو ماجاسوا
يتربصون بك الدوائر حسبما ... يوحي اليهم ذلك الخناس
حاربت جيش الجهل فينا حقبة ... فأراد صدك معشر انكاس
فهجمت حتى أن تركت جموعهم ... متخاذلين وكلهم أنداس
وبدت لهم أخلاق صيد منك ما ... شاء الإله سماحة وحماس
راموا لحاقك يا امام وفاتهم ... هم انهم خزف وانك ماس
ياويح قوم ضيعوك وفرطوا ... فكأنهم باتوا ولا احساس
ياويح هذا الشرق مات حكيمه ... فغدا كجسم حز منه الراس
كانت مجالسنا كأعراس به ... فغدت مآتم تلكم الاعراس
كانت منازله القلوب فبدلت ... وقد استعيضت بعدها الأرماس
فلتندب الايتام بعد كفيلها ... ومجامع التدريس والجلاس
ولتبكه الزورا ومصر وفارس ... والهند ثم الشام ثمت فاس

﴿ حرف العين ﴾

﴿ رثاء الامام ﴾

للشاعر المجيد أحمد افندي محرم الشهير

خفض الصوت أيهذا الناعي رحمة بالقلوب والاسماع
أنعيت الامام يعتصم الاسـ ـلام منه بشاهق ذي امتناع
أنعيت الامام يحيي به العلـ ـم ويغدو مناره في ارتفاع
أنعيت الامام يأوي اليـه الـ ـفضل والنبل والعلى والمساعي
انعمن شئت غيره ولك الحكـ ـم ومنا الرضى بغير نزاع
انه الضن والاباء وما ليـ ـس بمستسهل ولا مستطاع
انه السيد البعيد مدى الهمـ ـة والايد الطويل الباع
انه المصلح الذي يرأب الامـ ـر اذا هم صدعه باتساع
انه الشارع الذي يجمع الخيـ ـر برأي يغني عن الاجماع
انه المرشد المسدد لا مر شد أولى منه بحسن اتباع
انه ذلك الحكيم الذي أبـ ـرأ مرضى النهى من الاوجاع
انه ذلك العليم الذي أبـ ـدع في القول أيما ابداع
يايراع الامام أينك تستل ذليقا تفل كل يراع
فلك الموت اذطواه كنت الـ ـموت يطوي الشجاع بعد الشجاع
في جهاد حمي به بيضة الديـ ـن لدن رامها ذوو الاطماع
كر والقوم يمعنون فرارا خيفة الموت في ظلال القراع
فرمى الدارعين منه بعزم ظل يفري سوابغ الادراع
فابذعروا بهم كلوم تفرى عن مراق يروي ظماء البقاع

كرة بعد كرة وصراع ... للامام الهمام بعد صراع
ينتحي واحدا يشيعه بأ ... س شديد يغني عن الاشياع
شكر الله منه حسن بلاء ... خير شكر يبقى بغير انقطاع

***

يابني الشرق والمصيبة ساوت ... فيه بين الجليد والجزاع
خبروني أتعرفون له ندّاً (م) فاني جم عليه التياعي
انني خفت أن تضلوا فلا يد ... عوكم بعده الى الرشد داع
انني خفت أن يضيّع دين ... كان يأوي منه الى خير راع
أين أنداده الذين يرجيـ ... ـهم اذا ناب مفظع لدفاع
أين حساده الذين أضاعو ... ه ولو شاء عوقبوا بالضياع
كف عنهم ولم يكن بالذي يو ... لعه بالاذاة لؤم الطباع
كان في المحفظات هضبة حلم ... ومكان الهضاب فوق التلاع
عجبا للحمام كيف طواه ... غير ما هائب ولا مرتاع
انه كان ذا جلال يرد الـ ... ـعين حسرى عن مشرق ذي شعاع
واباء ما كان يترك خطباً ... ذا اباء بغير ما الخضاع
أطواه بأمره فهو ذو الامـ ... ـر الذي لم نجده غير مطاع
سار عزريل اذ دعاه اليه ... مطرقا من تأدب واتضاع
مغدقا دونه القناع وما عوّ (م) د قبل الامام لبس القناع
عالج الروح جازعا مستقيلا ... فلحاه فعالها بانتزاع
حملوه وكان من قبل بالآ ... مال اما تظاهرت ذا اضطلاع
ثم ساروا به الى حيث لا يطـ ... ـمع منه ذو خلة في ارتجاع

كادت الارض يوم ذلك تنشق {٠} فهوي بنا الى شر قاع
لست أرجوله من الارض صقعاً فهو ثاو في أشرف الاصقاع
انما تشرف البقاع بمن فيها وعى ذاك منذ آدم واع
ودّعوا فيه أمة وبلادا آذنت بالذهاب قبل الوداع
صاح مابالنا نغر بدنيا أخذتنا بزخرف وخداع
فتنتنا خضراؤها فانتجعنا ها وانا من الردى في انتجاع
وازدهانا متاعها وهو لو فكرت في منتهاه شر متاع
ما انتفعنا به وما طلب الشيء لغير استفادة وانتفاع
قل لمبتاعه غبنت فهل ترغب فيما يطيب للمبتاع
خيرحرث الفتى عفاف وتقوى واصطناع للخير بعد اصطناع
صاح ان التآمنا لا يلين يعني نفوسنا وانصداع
راحل بعد راحل ومذاع من حديث المنون بعد مذاع
يوشك الدمع أن يخون المآقي بعد طول التهمال والتهماع
ويكاد الاسي المبرح أن يعـ وزقرح الاكباد والاضلاع
ان بؤس الحياة فيما بدا لي ا لكثير الالوان والانواع
فهي فيما تحوكه من أذاها وأفانين كيدها كالصناع
شاقني مضجعي بحيث ثوى الصحب فيارب هل يؤون اضطجاعي
انما هذه الحياة جهام مؤذن كل ساعة بانقشاع
انما نحن كالفرائس نلهو والمنايا من حولنا كالسباع
أكلت قبلنا الشعوب وغالتنا وما ان تبيت غير جياع
يا امام الهدى عليك سلام مانعي هالكا من الناس ناع

وقال العالم الفاضل « ح . ر » من سوريا

ماالصبر ملكالمن كأس الاسى كرعوا ... ولا الخطوب اذا ما أشرعت شرعوا
وهل لنا غير حس مائل قلق ... يديره الدهر اذ تأتي به البدع
من الأُلى صبروا في كل حادثة ... وما استفزوا لما يعلي وما يضع
من الأُلى زعموا ان الخطوب وان ... مقدارها جل لايعروهم الجزع
يارب صدمة رزء لاينوء بها ... قوم ولا الارض من وجدلهم تسع
ألم تروا كيف أهل الله حين قضى ... { محمد عبده } من حزنهم وجعوا
وهم هم القوم لا للمشتهى انبسطوا ... ولا هموا لسوى ذا الخطب قد كنعوا
أقدامهم وهي تلك الثابتات غدت ... لذلك ترجف والالباب تنخلع
وأي شعب من الاسلام ماصدعت ... هذي الرزية أيٌّ فيه ما فجعوا
لقد قضى اليوم مفتي مصر واأسفا ... فقدت ياشرق فردا فيه ترتفع
قضى الذي نهج النهج السويّ وقد ... فاز الذين لهذا النهج قد تبعوا
قضى الذي لم شمل القوم من شعث ... وروق الدين مما رنق الشيع
قضى الامام الذي قد كان منتصرا ... للحق يصدع بالبرهان لا يرع
والناس في غفلة لايعرفون سوى الـ ... موروث والناس للآباء تتبع
عوائد أخذ وها عن معاشرهم ... وقدسوها جميعا بئس ماصنعوا
فانظر وقد قام عبد الله ينذرهم ... من التقاليد عقباها ليرتفعوا
وانظر لشخص وحيد قام في ملأ ... يدعو لغير الذي فيه قد انطبعوا
هذا هو الفرد بل هذا هو العلم السا ... مي الذي حزبه في نوره سطعوا
هذا الامام الحكيم الشهم ناصحنا ... هذا الحليم الذي يحلو به الولع
اني لأعجب من قوم وقد عرفوا ... مقداره كيف يوما بعده هجعوا

لادرّ در المنايا انها نصبت | للناس اشراكها كل بها يقع
والموت تجلبه هذي الحياة كما | قد قال ذو حكم أقواله بدُع
ولو فدي منه مرء لافتدى زمر | هذا الامام ولاتلقى بهم قرع
فلنحزنن عليه مانعيش وان | لم يجدنا بعده في عمرنا الهلع
ولتبكه اربع باملم عمرها | وليأسفن له من ارضنا الربع
أيا حكيما فقدناه ففارقنا | حلم وكنا به من قبل ندرع
بثت في الشرق نور العلم فارتشدت | بنوه حتى سبيل الارتقا شرعوا
خلدت ذكرا جميلا ليس ينسخه الحسا { م } د مهما لارواح لهم بخعوا
سقى ضريحك غيث الفضل ممتزجا | بالجود رب له أهل النهى خضعوا
ولا تزال بعليين مبتهجا | بالقدس ثم وبالاملاك تجتمع

﴿ الخطب العظيم ﴾

للأديب الفاضل عباس أفندي المصفي اللبناني نزيل الاسكندرية

اقد حل في مصر المصاب المفجع | فأي فؤاد منه لا يتصدع
قضى عالم الشرق الامام محمد | ومنه خلا ذاك المقام الممنع
اهاب به داعي المنون فأوشكت | كبود المعالي بعده تتقطع
لئن تك مصر قد بكت وتوجعت | فحق علينا ذا البكا والتوجع
فما نابها رزء كرزء محمد | ولا هالها خطب اشد واوقع
على حين قل المرشدون الى الهدى | وقد يقظ الاعداء والقوم هجع
فكم كانت الآمال تزهو بسعيه | فأظلمت الآمال والغي مفزع
وكم ذب عن دين البلاد وحقها | وزاد أذى لولاه ما كان يدفع

وانهضها من كبوة بعد كبوة وحاذران يسري اليها التضعضع
فأسلمه الدهر الذميم الى الردى وان الردى بالحازم الحر مولع
ففي كل يوم للمنية صيحة وفي كل يوم للفضيلة مصرع
قضى رجل لو قيض الله مثله لمصر لكانت بالمنى تتمتع
فمن بعده للمجد والعلم مأتم وللفضل والعليا اسىً وتفجع
فياوحشة الدنيا لغيبة مرشد الى فضله تعشو وما هو يرجع
فقدنا اماماً نابغاً نسج وحده له في هدى العلم الصحيح تضلع
ومولى سديد الرأي مكتمل النهى وندباً رشيداً لم يشبه التصنع
وقد كان في الدنيا وفي الدين مرشداً وبينهما آيـاته تتضوّع
فقدنا هماماً كان للشرق حجة على الغرب في عصر به الشرق يخدع
فقـدنا بليغاً يعلم الكون انه خطيب جريء راجح القول مصقع
وقد كانت الاقلام طوع بنانه يحوك بها وشي الكلام ويبدع
تقلد في مصر المناصب فاعتلى به العدل لما كان يقضي ويشرع
وكم عالج الداء الدفين بمعطن غدا فيه للغرب المسيطر مطمع
واوجد فيـه نهضـة حيوية طريق الهدى منها الى النجح مهيع
ومهد في مصر السبيل الى العلى فهل يحصد الاهلون ما كان يزرع
وآثاره في الدين والشرع والهدى لهـا في بلاد العالمين توزّع
الا أيهـا المولى المجاور ربه لقد شهدت في فضلك الناس أجمع
بعدت عن الدنيا ولو ردّك القضا لكنت ترى ماقيل فيك وتسمع
كأن الورى من قبل موتك مادروا بأنك من أهـل الترفع أرفع
فلما احلتك المنيـة في الـثرى وأضحى عماد المكرمات يزعزع

أصابهم الخطب الجسيم وهالهم … ممالك حتى سيد القوم موجع
فناح عليك العلم وانبت عقده … وشتت من أهليه شمل مجمع
وكان رجاءُ القطر ان تبتني له … من العلم مغنى منه للنجح مطلع
وان ترشد الشعب الكثير الى الهدى … فيعقد منهم للتناصر مجمع
وان تجد القوم المجدين نجدة … تصح لهم فيها المساعي وتنفع
لقد عظم الحزن الذي أنت تارك … بمصر وليس الحزن بعدك يردع
وسار الى الشام النعيّ فهالها … مصاب واضحت بالأسى تتلفع
وتلك بلاد في مناصب مجدها … رجال على اجلال قدرك أجمعوا
فلم تنس أرض الشام قط محمداً … ولم ينس أهل الشام ما كان يصنع
فبعدك للقطرين حزن وحسرة … لأن على القطرين فضلك يسطع
فما مقلة في مصر الا ومثلها … بسورية أخرى من الحزن تدمع
عليك سلام الله يا علم الهدى … ويا بدر علم كان في الشرق يطلع
سموت علواً في الحياة وانما … مقرك في الفردوس أعلى وأوسع
رحلت عن الدنيا وغادرت أهلها … ينوحون ذا راثٍ وذاك مودع
وأبقيت بين الناس ذكراً كأنه … على هامة التاريخ تاج مرصع

وقال أحد علماء تونس وقد نشرت في جريدة الصواب التونسية الغراء

أحق نصير الدين قد عز مرجعه … وسار به من مأهل الموت مسرعه
وصدق يقال مات عالم ديننا … ومن كان في الاسلام يشكو دمبدعه
توفي مريد الخير للدين والورى … ومات ولم يمتد في الناس مشرعه
توفي عن الاسلام وهي رزية … وما بعده للدين رزء فيفجعه
فقل لطروس العلم شقي جيوبك … فلا كاتب للطرس من بعد يرفعه

وقل لمنار الدين ينقص نوره حداداً على من كان للعلم يجمعه
فمن لكتاب الله يكمل شرحه ومن لصلاح القوم مذعز منزعه
ومن للدروس والخطابة بعد ما فم العلم والتقرير قد غار منبعه
ومن لنوادي العلم بعد رئيسها وللخير والتحقيق اذمات مبدعه
فصبراً نرى الاستاذ يودع في الثرى ويلبس ثوب البعد ثم نودعه
دعا (عبده) الرحمن اذ كان داعيا فأصبح ذاك الطود يحويه مضجعه
فحق على الايام تبكي عليمها وتسأل للاسلام خلفا فينفعه
والا فذو التقليد مبدع دينه يسير بما يهواه والخلق تتبعه
وأف لدهر لا يغادر عالما حريصا على الاسلام تعنيه مشرعه
وتعسا لهذا الموت ان كان دائما يخير خير الناس فينا فيصرعه
ولكن هي الايام ليست بواقيا فبينا تعيد القلب ريان توجعه
ومامات (عبده) فى القلوب واعيا يعيش على التحقيق مادام متبعه

ونظم الفاضل محمد أمين أفندي عبد الرحمن بالقصر العيني مرثية طويلة مطلعها

خطب الم وعم الكون مصرعه والقلب ذاب فلا وصل يرجعه

(ومنها)

قد كان بحر علوم راق مورده وفضله في سدور الخلق موضعه
قد كان روح حياة في مشارقنا ومن تزود منه كان ينفعه
واذ توسد تربا كيف نطمع في تلك الحياة وهذا الروح نودعه
قد كان غوث رجال فى غوامضهم وفي صعاب أمور الدين تسمعه

(وقال في ختامها)

أبكيك طول حياتي بالورى عضدي بكاء منقطع الآمال تولعه

وان جفتك دموعي بعد شحتها فذاك نظم بياقوت أرصعه
وهاك تاريخه وجد يكمله خطب الم وعم الكون مصرعه
١٣ ٦١١ ٧١ ١١٦ ١٠٧ ٤٠٥

﴿ حرف الفاء ﴾

﴿ رثاء الامام فقيد القطر ﴾

من مراثي الفاضل محمد أفندي أبوطالب الاسكندري

دهتك الليالي بالذي تتخوف فصرك قاع في الممالك صفصف
مضى واحد الشرق الذي كان يرتجي لنشر علوم من مجانية تقطف
ولم يك ان عد الرجال بواحد ولكن بآلاف ومن عد منصف
فديتك هل فيمن تقادم عهدهم امام بها تيك الفضائل يوصف
وقد كان ذاك العصر عصر حضارة لابناء هذا الشرق فيه التصرف
فكيف وقد كدنا نموت جهالة وبتنا بأغلال التقاليد نرسف
فضاعت أمانينا وقل رجاؤنا وليس لنا الا الاسى والتأسف
ولما رأينا منه عزما وهمة ونفسا على اسنى المقاصد تشرف
تبعنا هداه واقتفينا طريقه لنيل المعالي وهو بالطرق أعرف
فأسس للاسلام جمعية بها يعز ذليل في البلاد ويشرف
وأصلح حال الازهر بين بعد ما تصدى له في ذلك المتعسف
واعرض عن قول السفيه تكرما فعاد الى اعتابه يتزلف
ورد (هنوتو) حين شط به الهوى وصال بسيف الحق والسيف مرهف
فكان لدين الله أعظم آية بها طرف أعداء الهداية يطرف

وفسر آيات الكتاب على هدى | فتفسيره بين التفاسير مصحف
وكم بدع في الناس أبطل حكمها | وكانت سيولا للشريعة تجرف
وكم من ضلالات سعى فأزالها | ليظهر الاسلام نور وزخرف
وما كان جود الشيخ قط بعلمه | ولكنه قد كاد بالمال يسرف
فقل للناس حاولوا الجري خلفه | رويدكم ما في السجايا تكلف
فان الذي كنتم سعيتم لكيده | أبر بدين الله منكم واراف
ولو شاء رب العرش للقطر رفعة | لما مات حتى يبصر الحق مرجف
ولكن شقاء من قديم مسطر | وليس لنا عما قضى الله مصرف
فليس الذي قد مات بالامس مثلكم | ولكنه موسى وعيسى ويوسف
وليس الذي شيعتموه امامنا | ولكنه سليمان داود آصف
وليس الذي فوق السرير محمداً | ولكنه المجد الاثيل يرفرف
(وليس فتيق المسك ريح حنوطه | ولكنه ذاك الثناء المخلف)
(وليس صرير النعش ماتسمعونه | ولكنه اصلاب قوم تقصف)

﴿ حرف القاف ﴾

﴿ رثاء الاستاذ الحكيم ﴾

جاء في جريدة الصواب التونسية تحت هذا العنوان ما يأتي

وردت لنا القصيدة الآتية من بنات افكار فاضل علامة في رثاء فقيد الاسلام والمسلمين الشيخ محمد عبده ولرقة معانيها وجزالة مبانيها اثبتناها بحروفها وهاك هي :

نعى الاستاذ ناعي الشرق فينا | فيالله من قلب يمزق
احقا ايها الناعي احقا | أليس الموت من علياه يفرق
لعمر للامام وليس هونا | نكاد من الجلالة لانصدق

فمن للدين ان ضاقت رجال فأعيا فكرها ما ليس تلحق
ومن للمصلحين يكون رأسا لنهضتهم الى شرف محقق
لقد كانوا به كالعقد حسنا فها بوفاته عقد تفتق
فان يهلك فكم أمل تقضى وكم فوز لامتنا تعوّق
فقل للشامتين مقال صدق افيقوا ان جمعكم تفرق
لقد اصليتموا كبدا شريفا فكان على تأخركم يحرق
فان يسئل غدا عن حزب سوء يعارض نصحه مهما تحقق
فسوف يقول اني رمت جمعا ولكن شاط غيظهم ففرق
مضى الاستاذ فليك يوم حشر لان الشمس قد غربت بمشرق
تذكر يومه العلماء دوما فتوشك كل نفس منه تزهق
لقد حبست بنا عبرات حزن فكانت كالشجا في الحلق تشرق
فليت لنا لسانا شاعريا فندأب في رثا الاستاذ ننطق

﴿ حرف الكاف ﴾

مرثية لمحب مستخف إخلاصا فننشر معظمها

بكت الانام دما وحق لها البكا وشكوا مصيبتهم وحق المشتكى
يا راحلا أدمى القلوب رحيله لو كنت تصبر برهة ما ضركا
سارعت كي تلقى الاله وطالما سارعت في الخيرات ترجو ربكا
ورضيت من لقيا الاله وطالما رضي الاله وقد رأى أعمالكا
فالبر والتقوى ونافلة الدجى والنصح والدين المبين بكينكا
من للحيارى والسكارى من لهم والليل اقتم ليس فيه ضياؤكا

كانت تنير لك الظلام قريحة وقادة تنبي بها انباؤكا
جاهدت اعوان الضلال بهمة قعساء لم تعرف سواك وغيركا
وخطرت في ميدان كل كريهة اخطارها عن خوضها لم تثنكا
ودفعت عن دين النبي مخاوفا لولا اجتهادك في الدفاع لاوشكا
وهديتنا ولأنت أفضل مرشد والنجم في الظلمات يفعل فعلكا
والناس ان يبكوك يبكوا وارثا علم النبي وهل يرون مثيلكا
والله ان ابك الامام فقد بكى كل الانام وان شكوت فقد شكا

﴿ حرف اللام ﴾

قال العالم النحرير والكاتب البليغ الشهير ابراهيم بك اللقاني المحامي

جدع المقدور أنف الحيل وقضى المولى مناط الامل
فاتنا وهو يعاني رشدنا ما نرى عنه لنا من بدل
عقم الأزهر عن ثان له وثنى العقم مصاب الثكل
فعلينا — ولو العيش لنا — لا عليه انقضّ عادي الاجل
كان مفخورا بنا الدين فما د به يفخر كل الملل
اي وربي انه كان كما يرتجى من وارث للرسل
كان للدين وللدنيا وما كان فيه مغمز للقول
ان بكاه منصب الفتيا فقد كان كالفاروق فيه وعلي
أمة الفطرة كانت همه لم يكن عنها له من شغل
كان لا يهنيه الا ان يرا ها على متن علاها الاول
نهج القصد لهذا جهده وهو جهد لم يكن في رجل

نهجه كان كتاب الله حيـ ... ـث كتاب الله خير السبل
ولكم جاهد في هـذا السبيـ ... ـل وكم أبلى بلاء البطل
وسرت دعوته تجتث غر ... س الاساطير ومرعى الزلل
وترقي الفطرة الغراء لا ... شيء فيها من غواشي الخطل
وجرى في الناس روح لم يكن ... جريان الحس بعد الشلل
ودروا منزلة العقل وقد ... كان دهراً في الحضيض الاسفل
وانتهى للحجة الحكم وصا ... ر على العلم مدار العمل
هـذه آثاره سيان فيـ ... ـها ضرير وحديد المقل
قدس الله له روحاً غداً ... عند ذي العرش كريم المنزل

﴿ رثاء المرحوم المفتي ﴾

للشاعر الاديب الشيخ حسين محمد الجمل المدرس بالمدارس الاهلية

مصاب عظيم وخطب جلل ... وللصبر بينهما مرتحل
ورزء به انقض ركن الهنا ... وقوض قوى صروح الجذل
وسهم أصاب صميم المنى ... وقد حل عقد مكين الامل
وبؤس محا شرفات النهى ... واصمى القلوب وادمى المقل
لقد غاض فيض الهدى وذوت ... غصون السداد وساد الخطل
وأظلمت الارض بل والسما ... وغطى الكواكب ستر الخجل
وطاح من الدهر برهانه ... وأصبح كف الزمان أشل
هو الموت لا يتقي بالقوى ... وتدفع صولته بالحيل
طوى صحف الامم الغابرين ... وأنشب اظفاره في الدول

ولكن يعجل بالامثلين ... وينهلهم بالكؤوس الاول
وما راعنا منه ياويحه ... سوى فقد هذا الهمام الاجل
امام الائمة في عصره ... واعلمهم باصول الملل
واعرفهم بشؤون الحياة ... وابعدهم عن مناط الزلل
واحسنهم فى ضروب البيان ... واتقنهم لمجيد العمل
وارفع قدراً وأنفذ فكرا ... وأسير في ذكره من مثل
لقد كان اخطب اهل النهى ... واجمعهم لفنون الجدل
يسل سخائم غل القلوب ... وينزع منها خفي الدخل
يصور سامعه كيف شاء ... وينزل منه بأعلى محل
فان ناصحا كان أو زاجرا ... فاما شفاه واما قتل
وابرع أهل اليراع حجا ... واعملهم فى احترام الوجل
فان يراعته في الطروس ... ادق شبا من سنان الاسل
وان براهينه القاطعات ... امد ظبا من حسام البطل
واقدر اهل العقائد في ... وجوه الدفاع وقمع العذل
فكم شبهة قد محا ليلها ... وعقدة مشكلة منه حل
وكم صد عن دينه عابثا ... وكل حملته بالفشل
أعز بني المجد في حزمه ... وعن منتهى عزمه لا تسل
سمى المراد ذكي الفؤاد ... في رأيه للهدى محتفل
ومن فكره تستضيء الغيوب ... ويلهم سر ضمير الازل
أمفتي مصر ونبراسها ... عصيب فراقك لا يحتمل
فيالك من طود فضل هوي ... ويالك من بدر هدي أفل

فلو كنت تفدى لكنا الفدا ولكن لكل حياة أجل
فمن للسياسة أو للكيا سة أو يستشار لدفع الغيل
ومن للعزائم أو للعظا ئم من يستخار اذا الخطب جل
ومن للعناية بالبائسين يدرأ عنهم جيوش العلل
ومن يغرس الفضل في فتية لهم من حلي العلوم عطل
لتبك عليك عيون العصور لانك انسان تلك المقل
وهمتك المنتهى شأوها الى أمد تسترق الامل
لتبك لفقدك نشأة جد بها قد صدعت فؤاد الكسل
نفخت في القطر سر النجاح وروح النشاط وحب العمل
وكم لك في المسلمين يد يرى البحر من دونها كالوشل
لقد كان بدر سماء العلى فكيف عليه التراب اشتمل
وقد وسع الدهر في علمه فكيف بهذا المضيق نزل
أيا قبره لمتلي حكمة ايحسدك اليوم برج الحمل
سلام عليك وليس السلام سوى رنة من أنين الملل
سلام الذي ليس يخشى الخطو ب وكيف يخاف الغريق البلل

(رثاء العلامة الشيخ محمد عبده)

وقال العالم الاديب (عبد الله أفندي الانصاري) المدرس في المدارس الاميرية العالية

كل حي الى الزوال مآله قل أوجل في الحياة اتصاله
رب سار في رفعة كالثريا تطأ الهام والانوف نعاله
وامام يريك ما ضمنته أسطر العلم والوجود خياله

وحكيم يصارع الجهل حتى صرع الجهل بالسداد قتاله
وعزيز على النفوس مفدى جال الفضل والعلاء جلاله
وهمام اذا لخطب تصدى صدع الدهر أو يجاب مقاله
وكريم يجيب كل كريم قبل مايجتديه منه سؤاله
بات والناس في المقال سواء كان أعماله وكان خصاله
هكذا مفتي الديار غدونا حين خاب الرجا وبتت حباله
وبدا النعش يستقل كبرج سطعت شمسه وغاب هلاله
ورجال الزمان خلف امام كمليك في الانهزام رجاله
طالما سدد الامور برأي يرأب النقص في سواه كماله
من لنشر العلوم والخير والعد ل ومن دأبه الهدى وخلاله
لهف نفس على جليل تولى عطل الفكر والعقول انتقاله
ليس خطب الامام الا كغيث أقشعت سحبه وجفت سجاله
حسدته على الكمال اناس وسعتهم فيوضه وظلاله
أنصف الناس في المروءة طرا تلك اخوانه وتلك عياله
فسقى الله قبره وحباه من نعيم لا يعتريه زواله

﴿ رثاء فقيد مصر وعلامة العصر المغفور له الاستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصريه رحمه الله ﴾

من نظم الاديب محمد أفندي محمود الرافعي من كتاب ديوان الاوقاف

أيسلو فؤادي والاسى متواصل ويثلج صدري والهموم شواغل

﴿ الى أن قال ﴾

ألم تر خير الناس علماً وحكمة وحلماً تردته الخطوب النوازل

امام براه الله من صيغة التقى سجيته علم وحزم ونائل
امام جليل لا يقادر قدره وبحر علوم فضله متكامل
لقد هد للاسلام ركن ومسه لفقدانه خطب على الدهر شامل
لقد كان معوان العفاة ورائد الـ هداة وصمصاما على من يجادل
وما كنت أدري ما فضائل علمه على الناس حتى غيبته الجنادل
فان تكن الايام أفنته وانقضى فما اندرست آثاره والفضائل
ذروا أدمع الباكين تدمى لفقده وكل جنان بعده يتواكل
وألقوا مقاليد المكارم والتقى فليس لنا من بعده ما نطاول
لئن كان محمود السريرة ماجدا لقد كان محسود النهى للاماثل
أخو عزمات لو تقسم بعضها على أهل هذا الدهر ما بات خامل
مضى ومضت أيامه وتقطعت لمن يهتدي منه العرى والوسائل
وما كنت لولا الصبر تنفد لوعتي وأسلوك حتى تنعول الغوائل
كأن بني مصر غداة وفاته وفود الالى حول النبي حوافل
فليت الدراري الزهر أمست لفقده تهاوى وليت الراسيات تزايل
عليك سلام الله ما ذر شارق وما حدثت عنك العلى والفواضل

﴿ كلمة في رثاء فقيد الشرقين مفتي الديار المصرية ﴾

للشاعر الذكي حسن افندي شاكر الدمياطي نشرنا معظمها

خطب أصاب المشرقين جليلا بغداة اضحى النيل ينعي النيلا
أودى عميدهما وشمس فضائل افلت فلما تنو بعد قفولا
وتنزلت علياؤه وسط الثرى من كان يأنف بالسماك حلولا

تتلمس الفتوى سراجا بعده حتى ترى من لا يفيد فتيلا
هل تعامين غداة اراك النوى أي المكارم والهدى المحمولا
قولي لدهر بالنوائب مفجع أن قد أصاب بخطبنا التنزيلا
قولي له والخطب اهول مايرى سل كيف شئت فما نخاف مهولا
كنا نخافك في معال خوالست ومعالم درست وفضل غيلا
فالآن آمن رغم آناف جرى كنا نرجي الخوف منه بديلا
كانت حياتك يا محمد رحمة لقي الحسود بها مخذولا
قالوا وكل فاتح شدقيه لا لتلمس التحقيق بل ليقولا
فئة رأت منك الهداية ضلة عمها وأخرى تنتحي التضليلا
كانوا وكنت فحين نجمك آفل نبذوا العداء ورتلوا التبجيلا
برح الخفاء اذن واذعن جمعهم للفضل يدعى من سواك فضولا
كنت الغريب مكانة وهمو هوى فمن الغريب وقد رحلت رحيلا
كنت الاسد محجة دينية فمن الذي يهدي الانام سبيلا
يا أيها المولى الذي آثاره سحبت على هام النجوم ذيولا
هاتيك نفثة شاعر شجنية لولا الاسى ما كان قط قؤولا
الله يرحم اعظما هي منتهى مجد العظائم ان يرمه اثيلا
والله اكبر اذ توفي عبده ان يمنح الصبر الجزيل جميلا

﴿ رثاء الامام فقيد القطر ﴾

مرثية محمد افندي أبي طالب اللامية

الم بالباب الانام ذهول وحزن على فقد الامام يطول
وأصبح بال الحاسدين منعما وران على قلب المحب خمول

وأمست مغاني العلم للجهل مرتعا يكر عليها جيشه ويصول

وظل أولوا الحاجات يسأل بعضهم اما لا إمام المحسنين قفول

وكاد يفيض النيل هما ولوعة وأوشكت الاهرام عنه تزول

واضحى الورى اكفاء بعد مضيه فكلٌّ كريم بيننا وبخيل

ولا عالم يرجى لتفسير آية بلى قد تساوى عالم وجهول

عدمتكمو يا مبغضيه امالكم قلوب عن الحقد القديم تحول

لقد كنت والاستاذ حيٌّ ارى لكم من العذر ما يرجى اليه قبول

اما والهدى قد غاب عنكم بموته وادرك بدر المصلحين افول

فان بقاء الغل فيكم ضلالة وقولكم زورا عليه ثقيل

فكفوا عن الاستاذ ان طريقه طريق سويّ ليس عنه تميل

وان كنتمو تبغون للدين رفعة وللقطر خيرا فالمراد جميل

هلموا ارونا كيف يصلح حاله وكيف يعز الشعب وهو ذليل

وكيف نرى في المسلمين توددا فيبدو على صدق القلوب دليل

وكيف نربي الناشئين ومالنا مدارس فيها للرشاد سبيل

وكيف نرى في الازهر العلم حافلا كما كان قبلا والهداة قليل

وكيف نرى كف الشحيح سحابة لها فوق هام المعوزين هطول

وكيف نحاكي اهل ذا العصر همة اذا قرعت للفائزين طبول

هنالك يدعو الدين ان محمدا له غرض في المسلمين جليل

ويعرف فضل الشيخ من كان جاحداً ويؤمن طوعا جاحد وذهول

ونظم الناشىء الذكي محمد فؤاد أفندي نجل حسن وهبي بك الازرجانلي مرثية نختار منها هذه الابيات

هلا بكيت بكاء الخائف الوجل على امام همام سيد بطل
على المروءة والاقدام مع كرم على التقى والنقا والعلم والعمل
على الذي كان لاتثنيه ثانية عن المعالي ولا يرضى عن الكسل
على الذي كان فخرا دائما أبدا لمصر والشرق في حل ومرتحل
على الذى خدم الاسلام مجتهدا على الذي فضله كالشمس في الحمل
على الذي أنشدت فتواه قائلة (اصالة الرأي صانتني عن الخطل)
ياليت شعري وقلب الناس منفطر والعين جاءت لهم بالمدمع الهطل
هل ينبغ الدهر مقداما لناعوضا وعاقلا مفردا يغني عن الجمل
ياويح مصر بها الآذان في صمم والعين في ديم والقلب في شغل
تبكي على يتمها اذ مات كافلها محمد عبده ذو الحزم والرتل
غوثاه غوثاه من رزء ألم بنا هل من عزاء لنا في رزئنا الجلل
لكن عزانا بأن الله قربه منه فنال لديه غاية الامل

وأرسل الينا الفاضل محمد نجيب أفندي سري مرثية نختار منها الابيات الآتية

أقت فؤادي أم مقامك ارقال وعيني بخلت أم جودك اعوال
وهل بعد موت للامام محمد يروعك خطب أولدمعك اهلال
فكنت كشمس حجبتها سحابة وللجهل في أفق القرائح آصال
ومافل هذا منك عزما وصارما فلله أعمام نموك وأخوال
هززت عروش المالكين وقد غدت بها يامقيم الدين صدع واخلال
وعزمك لم يشهد قناة ولم يقد جيوشا وقد حارت لبطشك ابطال

ومن يك متن الفرقدين ركابه ... وأضحى على مهد المجرة يختال
فما الناس إلا غابطون وطلع ... وما الناس إلا حاسدون وعذال
دفنتم على يا آل مصر بتربها ... ومصر على دفن الفضيلة تحتال
فلا الدين مشدود ولا الرشد عامل ... ولا الملك محفوظ ولا نحس الفال
عليك سلام الله ياخير راحل ... وفي النفس معنى من رحيلك قتال

ونظمت الاديبة البارعة نبويه موسى من تلميذات المدرسة السنية هذه المرثية

لقد مال ركن الدين وانهدم الفضل ... وأقوت ديار العلم وارتحل العدل
وغالت يد المقدار نفس محمد ... فكان نصيب الفقه من بعده الثكل
فهلا قضى العافون حزناً لفقده ... ومادت رواسي الارض وانطبق السهل
وهلا فديناه بخير هداتنا ... فليس له في علمه منهم مثل
وكان سراجاً وسط قوم وجلهم ... أخو رمد أو حاسد صده الذحل
وغيثا على الصوان كان هبوطه ... وهل تخصب الصما وان هطل الوبل
وما كان الا رحمة الله للورى ... فجار بهم عن شكر نعمته الجهل
وسيفاً لنصر الحق جرده الحجا ... فأجلى العمى وارتد في غمده النصل
قضى عمره في خدمة الدين جاهدا ... وكان له في نصره الباع والحول
ذكي تقي زين العلم فعله ... بحسن اجتهاد لم يكن شيم من قبل
كريم لكل الناس فيه مارب ... فللأغنيا علم وللسوقة النيل
تجمل شمل المكرمات حياله ... وغاب عن الاحياء فانصدع الشمل
رحلت وللاحسان إثرك لوعة ... وللحكم والتفسير من بعدك الويل
وفي الخلد اخلاف الذي قد بذلته ... من العمل المبرور لا يبخس الكيل
سهرت وجاهدت الضلال وأهله ... وساعدت أهل الرشد حتى انجلى الليل

وبانت كضوء الشمس كل حقيقة ... فما ضل عن تحصيلها من له عقل
فان جحد الجهال فضلك والنهى ... فقد كذبت بالافك من قبلك الرسل
مصابك قد ساء المعالي واهلها ... كما كان يرضيهم فعالك والقول
ولولا الذي خففته من معارف ... لضاقت بنا الدنيا وزاد بها الهول
وفي بعض مادونته خير ملجأ ... كما كان قبل الموت في ربعك الظل
فصبراً جميلا معشر الشيخ للقضا ... وهل من مقيم لا يشد له رحل

﴿ حرف الميم ﴾

﴿ الخطب الفادح ﴾

لحضرة الفاضل صاحب التوقيع

خطب هوت من وقعه الاعلام ... طاشت له الآراء والافهام
وانحل عقد نظام أرباب النهى ... والنيرات انتابهن قتام
مابال عين الدهر تنقد في الورى ... حتى انتقت من دأ به الاقدام
مفتي الانام امام هذا العصر من ... لمصابه عظمت بنا الاسقام
فلذات أكباد الورى قد فتتت ... حزناً عليه وعمت الآلام
العلم يبكيه ويندبه التقى ... والفضل والايمان والاسلام
والازهر الزاهي توارى نوره ... وغدت مزلزلة به الاقدام
مقل المحابر قد نضبن من البكا ... لما بكت لرثائه الاقلام
تفسير آي الله أحكم وضعه ... حتى أضيئت للورى الاحكام
وأبان غامضه بأوضح حجة ... عقلية دهشت لها الاحلام
كم قد جلا عن دين أحمد شبهة ... حارت لها علماؤنا الاعلام

وأماط أستار الضلال عن النهى من بعد ماضلت بها الافهام
(هانوتو) بالبرهان خطأوهمه وأصاخ حتى مالديه كلام
أمحمد قد عاقني نظمي فلم أوف الرثاء وما علي ملام
لم أستطع تعداد فضلك سيدي ولك المآثر كلهن جسام
آل النهى ألهمتم صبرا على هذا المصاب وهكذا الايام
فامامكم في الخلد أضحى ثاويا قدسره الاجلال والاكرام
ولسان حال الحور يهتف قائلا اليوم قد حل النعيم امام

احمد ابراهيم ناظر مدرسة المعاقب بفارسكور

﴿ مرثية لحضرة الاستاذ الحكيم والفيلسوف العليم مولانا الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ﴾

من نظم الشاعر الاديب صاحب التوقيع

رويدك أيها الناعي الحكيما نعيت الحزم والخلق العظيما
رويدك أيها الناعي لتدري بأنك قد نعيت به العلوما
لعلك قد نعيت وأنت ساه محمد فمسى الذي تنعي سليما
وليتك بالشفاء أتيت تشدو فننظم في مدائحك النجوما
بعيشك هل رأيت مصاب قوم كمثل مصابنا جللا اليما
بعيشك هل رأيت مصاب نفس أضاع بوقعه الشرف الصميما
أجل فمحمد مامات الا ليصدع موته الدين القويما
ففكر ماأردت فلست تلقى كريما ينشد الفعل الكريما
ولست بواجد في مصر الا مبيدا للمكارم أومليما

أغرك أن ترى فيها رجالا ... يرون أن لا يروا منهم زعيما
قضى وكأنما الاسلام طفل ... غدا بذهاب والده يتيما
أأبكيه واندب حظ جم ... من الايتام كان بهم رحيما
أأبكيه أم المعروف مالت ... دعائمه وكان لها مقيما
أأبكيه أم العلم اكفهرت ... أسرته وكان به وسيما
محمد انما الدنيا أرتنا ... بموتك ذلك الخطب الجسيما
فان تذهب فما في العيش خير ... وهل للخير بعدك أن يقيما
كأن العلم جسم فارقته ... بفقدك روحه فغدا رميما
كأن مغارس الخيرات روض ... أتاح له الردى ريحا سموما
لبثت دريئة الاسلام حينا ... ترد بفضل حكمتك الخصوما
وقمت معضدا للعلم حتى ... رأينا شأن طالبه عظيما
وقلدت المناصب فاستعزت ... وكنت بها أبا الامل المروما
فما أغضبت من صلف تقيا ... ولا أرضيت عن ملق ظلوما
وما أقدمت في أمر تراه ... وعدت بغير غايته نديما
ولا فلت عزيمتك الليالي ... فمارت حسن منطقك الوجوما
ولكن في قضاء الله سر ... أضل بكنهه الفطن العليما
دعاك وكلنا أمل تبقى ... فترأب بالهدى صدعا عقيما
فياجدثا حويت المجد غضا ... أرالك وقد غدوت به نعيما
فلا زلت تحييك الغوادي ... ودام بجنة المأوى مقيما

بقلم أحمد جوده بابيار غربيه

﴿ رثاء المغفور له فضيلة الاستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده ﴾

من نظم الشاعر المشهور أحمدأفندي نسيم وطبعت يوم الوفاة ووزعت

أخنى الحمام على أبر إمام ... فكأنه أخنى على الاسلام
فزعت من الخطب المناسك واثنت ... تبكي بأربعة عليه سجام
كان المغيث اذا دعاه مسهد ... ناجي الاسى وكوارث الايام
كان الرباب اذا همى شؤبوبه ... والخلق من متقشع وجهام
لم ينأ عن هذي القلوب وانما ... ترك القلوب عليه ذات ضرام
شلت يد رمت الامام ولم تخب ... فأصابت الدنيا بغير سهام
خطب يحرك من جبال يلملم ... وجوى يفتت من جبال شمام
لاتجزعي يانفس من موت فقد ... صمت بما لاتعهدين صمام
موت يدب الى ابن آدم خلسة ... خير من الآلام والاسقام
والنفس ترغب في البقاء وانما ... خرجت الى الدنيا ليوم حمام
لبيك ياهادي العباد الى الهدى ... لبيك تحت مجادل ورجام
خلت البرية خاف نعشك أمة ... بعثت من الدنيا ليوم زحام
حملوا سريرك والخلائق حوله ... وضعوا الرؤوس مواضع الاقدام
وكانما فوق العباد عصابة ... للطير من دهش ومن اعظام
والناس حيرى ليس تعقل من أسى ... دهم النفوس بخفة الاحلام
يمشون حولك مطرقين وكلهم ... من سجد لك هيبة وقيام
من للشريعة من يبين لقومها ... حكمي حلال بينهم وحرام
من للتقي وقد رآك هلاله ... ان شك في فطر له وصيام
دفنوك في ترب ولست بناقص ... فالتبر يوجد في ثرى ورغام

ياليتهم قد غسلوك بمدمع طهر كشؤبوب السحابة هام
أو كفنوك بمصحف فسرته من غامض الآيات والاحكام
أو انزلوك من الفرادس جنة لا حفرة صفرت من الا كرام
أوليتهم حفروا لجسمك درة لا مرقدا يقتات بالاجسام
أوليتهم حملوك فوق اريكة حدباء قد صنعت من الاقلام
أوليتني قد مت قبلك تاركا مدحي بما أوليته ونظامي
ثم آمنا تحت الثرى مع معشر لا يلهجون بشرة وخصام
وارحل عن الاولى وحليتك التقى وانزل من الاخرى بدار مقام
عذراً اذا قصرت فيك محمد فالرزء أفنى في رثاك كلامي
صلى عليك الله ما سح الحيا وهمى على مثواك صوب غمام

وقال الفاضل (ح . ش) من أدباء المسلمين في سوريا

واصلي الاحزان ياام العلا قد فقدت السيد البر الرحيم
لن تلاقي عوضاً عنه ولا أنت من أمثاله الا عقيم

***

قد خلا بيتك لما ان قضى من بهاء معه فيه قد سكن
فاشبعي بعد ابتهاج مضضاً وارتوي بعد الصفا من ذا الحزن
ويح قوم خيرهم عنهم مضى ولديهم أعظم الغم عدن
عنهم قد سار بدر كملا يالخطب فادح صعب جسيم
ذاك بدر العلم لا حول ولا قوة الا بذي العرش العظيم

***

ويحنا قد عاجلت أيدي المنون شمسنا حتى توارت في الحجاب

والفردٍ جمعت فيـه الفنون وأتاه العلم من غير حساب
جاء نوراً كاشفاً كل دجون ومبيناً للملا نهج الصواب
ثم عن ذي الغير الدنيا خلا وأتى الباقي في قلب سليم
راجيا تلقاؤه كل علا راجيا في قربه أبهى نعيم

* * *

إشرقي ايتها الاقلام في مدمع منا لقد مد المداد
واندبي ألسن هذه الصحف واشملي الازهر اثواب الحداد
كان هذا الفرد روح الشرف كيف لا يأسى له كل فؤاد
قد صحا حاسده لما انجلى عظم الامر بذا الرزء العظيم
راح ندماناً يعض الانملا ايته ما كان في أمر مليم

* * *

يارجال الله قد راح الامام عبده من صاح جيئوا للفلاح
واقتفى سنة مصباح الظلام أحمد الهادي الى سبل الصلاح
ايكم يسعد في اسو الكلام بروايات معانيه الصحاح
تلكم آثاره دلت على فضله يعقلها كل فهيم
رحمة الله عليه ما انجلى نور بدر التم في الليل البهيم

﴿ مرثيه للمغفور له المرحوم العالم العلامة مولانا الاستاذ العلم الشيخ محمد عبده مفتي مصر طيب الله ثراه ﴾

لأحد تلاميذ الامام الأدباء

أحقا فارق الدنيا الامام وأغمد في الثرى ذاك الحسام
وغابت شمس أنوار المعالي وكانت لا تنال ولا ترام

(ومنها)

لقد فقد الانام به اماما ... ألا لله من فقد الانام
أحامي الدين من يحمي حماه ... وينصره اذا اشتد الخصام
ويكسر من شكيمة شانئيه ... اذا ماشبهة منهم تقام
ويوم قد توالى ماتوالى ... عليه فلاح منك الابتسام
وقمت مناضلا عنه بقلب ... تأبى أن يقلبه الملام
لقد دافعت جهدك عن علاه ... دفاع الليث همٌّ به انتقام
عهدناك الشجاع فأنت سهم ... تصيب اذا تفزعت السهام
اذا اغتنمت مضاربها المواضي ... فما بسواك يجديها اغتنام
وان طغت الخطوب أقمت ركنا ... بعزمك لا يهاض ولا يضام
(فهانوتو) جعلت الرعب يقصي ... أمانيه وقد عز المرام
بقوة حجة صيغت ولكن ... كلاما لا يدانيه كلام
فمن للعلم بعدك ليت شعري ... وأنت لكعبة العلم المقام
أقمت تفسر القرآن حينا ... ولم يمنعك عن نفع سقام
وفي التوحيد اذ تهدي عقولا ... لك الآيات في الناس العظام
جعلت تبثه شرقا وغربا ... ولم تشغلك دعد أو أمام
ألست الواهب الالباب علما ... تحلى المخلصون به فهاموا
ألست الغيث بالارشاد تروي ... صدورا كم أضر بها الاوام
سلوا الافتاء كم شقت عليه ... مرارتها فليس بها التئام
سلوا علم البلاغة عن خطيب ... يريم بحسن منطقة النظام
تندبه المعارف والمعالي ... وملء فؤادها الشاكي ضرام

لتندبه السماحة فهي أدرى بأخلاق تنشقها بشام
وتندبه الارامل واليتامى وتندب ثكلها مصر وشام
الا من للحزين عليك مثلي فقلبي فيك منك به غرام
أقول لمعشري والدمع يجري دما من دون صيبه الغمام
صحابي والمصيبة جمعتنا وقد يدعو الى البلوى اعتصام
أكل الدهر جمع وافتراق أكل الدهر قرب وانفصام

(ومنها)

سلام الله بالرضوان يهمي على المفتي يتبعه سلام
على روح المشرف بالمزايا ندى الكف ماضن الجهام
(محمدعبده) من كان شمسا بنور علومه انقشع الظلام
سقى المولى برحمته ثراه شآبيبا يواصله السلام
له الفردوس أضحت دار خلد بمسك قبوله يسمو الختام

وقال الفاضل « ط . ن » من أدباء المسلمين في سوريا

هكذا هكذا تكون الكلوم قد قضى ذا كم العليم العظيم
قد قضى مفتي مصر رب المعالي فاعترانا لذا المصاب وجوم
لا أرانا من بعده نتسلى فالتسلي عن مثله مذموم
سنة الله لا ترد كما قد كان دوما ان لا حياة تدوم
لكن القلب والخطوب سهام صائبات لوقعها لا يقوم
كيف يقوى للخطب في فقد بدر شاع في الكون من سناه علوم
آية الله عبده من اتانا بكتاب ضياه فينا عميم
جاءه الحق والشعوب تمنى خلده لكن الخلود عديم

عدمته مصر بل الشرق طرا … اذ دهاه بعد الضياء غيوم
فسلام من الآله عليه … فله آب والفؤاد سليم
وسحاب الرضوان يسقي ضريحا … حل فيه هذا الامام الكريم

﴿ المراثي الشجية ﴾

(في الاستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية)

للناظم الناثر عبد المسيح بك انطاكي صاحب جريدة العمران وقد اختصرناها

مات الامام فمن الى الاسلام … وقضى الجوادُ فمن الى الايتام
ومن الذي ترجوه للقرآن والا (م) يمان بعد مصحح الاوهام
ومن الذي ترجوه للافتا ومن … ترجو لدفع مظالم الظلام
ومن الذي ترجوه للشورى وقد … فقدت به ركنا رفيع مقام
ومن الذي ترجوه للاصلاح والد (م) ين الحنيف لحاجة لهمام
من للشريعة بعده ليذيعها … بين الانام بغاية الاحكام
ومن الذي ترجوه بعد محمد … للدين والدنيا وما من حام
ان كان قد فجعت به مصر فقد … فجعت به فعلا بلاد الشام
والهند تندب واعظا ومدبراً … والسند تبكيه بدمع هام
والرزء رزء المسلمين جميعهم … والخطب اي والله خطب دام

***

شيخ الجوامع مصدر الدين الحنيـ … ـف ومرجع التفسير في الاحكام
اولست انت الازهر السامي البها … ومقر دست السادة الاعلام
ماذا دهاك اليوم حتى أظلمت … شمس الحقيقة من فناك السامي

قد كنت حتى الأمس مجلي الحق في الد ... ين القويم بمرشد قوام
لله أنت وقد فقدت معلما ... علما يذيع حقائق الالهام
هلا عادت لمن فقدت خليفة ... ليذيع هذا الدين في الاقوام
من يفتنا من بعد مالك عصره ... ويحل معقد طلسم الحكام
ويصون أحكام الشريعة من أذى ال ... جهال عند تخاصم الاخصام
ويوزع العدل الصحيح بحكمة ... بين الوضيع وخصمه المتسامي
ويغل أيدي الطامعين اذا اعتدوا ... في مدّها يوماً لكسب حرام
جمعية الاسلام ان المسلمي ... ن اليوم قد فقدوا الامام السامي
فلأن حزنت على المؤسس انما ... حزنت عليه مرابع الاسلام
بامجلس الشورى كالك ذا كر ... عهد الفقيد وكان عهد كرام
من بعده يقوي على التوفيق ما ... بين العباد وزمرة الحكام
اوان يقوم بخدمة الاوطان في ... وجه الزمان اذا طغى بعقام
ياشرع دين محمد قد قيدو ... ك وضيقوا في البحث دون تمام
والاجتهاد لقد قضوا ظلماً علي ... ه ولم يكن في اصله بحرام
ولذاك ابقوا المسلمين كما همو ... والناس في سير الى القدام
فالقلب أزهر في سنا العمران اما ... ما الشرق فهو مقهقر بنظام
حتى أتى الاستاذ يقصد كر إغ ... لاق القديم بغير ما استسلام
فرموه بالكفران وهو موحد ... وبدين ربك واسع الالمام
فمن الذي يمشي على آثاره ... ويسير للعمران بالاسلام

***

يانابغاً أورى بألباب الورى ... ناراً قد استعرت وذات ضرام

قد كنت فينا المرشد الهادي الحكيـ م ولم تزل في حاجة لامام
أسفا عليك اذا علا صوت الطغا م على الكرام بمقبل الاعوام
وسطا على الدين الحنيف عداته سطواً يبيح عبادة الاصنام
وقضى على الاصلاح ارباب القديـ م بعطاق الوسواس والاوهام
جاهدت في سبل الديانة والتقى والخير حسب ارادة العلام
ونشرت دين محمد بين الملا وسعيت في تعضيد كل سلام
وعملت مافوق القوى لهنا الورى وأنرت بالتقوى دجى الافهام
فعليك من أهل الكتاب تحية عطرية مشفوعة بسلام
وعلى ضريحك نفحة الرضوان والـ غفران والاجلال والاعظام

دموع الشعر على فقيد العصر

للشاب الذكي عبد الحميد افندي حمدي نجل ابراهيم حمدي بك

النوم بعدك للعيون حرام يا كوكبا غدرت بك الايام
والعلم بعدك امحلت اصقاعه والدين قد لعبت به الاحلام
والارض باكية عليك مع السما والناس بعدك كلهم ايتام
مصر عليك تقطعت أوصالها والهند تبكي خطبنا والشام
جزع الانام عليك يوم اتاهم خبر الممات وحارت الافهام
وبكوا وضج النيران واظلما وبكى النهى وتصدع الاسلام
(احمد) من ذا تركت لديننا والجهل قد رفعت له الاعلام
لوان في مصر سواك لكفكفت من دمعها واستوقف الاقدام
لوان في مصر سواك لاملت خيرا ولم تلعب بها الاوهام

(ومنها)

(احمد) خاب الرجاء فليتنا — من قبل خطبك في القبور نيام
خاب الرجاء فلا هناء يرتجى — كلا ولا صفو الحياة يرام
ياليتنا في الجهل عشنا عمرنا — لم ندر كيف تقوم الاقلام
أدنيتنا للعلم ثم تركتنا — ولنا اليه هزة وغرام
ياراحلا عنا مقامك عندنا — باق ورسمك في القلوب مقام
كنت السعادة للوجود فغبيت — فكأنها وكأنه احلام

(ومنها في الختام)

اسفا عليك فقيده مصر ومذهبي — ان الاسى الا عليك حرام
اسفا عليك وليتني كنت الفدا — كيما يعيش بعيشك الاسلام
ياجاهلي قدر الامام تصبروا — تنبيكموا عن فضله الايام
لاتسألوا عن قدره جهلاءكم — وسلوا نعيم الله كيف ينام
في جيرة الرحمن ياخير امرئ — كانت لهم في العالمين مهام
تبكي عليك قلوبنا وعيوننا — ويحفك الاجلال والاكرام
فعليك منا حسرة لاتنقضي — ومن الاله تحية وسلام

وقال العالم الفاضل والكاتب الاجتماعي السيد الشيخ عبد الحميد الزهراوي من علماء حمص (سوريا)

نعى البرق شمس العصر فاستحوذت ظلما — وأرعدت الالباب إذ امطرت غما
توارى بحجب الغيب عنا محمد — إمام الهدى السامي بحكمته العظمى
وآب يوافي الحق في القدس (عبده) — وغادر هذي الأرض مستخلفاً رسما
وكان بهذي الأرض مفردها الذي — بأنواره الحسنى سما قدرها النجما
فياليت شعري كيف يهدأ روعها — وقد أرهق الأقطار هذا النبا صدما

لقد ذادَ منه الروحَ عن فتن هنا ... شهودُ جمال القدسِ في حضرة ثمّا
فما هو إلاّ في معارج بهجةٍ ... وماالأرضُ إلاّ ثاكل فردها الشهما
ومانحن الاّ واجدون لفقده ... وان كان حيًّا عندنا هديهُ الأنمى
فنذكره فرحى لرفعة شأنه ... وحسرى لهذا الكلم أصعب به كلما
ونذكره كي نستضيءُ بعلمه ... وأعظم بما أبقى الامام لنا علما

* * *

محمدُ لانأسى لفقد سناك بل ... سناؤك باقٍ بيننا يكشف الظلما
ولكنها الآمالُ بتّ عرى لها ... نواك وكنا نرتجي الزيدَ والانما
ودولة جمع بعد فرق أقمتها ... نظمت بها الأقوام في ذا الهدى نظما
فكان بمصر والشآم وفارس ... وفي الهندِ والأتراكِ راج لك الدوما
ولكن لأنواع الظهور مراتبٌ ... لها أجلٌ يثني الظهور اذا حما

* * *

محمدُ لانقلى وان قومنا قلوا ... انا بلظى الانكار واستسهلوا الاثما
لخلفت نور الشرق خير عصابةٍ ... ترى نشر هذا النور مفروضها الحتما
فلبيك لاتأسف وهديك بيننا ... لأنك لم تجـل الحنادس للدهما
ورحماك أشرف من علاك عساك أن ... ترى أثر النصح الذى ينهض العزما
وتهنأ اذ يبدو لك الغرس مثمرا ... ونورك مايطفا ونهجك مايعمى

* * *

محمد روح أنت من أمر ربنا ... لتبرىء باسم الفاطر العمي والصما
ليبصر من أعمته أوهامُ من خلوا ... ويسمع مرء من تخبطهم صما
أتيت فأدّيت الامانة رافعاً ... منار الهدى والحق فى دامس عما
ورحت الى القدس الذى قد نزلت من ... حماه لهذي الدار تستنزلُ النعمى
هنالك زد مجداً تبارك مسرةً ... تعاظم بهاء طب مجالي طبْ بسما

* * *

امامَ الهدى هذا وداعُ مفجع ... لهُ مهجةٌ في حبكم تنكرُ اللوما

تذكر فيه النفس يومَ مصابها وأعظم به رزءاً وأكبر به خطبا
وترفع فيه عهدها بمحبة لحضرةِ قدس عندها قدرك الاسمى
وقد تأسى ذي النفس والصحب كلهم بذي الشمس اما صادفت في الضحى غيما
فبارك وألق الصبر ربُّ محمدٍ علينا وهبنا ربنا كلنا رحمى

وأرسل الينا الفاضل كمال الدين أفندي جودت معاون تفتيش الاوقاف في المحلة مرثية مطولة اخترنا منها ما يأتي

مصابك يامفتي الديار عظيم وخطبك في كل القلوب أليم
مصاب يدك الطود هول نزوله ورزء لـكل المسلمين عظيم
أقيمت له في كل بيت مآتم تجدد آلام الاسى وتديم
لقد كنت للاسلام أشفق والد فأضحى بهذا الرزء وهو يتيم
وكنت أبا للعائذين فأصبحوا وليس لهم في العالمين رحيم
وللازهر المعمور نبراس أهله فأصبح من فقد السراج يهيم
وفي مجلس الشورى شفيقا بامة تود لها كسب العلا وتروم
وهاهي أمسى خبط عشواء سيرها حوالي رجاها اليأس بات يحوم
لمن تترك الدين الذي كم خدمته تقوّم معوجا له وتقيم
فيا أعظم الاعلام علما وحكمة اذا ماتبدى في الانام حكيم
ويا واحدا في المسلمين بفقده غدا أمل الاسلام وهو عديم
ويافيلسوف الشرق بالله فاتئد حنانيك لاتهجر فأنت حليم
حنانيك لاتعجل الى القبر إننا كثير علينا أن يموت كريم
فكيف بنا في فقد واحد قطرنا حكيم وبالداء الدفين عليم

(لسان الخاص والعام . في رثاء فقيد العلم والاسلام)

مرثية طويلة من نظم الفاضل الشيخ محمد حسن التندي بديروط المحطة اختصرناها

آن البكاء فما عليه ملام ... اذظل يبكي العلم والاسلام
يبكي أبا المعقول والمنقول ذا ... لكم الامام الاعظم المقدام
بحر لقد جارى الكهول لغاية ... فاجتازهم في الفضل وهو غلام
ما مبتدٍ أو منته الا له ... حقا أشار بأن ذاك إمام
جمع ولكن في عيونك مفرد ... رقم وما من بعده أرقام
ذو همة لو انها قسمت على ... كل الرجال لعالت الاقسام
يبكي عليه أولو العقول بأسرهم ... الا القليل فانهم للئام
أبدى لهم شمس العلى فتكففوا ... ودعاهم فاذا الجميع نيام
ياغرة الدنيا وزهرتها التي ... ولت عليك مدى الزمان سلام

(الفاجعة المؤلمة)

من نظم الاديب الكاتب الشاعر محمد صادق افندي عنبر (المحرر الآن بجريدة المنبر)

أي رزء ياأمة الاسلام ... يتقى بعد موت ذاك الامام
غير داء كما عهدت جسام ... كلنا منه في عناء جسام
كامن في النفوس يفتك فيها ... فوق فتك الخطي والصمصام
نال منا مالم تنله الليالي ... من بئيس أشفى على الاعدام
انما الناس في الحياة نيام ... ان يقضوها فما هم بالنيام
واذا جاز في الحقائق شك ... جاز الا في شرب كاس الحمام
والورى بعضهم يمر ويبقى ... خالداً ذكره على الاعوام
انني أعرف النوابغ في الشر ... ق قصار الآمال والأيام

هم يموتون كالأهلة لم يبـ لغ هلال منها أوان التمام
يا فقيد الاسلام من بعدك اليو م يرجىً لنصرة الاسلام
لم يخف فيك ربه القدر المحـ توم اذ جل فيك رزء الكرام
كنت للدين حجة واعتصاما فهو من غير حجة واعتصام
تصرع الوهم دونه حيث تفري بالبراهين مهجة الأوهام
وترد الظنون بالحق حتى قمت بالدين عن جميع الانام
ورفعت الاسلام أعلى مقام بيراع قد نال أعلى مقام
هو من نور خالق النور والحكـ مة لا مثل هذه الاقلام
لو أراد الاله أن يرفع الشر ق لابقى على حياة الامام
بيد أن المولى اصطفاه فأخلى أمم الشرق من حكيم همام
كلنا للفناء والخلد أبقى من حياة تمر كالاحلام
ولنا بعده شقاء مقيم وله بعدنا نعيم المقام

وقال الاستاذ الشيخ محمد مروان مدرس العربية بمدرسة العرب بالزقازيق واختصرناها

قد حل بالدين القويم الرزء والخطب الجسيم
هدت دعائم شرعنا بعد الصراط المستقيم
زهقت لفقدك روح شر ع الله والدين القويم
للدين كنت معززا بالفكر والذوق السليم
فقت الائمة كلهم فدعيت بالحكم الحكيم
يالوعة الافتاء بعـ ـد محمد العدل العليم
قد كنت بالثقلين يا مولى الورى البر الرحيم

رب البلاغة والعلا والجاه والخلق العظيم
والخير والاحسان والا (م) نعام والنفع العميم
ناداه مولاه فأر (م) خ مات مفتينا الكريم
سنة ١٣٢٣ هـ ٤٤١ ٥٨١ ٣٠١

﴿ رثاء المغفور له امام العصر وحكيم الشرق مولانا الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ﴾

من نظم الاديب محمد أفندي محمد الموظف بديوان الاوقاف

ألا فليرتد الشرق القتاما ويبد النور في الدنيا ظلاما
وتنهل الدموع دما وتجري عيونا قد تفجرت انسجاما
وتنحل الروابط من حياة نذوق بكاسها موتا زؤاما
ويبك الدين خطبا هدّمنه بناء كان بالتقوى مقاما
ويبك العلم والعلماء جمعا جليلا سيدا سندا اماما
كبير أئمة الاسلام طرا وأفضلهم وأعلاهم مقاما
وأفصحهم وأبلغهم بيانا وأحفظهم وأرعاهم ذماما
قضى والله يعلم كيف بتنا نعاني الحزن والخطب الجساما
ملمات غدون ورحن شتى وأرزاء تحل بنا دواما
ولكن ما لهذا الخطب مثل يذيب القلب حزنا واضطراما
فياهذا الجليل وكنت حيا أنادي منك مقداما هماما
لبثت العمر مصباحا مضيئا وللخيرات أرشدت الاناما
وكنت أبا حنيفة في الفتاوى ودرة حكمة صيغت كلاما

وأمة عزمة تعلو الثريا ودولة همة حسنت نظاما
فكم شاهدت حولك من ألوف ودار العلم ترتج ازدحاما
ليشهد من تولته شكوك بدين الله من رفع اللثاما

* * *

ويانعش الجليل عظمت قدرا وقد حملته أبهى وساما
وسرت به الأمام مع الهوينا ومن عرف الإمام مشى أماما
لعمرك لم يرعني في بلادي سوي ابي أرى فيها لئاما
اذا ماجئتهم والشمس ظهرا عموا واستبدلوا منها غماما
وقد رضعوا لبان الحقد دهرا فما كبروا ولا بلغوا الفطاما
وكم هز الدليل لهم رؤسا ليوقظهم وما برحوا نياما
ولكن سوف تأتيهم ليال تحاسبهم بتدقيق على ما
رسول الحكمة الغرّاء ذرهم الى مالا ترى فيها خصاما
الى جنات عدن حيث تلقى طوائفها تحييك السلاما
تهلل اذ رأتك بها هلالا وتلقاها وتلقاك ابتساما
فقد رضي الآله على امام يقول الحق لايخشى ملاما
تولاني قنوط من حياتي ولم أبلغ من الدنيا مراما
حياة تلك عقباها ودنيا يكون مصابها هذا ختاما
حياة كلها بؤس وأولى لحبل مودة الدنيا انصراما
فبعد ذهاب هذا الفضل منها أرى عيش الاديب بها حراما

وجاءتنا هذه المرثية من الاديبة البارعة « ملك » ناصف كريمة حفني بك ناصف المتخرجة في القسم العالي من المدرسة السنية

ليبكك العلم والاسلام ماسلما ... وليذرفا الدمع أو فليمزجاه دما
وليبعث الفضل في منعاك روح أسى ... كما بعثت الى تحصيله الامما
غالتك غائلة الموت التي صدعت ... من الهدى علما تمشو له العلما
مددت للعلم في مصر جداوله ... فلم تدع في نفوس الواردين ظما
والدين طهرته من بدعة عرضت ... عليه في سالف العصر الذي انصرما
والعلم والدين للجنسين مطاب ... فليس يختص جنس منهما بهما
فنحن في الحزن شاطرنا الرجال كما ... في الاستفادة شاطرناهم قدما
لهفي على طرق الاصلاح قد تركت ... بلا منار وأمسى نورها ظلما
ياحجة الدين من يبني دعائمه ... للمسلمين اذا بنيانه انهدما
عدت عليك عوادي الدهر فاقتلعت ... من بيتنا برداك العلم والكرما
واحسرتاه على العافين من لهم ... يسد اعوازهم ان حادث دهما
اذا شكا معدم يوما خصاصته ... بسطت كفاله بالمكرمات همى
نشرت في الازهر الاصلاح منتصرا ... للحق معتضدا بالله معتصما
رددت (هانوتو) والقوم الذين نحوا ... منحاه عن فرية في ديننا زعما
حملت من خطط الاعمال أصعبها ... أن العظائم في الدنيا لمن عظما
عاجلت ياموت مولانا وسيدنا ... تبت يداك لقد أورثتنا العدما
كلامه الدر الا انه حكم ... فهل سمعت بدر ينتج الحكما
لولم يدبج سوى التفسير منطقه ... لجل قدرا كما تهوى العلا وسما
اذا على منبر فاضت بلاغته ... بالموعظات نسيت العرب والعجما

لاغرو ان كان بالاصلاح مضطلعا | فانه عاشق الاصلاح مذ فطما
من للمحاكم والفتيا ينظمها | ومن لمجلس شورانا اذا التأما
ومن لجمعية العافين يسعفهم | اذا الزمان بهم لم يبق غير ذما
محمد ضاعت الآمال وارتجعت | الى الوراء أماني سرت أمما
غاض الوفاق كما فاض الشقاق وقد | زاد النفاق فأما الحق فاهتضما
والدهر آلى فلا حول ولا حيل | أن لا يراعي انا إلاً ولا ذمما
وقد قضى الله أن نبقى بمنخفض | نرى على هامنا من غيرنا قدما
ياأيها الحاسدوه ضل سعيكم | أما نهاكم ضمير عن أذاه أما
كفاكم مارميتم قبل مصرعه | شلت يمين فتى بعد الممات رمى
أن المنايا لاقوام الورى شرع | من رام في دهره خلدا فقدوهما
راقت شعوب من العليا ذؤابتها | فاستأصلتها فبات المجد منفصما
أن السحاب يصيب الارض ماطره | ويسلم الكل فيها ماخلا القمما
وفي الكواكب لا يعروا الكسوف سوى | شمس وأحسن مافي الروض مارجما
كفاك من هذه الدنيا متاعبها | لا يدرك النور من في مقلتيه عما
ولا يلذ بأنغام توقعها | ذوعاهة يشتكي في اذنه صمما
أحلك الله دار الخلد دانية | تطوفها وسقاك الدائم الديما

وقال الاصولي البارع والشاعر المجيد نصر الدين أفندي زغلول المحامي الشهير

خطب ألمّ فآلم الاسلاما | فالام نحس المسلمين إلاما
ياأيها القدر المطل على الورى | أقضيت ان نبقى الزمان يتامى
خطب تصدعت القلوب لهوله | وسقى النفوس من المرارة جاما
خطب تذوب له الجوانح لوعة | وعلى الاسى ضم الحشا آلاما

خطب تخر الشامخات لذكره ... مات الامام فهل ترون اماما
مات الذي نومد في أيامه ... لا مد دين محمد وأقاما
في الله عمر قد طواه مجاهدا ... بدعا لقوم قلدوا الاوهاما
قوال صدق مظهراً لحقائق ... تعي العقول وتعجز الافهاما
حتى تنفس فضله وتنافست ... فيه البلاد وأوطأته الهاما
متنقلا كالنيرات لضوئه ... تعشو عقول تشتكي الاظلاما
كم حل من بلد فاعدد أهله ... منهم سويداء القلوب مقاما
يتزاحمون على موارد فضله ... حتى أعل وانهل الاحلاما
فاضت عليهم من غمائم علمه ... ديم عليها كم حسدنا الشاما
أضحى لمصر عليه وجه عابس ... بالامس كان به لنا بساما
شقت عليه جيوبها ولطالما ... لبست به حلا زهت ووساما
واستعبرت عيناً عليه قريحة ... حزنا وكم قرت به اعواما
واستنكرت شمس النهار مضيئة ... وتخيلت بدر الضياء ظلاما
فكأنما ثكلت بنيها كلهم ... وبنت لهم بين التراب رجاما
يا مصر إيه ن خطبك فاجع ... فيه العزاء يجدد الايلاما
مات الذي بكت المعالي فقده ... وغدت لذاك المكرمات أيامى
مات الذي قد كان مطلع حكمة ... في الشرق يبهر نورها الاقواما
غربت فليس لها طلوع بعده ... ما كان أبهى نورها أياما
مرت فما مر الحياة بمنقض ... حتى نلاقي بين ذاك حماما
استودع العبرات طرفاً كلما ... قلبته خال الانام نياما
لاهمة ترجي وليس مروءة ... ماتا ومات أبوهما فسلاما

أمحمد ان ضم لحدك أعظما فلك الجوانح ضمت الإعظاما
أو وسدوك من التراب فأنت في كل النفوس موسد اكراما
أوسنموا قبراً غربت خلاله فلك المظاهر غاربا وسناما
أو غاب شخصك في الثرى متحجبا فمثاله بين المآثر قاما
هم أسلموك الى التراب أغمدوا في القبر منك الصارم الصمصاما
ثم انثنوا يبكون فيك مناقبا عنها تقاصر من بنى الاهراما
بأس يزيل الراسيات ثباته وعزيمة فوق السماك مراما
رأي كأن الصبح بعض سنائه وكأن طي ضميرك الالهاما
لسن يصوغ النيرات بيانه حججا يمزق نورها الابهاما
قلم يروع الحادثات صريفه ان جال تخشاه الصروف خصاما
في حكمة سقراط يصغر دونها تأبى لغيرك ان تميط لثاما
أمحمد طوقت دين محمد مننا تقبلها الآله جساما
فنصرته وخذلت (هانوتو) وما أعلنت حرباً أو أخفت سلاما
ورميت عن قوس براه محمد فرشقت مهجة عائبيه سهاما
وكشفت المدينين سر حقائق فكشفت عيباً أكمنوه وذاما

* * *

تبكيك آيات الكتاب وكم بكت لله ممن ضللوا الافهاما
عرفتك تدري للنبي مكانة عرفتك تدري للاله مقاما
جلت لك الاستار عن اسرارها واستخلصتك على الهدى قواما
فجلوت أحكام الكتاب على النهى وأريتنا الاعجاز والاحكاما
يبكيك علم قد رفعت مناره ونشرت في عليائه الاعلاما

جددته واقت منه معالما كانت تقسمها البلى أقساما
أمست تتيه على الزمان صروحه اذ أرغمت أنف العدى ارغاما
غادرته فرمت شوامخ عزه نوب يصير لها المشيد رغاما
فكأنه وكأن أمسا لم يكن وكأنما رأت العيون مناما

* * *

أمحمد قد قمت بين عشيرة كمحمد في قومه اذ قاما
تدعو الى النهج القويم وتبتغي بالخاملين الى الرقي قياما
فتحملوا الاوزار فيك وسودوا منها صحائف دينهم أرقاما
ما أنقصوا فضلا يزيدك رفعة كلا ولا خلنا الكلام كلاما
ان الفضائل ان ظهرن عظائما لقي العظيم بقدرهن خصاما
أمحمد ناديت كل محمد فوجدت بعدك من دعوت نياما
ادعو الوفا ادعو المروءة لا أرى بالدار بعدك في الخلال كراما
من للارامل بعد برك عائلا يرعى ويكفل جوده الأيتاما
ماراقهن ندى يديك هنيهة حتى أرقن لك الدموع سجاما
ضاعت رغائب أمة خلفتها نبتاً فلم يُسق النبات غماما
ماتت لموتك وانطوت آمالها وغدت كأحلام الكرى أحلاما
ياليت نفسي قد فدتك وعندها ذمم لفضلك أو تفيك ذماما
تبكيك عين كنت في انسانها فرداً جمعت العالمين تماما
مامثل خطبك في الخطوب فانه خطب غدا للفاجعات ختاما
أمحمد حول الضريح معاشر نثروا الدموع وابنوك قياما
وقفوا أمامك خشعا أبصارهم بين الجلال مطأطئين الهاما

سكنوا وقد سكن الوجيف قلوبهم في موقف قد زلزل الاقداما
كبر الرثا عن القريض وأصبحت فيك المحابر تفضل الاقلاما
ماذا يعدد شاعر أو ناثر ولك الخلال الساميات مقاما
أستودع الرحمن منك شمائلا ضربت بأفنية النعيم خياما
طلعت على الدنيا فملت أهلها فتخيرت دار الكريم مقاما
فعليك من رضوان ربك دائما غيث تصبب رحمة وسلاما

تعزية وتأبين ورثاء

جاءتنا رسالة في ذلك من الفاضل الاديب محمد توفيق أفندي العطار فرأينا ان نختصرها وننشر المختصر بين حرفي الميم والنون من المراثي لانه أليق بها وهو

سيدي الرشيد ذا المنار

اخط بسواد الفؤاد . آيات الحداد . فيضطرم الفكر . ويختلج الذكر . فلا اجد من الاقتدار . ما أصل به الى غير الاعتذار . فواصلت الجد . بقلب غير مستعد . حيث ترتجف الكف . وتتولى جيوش الافكار عن الزحف . لأقوم بواجب الرثاء . وأجمل الذكرى عين العزاء . حتى امكنني الاستمرار . وساعدتني الاقدار . فسطرت هذه الابيات فمنوا بقبولها ادام الله لنا بكم خلفا لخير سلف . ورحم الله من بالحق اعترف . فقد عظمت لفقيد هذا الدين المنة . بحماية الكتاب والسنة . وانتم احسن تلامذته الاحرار . تنادون بنصرته على اعلا منار . مد الله ايامكم . ورفع على المنار اعلامكم

فقد الامام من المصاب أمام كانت تسر حديثه الايام
رزء له كل الشؤون تعطلت الآن يندب فقده الاسلام

نعم انه كان من المصائب كبارا . أجرى الدموع انهارا . واصمى الافئدة والضمائر . وابلى العقول والسرائر . فوجمت القلوب والابصار . وارتجت القرى والامصار . فتجلى الحداد . واستعصم السداد . وظهر رزء العواصم من البدع . واغمد سيف القواصم من الجزع .

هل للحوادث والخطوب قلوب فيبثها شجو الاسى المكروب
أم هل لهذا الدهر بعض تدبر فنقول أو يصغى لنا فيجيب
كم للزمان على الانام جناية كبرت نيمقتها العلا ويصيب
تعدو بوادره فيقدم انسها فلباسها يوم النكير قشيب
يوم أبان البرق نعي محمد يوم على أهل القلوب عصيب

(ومنها)

عز العزاء على العلوم فاصبحت بالكتم طرس حياتها مخضوب
من للسياحة والتدبر والحجا من للكياسة والخطوب ضروب
من للحقائق ان تحجب كنهها نيزول عنها الستر والتحجيب
من للشريعة كي يرد أصولها لكتابها بالجد نهو رقيب
من للتمدن والعلوم يجيدها ويجيدها من صنعه المطلوب
من للبلاد وقد تزايد خطبها ماعاد فيها منشيء وخطيب
فهو الامام لنا العزاء بفقده ولفقده الدين الحنيف غريب

نعم زلت اقدام الآمال . وساء بهذا الرزء المآل . فعز العزاء . وتكاثرت الارزاء . وجف المداد . وساد الحداد . وانطلق لسان اليراع

وامتد . وبئس فؤاده واحتد . فعدد من حسنات هذا الامام ماعلم . ليقيم ميزان الاعمال بالكلم . فارفع ايها الرشيد على منارك هذه العلامة . لنقوم معا بالواجب لهذا العلامة . وهاك رثائي ذاك الاستاذ الامام . لتردده القلوب واجمة مدى الايام احسن الله عزاء المسلمين فيه والاسلام . ماتليت آيات حكمته في كل مقام .

كف الامان بدت بغير بنان ... وصياحه أمسى بغير بيان
والدى الحناجر من أليم مصابها ... بلغت قلوب ثواقب الاذهان
لو كان يفدي بالالوف رأيتنا ... نفدي امام الفضل والعرفان
نفدي الامام الفرد في اطواره ... نفدي الخبير بمعجز القرآن
نفدي الذي كانت ثواقب فكره ... تهوى المحاسن في حلى البرهان
كالآي تتلى في الخطوب وكالرقى ... يشفى بها اللاهي عن الاحسان
آي لها السحر الحلال مسخر ... يقضي اليراع به على الثعبان
هل ثم منكر فضل قول محمد ... عبد الاله وقوله كمثاني

(ومنها)

وسعى بتقدير العليم مجاهدا ... ومهاجرا كالسابق الافغاني
فرأى من الآيات في ترحاله ... حكما تعرفها من الاكوان
نظر هو النظر المجيد لقوله ... عين البصيرة ليس بالوسنان
يدعو الى الدين الحنيف بعروة ... وثقى كشمس في سماء معان
هو ذا الحكيم فلا يجيء مثاله ... ابدا وليس يصح في الامكان
فرحت بلاد الغال حين بدا بها ... قمرا يضيء لها بكل مكان
عرفوا به الاسلام بعد تجهم ... فاباح منه معاقل الكتمان

فرأوه سمحا لا يصح بغيره — نيل التمدن عند كل معاني
فأفاد بالترحال ضعف مقامه — وأتى به الاصلاح بعد زمان

(ومنها بعد ذكر الافتاء وثوران الحمد عليه واصلاحه للمحاكم والازهر)

ودروسه درست طرائق غيره — لوضوحها للعقل بالبرهان
(فدلائل الاعجاز) تشهد انه — سباق حلبتها مع الجرجاني
وله (باسرار البلاغة) خبرة — كانت مطيته الى الاتقان
واقام للتفسير سوق عوارف — من هديه القاصي برشد الداني
من حيث محص شرعة الاسلام بالبر — هان في قول وخير بيان
ما كان يرضى ان يكون مقلدا — لو قلدوه قلائد العقيان
كالشافعي ولا أقول مجازفا — في رأيه يدعو الى الفرقان

(وقال بعد بضعة وعشرين بيتا)

يايوم مشهده وذكرى فقده — اصميت قلب المجد ياذا الجاني
ماان لنا سلوى وبح نداؤنا — فنسيتنا ذكرى لذي اشجان
أمثله سلوى وقد دفنت به — آمال ذي الاصلاح بالقرآن
اليوم يرتصد المقلد وثبة — ليثل عرش العلم بالوثبان
اليوم ينتشر الضلال ويقتدي — بذويه قوم « والرشيد » يعاني
اليوم يرتقب « المنار » وقوله — صدق يصححه لنا الشيخان
أفقيد هذا الدين طال بكاؤنا — وتقرحت من سهدنا الجفنان
أفقيد هذا الدين من ذاك الذي — يسعى بنا في حلبة الاقران
في الله نحتسب المصاب فانه — فرط لنا في العرض والميزان
هبوا نميط عن الضمائر ذا القذى — لنسير للحسنى بغير توان

هبوا لنرقى بالنفوس الى العلا | من وهدة الاخلاد والادماد
هبوا لننفع ذا الزمان بعلمه | لاتهجروا المثلى رجاء دهان
ما كان يرضى ان تسوء فعالكم | أو أن يسوئها بلا كتمان
ودعوا التطرف انكم اسم هنا | وهناك نرضي حكمة الديان
فامامنا في الخلد وهو امامنا | ولنعم ما يلقى من المنان
نرضاه مجتهدا ونسلك سبله | ونجد للتحقيق والاحسان
رضي الاله وكل صالح خلقه | عن ذا الامام على مدى الازمان

﴿ حرف النون ﴾

قال الاستاذ الفاضل الشيخ خليل عثمان الايوبي عضو محكمة مديرية اسوان الشرعية

قفا نبك الفضائل أجمعينا | وندب حظ دين المسلمينا
عليه الدهر جر وما اتخذنا | لرد سهامه درعا تقينا
أمات ملاذنا شيخ الفتاوى | وقائد ساسة المتفكرينا
وجار على أبر الناس فعلا | وأوفاهم به للمعوزينا
أقام لناشئيهم دور علم | وكان لمثلهم كهفا حصينا
أناخ بنا كلا كله وأخنى | على رجل الهدى والفضل فينا
محمد من أبان بكل علم | حقائق فوق فهم الواضعينا
أعز منارة الاسلام شأنا | ورد جماح بغي العابثينا
وأظهر حكمة التكليف عقلا | بشكل دونه فكر ابن سينا
فكم حجج له بهرت عقولا | تخر لها عقول الملحدينا
بعيد الشأو والمرمى ولكن | بمعنى فوق وصف الواصفينا

فقد فقدت بموته مزايا ونهضة أمة دنيا ودينا
وأمست وحدة الاسلام جسما بلا روح تحركه يمينا
ولو أن البكاء عليه يجدي لزمناه وقمنا به سنينا
ففقدك يا محمد نقص دين وخسران ألم بنا شئينا
ولو أن المنية أنصفتنا لما عبثت بأفضل قائدينا
وفارقنا حيارى في ظلام بلا رشد يقود الناهجينا
فللاسلام قيض يارحيما دعاة من خيار المخلصينا
وقابل شيبه برضاك عنه وأرفق وفده بالمرسلينا
وعم جميعنا بالفضل وارحم وعاملنا بلطفك اجمعينا

﴿ رثاء أستاذنا الامام الحكيم فقيد العلم والاسلام المغفور له الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصريه ﴾

من نظم الشاعر الاديب عبد العليم أفندي صالح المحامي بمصر

من بعد يومك والحياة شجون كل الخطوب ولو تجل تهون
رزء دها الاسلام في انسانه من هوله ظلت تفيض عيون
يا واحد العقلاء يمت النهى فمن الوصي على العقول يكون
لو قامت الحكماء تبكيك الحجا افنى عليك الدمع افلاطون
يا فرد العلماء قد خلفتنا نغشى شكوك الفهم وهو يقين
قد عطلت حلقات درسك في الهدى وانهد ركن للعلوم ركين
قد كنت فيها والمدارك حولها كفؤا بحل المعضلات قمين
ياضيعة الطلاب بعد (محمد) وقد اعترتهم حيرة وسكون

و ا عليك ولوعة تنتابهم — وجوى يلمّ وعبرة وأنين
ار . لم يجزع عليك أخو هوى — فلقد بكى شرع الآله ودين
أولم يكن يرثيك فينا شاعر — جمد القريض به فليس يلين
(نهج البلاغة) فيك يشرح حزنه — (ودلائل الاعجاز) فيه متون
علمتنا فن اليراع فكلنا — بازاء خطبك في الرثاء فنون
ياحجة الاسلام أفحمت الذي — بالقول في دين الآله يمين
ارجعته للحق معتذرا بما — زعم الوزير بأنه سيشين
لو عاد (هانوتو) وجدد بحثه — ياليت شعري هل تصول يمين
ومن الذي يعطي الجواب مسددا — ومن الذي جعل الخصوم تدين
ومن الذي يبدي الرشاد بقوله — ومن الحقيقة طيها وغضون
أمضيت في (بوذا) الدليل و(برهمن) — فابنت للوثني كيف يدين
ورميت دهري الانام بحجة — الهند تعرف قدرها والصين
وتركت في كل البلاد مآثرا — الشرق معترف بها ومدين
فكر يوحد في العقيدة قوله — ذرب بأسلوب الجدال رصين
صححت بالرأي الصحيح لأمة — فتخيلته الغث وهو سمين
ونطقت بالحكم الصواب وأنت ذو — ثقة على الدين الحنيف أمين
فتقولوا بالغيب فيك وأولوا — نص الكتاب وانه لمبين
عكس القضايا في الزمان وأهله — داء مقيم في النفوس كمين
كيف استوت فيك المشارب نزعة — جزعا عليك وكلها تأبين
ماذاك الا أن عهدك دلها — ان الكريم الحر ليس يخون
يا واحد الفصحاء في تبيانه — بالغت في المثوى فلست تبين

اني احتجبت عن المصالح وانطوى — فيك الرجاء وأمتمته مكين
ان البلاد وما علمت بأهلها — ترجوك عونا في الصلاح يعين
خففت ويلات الحياة على الاولى — أعيتهموا الحاجات وهي شؤون
من للايامى المعدمات وبائس — حر يعاني العيش وهو حزين
يطوي على الآلام نفسا عزها — أبدا على ذل الحياة رهين
عجبا يظل الحر عبد زمانه — في عيشه طول الحياة غبين
لاتعجبي يانفس إن زماننا — في قومه للاكرمين ضنين
يامنصب الفتيا وفيك مساند — لاتغمضن لها الزمان جفون
هلا استعضت عن الامام بمثله — حرا لعز المكرمات يهون
قسما بفضلك ياحكيم وانه — للصادقين مدى العصور يمين
ماعوضوا يوم الكريهة كاملا — يوم النضال ويوم عز قرين
يوم الدفاع عن الحقيقة والردى — يهتاضها والنفس منك تصون
كالليث يحمي في الفلاة عرينه — ولك الحقيقة في البلاد عرين
همم تعير الدهر فضلة بأسها — وهوى لفعل الصالحات متين
عزم تهاب العاديات لقاءه — ثبت على مر الخطوب رزين
ان الحياة لمن أجل فخارها — أثر يخلد للرجال ثمين
والمرء ان لم يدركنه حياته — سيان حي في الورى ودفين
ياراحلا والطيبات تحفه — في جنة تاقت اليه وعين
هذي الدنا ولأنت أعلم انها — نوب تمر على الفتى وشجون
غادرتها فالروح تسعد في العلى — ورضى الاله يخصها ويزين
يسقي الغمام ضريح جسمك غاديا — ويمده بالغيث وهو هتون

﴿ رثاء استاذنا المرحوم الشيخ محمد عبده ﴾

لحضرة الفاضل صاحب الامضاء

دهر بالقسوة يفجعنا وزمان الغدر يروعنا
وصروف عداوته فينا تودي بالعلم وتصرعنا
وظروف حياة مظلمة ظلما لهموم تدفعنا
مات المفتيّ ولا عوض فالخطب شديد يفزعنا
برهان الدين وحجته وامام الشرق وانفعنا
ووحيد العصر بلا جدل وعماد الفضل وابرعنا
ذهب العلامة مرشدنا فاسودّ يقينا طالعنا
قبر العرفان بمدفنه والرشد اراه يودعنا
أمل كنا نرجوه مضى وضروب اليأس تزعزعنا
وقنوط اليوم يدوم بنا حتى تتلاشى أجمعنا
رحماك الهي قد وهنت من هول الحادث أضلعنا
تبكيه عيون قد هطلت وانهالت منها ادمعنا
فالله تعالى يرحمه وبه في الجنة يجمعنا

علي محب بالاوقاف

﴿ رثاء الامام فقيد القطر الشيخ محمد عبده مفتي مصر ﴾

من مراثي الفاضل محمد أفندي أبو طالب الاسكندري

غادرتنا لصروف لدهر تغشانا من بعد ما كانت الآساد تخشانا
فمن لقومك يغضي عن اساءتهم ويبذل النصح ياموسى بن عمرانا
أوذيت منهم على جهل ومعرفة وما تعمدت بالايذاء انسانا

سلكت فيهم سبيل المصلحين ولم تعبأ بما قيل ارجافاً وبهتانا
وكدت توردهم خير الموارد لا ترجو من القوم فيما رمت شكرانا
يا آية الله كانت في الورى سطعت تزيد من يطلب التوحيد ايمانا
فمن أقمت على اصلاح أمتنا وما نرى في رجال الدين يقظانا
وأنت تعرفهم !! ما في ضمائرهم الاسفاسف في المعطوف أوكانا
كأن ذا الدين خصم للحضارة لم يحفظ أرائك في الماضي وتيجانا
كأنه ليس أصلاً للتمدن في ممالك الغرب قد عزت به شانا
والله لولاه كان الغرب في ظلل من الجهالة يلقى الضنك ألوانا
ومن يماري فاني لا أكلفه الا مراجعة التاريخ برهانا
أليس من عجب أن الاولى كفروا بالقول لم يرفضوا بالفعل إذعانا
باللب من أدب الدين لحنيف غدوا مستمسكين فنالوا منه سلطانا
وكان حظ بني الاسلام ان لهم منه القشور فما أغبى وأشقانا
قد أغفلوا فهم آيات الكتاب وما تحوي الاحاديث ارشادا وتبيانا
كأنما العلم لا يدعو الى عمل أوان هذي الدنا ليست بدنيانا
كأنما الدين يرضى عن تكاسلهم وعن تحاسدهم بغيا وعدوانا
فهل هدتهم تعاليم الرسول الى هذا التباغض اذ يجنون أضغانا
كلا وفي الخلفاء الراشدين لهم قام الدليل على ان الهدى بانا
اذ استقاموا على تلك الطريقة لا يرضون غير كتاب الله ميزانا
فأزهرت بهم الدنيا وقد ملكوا أهل البسيطة أعجاما وعربانا
وجاء من بعدهم من لا خلاق لهم فأورثونا بهذا الجهل خسرانا
وشوّهوا وجه هذا الدين واتبعوا أهواءهم فأزال الله بنيانا

حتى بعدنا عن الدين القوم ولم يعد لنا منه غير الاسم عنوانا
ومذ شعرت بهذا قمت ترشدنا عسى يعز الذي بالجهل قد هانا
أسست جمعية ثم انثنيت الى تلك المساجد والتدريس ازمانا
وكنت طورا أخا علم وآونة أخا سخاء وفي التبيان سحبانا
ولجت في كل باب فيه منفعة للمسلمين وما قصرت احسانا
فحين جاءك أمر الله وانقطعت أيدي الرجا وفيك الطب أعيانا
عدنا الى حالة قد كنت تعرفها الجهل أثمر والتقليد أعمانا
فان بكينا فما نبكي سوى أمم كنت الحياة لها دينا وعرفانا
كل المصائب فيها للسلو يد الا مصيبة هذا الحبر مولانا

وقال الفاضل صاحب الامضاء من مرثية بعد أبيات في الدهر وأخرى في الموت ما يأتي بعد اختصار

وانتقى بدرا خبيرا زاهيا كان نبراسا لنا دنيا ودين
شيخنا المفتي عنوان الهدى كعبة الخيرات غوث البائسين
مات فارتاعت له مصر ولو كان يفدى لافتدي بالمسلمين
قد بكاه العلم والآي التي كان في تفسيرها نعم الامين
ان تكن ياموت فيناحاكما فاعتدل فالله يجزي الظالمين
ما فقدنا مثله حبرا وان مات منا كل يوم بالمئين
كان عذب القول منطيقا اذا جادل الاحبار خروا ساجدين
مارس المعقول والمنقول في كل فن ثم فاق الاولين
كان في الافتاء بحرا زاخرا صائب الرأي صدوقا لا يمين
كان فردا عاملا لكنه في مقام الناس طرا أجمعين

أدهشت أحكامه أهل الحجى وأرى الحكام فضل العادلين

كان للاسلام درعا مانعا بل سهاما في قلوب الملحدين

ذاد عنه مذ رماهم جهلهم واستطالوا فيه بالقول المهين

سل هنوتو عنه والقوم الاولى ردهم عنا فباءوا خاسئين

أذعنوا للحق لما ان رأوا قوة البرهان والقول المتين

لم يعقه الموت اشفاقا بنا عن تأسّ قاله للحاضرين

رب هب للدين بعدي مرشدا حاميا عن حوضه السامي المعين

رحمة الله عليه كلما خط حرف من يراع الكاتبين

محمد فتحي مدرس بالزقازيق

﴿ مرثية لفقيد الدين ﴾

جاءتنا من الفاضل صاحب الامضاء

رميت ياموت سهما في نواحينا فأقصد العلم والآداب والدينا

كل السهام اذا ماعولجت نزعت الا سهامك أعيتنا وتعيينا

وكل رزء بجيش الصبر نهزمه الا مصاب امام الدين مفتينا

كم قد أضاء لنا نهجاً وخاض بنا لجا واقنع بالحق المعادينا

وكم حمى الدين من ضر ومن بدع وافعم الصحف قصد الخير تدوينا

وكم أغاث من الاخطار ذا لهف وكم أقال من العدم المساكينا

وألف الكتب يرجو ان يقوم بها من هوة الجهل قاصينا ودانينا

سما به الشرق في علم وفلسفة وهابه الغرب لما قام يحمينا

هل في الديار سوى باك عليه دما أو شاعر مادح أعماله فينا

أو نادب حظنا من بعد موته من يا ترى بعده يسعى ويعلينا
من ذا يدافع عن دين الآله اذا قامت تعارضنا فيه أعادينا
من ذا يدافع عن حق البلاد وعن حق العباد وبالانفاس يفدينا
من ذا يقود هداة المصلحين لقد عز الدواء علينا من يداوينا
لو كان خطب سوى هذا ألمّ بنا لقمت أطلب صبرا من أهالينا
لكن ذلك خطب لا يعادله خطب لذلك جودي يا مآقينا
جودي ببعض الذي جاد الامام به على البلاد عسى نوفي له دينا
محمد يا فقيد الدين ذكرك لن يمحى وان كان يشجينا ويبكينا
ان كنت في الترب قد أمسيت محتجبا فشمس هديك تزهو بين أيدينا
وان موتك هـذا ليس يمنعنا أن نرتجي من سناها العلم والدينا

مصطفى الشوربجي بمحلة مرحوم غربية

وقال الشاعر الاديب مصطفى أفندي صادق الرافعي

سكت وقد ضجت لك الثقلان وأغضيت والابصار في رجفان
فويحي متى تصغى الي مناجياً وويحي اذا ادعوك كيف تراني
أمان وآمال ودين وحكمة ذهبت بها عنا ببضع ثوان
ضبطت عنان الحادثات فامسكت وخلفتها تجري بغير عنان
وكنت أمان الرأي من عثرة الهوى فمن ذا له من بعدها بأمان
وكنت لنا في أمة الشرق أمة فيا ضعفها كفين تنفردان
وكنت رجاء الدين فالدين ساكن ولكنه قد عاد للخفقان
سنعرف أن مد المدى عم تنجلي وغى فقدت من راحتيك يماني

ونسمع ان طار الجدال بفتنة عن الصارخ الهاذي بغير بيان
ونبصر اما غيم الشك مرة بوارق افكار بلا لمعان
ولابد منها انها النار أطفئت وما بعد طفء النار غير دخان

***

(محمد) قد هيلت لمصرعك الورى أقاصيهم فوق الثرى وأدان
ولو انه يوم تدجى ظلامه لكشفه عن افقنا القمران
ولكنها من ظلمة الحزن والاسى وذل لمن أسعدتهم وهوان
فقد كنت من عين الزمان وسمعه بحيث غدا يخشاك ذان وذان
حفظت لجنبي الفؤاد فما له تفلق عنه بعدك الصدفان
وكنت لدهري جدة فمساؤه واصباحه من بعدها خلقان
وكانت علوم الدين في الناس والدنا لحبل ومنه عندك الطرفان
فهل تتغانى بعد فقدك أمة على فقرها لما تجد لك ثاني
بكائي على فكر خفضت جناحه على الموت حتى عيّ بالطيران
بكائي على تلك الخواطر قد هوى بها فلك الدنيا من الدوران
بكائي على ذاك اليراع ممددا وكم خط عنه لفظه الملكان
تفرد بالآيات عن كل كاتب ولم يشترك في زهره غصنان
ولهفي من داء يفيض به الهدى وكيف يجف البحر (للسرطان)
على انها الدنيا تجر الى الردى فمن عجل فيها ومن متوان

﴿ حرف الهاء والواو والياء ﴾

﴿ الوفاء بعد الوفاة ﴾

للاستاذ الفاضل الشيخ حمزه الفتي الجنبيهي (وقد اختصرناها)

عيوني في الدجا تهمي دماها ... وروحي بالجوى عدمت قواها
ومن فقد الامام رأيت مالا ... يطيق الصخر لو يؤذى أذاها
وفي شرع الوفا يوحي اليها ... اذا ماروعت عشقت وفاها
فيانفس اندبي رجلا أبيا ... كريما كان للاسلام جاها
يشيد مجده ويذود عنه ... اذا نار الجدال ذكا لظاها
فقد حل المعمى من حديث ... وآيات الكتاب لنا جلاها
(وهانوتو) تقهقر ثم ولى ... وحرب القول قد دارت رحاها
رأى شهما يفوق الليث بأسا ... يصون الدار أو يحمي حماها
ولو طال البقا دامت بعز ... ولولا موته بلغت مناها
فيامصر اندبيه أبا رحيما ... اذا ماريبة شانت اباها
وياقوم امنحوا مصرا عزاء ... فمصر قد دهاها مادهاها
فيا أسفي عليه من تقي ... حكيم فيلسوف لا يضاهى
فكم من أمة بليت بجهل ... فحاول رشدها حتى هداها
وكم من حرة منيت بفقد ... فأغناها وما هتكت خباها
وأقوام شكت جهلا قديما ... وبالعلم الحديث لقد شفاها
وبدد بالقضا جورا وعسفا ... وحاجات لمهضوم قضاها
ومد يد المنافع في أناس ... يعيش بنفعها أمم سواها
نشا والنفس يكنفها وقار ... وما ألهاه عن جد صباها

وشبت روحه تهوى المعالي فاجهدها ونالت مبتغاها
أما والحق ما مالت لشين وما يحدو بها الا تقاها
وأقسم بالسجايا الغر منها لأنت امام مصر ومجتباها
وأنت سواد مقلتها المفدى فيالهفي وقد فقدت ضياها
تباهينا به شرقا وغربا وما يوما على عظم تباهى
وكان بسره للدهر أمر ولكن المنون أرته فاها
وما قصد الامام سوى ديار تعز بأهلها ويرى ارتقاها
يئن العلم أنة مستضام من القوم التي سلبت لحاها
أماتوا الدين مذحظروا عليه أيا للدين من جهل عراها
وقبل الموت كانت في ائتلاف وبعد الموت قدشقت عصاها
وكان نظامها في كل أمر فولى الشيخ واعتلت عراها
جدير بالقلوب تذوب حزنا واعذر كل عين في بكاها
محمد كنت فينا خير حبر اذا ماشبهة عرضت محاها
وللدين القويم منار فضل اذ أحكامه فقدت صواها
فقدنا الشاه والقدح المعلى فقل للرخ يمرح في ذراها
فقدنا اليوم أغزرها علوما ومن بالحزم يكسوها رواها
فلا تعجب وخلف النعش ناس تسد الطرق أو تملا فضاها
وواروه التراب وكان بحرا وبرا للتي تشكو طواها
وخافته الملوك فأنكرته فمال بعزة التقوى وتاها
وتخشاه الاسود فلو بغاها يريد عرينها هجرت شراها
ورثت العلم عن خير البرايا امام المرسلين ومتقاها

وأقسم كنت للفتوى زعيما وبالاقناع ترمي من رماها
فأموا تربة طهرت وطابت وبات أبو الارامل في ثراها
بها الاملاك تهبط كل وقت على روح تقدس من براها
وأبرزها لتظهر آي ربي فمذ قامت بواجبها دعاها
فقاضت والمفاخر في حداد وافق الشرق قد أفلت ذكاها
وخلّف أمة تبكي عليه وما بلغت قصارى منتهاها
وأعقب أمة ورثت علوما وربّاها وما جهلت أباها
وقابل ربه بجميل صنع ففاز بقربه وجوارطاها
فعظم أجرها وارحم قواها وجمل في مصائبها عزاها

(وقال ولم نحذف منها الا قليلا)

أقسمت بالله مات العرف والجدوى ودك طود العلا والمجد والتقوى
وانهال بيت الهدى وانحط قائمه وقد هوى صرحه فالربع قد أقوى
والعلم أضحى رهين القبر منجدلا ياضيعة الدين والتحرير والفتوى
لم يبق للشرع من يحليه من شبه قد عاش من يدعي لا يثبت الدعوى
من للحوالك يجلوها اذا احتدمت بعد الامام ومن للبأس واللأوى
من للغوامض من للمشكلات ومن للحل والعقد من للغارة الشعوا
هي المنابر تبكيه وتندبه تلك المحافل تنعي الفارس الالوى
في رحمة الله روح كنت أعهدها تهوى المعالي فما طاشت بها الاهوا
ياطالب المجد سر في نهج سيرته ان المكارم عن أمثاله تروى
ضدان ياشيخنا من بعدك اجتمعا في مهجتي لهب، من مقلتي أنوا
عن السلو فياحزني على رجل يغذوك تقريره لا المن والسلوى

قـد بث روح المنا في قومه زمناً لكنه لم يصل للغاية القصوى
أخنى على قصـده دهر يخر له هام الاثير وما يبقى على رضوى
يمحي الزمان وما تمحي عوارفه تطوى الليالى وما آثاره تطوى
لم يفقهوا كنه ما كانت سياسته نعـا بها ظالع لم يبلـغ الشـأوا
عوجوا على قبره حجوا اتربتـه هذا الضريح يضاهي جنة المأوى
ياعصبة الدين هل فيكم مماثله ان حل خطب اليه نرفع الشكوى
يا أطيب الناس فى قول وفي عمل أرضيت ربك في سر وفي نجوى
دم في نعيمك واتركنا على كمد نستعذب المرّ لا صبر ولا سلوى

وقال حضرة الفاضل مراد أفندي فرج المحامي في الاستئناف الاهلي وأحد أدباء الاسرائيليين من قصيدة طويلة مؤثرة

ألا من للمعاني والاحاجي ومن للشعر بعدك والرويّ
أُتيح له الثبات فلم يخنهُ وقاوم كلّ ذي شأن عليّ
ألا ياموت انك من قديم خؤون لست عمرك بالوفيّ
أتحت بعالم حبر كبير يفيـد الناس بالعـلم النقيّ
يجيء المرء في الدنيا ويمضي وهـل قـد جاء الا الصفيّ

﴿ مرثية لفقيد الاسلام والمسلمين والعلم والادب مولانا الاستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده تغمده الله برحمته آمين ﴾

لحضرة الفاضل الشيخ مصطفى علي أبو علي من أعيان دمشق (وقد اختصرناها)

مالى أرى الاسلام أصبح باكيا والعـلم حب الدمع أحمر قانيا
والمجد شق الجيب مملوءاً أسى فأثار لي حزناً أذاب فؤاديا

والنيل أظلم بعد نور ساطع ... والشرق صار من المفاخر خالياً
أقضى امام العصر مصباح الهدى ... من كان للاسلام حصناً واقياً
(أحمد) كيف انقيادك للردى ... وأراك أجدر أن تكون الآبيا
هلا حماك حكيم رأيك والنهى ... من أن تغادرك المنية فانياً
هلا وقاك الفكر يسمو دائما ... فوق السماك منازلا ومراقياً
قد كنت ذا عزم يخاف الدهر من ... صولاته ويراه حتما قاضياً
من قبل هذا اليوم من ذا قد رأى ... بحرا غدا تحت الثرى متواريا
من قبل هذا اليوم من ذا قد رأي ... رسما يضم البدر ازهر زاهياً
من قبل هذا اليوم من ذا قد رأى ... جدثاً حوى شمساً تضيء دياجياً
هـذا مصاب ليس يلقى مثله ... دين البشير مصائباً ودواهياً
هذا مصاب ساء كل موحد ... بل كل ذي عقل يحوز معالياً
من للمحابر والمنابر بعده ... من يشرح القرآن شرحا وافياً
من للسماحة والمروؤة والندى ... من يملأ الالباب نوراً شافيا
لولا الكتاب أتى بنص واضح ... قال الورى هذا ختام الانبيا

﴿ خاتمة المراثي ﴾

لامير الادباء واشعر الشعراء صاحب السعادة اسماعيل باشا صبري وكيل نظارة الحقانية

تدفق دموعا أودماً أو قوافياً ... مآتم أولى الناس بالحزن هاهيا
أيجمل أن تنعى الفضائل للورى ... ولم تك في الباكين ويلك باكيا
أغرك من بعض الليالي سكونها ... فبت قريرا ناعم البال لاهيا

لقد سكنت لكن لترهف للوغى ... دقائق من ساعاتها وثوانيا
ألا ان بين الكأس والفم فرجة ... لركض عظيمات تشيب النواصيا
فنبه رقيباً من حذارك كلما ... رأيت بأطراف الفؤاد أمانيا

***

محمد دور العلم كانت اواهلا ... بفضلك ما بين الانام زواهيا
فصبحها الآن من الحزن والاسى ... عليك القضاء المستبد خواليا
أما للردى لابارك الله في الردي ... أحال بشير الامس في الكون ناعيا
برغم الحجى والمجد أن مسك البلى ... بسوء فأضحى عودك الصلب ذاويا
وأن أقفل الباب الذي كنت عنده ... تقابل ملهوفا وترصد شاكيا
محمد من للدين يحرس حوضه ... ويدرأ بين الناس عنه المواديا
تعرض قوم للكتاب وأثخنوا ... صراحته شرحاً عن القصد نائيا
فأرسلت فيه نظرة نفذت الى ... صميم مراد الله اذ قمت هاديا
ووفقت بين الشرع والعقل بعد ما ... قد اعتقد الالفان أن لا تلاقيا
ورب أناس حاربوا دين أحمد ... فثرت عليهم ثورة الليث عاديا
وقفت وأقلام الغواية شرّع ... وأقلام أهل الحق ترنو سواهيا
وأفحمت بالبرهان كل مناضل ... لو انك لم تغضب لزاد تماديا
وفاءوا الى الحسنى ولو لم تحجهم ... لعادت زئيرا صيحة القوم داويا
هنيئاً لهم فليحملوا حملاتهم ... فقد أصبح الميدان بعدك خاليا
محمد وفيت المروآت حقها ... وقمت اليها في حياتك داعيا
وعلمت أهل العرف في العرب أنها ... لها غرر مشهورة ومعانيا
وعالجت امراض القلوب بحكمة ... ترى ظاهرا من خلفها البرء خافيا

وأودعت في الطلاب أجزاء مهجة ... ترى العلم ان لم يعل بالمرء هاذيا
مناقب ان عدت تضوع بيننا ... كأنا اتخذنا ساحة الروض ناديا
ألا نم مع الابرار في الخلد ناعماً ... فكم بت فينا ساهر العزم عانيا
جزيت عن الاسلام ما أنت أهله ... فقد كنت سيفاً في يد الحق ماضيا

﴿ يقول جامع الكتاب ﴾

هذا ما اخترنا نشره من المراثي التي وردت الينا من هذا القطر وغيره ولعل مالم يرد الينا أكثر فقد مكثت جريدة الظاهر زمناً طويلا تنشر المراثي وبلغنا انه لم ينشر فيها كل ما أرسل اليها ونحن لم ننقل منها شيئاً ولكننا نعلم ان بعض ما جاءنا نشر فيها أيضاً .

أهملنا بعض القصائد التي كتم مرسلوها أسماءهم وبعضاً لضعف النظم وبعضها لتأخر ورودها الينا . واختصرنا بعض ما نشرنا لمجرد الاختصار، وبعضه للتأويل فيه بذم الدهر ومعاتبة الموت والشكوى من الزمان ، وبعضه لضعف النظم ، وبعضه لسبق مثله مكرراً كذكر الجمعية الخيرية والاصلاح في الازهر والشورى والمحاكم والرد على هانوتو

وكان ينبغي ان نحذف أكثر مما حذفنا لولا أن غرضنا بيان أن هذه المزايا والفضائل ثابتة للاستاذ الامام بالتواتر الحقيقي وان الناس لم يمنحوه لقب « الإمام » الا عن شعور مستفيض ، قد انطقهم عن اعتقاد لا عن تواطؤ ولا تقليد ،

﴿ ملحق بالتعازي ﴾

صورة التعزية المرسلة من رئاسة مجلس شورى القوانين لحضرة حموده بك عبده وباقي عائلة الفقيد رحمه الله بتاريخ أول اغسطس سنة ١٩٠٥ نمرة ٥٩٢

انه بجلسة مجلس شورى القوانين المنعقدة في يومنا هذا أبدت الهيئة مزيد أسفها وشديد حزنها وكدرها بالنسبة لوفاة المرحوم العلامة الاستاذ الشيخ محمد عبده احد الأعضاء وذلك لما له في المجلس من الخدم الكثيرة الجليلة والاعمال النافعة الوافرة التي تذكر فتشكر وماكان عليه تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته من الفضل والعلم والحزم والاخلاق الطيبة الفاضلة وماله من المكانة في القلوب مقدرة ماشمل الجميع من الحزن تلقاء تلك المآثر الغراء حق قدره وقررت أن يكتب لحضرتكم بالاعراب عن هذه الاحساسات فنبلغكم ذلك مشفوعا بمزيد تأثرنا الشخصي والله المسؤل في أن يلهمنا وإياكم الصبر ليضاعف لنا ولكم الأجر ؟

(التوقيع)

ما كتبه حموده بك عبده ابن الفقيد بالتربية وأخوه بالنسب الى بعض المعزين

﴿ صورة ما كتبه الى سعادة رئيس مجلس الشورى ﴾

سيدي المفضال سعادتلو أفندم

شرفنا ليلة الامس خطاب سعادتكم الشامل لجميل عواطفكم ولقد غمرتمونا فيه بجزيل فضلكم بما شاركتمونا فيه مع حضرات الاعضاء في مصابنا العظيم وأظهرتموه من المنة في حسن الذكرى لفقيدنا الكريم وأوليتمونا فيه عزاء وافراً ومنحتمونا ولا عاطراً لاحرمنا الله منكم تلك الاحساسات العالية والمودة الصافية وانني أدعو الله ان يطيل بقاءكم وبقاء حضرات الاعضاء ممتعين بالنعم الجزيلة والحياة السعيدة آمين ؟

حموده عبده

﴿ صورة ما كتبه الى سعادة رئيس الاستئناف الاهلي ﴾

سيدي المفضال سعادتلو أفندم

تشرفت بكتاب سعادتكم وقدأوليتمونا فضلا جزيلا بمشاركتكم لنا بالحزن على فقيدنا المرحوم الشيخ محمد عبده وايقافكم جلسة المحكمة صباح وفاته حداداً عليه وتشييعه مع حضرات الافاضل قضاة المحكمتين فحمدنا لكم هذه المنة الكبرى، التي حفظتم بها لفقيدنا حسن الذكرى، ولا غرو فان هذا أثر من كامل وفائكم وعاطر ولائكم وقد كان لنا أكبر العزاء من احساسات رجال الفضل وأهل القضاء واني بالإصالة عن نفسي وبالنيابة عن أعضاء أسرتي أرفع الى سعادتكم خالص الشكر الوافر والى جميع حضرات مستشاري المحكمة وقضاتها الافاضل ونسأل الله تعالى أن يقيكم شر المصائب والاحزان ويبقيكم ذخرا للاوطان أفندم م

﴿ صورة ما كتبه الى العلامة المستر ادورد براون ﴾

سيدي الصديق الجليل

شرفنا بالامس خطابكم . الشامل لحسن عزائكم . وفصيح بيانكم . وشريف إحساسكم . وعاطر إخلاصكم . ولقد أوليتموني به فضلا جزيلا . وغمرتموني به ولاء عظيما . بما أوضحتموه من فائق الاخلاصات وعاطر الكمالات في وصف فقيدنا المرحوم وتعداد فضائله في الأمة والأمم ولاغرو فان هـذا من ساطع وفائكم ووافر ولائكم . وقد كان لي أكبر عزاء أحفظه في مودتكم . واذكره في محبتكم أما ترجمة حياة الفقيد فقـد قرر اخواني هنا ان تكتب بتفصيلها وأن تنشر معها مقالاته وأعماله التي عملها في تقدم الأمة عندنا وستطبع معها صورته أيضاً وتنشر وعند اتمام الترجمة سأرسل لحضرتكم نسخة لتختاروا منها ماتشاؤنه واني أشكر حضرتكم عن الأمة على اشتغالكم بأمر تاريخه لان هذا مما يعزينا وينفعنا كما أكرر آية شكري لكم على تلك العواطف الجليلة والاخلاق الكريمة وادعو الله تعالى أن يطيل لي بقاءكم ويحفظ لي ودادكم آمين م

حموده عبده

﴿ ملحق آخر ﴾

نستدرك به على قسم تأبين العلماء والفضلاء ما جاء في تقرير اللورد كرومر وتقرير المستشار القضائي عن سنة ١٩٠٥ قال جناب اللورد في الفصل السابع من تقريره

الشيخ محمد عبده

اختطفت المنية في السنة الماضية رجلا مشهورا في الهيئة السياسية والاجتماعية بمصر أريد به الشيخ محمد عبده فأحببت أن أسطر هنا رأيي الراسخ في ذهني وهو ان مصر خسرت بموته قبل وقته خسارة عظيمة

لما أتيت مصر القاهرة سنة ١٨٨٣ كان الشيخ محمد عبده من المغضوب عليهم لأنه كان من كبار الزعماء في الحركة العرابية . غير أن المغفور له الخديوي السابق صفح عنه طبقا لما اتصف به من الحلم وكرم الخلق فعين الشيخ بعد ذلك قاضيا في المحاكم الاهلية حيث قام بحق وظيفة القضاء مع الصدق والاستقامة وفي سنة ١٨٩٩ رقي الى منصب الافتاء الخطير الشأن فاصبحت مشورته ومعاونته في هذا المنصب ذات قيمة عظيمة ثمينة لتضلعه من علوم الشرع الاسلامي مع ما به من سعة العقل واستنارة الذهن واذكر مثالا على نفع عمله الفتوى التي افتاها في ما اذا كان يحل للمسلمين تثمير أموالهم في صناديق التوفير فقد وجد لهم بابا به يحل لهم تثمير أموالهم فيها من غير أن يخالفوا الشرع الاسلامي في شيء

أما الفئة التي ينتمي الشيخ محمد عبده اليها من رجال الاصلاح في الاسلام فمروفة في الهند أكثر مما هي معروفة في مصر ومنها قام الشيخ الجليل السيد أحمد الشهير الذي أنشأ مدرسة كلية في عليكده بالهند منذ ثلاثين عاما . والغاية العظمى التي يقصدها رجال هذه الفئة هي اصلاح عادات المسلمين القديمة من غير أن يزعزعوا أركان الدين الاسلامي أو يتركوا الشعائر التي لا تخلو من أساس ديني . فعملهم شاق وقضاؤه عسير لأنهم يستهدفون دائما لسهام نقد الناقدين وطعن الطاعنين من الذين يخاصمون بعضهم النية في النقد ويقصد آخرون قضاء اغراضهم وحك حزازات في صدورهم فيتهمونهم بمخالفة الشرع وانتهاك حرمة الدين

أما مريدو الشيخ محمد عبده واتباعه الصادقون فموصوفون بالذكاء والنجابة ولكنهم قليلون وهم بالنظر الى النهضة الملية بمنزلة الجير وندست في الثورة الفرنسوية فالمسلمون المتنطعون المحافظون على كل أمر قديم يرمونهم بالضلال والخروج عن الصراط المستقيم فلا يكاد يؤمل أنهم يستميلون هؤلاء المحافظين اليهم ويسيرون بهم في سبيلهم . والمسلمون الذين تفرنجوا ولم يبق فيهم من الاسلام غير الاسم مفصولون عنهم بهوة عظيمة . فهم وسط بين طرفين، وغرض انتقاد الفريقين عن الجانبين، كما هي حال كل حزب سياسي متوسط بين حزبين آخرين غير أن معارضة المحافظين لهم أشد وأهم من معارضة المصريين المتفرنجين اذ هؤلاء لا يكاد يسمع لهم صوت

ولا يدري الا الله مايكون من أمر هـذه الفئة التي كان الشيخ محمد عبده شيخها وكبيرها فالزمان هو الذي يظهر ماذا كانت آراؤها تتخلل الهيئة الاجتماعية المصرية أولا . وعسى الهيئة الاجتماعية أن تقبل آراءها على توالي الايام اذ لا ريب عندي في أن السبيل القويم الذي أرشد اليه المرحوم الشيخ محمد عبده هو السبيل . الذي يؤمل رجال الاصلاح من المسلمين الخير منه لبني ملتهم اذا ساروا فيه فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوربيين . ولعلهم يجدون بعض التنشيط من نقلي قولا لرجل من أهل دينهم وصف فيه المعارضة التي لقيتها مدرسة عليكده الكلية المذكورة آنفاً والطريقة التي تغلبوا بها على تلك المعارضة

بعد ماوصف السيد محمود قلة اهتمام المسلمين فى الهند بتعلم العلوم منذ أربعين أو خمسين سنة قال « وكان هؤلاء السادة المسلمون مستائين من قلة تقدم المسلمين في تعلم العلوم العالية غير انهم كانوا مستائين من أنفسهم أيضاً ومتحسرين على العلوم التي أهملوا تعلمها . ولكنهم لم يكونوا ممن يكتفي بالتشكي والتذمر ويقتصر على اللوم والتعنيف بل انهم لما علموا علة الشر وأصل البلوى عقدوا النية على اكتشاف علاجها أيضا فأنشأوا جمعية شيخها السيد أحمد خان الذي قضى العمر مجاهدا في سبيل تهذيب العقول بالعلوم والمعارف وجعلوا غايتها العظمى البحث عن وجوه الاعتراض التي يعترض بها المسلمون على التعليم الذي تعلمه حكومة الهند في مدارسها ومعرفة التعليم الذي يرجون استبداله به فاتضح لهم ان الرجوع الى أساليب التعليم التي

كانت متبعة في الشرق قديما أضحى ضرباً من المحال . ورأوا على ما بهم من الاكرام والاحترام لتقاليد السلف والاستعظام لكنوز العلوم والآداب التي توارثوها عن آبائهم ان التعليم الذي يرقي قومهم الى درجة تلائم التمدن المحيط بهم ويردهم الى مقام يشعر فيه بنفوذهم وتأثيرهم انما هو التعليم المبني على الاعتراف بتقدم العلوم الواسع الابواب ، الدقيق الدروس ، المحبب الى المتعلم كل أمر بديع عجيب في علوم البلد ان الأخرى وآدابها وفلسفتها فكانت هذه السمة منهم في العقل والاصالة في الرأي أعظم خطر على مشروعهم في بادىء الامر لانهم لو دعوا جموع المسلمين الى قبول رأيهم المبني على مبادىء لا تخالف الدين الاسلامي بالذات بل تخالف التفاسير التي يفسره بها أكثر المتدينين به لاستفزت الدعوة جموع المسلمين الى المعارضة واقامت على الجمعية القيامة . وكانت الجمعية تعلم ذلك وتصبر عليه لانتظارها الفوز في النهاية فبقيت مدة وليس من يؤيدها عن طيب نفس حتى ضعفت المعارضة شيئاً فشيئاً امام شجاعة المصلحين وثباتهم . ثم أيدهم رجال خطيرو الشأن مثل المرحوم السر سلار جنك تأييداً ماديا من جهة ومعنويا من أخرى في اعتبار الذين يعدون الاسم العظيم ضمانا عظيما . وكان أعضاء هذه الجمعية متخلقين بأخلاق تجلهم وتنزههم عن كل غاية شخصية فزالت الأوهام بعد ادراك حقيقة بدعتهم الرهيبة وانقلب بعض الذين كانوا ألد خصومهم الى أشد الانصار غيرة عليهم . وقد مضي ثلاثة عشر عاما (١) على اجتماع الجمعية لوضع مشروعها وظني أن الذين كانوا أقوى أعضائها آمالا في نجاح مسعاها لم يكونوا يتصورون أنها تنجح النجاح السريع الذي عاشوا حتى شاهدوه » اه

أقول : في تلك المدرسة الآن ٧٠٠ طالب ولو كانت تسع غيرهم لكان فيها أكثر منهم ومعظم الذين فيها من الهند ومنهم طلبة من بلاد الصومال وفارس وبلوخستان وبلاد العرب وأوغندة وموريتيوس ومستعمرة الرأس ويقيني انه لو قصدها الطلاب من مصر لاستقبلوا فيها بالسرور والبشاشة وأنزلوا على الرحب والسعة

(وقال في أواخر الفصل الذي تكلم فيه على المحاكم الشرعية (ص ١٣٢) ما نصه :

(١) هذا كتب منذ اعوام

« هذا واني أوافق السر ملكولم مكلريث على ماقاله عن الضربة الثقيلة التي أصابت الاصلاح من هذا القبيل بموت المرحوم الشيخ محمد عبده فقد اشرت الى خدمات ذلك الرجل الجليل في فصل آخر من هذا التقرير وأعود فأبسط الرجاء أيضا ان الذين كانوا يشاركونه في آرائه لاتخور عزائمهم بفقده بل يظهرون احترامهم لذكراه أحسن اظهار بترقية المقاصد التي كان يرمي اليها في حياته » اه

أما ما أشار اليه اللورد من كلام السر ملكولم مكلريث المستشار القضائي في تقريره عن المحاكم فها هو بنصه :

« ولا يسعني ختم ملاحظاتي على سير المحاكم الشرعية في العام الماضي بغير أن أتكلم عن وفاة مفتي الديار المصرية الجليل المرحوم الشيخ محمد عبده في شهر يوليه الفائت وان أبدي شديد اسفي على الخسارة العظيمة التي أصابت هذه النظارة بفقده فقد كان خير مرشد لنا في كل مايتعلق بالشريعة الإسلامية والمحاكم الشرعية وكنا نرجع اليه كثيرا للتزود من صائب آرائه والاستعانة بمساعدته الثمينة وكانت آراؤه على الدوام في المسائل الدينية أو الشبيهة بالدينية سديدة صادرة عن سعة في الفكر ، كثيرا ما كانت خير معوان لهذه النظارة في عملها . وفوق ذلك فقد قام لنا بخدم جزيلة لا تقدر في مجلس شورى القوانين في معظم ماأحدثناه أخيرا من الاصلاحات المتعلقة بالمواد الجنائية وغيرها من الاصلاحات القضائية اذ كان يشرح للمجلس آراء النظارة ونياتها ويناضل عنها ويبحث عن حل يرضي الفريقين كلما اقتضى الحال ذلك وانه ليصعب تعويض ماخسرناه بموته نظرا لسمو مداركه وسعة اطلاعه وميله لكل ضروب الاصلاح والخبرة الخصوصية التي اكتسبها أثناء توظفه في محكمة الاستئناف وسياحاته الى مدن أوربا ومعاهد العلم . وكانت النظارة تريد أن تكل اليه أمر تنظيم مدرسة القضاة الشرعيين المزمع انشاؤها ومراقبتها مراقبة فعلية . أما الآن فانه يتعذر وجود أحد غيره حائز للصفات اللازمة للقيام بهذه المهمة ولو بدرجة تقرب من درجته فلكل هذه الاسباب اخشى ان نظارة الحقانية ستظل زمنا طويلا تشعر بخسارتها بفقده اه كلام المستشار

فرحم الله الاستاذ الامام الذي اعترف بفضله الوطني والاجنبي وأثنى عليه الموافق والمخالف ولازال ذكره حيا في الآخرين وسيرته اسوة حسنة الى يوم الدين